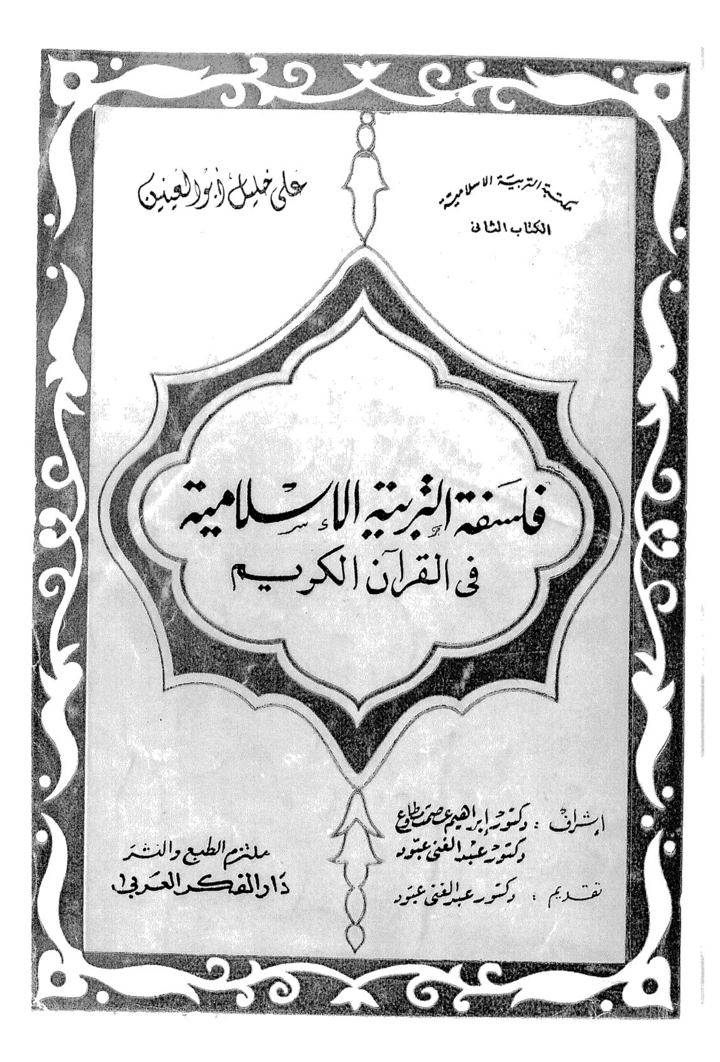

سلسلة التربية الاسلامية
الكتاب الثانى
على خليل أبو العينين
فلسفة التربية الاسلامية
فى القرآن الكريم
إشراف : دكتور إبراهيم عصمت مطاوع
دكتور عبد الغنى عبود
تقديم : دكتور عبد الغنى عبود
ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربى

مكتبة التربية الإسلامية
(٢)

فلسفة التربية الإسلامية
في القرآن الكريم

تأليف
علي خليل أبو العينين

إشراف : دكتور إبراهيم عصمت مطاوع
دكتور عبد الغني عبود

تقديم : دكتور عبد الغني عبود

الطبعة الأولى
١٩٨٠

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي

رسالة قدمت الى كلية التربية جامعة طنطا ، للحصول على درجة ماجستير في التربية ـ ونوقشت ظهر يوم السبت ٢٨/١٠/١٩٧٨ ، ومنحت الدرجة بتقدير (جيد جدا) .

وكانت لجنة المناقشة من الأساتذة الدكاترة :

ابراهيم عصمت مطاوع ـ عبد العزيز السيد ـ محمد قدرى لطفى ـ عبد الغنى عبود .

كان عنوان هذه الرسالة كما سجلت واجيزت :
((فلسفة التربية الاسلامية ، كما يحددها القرآن الكريم)) ،
ثم عدل العنوان على الشكل الحالى .. من باب التسهيل وحده .

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ « افلا يتدبرون القـرآن ؟ ولو كان من عند غير الله ، لوجـدوا فيـه اختـلافا كثـيرا » .

(النسـاء ــ ٤ : ٨٢)

ـ « واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا »

(الاسراء ــ ١٧ : ٤٥)

ـ « افلا يتدبرون القرآن ؟ ام على قلوب اقفالها ؟ »

(محمد ــ ٤٧ : ٢٤)

تقـــديم

بقلم : دكتور عبد الغنى عبود
استاذ التربية المقـارنة والادارة التعليمية المساعد
بكلية التربية جامعة عين شمس

هــذا هو الكتاب الثانى فى سلسلة (مكتبة التربية الاسلامية) ، وكان الكتاب الأول منهـا ، هو (التربية الاســلامية فى القرن الرابع الهجرى) ، الذى صدر فى سبتمبر ١٩٧٨ •

وقد قلت ــ فى تقديمى الأول ــ أن هذه السلسلة تسير «فى محورين، أولهما محور فلسفى ، والثانى محور تاريخى •

فأما المحـور الفلسفى ، فهو يدور حول الأســاس النظرى ــ أو الفلسفى ، الذى تقوم عليه التربية الاسلامية ، وأما المحور التاريخى ، فهو يدور حول تتبع هذا الأساس النظرى أو الفلسفى ، كما تمثل واقعا حيا ، عبر التاريخ الاسلامى الطويل •

ومن ثم تدور الرسائل الفلسفية حول : فلسفة التربيـة الاسلامية فى القرآن الكريم » ــ موضوع هذا الكتاب الثانى ، وغير هذا الموضوع، « كما تدور الرسائل التاريخية ، حول التربية الاسلامية فى القرن الأول الهجرى و ••• » (١) •

---

(١) حسن عبد العال : التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ــ الكتاب الأول من سلسلة (مكتبة التربيـة الاســلامية) ــ اشراف دكتور ابراهيم عصمت مطـاوع ، ودكتور عبـد الغنى عبود ــ تقـديم دكتور عبد الغنى عبود ــ دار الفكر العربى ــ ١٩٧٨ ، ص ١٨ ، ١٩ •

ومن ثم يكون هذا الكتاب الثانى من كتب السلسلة ، هو الكتاب الأول من كتب المحور الفلسفى ، مثلما كان الكتاب الأول ، الكتاب الأول من كتب المحور التاريخى .

وفى الوقت الذى بدأت السلسلة بكتاب من كتب المحور التاريخى ، بدأ سيرها - كما يبدو - ينحاز الى المحور الثانى ، فاننى لم أستطع - حتى كتابة هذا السطور - اقناع أحد ، بعد الأخ حسن عبد العال ، بالتسجيل فى هذا المحور التاريخى ، فى أحد القرون الاسلامية عبر القرن الرابع ، سوى الأخ على سالم ابراهيم النباهين ، الذى سجل لدراسة (نظام التربية فى عصر المماليك فى مصر) (١) .

بينما سجل فى المحور الفلسفى - بعد الأخ على خليل - عدد من الرسائل ، منها مثلا (فلسفة التربية الاسلامية ، كما تبدو فى ضوء الحديث الشريف) (٢) ، و (دور القصة القرآنية فى تربية الانسان المسلم)(٣) ، وغير هذين الموضوعين ، من الموضوعات الكثيرة ، التى سجلت حول هذا المحور الفلسفى .

ومما يسعد حقا ، أن فيض الرسائل حول الموضوع - موضوع التربية الاسلامية - قد بدأ يزداد ، وأن المجال قد بدأ يتسع،كما تمنيت، ليشمل المناهج ، وطرق التدريس ، وعلم النفس أيضا . كما بدأنا نحن فى قسم التربية المقارنة ، بكلية التربية جامعة عين شمس ، نشجع على التسجيل فيه عندنا - فى القسم ، بعد أن كان ذلك مرفوضا من قبل .

---

(١) سجلها على سالم ابراهيم النباهين ، فى مارس ١٩٧٨ ، بكلية التربية جامعة طنطا للحصول على درجة الماجستير ، ونوقشت ومنح الطالب الدرجة ، فى ١٩٨٠/٥/٣ ، وسوف تكون الكتاب الثالث - التالى - من كتب هذه المكتبة باذن الله .

(٢) سجلها عبد الجواد السيد بكر ، فى مايو ١٩٧٧ ، بكلية التربية جامعة طنطا ، للحصول على درجة الماجستير ، وهى على وشك أن تناقش .

(٣) سجلها محمد احمد أبو الحسن شبانة ، فى فبراير ١٩٧٨ ، بكلية التربية جامعة طنطا للحصول على درجة الماجستير .

الا أن الأمر يحتاج الى وقت ، حتى تتم (بلورة) هذه الموضوعات ، التى تجرى حاليا ، مع شباب مؤمن ، مقتنع بالمجال ، ومستعد للبذل والتضحية ، ليصل الى (شىء) فيه .

❁ ❁ ❁

والكتاب الثانى (فلسفة التربية الاسلامية كما يحددها القرآن الكريم) ، ولد فى رحاب بيت من بيوت الله ، مجرد فكرة ، ثم ولد - أخيرا - فى نفس البيت ، مكتملا نموه . وأما البيت ، فهو مسجد (أبو عافية) بشنشور منوفية .

وأما شنشور منوفية ، فهى قريتى ، وهى قرية ينطبق عليها ما ينطبق على آلاف القرى ، التى تنتشر فى مصر ، والتى كانت عماد الحياة المصرية،قبل أن تنتقل الحضارة الحديثة بصورها المختلفة اليها،فتخرب فيها تخريبا ، حيث تفهم الحضارة على أنها تناحر على المادة ، وشراء للراديو والتليفزيون ، ومشاهدة أو سماع لبرامجهما .. ولم تفهم على أنها شىء يتصل بالروح .. قراءة وفكرا ، وسموا خلقيا .

وأبو عافية ، أو عائلة عافية بشنشور ، احدى عائلتين كبيرتين فى القرية ، وواحدة من عائلات كثيرة فيها . والى هذه العائلة ، أنتمى بحكم الوراثة ، عن الأب والأم على السواء،فهما - يرحمهما الله - أبناء عمومة.

فأنا من عائلة (عافية) لحما ودما ، أبا وأما ، أردت ذلك أم لم أرده ، ولو لم أكن منها ، لشرفنى أن أكون منها ، لأنها - برغم حماقات كثيرة ، صدرت من بعض جهال أبنائها ، لكثير من أمثالى - لا زالت أكثر عائلات ريفنا المصرى ، رجولة وشهامة ونخوة ، لا فى شنشور وحدها ، ولكن فى كل مكان ، كان فيه لأحد أبنائها وجود . ويكفيها فخرا ويكفينى ، أن يكون منها جدى لأبى ، الحاج عبود على عافية ، بمأثور فضله وكرمه ، وجدى لأمى ، الحاج أمين على عافية ، بمأثور علمه وشجاعته ، رحمهما الله ، وابناه - المهندس محمد أمين عافية ، وفضله على تليفونات الوجهين البحرى والقبلى معروف - والدكتور حسن أمين عافية ، طبيب الاسكندرية النطاسى المشهور .. حفظهما الله ... وكلاهما يفخر به كل فرد من عائلة

عافيـــة ، وكل فرد من شنشور ، ولكنهما لم يعانيا من انسان فى العـــالم ، مثلما عانيا من أولئك الذين يفخرون بهم •• من أبناء عائلة (غافية) •

ان أبناء عائلة (عافية) ، يفخرون بى وبهما ، على (الطريقة المصرية) ، كمـــا تشكلت عبر عشرين عاما أو أكثر ، من الحكم العسكرى ، الذى تلا ثورة ١٩٥٢ ، البعيدة تمـــاما عن (ضمير) الشعب المصرى ، كمـــا تشكل عبر تاريخ مصر الطويل ـــ وهى تلك (الطريقة) ، التى صـــار شعارها : (أنا ، وبعدى الطوفان) •

ومن ثم فان الواحد منهم يفخر بى وبهما ، وبأمثالنا أبنـــاء العائلة الكثيرين ، الذى أصـــابوا حظا من النجاح ، لا حبـــا فى أولئك الذين نجحوا ، لأنهم ـــ بالفعل ـــ يحقدون عليهم •• وانما حبا لذاته ، وفخرا بهذه الذات ، أمام الآخرين ، على أساس أنه ينتمى الى تلك العائلة ، التى تنجب أمثالنا •

وهو موقف متناقض ، نراه فى كل عائلة من عائلات مصر ، كما نراه فى كل مؤسسة من مؤسساتها ، وربما اتضح أمر عائلة عافيـــة أمامى ، بحكم معايشتى لهم ، تمـــاما كمعايشتى لزملائى بكلية التربية جامعـــة عين شمس ، واتضاح أمر هذه (العائلة) أمامى •• ولكن الانسان يكاد أن يراها صورة واحـــدة تتكرر ، فى كل مكان فى مصر ـــ تكررها على مستوى مصر وشقيقاتها العربيات •• والمسلمات •

* * *

أما لمـــاذا نسب المسجد الى العائلة ، فهى عادة ريفية ، اذ لكل عائلة فى قريتنا ، وفى كل قرية ، مسجدها ، و (دوارها) ، والعائلة الصغيرة ، القليلة العـــدد والامكانيات ، تنضم الى عائلة أو عائلات أخرى ، لتقيم العائلات الصغيرة ـــ متعاونة ـــ مسجدها ودوارها •

وما أحسب ذلك عيبا فى القرية المصرية ، خلقته ظروف الحياة فيها ، وانما هو – فى نظرى – مظهر من مظاهر التعاون بين الأهل ، على مواجهة الأيام ، الذى تطور – فيما بعد – الى تعاون على الخير .

وما المسجد والدوار ، الا خير ، ففى المسجد يتقابل المسلمون ، برحم جديد ، هو رحم الايمان ، وفى الدوار ، يلتقون ليتشاركوا فى البأساء والضراء .

وأعتقد أن هذا التقليد ، توارثه المسلمون المعاصرون عن الاسلام ، أكثر مما توارثوه عن حياة القرية ، أو لعلهم توارثوه عن حياة القرية ، ثم جاء الاسلام فدعمه وزكاه .

ولا تقف أهمية الدوار فى الريف ، عند حد المشاركة فى البأساء والضراء ، بل انها تتعدى ذلك ، الى اجتماع رجال العائلة به كل عيد ، اجتماعا يمتد من بعد صلاة العيد بقليل،الى أن يقترب الظهر ، ليقول كل واحد من الأهل والأقارب فيه لقريبه : (كل عام وأنتم بخير) ، وليعرفوا المرضى منهم ، فيعودوهم فى منازلهم ، وليفوضوا بعضهم للمرور على العائلات الأخرى فى (دواويرها) ليهنئوها – باسم العائلة – بالعيد ، ولينتظروا مندوبى العائلات الأخرى ، الآتية للتهنئة بالعيد .

وهو مظهر جميل ، يكمل فيه (الدوار) رسالة الجامع أو المسجد ، طالما لم يؤد الى (انغلاق) وتعصب عرقى ضيق ، مما يحدث فى بعض الأحيان .

وأذكر أننى حضرت مع عائلتى – عائلة عافية – العيد الكبير من سنة ١٩٦٩ تقريبا ، بعد فترة قطيعة ، كانت قد فرضتها على مشاغلى بالقاهرة ، وخاصة دراستى العليا ، فكنت أقضى العيد بالقاهرة . ونظرت الى سقف الدوار ، فاذا بالسقف يكاد أن يقع .

وسألت عن سر سكوتهم ، فكان الرد بأن خشبة واحدة كسرت ، فتركوها ، فلما كان العيد التالى ، صارت الخشبة الواحدة ثلاثة ، اذ وقع عبء هذه ، على جارتيها .. ثم أخذ العدد يزيد ، ففكروا فى الأمر ، وجمعوا مالا ، وكلفوا أحد أبناء العائلة الكبار باصلاح ما أفسده الدهر ، فأخذ المال المجموع ، وأنفقه على ملذاته ، ومن ثم أغلق الباب أمام مناقشة الموضوع ثانية ، لأن مناقشة الموضوع تعنى أن يتم جمع مال ، ولا يمكن أن يدفع أحد قرشا واحدا ، بعدما حدث .

وهمس أحد مجاورى ، وهو من أبناء العائلة المتعلمين : (تول أنت الأمر بنفسك) ، وسمع بعض الجالسين ما همس به ، فقالوا (لن يقدر على مثل هذا الأمر الا أنت) . ولما قلت لهم بأنى مسافر الى القاهرة بعد ساعة على الأكثر ، قالوا : (ولو . انك موضع ثقة الجميع ، ولن يتم الأمر الا بك) . فقمت ، ومررت على الحاضرين ، وجمعت مبلغا من المال ، وأعطيته لأحد الموثوق بهم من المتعلمين ، وسار العمل بأقصى سرعة ، ولم يقف الأمر عند حد الأخشاب المكسورة ، بل تعداه الى اصلاح الدوار كله ، وتوصيل الكهرباء به ، ودهانه بالزيت ، حتى صار — بحق — تحفة فنية رائعة ، لم يكن الانجاز المادى الذى تحقق هو المظهر الجمالى الوحيد بها ، وانما كان أجمل منه ، أن هذا العمل قد جمع العائلة من جديد ، وكانت قد فرقتها المشاحنات ، شأنها شأن الكثير من العائلات الريفية .

وأما المسجد فرابطتى به أقوى .

ذلك أن الدوار قاصر على كبار الرجال ، ومن ثم كان محرما على دخوله تقريبا ، طوال فترة صباى ، قبل انتقالى إلى القاهرة . فلما فرضت على الظروف أن أدخله فى سن الرابعة عشرة ، بعد وفاة والدى ، ونائبا عنه ، كنت أدخله على استحياء ، لولا دفع والدتى لى الى الذهاب ، واستقبال (الصينية) نيابة عن والدى .. ولم ينقذنى من هذا الالتزام

القاسى ، سوى سفرى الى القاهرة ، لاستكمال دراستى ، ثم انشغالى بالعمل والدراسات العليا بعد الدراسة .

أما المسجد ، فصلتى به قوية منذ الطفولة .

فهو — أولا — يقع مواجها لدارنا ، ثم ان والدى كان مداوما على الصلاة فيه ، وكان يصطحبنى معه اليه . وكنت أذهب مع والدى اليه للصلاة كارها ، ولكنى بعد الصلاة ، كنت أذهب اليه سعيدا ، لنلعب فى فنائه ، أو لننظف دورته أو ساحته ، أو لنضايق خلق الله فيه .

ولم يمنعنى من اللعب فيه بعد ذلك ، سوى انتقال مؤذنه للسكنى فيه ، بعد أن باع داره ، وقد كان هذا المؤذن — يرحمه الله — هوأستاذى ، الذى علمنى القرءة والكتابة ، وعلى يديه حفظت معظم القرآن الكريم ، قبل أن أنساه ، بانتقالى الى التعليم النظامى المدنى .

ومن ثم كانت معظم صلواتى فى هذا المسجد ، منذ صباى ، وحتى اليوم .

وقد هالنى يوما ، أن رأيت أحد حوائطه قد أصابه (شرخ) ، وأنه صار على وشك أن يتصدع ، فأخذت رأى أصدقائى من متعلمى العائلة ، فى أن نشرع فى أن نفعل فى (بيت الله) ، ما فعلناه من قبل فى (بيت العائلة) ، أو الدوار ، مستفيدين فى ذلك بتجربتنا فى الدوار .

ووجدت معارضة فى أول الأمر ، لم أحسمها الا باختيار اثنين منهم ، وأمسكنا ثلاثتنا بالفئوس ، وبدأنا الهدم ، وما هى الا ساعة ، حتى صار الثلاثة ثلاثين ، وتم هدم المسجد — بعد أيام — استعدادا لاقامة مسجد جديد ، على أحدث طراز ، بجهودنا الذاتية ، و (على راحتنا) ، فقد استمر العمل فيه حتى اليوم (حوالى عشر سنوات) ، ولم ينته بعد .

* * *

والحياة فى الريف المصرى — فى عمومها — متعبة ، حتى بالنسبة لمن يعيشون فيه ، لا للنقص فى الخدمات ، أو للبعد عن مراكز الحضارة ، فى عواصم المحافظات وفى عاصمة البلاد — القاهرة ، ولكن لنقص أشد ، ظهر

منذ أكثر من عشرين عاما ، فى (الأخــــلاق) المصرية فى ســـومها ، وفى أخلاقيات الريف ، على وجه الخصوص •

كان الريفيون قبل الثــورة يتميزون بالترابط الأسرى ، وبالتكاتف والتعاون ، وبحب الخير للغير ، ومساعدة هؤلاء الغير ، ولكنهم ــ بفعــل الثورةالمصرية ، وبتخريبها الذىوصل الىأعماق الضمير المصرى ــ صاروا على النقيض ، الا من عصم الله ، وقليــل ما هم •

وربما كان (اقبالى الشديد) على القــرية ، فى مشروع الدوار ، ثم (زيادة شهيتى) عليها بعد هذا المشروع ، مرجعه أننى ــ كما فهمت فيما بعد ــ لم أعاشر هؤلاء القوم ، فلقد عزلتنى دراستى فى المدن ، ثم اعتكافى على الدراسة المكثفة فى الدراسات العليا ، عنهم ، ومن ثم جهلت عنهم ، ما عرفوه هم عن أنفسهم •

ولقد بلغ اقبالى على القرية مداه ، بعد حصــولى على الدكتوراه ، حيث صار لدى متسع من الوقت ، أستطيع ــ به ــ أن أقضى عطلة الصيف فى قريتى ، فهى مناســـبة لى أكثر من غيرها ، لأســـباب ، منها أن دخلى المتواضع لا يمكننى من الذهاب الى أحد المصايف ، ومنها أن أعصابى لابد أن تهــدأ فترة من زحام المدينــة ، ومنها أن التغيــير ــ مجرد التغيير ــ مطلوب لمن يشقون مثلى ، ومنها ــ وهذا هو الأهم ــ أننى فرحت بأهلى ، وكثير منهم قضيت معه أســعد طفولة وصــبا ، يمكن أن يقضيهما انسان فى حيــاته •

وقد فرح الكثيرون من الأهل وأصدقاء الطفولة بى ، فرحتى بهم ، ولكن بجانب هؤلاء الفرحين ، كان هنــاك كثيرون قد أصابهم الغم ، على الطريقة الريفية الحديثة فى مقابلة الفرحة تأتى لقريب •

واستطاع هؤلاء الحاقدون أن يثيروا ضــدى حملة ، كان يساعدهم فيها أننى ــ بحكم وضــعى الاجتماعى ــ كان لابد أن أبتعد عن مواطن

لا تليق بى ، ولابد أن أتحدث بلغتى أنا ، لا بلغتهم هم ، ولابد أن يكون لى رأيى المستقل ، الذى لا أحيد عنه ، على عكس ما يفعل الكثيرون ، من باب المجامله — واننى كنت أقضى معظم وقتى فى القـاهره ، وأقله فى القرية .

قالوا — مثلا — اننى (كبرت) عليهم ، ولم يستمعوا لمن قال لهم — من بينهم — انه أكثر تواضعا من بعض الحاصلين على الشهادة الاعدادية .

وقالوا — مثلا — اننى تبرأت من العائلة ، لأنى أسمى نفسى (عبدالغنى عبود) ، لا (عبد الغنى عافية) ، ونسوا أن هـذا من صنع أبى ، الذى أملى اسمى ، عند كتابة شهادة ميلادى على نحو مخالف لمـا يريدون ، فعندما سألوه عن الاسم قال (عبد الغنى) ، واسم الوالد ، قال (سيد أحمد)،واسم الجد أو اللقب ، قال (عبود) ، وعندما سألوه عن اسمه هو قال (سيد أحمد عبود عافيـة) ، وبذلك أسقط — سامحه الله — اسم عافيـة من اسمى الثلاثى ، الذى يعمل به فى املاء الشهادات العامة التى حصلت عليها ، وهى كثيرة ، بحيث تكون مطابقة لشهادة الميلاد .

ورغم ذلك ، فاننى أرى خطأ والدى فى حقى ، أخف بكثير من خطـأ غيره فى حق أولادهم ، فبعضهم يسمى لفسه (الشيخ فلان) ، أو (الرائد فلان) ، فيكون (الرائد) أو (الشيخ) هو اسم الأب ، ويتحول الأب — بجرة قلم — الى جد .

بل ان بعض الآباء وضع بجانب ابنه اسم (الجحش) أو (الحمار).. لعله يعيش .. فصار اسما رسـميا له .

وكان منطقيا أن ينادينى بعض أساتذتى وبعض زملائى ، طوال مراحل تعليمى ، باسم (عبد الغنى) ، وأن ينادينى البعض الآخر باسم (عبود) ، وأن تكون تثنية الاسم هى (عبد الغنى عبود) لذلك ، جمعا بين اسـمى الشـهرة .

ولو فكر هؤلاء ، لعرفوا أن اسم (عبود) ، بقدر ما يشرفنى ، لأنه اسم جدى ، ولجدى – يرحمه الله ، وان كنت لم أره – سمعة معروفة في مجال الكرم ، وفى مجال الرجولة والنخوة .. فانه يضايقنى لأنه أيضا اسم أخى الكبير والوحيد ، ومن ثم فاطلاقه على ، يؤدى الى لبس بين الاخوة لا مبرر له .

واذا كان أبو العلاء المعرى ، قد أوصى أن يكتب على قبره :

هذا جناه أبى علـــى وما جنيت على أحد

فاتنى لم أستفد من درس أبى ، معى ، حين أسقط اسم العائلة الكريمة من اسمى الثلاثى ، حيث كتبت الاسم الثالث لبعض أبنائى (سيد أحمد) باعتباره جدا ، ولبعضهم الآخر (عبود) ، باعتباره لقبا .. ولست أدرى الى أى مدى سيتعرض أولادى للمشاكل من بعدى ، بسبب هذه (اللخبطة)، وكل ما أستطيعه ، هو أن أطلب من الله الستر .

وأرجو أن يكون لديك من سعة الصدر – عزيزى القارىء – ما تغفر به لى انحرافى بك عن مسار الكلام ، الى مسألة (شخصية) أو (عائلية) على هــذا النحو ، خاصة اذا علمت أن هــذا (الانحراف) وسـيلة من وسائل (لم الشــمل) ، الذى بدأ – كما سنرى بعد قليــل – رغم أنف الحاقدين ، بعد أن امتد حقد هؤلاء الحاقدين الى غيرى ، ممن نجحوا فى أى مجال ، فبدأ عزلهم على مستوى العائلة كلها .. وبدأت المسيرة تتجه الى من جــديد .

* * *

وفى أثناء فترة القطيعة ، التى اســتمرت قــرابة أربع سنوات ، كان اتصالى بالمسجد اتصال صلاة ، واتصالى بالأهل اتصال مجاملة عادية .. فاترة من جانبى بالنسبة للبعض ، وحارة بالنسبة للبعض الآخر .. ولكنها فى عمومها متحفظة .

أما عن العمل فى المسجد ، فقد كان متوقفا ، ولم أكن أسأل عن سبب توقفه ، ولا كان يعنينى ، طالمـا كنت أقوم بما يجب أن أقوم به نحــوه ، من مساعدات ماليــة ، لا يحتاج – فى نظرى – الى غيرها .

وفى مطلع صيف ١٩٧٨ ، جاءنى وفد منهم •• لتصفية ما مضى •• ولنعود الى ما كان من علاقات طيبة ، تعود بعدها العائلة الى عهد (الدوار) •• وعلى عاتقى القوا التبعة •

وبدأنا — سويا — العمل فى المسجد من جديد ، بنفس روح الدوار ، وبنفس روح الهدم •• والبدء فى اقامة الجدران ، قبل أن تأتى تلك السحابة السوداء •

وفى ظرف شهر واحد ، كان عمل أربع سنوات أو خمس كاملة قد أنجز ، وصار المسجد — لأول مرة منذ ثمانى سنوات — قادرا على استيعاب المصلين لصلاة الجمعة — ولغيرها من الصلوات الكبرى ، ومن الاحتفالات الدينية أيضا •

وقد انتهى هذا الشهر فى الأيام العشرين الأولى من رمضان ١٣٩٨هـ (سبتمبر ١٩٧٨ م) ، وكانت فرحة لى — فرحة بالمسجد ، الذى تفتحت عيناى عليه صغيرا •• ثم شهدته بعينى ينمو ويكبر ويتطور مع الزمن ، بيدى ، وبيد أهلى وأحبائى •• الذين استطاعوا أن يرتقوا الى المستوى الذى أحببت لهم دوما أن يرتقوا اليه ، فوق الأحقاد ، فيصنعوا للعائلة فى حاضرها ومستقبلها ، ما فعله الأجداد لها فى ماضيها •

وكانت فرحة لهم أيضا ، أنهم وعوا الدرس ، ولو أنه كان قاسيا •

وقد شاركنا الأخ على خليل ، والأخ حسن عبد العال ، فرحتنا ، وأصررت — أنا — على أن يخطب الجمعة أحدهما ، أو أحد أبناء العائلة الآخرين ، أو أحد متعلمى القرية ، وهم كثيرون كثيرون • ولكنهم أصروا على أن أكون أنا الخطيب ، والا فلن يكون للاحتفال والافتتاح ، معنى أو طعم — ولتكن لمن يريد غيرى أن يتكلم — الكلمة بعد الجمعة •

ويئست من اقناعهم بأنى غير مستعد — عقليا أو نفسيا — لخطبة الجمعة ، ولم يكن أمامى سوى أن أقبل •

وخطبت الجمعة ، وقال على بعدها كلمة مطولة ، امتدت الى قرب صلاة العصر ، شدت — من خلال الميكروفون — المصلين من المساجد الأخرى ، ليسيحوا معه فى عالم من الروحانية غريب ، لم أكن أعلم أن لدى على مثله •

وكان على قد أتى مع حسن ، لتقديم الصورة النهائية للرسالة •

وفى نفس اليوم — الجمعة الأخيرة من رمضان — ناقشنا — قبل السحور — نقاط الخلاف بيننا فى الرسالة ، وتم اعتمادى لها ، فتحقق أمله ، تماما كما تحقق أملنا نحن ، بافتتاح المسجد •

وانتقل الأمر من يدى •• الى أستاذنا الدكتور مطاوع بعد ذلك •

ومن ثم قلت : ان الرسالة ولدت فى رحاب بيت من بيوت الله •• أولا وأخيرا •

* * *

واذا كان منطقى النفسى فى عرض الأحداث ، قد جعلنى أذكر مولد الرسالة الأخير ، فقد آن لهذا المنطق أن يعود الى مولدها الأول •

ولقد كان مولدها الأول قبل ذلك بعام تقريبا••وفى نفس الرحاب•

وكان الأخ على قد أتى مصاحبا للأخ حسن عبد العال •

وكان حسن قد انتهى من كتابة رسالته (التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى) ، وادخال ما أردت ادخاله عليها من اصلاحات ، فأتى الى قريتى ، مصاحبا له •

وانتهز على الفرصة ، فعرض على خطة رسالته ، وكنا قد تحدثنا فى أمرها منذ شهر مايو ١٩٧٧ — وهو بعد طالب فى الدبلوم الخاصة ، ورأيت الخطة عدة مرات ، فى شهرى يونية ويولية •• ثم جاءنا سبتمبر ليعرض الصورة النهائية ، التى اعتمدتها ، وتركت أمر اعتمادها النهائى للدكتور مطاوع •

وفى هــذه المرة ، وكنا على أبواب رمضان ١٣٩٧ هـ (أغسطس ١٩٧٧ م) ، نقلت الى المسئولين عن الجامع وقتئذ ، مدى الخجل الذى أحس به ، ونحن ننتقل لنصلى التراويح والفجر فى أحد المساجد البعيدة عنا •• والتى نشك جميعا فى صحة صلاتنا فيها •

ولقد وجد ندائى هــذا صدى ، فأقرب الجامعين الينــا ، امامه فى السبعين أو الثمانين من عمره تقريبا ، وهو حافظ للقرآن ، الا أن صوته أجش ، لا يسمعه أحد ، كما أنه مكفوف وأصم أيضا ، والجامع الآخر امامه ورث الامامة عن الآباء والأجداد ، ومعلوماته الدينية دون المعلومات المتوفرة لطالب حاصل على الشــانوية العــامة العادية ، وهو يصلى اماما لعلماء أفاضل خلفه •

ولكن هذه مأساة الريف كله •

وأشهد أن مسجدنا ــ عبر تاريخه الطويل ــ متحرر من ذلك كله ، فليس فيه وراثة لامامة ، وانما الكفاءة تلعب دورها فى تحــديد الامام ، سواء كان من أبناء العائلة أو من عائلة أخرى •

وعندما وجــدت دعوتى صــدى ، قالوا : وكيف نصلى . ومكان الصلاة لا يتسع الا لخمسة أو ستة ؟

وكان الرد أن تنتقل المفارش الى قطعة أرض لى مجاورة للجامع ــ فليتوضأ المتوضئون فى المسجد ، وليخرجوا من باب دورة الميــاه ، الى الباب الملاصق له ، ليدخلوا قطعة الأرض تلك ، حيث المصلى الجديد •

وتضاعف عدد المصلين ، فقــد كان الجو صيفا •• وكانت صــلاة العشاء والفجر فى أحضان الطبيعة ، وتحت أشجار الكافور ، بصــوت امام شاب •• حسن الصوت ، حافظ للقرآن •• متعة جسدية ، ومتعة روحيــة أيضــا •

وعندما اضطررت الى السفر الى القاهرة قبل العيد •• تركت لهم المفتاح ، ليتموا الشهر الكريم ، فى هذه المتعة •

وكان مجيء حسن ، لانهاء رسالته ، وعلى للاتفـاق على خطته فى وضعها الأخير ، قبل اعتمادها من الدكتور مطاوع ، فى هذا الوقت ، وقد استمتعا معا ليلتين كاملتين .. بهذه الصلاة ، فى أحضان الطبيعة .

* * *

وكان ذلك هو المولد الأول للرسالة .

* * *

ولكن : ترى هل أبعدنى مولد الرسالة الأول ، ومولدها الأخير ، عن الرسالة ، الى حد أننى اضطررت ــ من أجلهما ــ الى أن أغوص فى المـاضى ، وأن أسبح فى أرض الله الواسعة ، من القـاهرة الى شنشور الى طنطا .. وأن أتنقل هنـا وهنـاك ، عارضا مسائل (عائلية) ، كان يجب ــ بطبيعتها ــ أن تظل (مدفونة) فى صدور هؤلاء الأهل ؟

وما أظن أننى قد ابتعدت عن موضوع الرسالة ، رغم ذلك ، خاصة اذا تذكرنا أن موضوعها الأساسى ، هو القرآن الكريم .

فما حدث بينى وبين أهلى ، أخف بكثير مما يحدث بين آخرين وأهلهم ، فى أية قرية من قرى مصر ، ويكفيهم فخرا ويكفينى ، أنهم عادوا الى الطريق الحق من جديد .. بينما غيرهم لا يعودون . كما أنه أخف كثيرا مما يحدث على مستوى أية مؤسسة من مؤسسات مصر ، منـذ (التخريب) (الثورى) المتعمد .

وهو حدث ويحدث ، نتيجة للبعد عن القرآن الكريم ، ومنهجه ، بعـد أن فتحت السجون ، لكل من تمسـك به ، أو استشهد بآياته ، الا فى تمجيد (البطل) ، الذى (جاد) به الزمان ، على مصر وشعبها .

وهو وباء ، وصـل حتى الى الجامعة ــ أرقى المستويات الفكرية فى أى مجتمع من المجتمعات ــ بصورة أشد ضراوة ووحشية ، مما يمكن أن نراه فى أى مجتمع صغير ، من مجتمعات مصر .

لقد أدى فتح السجون والمعتقلات ، فى مطلع الثورة ، لمن لم يستطع أن يستغل علمه وذكاءه ، من أساتذة الجامعة ، الى (فراغ) الجامعة من خير رجالهـا ، مما استدعى (أساتذة) جددا ، دخلوا اليهـا من باب (السلطة) أيضا . وكانت النتيجة ، أن صار هناك جيل من الأساتذة ، لا يهمهم الا ارضاء السلطة والبحث ــ من خلالها ــ عن (خاتم سليمان) .

وعندما ظهـر جيل جديد ، يحترم عقله وعلمه وتخصصه ، ويعرف (واجبه) نحو هـذا البلد الطيب وأهله ، بحكم المركز الطليعى ، الذى وصل اليه ، من خلاله وخلالهم... اتجهت اليه الحرب ، من أولئك الذين وجدوا أنفسهم (علمـاء ، رغم أنفهم) ، ومن ذيولهم ، الذين يعتقدون أنهم يصلون الى (خاتم سليمان) من خلالهم .. فصار فى كل كلية من كليات الجامعة ، صراع بين هؤلاء وهؤلاء .. كذلك الصراع الذى رأيناه على مستوى عائلة (عافية) ، وعلى مستوى كل (عائلة مصرية) ، بالتالى .

وهو صراع بين (الأصـالة) المصرية ، المتشبثة بالقرآن الكريم ، وبين التخريب (الثورى) لضمير مصر ، والتشويه المتعمد لتاريخها .

انها ــ مرة ثانية ــ قضية الانسان المصرى ، وبعده عن طريق الله ، كما رسمه وحدده فى القرآن الكريم ، ومن ثم لم تهـدأ الحرب بين الانسان وأخيه ، منذ عهـد قابيل وهابيل الأول ، ولن تضـع الحرب أوزارها ، طالمـا كنا فى هذه الحياة الدنيا ، لأن وراء الشر ــ دوما شيطانا ، يدفع اليه ، ولا عصمة للانسان من هذا العدو المـاكر ، سوى اللجوء الى الله ، حسب المنهج القرآنى الرشيد .

ولو وجد هذا المنهج القرآنى الرشيد له مكانا فى القلوب ، لزرع على الأرض سلام ، الانسانية فى أشـد الحاجة اليه اليوم .. فى عصر الأسلحة الفتاكة ، التى تزداد ــ مع الأيام ــ فتكا .

ولو زرع على الأرض هذا السلام ، فانها ستكون فرصة لتعمير الأرض .. تماما كما عمر دوار أبو عافيــة ، وكما عمر الجــامع .. لأن الســلام الايمانى يعمر القلوب ، فتشع فى كل ما حولهــا نورا ، وتملأ الأرض ــ من حولها ــ خيرا وتعميرا .

ولو زرع مكان الحب الكره .. فســيكون خراب ، لأن الكره يعنى الهدم والتدمير لكل ما هو جميل ، والهدم والتدمير ، لا يمكن أن يجتمعا مع الخير والتعمير ، على صعيد واحد .

فبالحب بنيت أمريكا ، وأهلهــا شتات ، وأعيد بناء اليابان بعــد تحطيمه ، واجتازت الصين كل الصعوبات ، وتقدمت رغمها .. وبالكره، توشك الأمة العربية أن تضيع ، ولديها كل امكانيات القوة والنماء .

* * *

بدأت معرفتى بعلى خليل سنة ١٩٧٧/٧٦ ، طالبا من طلاب الدبلوم الخاصة ، فى كلية التربية جامعة طنطا ، وكان ــ يومها ــ لم يعين بعــد معيــدا بالكليــة .

والتربيــة المقارنة مادة اختيــارية من مواد التربيــة ، فى الدبلوم الخاصة ، ومن ثم فان طلابها لا يستقرون الا بعد فترة ، يترددون فيهــا على سائر المواد ، ثم يختارونها ، أو يختارون غيرها .

وكانت هذه هى السنة الأولى ، التى أقرر أن أدرس فيها (التربية الاسلامية) ، بدلا من (التربية العربية) ــ كما فعلت فى العام السابق مثلا ، أو (التربية الشيوعية) ، أو (التربية الرأسمالية) ، أو (التربية فى مصر) أو ما الى ذلك ، كما يفعل غيرى ، وذلك لأنى كنت قد بلورت فكرة معينة عن التربية الاسلامية،من خلال كتاب (الأيديولوجيا والتربية فى الاسلام) ، الذى لخصته فى مقال نشر فى (الكتاب السنوى فى التربية

وعلم النفس) الصادر فى يناير ١٩٧٦ ، وأرجأت نشر الكتاب ، كما ذكرت فى أكثر من مناسبة .

وكانت مجازفة بالنسبة لى ، ولذلك قلت للطلبة : اننا سنبلور معا المنهج الذى سنسير عليه .

وسمع على من احدى زميلاته - كما قص على فيما بعد - أننى أدرس تربية اسلامية فى التربية المقارنة ، فجاء على الفور .

ورغم أن على قد أدى الامتحان فى مادة أخرى غير التربية المقارنة ، لأسباب تتصل به كمعيد فى الكلية ، وان لم أقتنع بها ، الا أنه كان يواظب على المحاضرة ، بشكل لافت للنظر .

وأكثر من ذلك أنه لم يكن يأتى مجرد مستمع ، بل كان مشاركا حقيقيا لى - وهو طالب - فى بلورة المنهج .

وأشهد أن ذلك مما كان يدفعنى للاستزادة من القراءة ، فقد كنت أعمل له حسابا ، مما صقلنى صقلا ، أحمد الله عليه ، فى هذا المجال ، ومما دفعنى أيضا الى تأليف سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) .

وكان شبابه ، يدفعه أحيانا ، من موقف (المشارك) ، الى موقف (المشاكس) ، ولكننى كنت أفتقده - بحق - اذا تأخر قليلا .

وامتحان الدبلوم الخاصة يكون فى شهر سبتمبر ، لأن الدراسة بها عام كامل ، لا عام دراسى ، ومن ثم كان لابد من أن نتباعد .

ولكنه - برغم العطلة - لم يبتعد عنى ، فلقد زارنى مرات عدة ، فى منزلى بالقاهرة ، وفى قريتى بشنشور منوفية ، كما ذكرت من قبل ، مصاحبا للأخ حسن عبد العال .

وفى هـــذه الفــترة ، اعتــذر لى بأنه لن يؤدى الامتحـــان فى مادة التربيـــة المقــارنة ، لأسـباب ذكـرها لى ... وشرع فى اختيار موضوع يسجله - معى - للماجستير . وكان هو الذى اختـار هــذا الموضوع ، مع بلورة محــدودة لعنوانه ، بحيث صار على النحو الذى سـجل عليـه .

وكنت ضده تماما فى اختيار الموضوع ، لأنه أكبر من طاقته ، ولأنه موضوع جيد للدكتوراه ، ولكنه أصر ، فكان تسجيله فيه .

وكان منطقى فى الرفض ، هو أن الموضوع ضـخم ، ومن ثم فان طالب المـاجستير ، حتى ولو كان على خليل - لا يطيقه لأن المـاجستير ليست الا (تدريبا) على البحث ، والتدريب لا يكون فى موضوع كبير كهذا . ثم انه اذا أخذ موضـوع (القرآن الكريم) للماجستير ، فان موضوع الدكتوراه لابد أن يكون أكثر تعقيدا - فماذا ياترى يكون هذا الموضوع ؟

وأعتقـد أن هـذه صـعوبة من الصـعوبات التى قابلنـاها .. عند اختيار موضوع للدكتوراه .. فى الفترة التى تلت تسـليم الرسالة مطبوعة ، وسبقت مناقشة هذه الرسالة .

وسار على فى الموضوع ، بخطوات ثابتة .

* * *

ونقابل نحن المشرفين على الرسائل ، بمشكلة أساسية مع طلابنـا ، وهى أن هؤلاء الطلاب يتعجلون الكتـابة ، تعجلهم من قبل التسجيل للموضوع الذى يختارونه للدراسة ، ونحن نحذرهم مغبة هـذا التعجل فى الحالين . فأما فى حالة التسجيل ، فاننـا نضطرهم الى التأنى ، باعادة الخطة المقـدمة منهـم مرة ومرة ومرات ، مع توجيههم الى كتب معينة يقرءونها ، أو دراسات معينة يطلعون عليها ، ليصححوا نقطة معينـة فى ضوئها . والخطة عادة صفحات محدودة لا يزيد عددها على أصابع اليد الواحدة عادة ، ومن ثم تكون المشكلة فيها محدودة .

أما المشكلة الحقيقية ، فهى فى ترجمة الطالب للخطة - بعد ذلك - الى كتابة علمية ، خاصة اذا كان هذا الطالب يعد للماجستير ، حيث تكون (خبرته) بالكتابة وبالمعالجة العلمية محـدودة . وكم يكون صعبا أن تعيد الى الطالب ما يزيد على المـائة من الصفحات ، وتقول له : (الق بهذا الكلام فى سلة المهملات ، واسلك على النحو الآتى : ..) .

ولكن هذا الكلام - على عنفه - يكون مطلوبا لتصحيح مسار خاطىء ، سار فيه الانسان أكثر من مائة خطوة .

ذلك أن معظم الطلاب يكونون قد كتبوا بدون قراءة ولا استيعاب ولا تنظيم ، متعجلين الحصول على الدرجة ، ومن ثم يأتى ما قالوه (أى كلام) ، مضافا الى ذلك - بطبيعة الحال - قلة الخبرة بالكتابة ، وبالتعامل مع النقص فى المـادة العلمية ، ان وجد ، فى حالة الكتابة للماجستير .

ولكن مشكلتى مع على خليل ، كانت على النقيض من ذلك .

كان على قارئا منذ البداية ، وقد لمست فيه - من خلال تتلمذه على يدى فى الدبلوم الخاصة ، كما ذكرت سابقا - مدى قراءته ، ومدى قدرته على استيعاب ما يقرأ ، ومدى قدرته على تنظيم هذا المقروء ، وفق نسق فكرى معين ، يتفق معه ، ويظهر شخصيته العلمية من خلاله ، وهـو - بعد - طالب فى الدبلوم الخاصة . وأذكر أن كثيرا من الكتب الجيـدة التى قرأتها فى هذه الفترة ، كانت من مكتبته .

ومرت ستة شهور تقريبا ، كنت خلالها أسـأله عما صنع الله به ، كلما قابلته ، كما أفعل مع كل الطلاب المسجلين معى ، فكان رده - فى كل مرة - أنه يجمع المـادة العلمية ، لدرجة أننى شككت فى قدرة على ، واعتقدت أنه من القـادرين على الكلام ، ولكنه ليس من القادرين على الكتابة .

وأذكر أننى قلت له — عندما ضــقت به ذرعا — آمرا : يجب أن تتوقف عن القراءة ، وتكتب على أى نحو ، ثم تتم النقص فيما بعــد ، ان كان هناك نقص ، حتى تضمن منذ البداية ، أنك تســير على الطريق الصحيح • ثم انه اذا كان (النقص) فى القراءة عيبا لدى معظم الباحثين، فان (الزيادة) فى القراءة عن الحد قد تكون عيبا أيضا ، لأنها قد (تشتت) الذهن ، وتوقع العقل البادىء ، فى الاضطراب •

وبدأ على يكتب ، وبعد فترة عرض على ما كتب •

❊ ❊ ❊

وفى أثناء هذه الكتابة الأولى ، أثار القضية الأولى فى البحث •

ذلك أنه كان قد انتهى من كتابة الفصل الأول ، عن (فلسفة التربية وفلسفة المجتمع) ، وعندما سألته — كالعادة — عن أخباره ، قال : انه انتهى من كتابة الفصل الأول ، وانه قد أفاض فى الحديث عن الفلسفة ، و ••• حتى أن ما كتبه عن الفلسفة قد زاد عن المــائة صفحة •• كلهــا كلام لم يسبق اليه •

وقلت له : يا على ، ان الرســالة عن (فلســفة التربية) ، لا عن (الفلسفة) ، وبين الاثنين فرق كبير ، ففلسفة التربية ، هى هى نظــام التربية ، فى اطاره الفكرى أو النظرى ، بينما الفلســفة فى عمومها شىء مخالف تماما •

وبعد جدل طويل ، كما تعودت معه ، اقتنع ، وعلى مضض ، وطلبت منه ألا يعدل شيئا مما كتبه ، حتى أقرأه ، وأن يســير هو فى كتابته ، بالمفهوم الجديد ، لا وفق النسق الفكرى القديم •

واختصر الفصل من أكثر من مائة صفحة الى حوالى عشر صفحات ، كما يبدو من الرسالة ، فى وضعها الراهن •

وقد قابلت نفس الموقف ، عند الفصـــل الرابع ، عنـــد حديثه عن (ايجابية فلسفة التربية الاســـلامية ، كما وردت فى القرآن) ، اذ كان الحديث هنا مستفيضا عن الفلسفات المختلفة ، مقارنة بالفلسفة القرآنية ، فقلت له : ان ما يهمنا هنا هو انعكاس هذه الفلســـفات على التربيـــة ، لا هذه الفلسفات فى حد ذاتها .

وبعد جهد ــ أيضا ــ لخص الفصل الى حوالى السدس أوالسبع ، وأضاف اليه ما كان ينقصه من حديث عن التربية ، فى ظل هذه الفلســـفة أو تلك ، كما حذف منه كل ما كان يوحى بأنه (يقارن) بين هذه الفلسفة أو تلك ، وبين الفلســـفة القرآنية ، كما أعاد ترتيب هذه الفلســـفات ، حسب المحور الذى تدور حوله ، وكان المحور ، هو الفردية ، بداية .. والمجتمع نهاية . وقد خرج على بنتيجة رائعة ــ نتيجة لذلك ، وهى أن الفلســـفة القرآنية هى الفلســـفة الوحيدة المتكاملة ، بينما الفلســـفات الأخرى جزئية ضيقة النظر وقتية النظرة ، وأن هذه الفلسفات كلهـــا ، تضمها الفلسفة القرآنية .. وزيادة .

* * *

و (التعصـــير) هدف من الأهداف الأساسية ، التى أقصد اليها فى دراستى للتربية الاسلامية ، ســـواء من المنظور (الفلســـفى) . أو من المنظور (التاريخى) ، واليه أوجه تلاميذى ، والمسجلين معى للحصول على درجات علمية .

غير أن هذا التعصـــير ، كهدف ، يمكن أن يتم التوصـــل اليه ، كما يحدث فى كثير من الكتابات الاسلامية المعاصرة ، بطريق (لى ذراع) الحقيقة ، بحيث توصل الى الهدف ، حتى ولو على حساب (العقـــل) الانسانى .

الا أن مثل هذا الأســـلوب قد يصح فى (خطبة منبرية) ، يعتمـــد الاقناع فيها على الهاب المشاعر ، بطريقة يكون دور العقل فيها محدودا ،

كما قد يصح فى الكتابات الدينيـــة ، التى تقوم على الانفعال ، ولكنه لا يصح اطلاقا فى ••• الكتابة العلمية ، بل انه — فى مثل هذه الكتابة العلمية ، يؤدى الى السخرية والاستهزاء ، أكثر مما يؤدى الى الاقناع بما يريد الكاتب قوله •

ومن ثم كانت الفصـــول الثلاثة الأخيرة من الرسالة ، وكان أولها (الفصل الرابع) ، عن (ايجابية فلسفة التربية الاسلامية : كما وردت فى القرآن) ، وهو يدور حول القرن العشرين ، وما به من فلسفات عامة وفلسفات تربوية ، ومدى (قدرة) هذه الفلسفات على مواجهة (تحديات العصر) ، أو (عجزها) عن هذه المواجهة •• وهنا تبدو ايجابية فلســـفة التربية الاسلامية ، رغم أنها تعود الى المـــاضى ، مسافة أربعة عشر قرنا من الزمان ، ولا تعود الى الحاضر ، أو الى المـــاضى القريب ، كما هو الشأن فى الفلسفات العامة المعاصرة ، وفلسفاتها التربوية •

أما الفصل الخامس ، فقد كان انغماسا فى الواقع التربوى المعاصر فى البلاد الاسلامية ، ليوضح مدى بعده عن الاســـلام — أو القرآن — ملقيا بذلك ، الضوء على سر اخفاق نظم التربية الاسلامية المعاصرة •

وأخير يأتى الفصل السادس بالنتائج والمقترحات ، وهى لابد أن تدور — بطبيعة الحال — حول العودة الى القرآن الكريم ، نستمد منه العون ، فلســـفة حياتية ، وفلسفة تربوية ، تقودنا الى قهر التخلف الذى فرض علينا ، واختصار الطريق الى المستقبل ، كما تم — بالفعل — منذ أربعة عشر قرنا من الزمان •

❀ ❀ ❀

وليست الخطورة الوحيدة من (التمصير) فى مثل هذه الدراسة ، هى الخوف من (الانزلاق) الى (لى ذراع) الحقيقة وحده ، وانما هنالك خوف من شىء آخر ، فى مثل هذه الرسالة بوجه خاص •

فعنوان الرسالة هو : (فلسفة التربية الاسلامية ، كما يحـددها القـرآن الكريم) ، ومن ثم فهى (محددة) بالقرآن ، وليست فلسـفة (مطلقة) للتربية الاسلامية •

ومن هنـا يتطلب (التعامل) مع الواقع فيها ، مهارة خاصـة ، كما يتطلب حذرا مستمرا •

وأعترف بأن هذه النقطة بالذات ، كانت نقطة الضعف فى عمل على ، وأنها كانت أكثر النقاط التى أتعبتنى ، فى اشرافى عليه ، خاصـة فى هذه الفصول الأخيرة ، التى أشرت اليها •

ولقد وصل الخلاف بيننا فيها ، الى حد أتعبنى فعلا : فكانت منى ثورة عليه ، لم أكن أحبها ، لا لشىء ، الا لأنها كانت فى منزلى الريفى ، الذى أقضى فيه عطلة الصيف ، على النحو الذى وضحته من قبل •

أما زمانها ، فهو قبل عيدالفطر سنة ١٣٩٨ (سبتمبر ١٩٧٨) بأقل من أسبوع ، قبيل تناولنا السحور •

ولم يخفف من حدة الموقف ، الا أنه كان مصطحبا معه الأخ حسن عبد العال ، وأقنعه حسن بعد السحور وصلاة الفجر ، فيما بينهما ، بأنه قد أخطأ ، وبأن المسار يجب أن يعدل على النحو الذى قلته •

ولقد نمت فى حجرتى بعد السـحور ، ولكن صـوت حسن كان يتسرب الى من الحجرة التى كانا ينامان فيها •• ومعه ردود خافتة من على •

وكان على قد تعب بالفعل من الكتابة والاختصار والاعادة •• حتى اذا جاءت هذه النقطة ، كان ما كان •

ورغم سهر الليل بطوله ، فقد كان افتتاح المسجد ، على النحو الذى وضحته ، وكانت كلمته الرائعة بعد الصلاة — على النحو الذى وضحته ، فى مطلع هذا التقـديم ، فقد اقتنع تماما — كما ذكر لى فيما بعد — بأن (تعبه) كان قد طغى عليه ، بحيث ما كان — بالفعل — يجب أن يناقش فى مسألة بديهية كهذه .

وقد استطاع على بالفعل أن يتغلب على هذه المشكلة بالذات ، فى كل فصول الرسالة ، ولكنه لم يستطع أن يتغلب عليها فى الفصـل الخامس مثلا ، لأنه كان أكثر هذه الفصول انغماسا فى الواقع التربوى المعاصر ، فى البلاد الاسلامية .

وكان هذا الفصـل بالذات ، هو محور ما وقع بيننا من خلاف ، فى منزلنا بشنشور ، وكان رأيى أن يحذف هذا الفصل برمته ، ولما وجدت اصراره عليـه ، وجهته الى اضـفاء الصبغة القرآنية — حسب عنوان الرسالة — عليه ، كبديل عن الصبغة الاسلامية العامة ، كما كان عليهـا بالفعل . ذلك أن من رأيى أنه عند الخلاف على (مسائل فرعية) ، بين الطالب والمشرف عليه ، يجب أن يكون الرأى رأى الطالب ، ليتحمـل هو مسئولية ما يراه . وحاول على .. ونجح الى حد بعيد فيما حاول .

والغريب أن هذا الفصل بالذات ، كان المدخل الى الهجوم عليه ، خاصة من أستاذى الدكتور محمد قدرى لطفى .

* * *

ولا يمكن أن يقلل هـذا الكلام من على خليـل ، الذى أعرف قدره ، أكثر مما يعرفه أى انسان آخر ، مهما كان قريبا منه .

ولا يمكن أن يقلل — كذلك — من الرسالة ، وما بذل فيها من جهد ، ولو حاولت التقليل من شأنها ، ما شاركنى الرأى من قرءوها ، ومن يمكن أن يقرءوها ، ففيها (جهد) واضح للعيان ، وفيها (جديد) جدير بالالتفات اليـه .

حتى الفصل الخامس ذاته ، الذى اختلفت معه عليه ، لا يمكن أن يقلل من شأنه ، ما قلته عنه ، وانما هى مجرد (وجهات نظر) ، جديرة — كلها — بالاحترام •

بل ان الرسالة كلها ، وفى مقدمتها الفصل الخامس ، كان موضوع اعجاب شديد ، من الأستاذ الدكتور برايان هولمز B. Holmes ، الأستاذ بجامعة لندن ، ورئيس مؤتمر التربية المقارنة الدولى ، بعد أن ناقشه على فى الرسالة ، فى أخريات ديسمبر ١٩٧٨ ، عند زيارته لكلية التربية جامعة طنطا ، وقال العالم الانجليزى الشهير : انها رسالة دكتوراه ، وان الاتجاه هو اتجاه المستقبل •

وحدث أن التقيت بالدكتور هولمز أكثر من مرة : عندما زارنا فى كلية التربية جامعة عين شمس ، فى ديسمبر ١٩٧٨ ، وبعدها ، وتناقشنا فى الأمر ، فأكد ما سبق أن قاله ، عن الاتجاه كله ، وعن الرسالة •

* * *

ورغم أن بعض أمور ، مما تندرج تحت عنوان (سوء الطالع) ، قد صاحبت الرسالة منذ بداية طباعتها ، وكان لها تأثيرها على (شكلها) ، لا على (محتواها) ، على نحو ما سنرى ، فقد كان للرسالة صداها ، منذ اللحظة الأولى التى ظهرت فيها مجلدة ، سواء بالنسبة للزملاء فى كلية التربية جامعة طنطا ، من الأساتذة ، ومن المعيدين والمدرسين المساعدين ، وسواء من أعضاء لجنة الحكم على الرسالة أنفسهم ، حتى آن أحد الأعضاء اتصل بأستاذنا الدكتور مطاوع ، مصرا على أن يكون الدكتور عبد الحليم محمود ، شيخ الأزهر — يرحمه الله — أحد أعضاء اللجنة ، لولا أن الشيخ كان مشغولا بالاعداد لمؤتمر علماء المسلمين ، وفى أثناء ذلك ، هاجمه المرض ، وبسرعة انتقل الى جوار ربه ، قبل أن تناقش الرسالة — ومصرا كذلك هو نفسه ، على أن تحضر الاذاعة والصحافة والتليفزيون مناقشة الرسالة ، لأنها أخطر من أن تناقش ، كما تناقش أية رسالة ، فى هدوء •• ومصرا •• ومصرا ••

ولكن (سوء الطالع) ، الذى تحدثت عنه منذ قليـل ، هو الذى جعل نفس العضو يشـير بألا يتجاوز التقـدير الذى تمنحه الرسـالة (جيد جدا) ، لأسباب لا دخل لعلى فيها — يشهد الله — على الاطلاق . واحتراما له ، كان التقدير الذى حدده ، هو الذى منح للرسالة .

* * *

كانت الرسالة سـيئة فى طباعتها ، الى حد لافت للنظر ، فقد كان (الاستنسل) من النوع الردىء والقديم معا ، وكانت الكتابة سـيئة ، وكانت امكانية القراءة للرسالة صعبة ، وكانت الأخطاء المطبعية فاحشة فى بعض الأحيان ، وكانت سطور كاملة تسقط عند الكتابة ، فتـدارك على ذلك فى بعض نسخ اللجنة .. ثم كانت هناك بعض الأمور الشكلية ، التى لا دخل له فيها أيضا .. منها — على سبيل المثال — أن الاعلان عن الرسالة فى صحيفة (الأهرام) ، قد جاء اسمه فيه بالبنط الأسود ، بينما جاءت أسماء أعضاء لجنة الحكم على الرسالة بالبنط العادى .. الخ .

وقد ظهر مدى قبح الطباعة حقيقية للعيان ، عنـدما دفعت بهـذه الرسالة الى المطبعة ، ولولا مودة خاصة ، تربطنى شخصيا بكل العاملين فى مطبعة الاستقلال ، ما قدر لها أن ترى النور ، فقـد تحملوا — من أجلى — الكثير من المشاق ، فى جمعها .

ومن ثم كان (جيدا جدا) كتقدير ، ظلما للرسالة بالفعل ، اذا نظرنا اليها بمعزل عن كل ما سبق ، ولكنها الحق ذاته ، اذا كان التقييم متجها الى الرسالة موضوعا ، وشكلا .. ومناقشة .

ورغم حزنى من أجل التقدير ، فقد قلت لعلى بعدها : انه أجمـل ما فى المناقشة .

وكانت وجهة نظرى — كما قلت لعلى بعد المناقشة ، ونحن فى طريقنا الى النادى لتناول الغـداء — أن ما لقيته الرسـالة من استحسان من الجميع ، قد دفع به أحيانا الى شىء من (الغرور) : و (الغرور) أكبر

(آفة) يمكن أن يتصف بها عالم ، أو انسان يعد ليكون عالما ٠٠ ومن ثم فسيعيده ذلك ، الى ما يجب أن يتسم به من (تواضع) ، ويعيده بالتالى الى (الثقة بالنفس) ، لا يتعداها الى هذا المرض القاتل : (الغرور) ٠

فالرجل العلمى ، سـواء كان فى مرحلة الاعداد ، كما هو الحال بالنسبة لعلى ، أو تم اعداده ، بحصوله على الدكتوراه ، لا يقتله الا واحد من اثنين : الغرور ، وفقد الثقة بالنفس ، وعليه — اذا أراد أن ينجح — أن يظل محافظا على وضعه بين القطبين ٠٠ لا يقترب من أحدهما ، وما رأيت رجلا علميا سقط ، الا تحت أقدام واحد منهما ٠

ومن ثم كان هذا (الدرس) ، من نعم الله التى أنعم بها على على ، وهو فى أول طريقه العلمى ٠٠ وهو لا يدرى ٠

* * *

ولقد استوعب على الدرس بسرعة ، وكان له فى القرآن الكريم — الذى عشقه ، وحوله أصر على أن تدور دراسته للماجستير ، والذى حوله — وحول ما فيه — تدور قراءاته واطلاعاته ٠٠ كان له فى القرآن الكريم ، خير شفاء ٠ وصدق الله العظيم ، اذ يقول فى قرآنه الكريم ، عن هـذا القرآن :

— « وننزل من القرآن ما هو شـفاء ورحمة للمؤمنين ، ولا يزيد الظالمين الا خسارا » (الاسراء — ١٧ : ٨٢) ٠

وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم ٠

دكتور عبد الغنى عبود

القاهرة فى : غرة رمضـان ١٤٠٠ هـ ٠
منتصف يولية ١٩٨٠ م ٠

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

لا يسعني وقد انتهيت من اعداد هذا البحث الا أن أتوجه الى الله تعالى بالشكر والعرفان على توفيقه لى ثم أتوجه بخالص الشكر والتقدير الى أستاذى الدكتور / ابراهيم عصمت مطاوع ــ عميد كلية التربية بطنطا ورئيس قسم أصــول التربية ــ على ما أولانى من رعاية واهتمام وقدم لى من توجيه وارشاد . فقد وجدت منه كل العون أبا وأستاذا .

كما أتوجه بخالص الشكر والعرفان الى أستاذى الدكتور/عبدالغنى عبود أستاذ التربية المقارنة والادارة التعليمية المساعد بكلية التربية جامعة عين شمس على عظيم جميله فى توجيه هــذا العمل والاشراف عليه حتى خرج على هذه الصورة . ولقد كان لتوجيهاته ومؤلفــاته أكبر الأثر فى ارشادى دائما نحو الصواب .

كما أوجه الشكر والتقدير لأستاذى الجليلين اللذين قاما بمناقشتى وتوجيهى ، ولكل من مد لى يد العون فى اعداد هــذا البحث واخراجه وأخص بالشكر الأخ الأستاذ / حسن عبد العال ، والاخوة والأخوات العاملين بمكتبة كلية التربية بطنطا وجميع العاملين بالكلية على ما قدموه لى من عون ومساعدة ، وآمل بما قدمت من عمل أن أكون مستحقا لمــا بذله الجميع نحوى من جهد وعون ومساعدة والله ولى التوفيق .

على خليــل أبو العينين

فصل تمهيدى

مقدمة البحث والغرض منه

تمهيـــد :

التربية عملية اجتماعية ، ولذا فهى تختلف من مجتمع لآخر حسب طبيعة ذلك المجتمع والقوى الثقـافية المؤثرة فيـه ، بالاضافة الى القيم الروحية والفلسفية التى اختارها وارتضاها لتسير عليها حياته « ومعنى ذلك أن التربية تشتق أهدافها من أهداف المجتمع ، وتحـدد خطواتها لبلوغ تلك الأهداف ، وحول تلك الأهداف تدور فلسفتهـا ، ومن ثم تختلف فلسفة التربية من مجتمع لآخر ، باختلاف الظروف المحيطة بكل مجتمع ، وفلسفته التى توصل اليها لمجابهة تلك الظروف »(١) .

ولقد مر المجتمع العربى بظروف تاريخية باعدت بينه وبين الحضارة الحـديثة من جانب كمـا باعدت بينه وبين تراثه من جانب آخر ، حيث فرضت عليه مناهج فكرية وأساليب تربوية مكنت من نشر عدم الثقـة فى نفوس الشعوب العربية والاسلامية فى هذا التراث،وحدث غزو ثقافى وفكرى « ووقع الشرق العربى والاسلامى فى حضانة التربية الغربيـة ، ونظمها التعليمية ، ومناهجها الفكرية ، وقيمها ، ومثلها العليا ، وتصورها للحياة الانسانية والانسان ، ونظرتهـا للعلوم والآداب ، كمـا يترامى الطفل الصغير فى أحضان مرب كبير ، ويقبل نظامه التعليمى ، وبالأصح فكرته التعليمية بحذافيرها على علاتها التى نشأت واختمرت فى بيئة تؤمن بعقائد وأسس ومبادىء وقيم ومفاهيم ومثل تختلف كل الاختلاف عن العقائد والأسس والمبادىء والقيم والمفاهيم والمثل التى يؤمن بها ويعيش لها ، ويجاهد فى سبيلها ، بل تقوم على هدمها ونفيها أحيانا ، والتهكم بها والاستهانة بقيمها ، أحيانا أخرى »(٢) .

---

(١) د. عبد الغنى النورى ، د. عبد الغنى عبود : نحو فلسفة عربية للتربية ــ دار الفكر العربى ــ القاهرة ــ ١٩٧٦ ، ص ٣٤ .

(٢) أبو الحسن الحسنى الندوى : نحو التربية الاسلامية الحرة ، فى الحكومات والبلاد الاسلامية ــ القاهرة ــ ١٩٧٦ ، ص ١٠ .

وحصلت « الحكومات العربية والاسلامية على استقلالهـا وهى منهكة القوى ممزقة ودخلت كل منها عهـد الاستقلال بآمال وتطلعات أكبر مما تطيق امكانياتهـا ومواردها المـادية والبشرية ، شأنهـا شأن غيرها من بلاد العالم الثالث ، وكانت النتيجة سلسلة من الاخفاق والفشل، وعدم القدرة على مجابهة الحضارة العالمية الراهنة ، ومن ثم ازدواج فى التفكير ، تختلف صورته من بلد عربى الى آخر ، ولكنه يكاد يقضى على كل خطوة فى سبيل الاصلاح عموما »(١)•وكانت نتيجة ذلك،أن تأثرت التربية فى تلك البلدان فأنتجت طبقة مثقفة ، أو بالأصح « طبقة مضطربة فى عقائدها وأفكارها وسيرتها وأخلاقها ، وأحسن أحوالهـا أن تكون مذبذبة بين الفكرة الغربية والفكرة الاسلامية ، والا فهى فى أكثر الأحيان تنسلخ من كل ما يدين به مجتمعها وأمتها وبلادها »(٢) •

ولم تعمـل القيادات الوطنية بعـد الاستقلال على تنمية التراث الثقافى ، أو حتى كشفه والاستفادة به فى تنمية مجتمعاتها ، وكان هـذا اما بحكم تربيتها وتنشئتها واما لجهلها حينا آخر ، وتكالبت على ثقافة المجتمعات الأجنبية تستمد منها فلسفة للمجتمع الاسلامى ، وعلى أساس هذه الفلسفة بنيت فلسفة التربية ، وقدمت البلاد المتقدمة هذه الفلسفات على أنها هى الحل الصحيح ، فى حين أنها تشكل موجة من « موجات الغزو الفكرى والثقافى ، الذى يفسد ويسمم على الأمة صحوتها،ويعرقل وثبتها ، فموجات أفلام الجنس والعنف ، وموجات العرى ، والشذوذ الجنسى والأخلاقى •• وثقـافة السلع اليوميـة ، وبريق أعلام المـال والجريمة ، وكلها أضواء من الاثارة المريضة والرخيصة تفد على وجدان الأمة العربية وهى تنفض عن جسدها غبار تراب الزمن ، وتمسح آلامها بعرق ودم بعض أبنائها •

---

(١) د • عبد الغنى النورى ، د • عبد الغنى عبود « المرجع الاسبق» ، ص ٣٠٢ •

(٢) أبو الحسن الحسنى الندوى « مرجع سـابق » ، ص ١٠ •

وهنا تختلف نظرة بعض أبناء الأمة الواحـدة فى النظر الى بعض المشكلات وحلولها وتجىء هنا على الفور أجهزة الاعلام القاصرة الادراك والمحدودة الفهم،لتجعل من هذا رجعيا،وذلك تقدميا،ولتتعدد الانقسامات، وتختلف الاتجاهات ، ولتمارس المذهبية والحزبيـة دورها فى خـدمة الأهداف العليا لجبهة العداء ضد الاسلام وأهله »(١) •

وكان أمر التربية هو هو نفس الوضع العام ، فقـد أنتجت أناسا متعلمين :

(ا) اما ينتمون الى الغرب بفكره وفلسفته وثقـافته يمجدونهـا ويسجدون فى محرابها •

(ب) واما شرقيون يمجدون فلسفة الشرق وفكره وثقافته •

(جـ) واما محليون انعزلوا عن كل شىء تماما وجمدوا على قديمهم لا يرون غيره •

ولقد حاول بعض المثقفين العرب والمسلمين أن يطوروا قديم هذه الأمة وتراثها ، بعد دراسته وتناوله تناولا عصريا ، ولكن أصحاب هـذا الاتجـاه ــ رغم ما بينهم من اختلاف فى المنـاهج ــ قلل الآخرون من شـأنهم وذلك حتى تكتمل فصول المؤامرة للقضـاء على الولاء للوطن الاسلامى وبالتالى تضييع الشخصية الاسلامية •

ولكننا اليوم نجد أن «الرأسمالية (الغربية) والشيوعية (الشرقية) قد قيدتا الانسان بأغلال المـادة والكنيسة المتحجرة بتأثير من القطيعة الرجعية تتشبث فى مشقة بتيار التاريخ ، وضمير المسيحيين يفلت منهـا يوما بعد يوم ، على رؤوس الأشهاد ، فالرأسمالية قد أنهكهـا رخاؤها فانتهت الى فلسفات وجودية مهجنة من الارتيابية ، ومن اللذات الزائفة ،

---

(١) صابر طعيمة : تحديات أمام العروبة والاسلام ــ دار الجيل ــ بيروت ــ ١٩٧٦ ، ص ١٤ .

والشيوعية تذرعا بالحجة المشروعة ، وهى تحرير الانسان ، قد سلبته الحرية الحقيقية ، حرية الفكر ، وانتهت الى علمية عدمية ، والى فلسفة قوامها الكراهية ، والتكيف مع البيئة »(١) . وأمام هذا تهيأ الرأى العام الإسلامى والعربى لتقبل اعادة دراسة التراث من جديد وضوغه صياغة تتفق مع العصر ، والتقدم التكنولوجى . ورغم هذا فان هذا التراث لا يزال فى حاجة الى جهد كبير لاعادة اكتشافه ، وتنقيته من الشوائب ، ودراسته دراسة علمية جادة للاستفادة به فى الحياة المعاصرة ، وما فرضته من تغييرات ، لم يكن لها ـ بتفصيلاتها ـ وجود فى التراث .

واذا كان الأمر كذلك ، فان تحقيق التراث ونشره يضم الفكر التربوى الاسلامى ، الذى لا يبدو فى تكامله بحيث يمكن الاستفادة به ، الا فى القرآن الكريم والحديث الشريف ، وفى فقه الفقهاء ، وكتابات الفلاسفة والمتكلمين وأدب الأدباء ، وبدراسة هذا التراث ، يمكن أن تتضح الاستراتيجية التى تبنى على أساسها فلسفة التربية ، والتى يمكن على أساسها تأصيل الفكر التربوى والعملية التربوية .

المشكلة :

تعتبر البلاد العربية والاسلامية متخلفة حضاريا ، وان تفاوتت فيما بينها فى مدى هذا التخلف ، وكان من نتيجة هذا التخلف التطلع الدائم الى مستوى ونظم وفلسفات وأيديولوجيات ومؤسسات البلاد المتقدمة حضاريا ، وأدى هذا الى عدم الاستقرار فى السياسة التعليمية وعدم الارتباط بين فلسفة التعليم وواقع هذه البلاد (٢) . وحين ننظر الى المجتمعات العربية والاسلامية اليوم نجد أن كثيرا من الدساتير تنص على أن الدين الرسمى للدولة هو الاسلام ، أما واقع هذه المجتمعات فليس

---

(١) د. أحمد عروة : الاسلام فى مفترق الطرق ـ ترجمة د. عثمان امين ـ دار الشرق ـ بيروت ـ ١٩٧٥ ، ص ١٩١ .

(٢) د. عبد الغنى النورى ، د. عبد الغنى عبود (مرجع سابق) ، ص ٣٢٤ .

من الاسلام فى شىء ، حتى التربية نجدها غريبة عن الاسلام وأصـــوله ، سواء فى فلسفتها أو مناهجهـــا أو نظمها ، وتسعى هـــذه المجتمعات الى التحرر ثقافيا وعلميا وتكنولوجيا وتربويا ، وهى تدرك أن التحرر بهـــذا الشكل لا يمكن أن يكون حقيقة واقعة ، الا اذا صيغت هذه المجتمعات بما يتفق وماضيها وما فيه من تراث ، وحاضرها وما فيـــه من امكانيات ومستقبلها وما له من أهداف ومطامح (١) • فهى لن يكون لهـــا طريق للتحرر من التخلف الا اذا كانت لها فلسفتها النابعة من واقع حيـــاتها ، ومن تراثهـــا الثقافى ، ومن الموارد المتـــاحة ، « فتنعكس على تربيتهم لأبنائهم ، فتخلق فلسفة تربوية أصيلة ، ولن يكون للعرب هذه الفلسفة التى تخلق المجتمع العربى المنشود الا اذا كانت مشتقة من ثقافتهم معبرة عن أيديولوجيتهم قائمة على أساس من تراثهم العربى الاسلامى »(٢) •

ويعود التراث العربى والاسلامى فى أساسه الى القرآن الكريم ، فلقد وضع منهاجا للحيـــاة كاملا وأجاب على تساؤلات الفلاســـفة التى أثاروها ، وفيه نجد فلسفة تربوية مستمدة من هذا المنهج وهى خطوط عريضة تحدد العملية التربوية فى اطارها ، فلقد وضع « القرآن فى ارشاد البشر للمعرفة منهجا علميا واقعيا بعيدا عن النظريات الجدلية والفروض الظنية التى تختلف فيها العقول وتتعارض فيها الأفهام ، وهو بهذا ينشد خير البشرية ، ويجنبها مزالق الأوهام »(٣) • «فالقرآن يشتمل على مباحث فلسفية ، وهذه الفلسفة القرآنية تغنى الجماعة الاسلامية فى باب الاعتقاد، ولا تصدها عن سبيل المعرفة والتقدم »(٤) •

---

(١) د . فاخر عاقل : معالم التربية ، دراسات فى التربية العامة والتربية العربية — بيروت — ١٩٦٤ ، ص ١٤ •

(٢) د. عبد الغنى النورى ، د. عبد الغنى عبود (مرجع سابق) ، ص ٣٣٣ •

(٣) على عبد العظيم : فلسفة المعرفة فى القرآن الكريم — العدد (٦٥) من سلسلة (البحوث الاسلامية) —مجمع البحوث الاسلامية — ١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣ م ، ص ١٤ •

(٤) عباس محمود العقاد : الفلسفة القرآنية — المجلد السادس من (اسلاميات الأستاذ العقاد) — بيروت — ١٩٧٥ ، ص ٧ •

واذا كان المثل الأعلى الذى يجب علينا أن ننسج على منواله فى تربية أجيالنا العربية الاسلامية ، ليس فرنسيا ، ولا انجليزيا ، ولا يابانيا ، ولا أمريكيا ، وانما هو مثل أعلى عربى ينبع من صميم حياتنا ويتصل بماضينا وحاضرنا ، ومستقبلنا ، فان معنى هذا أن التربية العربية الحديثة لا يمكن أن تكون أصيلة الا اذا كانت موافقة لفلسفة الشعب العربى الحديث ، ونظرته الى الوجود ولرأيه فى قيم الانسان ، وهذه الفلسفة لا تبلغ قمة كمالها الا فى القرآن الكريم ، دستور هذه الأمة ، حيث يمكن اعتباره « الكتاب الأم » للتربية العربية الاسلامية ، ترجع اليه الدول العربية والاسلامية لتأخذ منه ما يوافق ويناسب ظروفها ، وهذا هو مجال ولب المشكلة التى نحن بصددها .

مجال البحث :

ومجال البحث اذن هو القرآن ، الذى هو « كتاب الله الكريم الذى أنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم منجما متتاليا فى مدى اثنتين وعشرين سنة وشهرين واثنين وعشرين يوما »(١) .

وأول آية نزلت من القرآن قوله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان مالم يعلم » وآخر ما نزل منه قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » .

ومن أسمائه : الكتاب ، والفرقان ، والذكر والتنزيل والكلام والحديث والموعظة والنور والعلى والصراط والروح والوحى ، ومن صفاته العزيز (٢) .

---

(١) أحمد حسن الباقورى : مع القرآن — مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز — القاهرة — ١٩٧٠ ، ص ٦٥ .

(٢) انظر : محمد رجب فرجانى : كيف تتأدب مع المصحف — كتابة ، قراءة ، تعلما ، استماعا — الطبعة الأولى — دار الاعتصام — القاهرة ١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦ م ، ص ٣١ — ٣٣ .

وصبحى الصالح : مباحث فى علوم القرآن — دار العلم للملايين — بيروت — ١٩٧٤ .

وقد نزل القرآن منجما أى مجزءا ، منه ما نزل بمكة ، ومنه ما نزل بالمدينة ، فالمكى ، هو ما نزل على رسول الله مدة بقائه بمكة » ، والمدنى « هو الذى نزل عليه صلى الله عليه وسلم مدة مقامه بالمدينة »(١) .

وتهتم الآيات المكيــة بتوضيح العقيدة ، أما الآيات المدنيــة ففيها تفصيل وتشريع ، وبهذا يمكن القول بأن محتويات القرآن هى عقــائد يجب الايمان بها ، وأخلاق وتشريعات وأحكام ، وهذه الأخيرة ناتجة عن الأولى وهى العقائد ، ومن هــذه النقطة بالذات نلاحظ وظيفة القرآن التربوية ، التى بدأت منذ بداية نزوله . « ذلك أن الجـانب الفكرى ، والسلوك الشخصى لا يقتضى سيطرة على مقــدرات المجتمع وامساك بالسلطة ، ومن هنا فقد استطاع المسلمون وهم يعيشون بين كفار مكة أن يؤمنوا بالاسلام ، وأن يقتنعوا بالعديد من أفكاره ، كما تحــددت معالمها الرئيسية فى هذه الفترة ، ثم ازدادت رسوخا وانكشف الكثير من أبعادها بعد ذلك ، عندما صارت لهم الكلمة العليا بعد الهجرة ، فاجتمع لهم بذلك جانبين هامين يمكنان للتربية تمكينا راسخا ، جانب الســلطة يستعينون بها فى اقامة وتنظيم المعاملات وسن التشريعات ، وتهيئة المناخ الصحى الملائم لممارسة التربية الاسلامية الصحيحة ، وجانب الاقتنــاع الفردى والحماس الشخصى ، والممارســة الجماهيرية لأساليب التربيــة ومنــاهجها وتيمهــا »(٢) .

ولقد نزل القرآن لهداية البشر الى ما به صلاح دنيــاهم وأخراهم « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم »(٣)،وهذا القرآن ، النور ، نزل جبريل به على محمد صلى الله عليه وسلم « ليعلمنا الكتاب والحكمــة ويزكينا ، ويعدنا لمــا يعدنا به من ســعادة الدنيا والآخرة ، ولم ينزله

---

(١) احمد حسن الباقورى (مرجع سابق) ، ص ٦٧ .

(٢) د. سعيد اسماعيل على : أصــول التربيــة الاســلامية — دار الثقافة للطباعة والنشر — القاهرة — ١٩٧٦ ، ص ١٩ .

(٣) الاسراء : ٩ .

قانونا دنيويا جافا كقوانين الحكام ، ولا كتاب طبيا لمدواة الأجسام ، ولا تاريخا بشريا لبيان الأحداث والوقائع، ولا سفرا فنيا لوجوه الكسب والمنافع ، فان كل ذلك مما جعله باستطاعتنا ، وهذا بعض مما وصف الله به كتابه فى محكم آياته ، تدبرها سلفنا الصالح واهتدوا بها فأنجز لهم ما وعدهم من سعادة الدنيا قبل سعادة الآخرة فى مثل قوله « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون »(١) .

وعلى هذا يمكن القول بأن القرآن ، وهو مجال بحثنا ـ كأصل من أصول التربية الاسلامية ـ هو كتاب تربية، قبل أن يكون أى شىء آخر، ومجالنا هنا هو القرآن باعتباره أهم مصدر من مصادر التربية الاسلامية.

الغرض من البحث :

وغرضنا هو الكشف عن اطار فلسفى للتربية العربيـة والاسلامية المعاصرة ، يتفق والحاضر ويحقق آمال المستقبل ، وذلك على أساس دراسة شاملة لفلسفة الحياة فى القرآن ، والتى تمثل الاطار العام للمجتمع الاسلامى ومحاولة الاستفادة من هذا الاطار الفلسفى للتربية فى اصلاح النظام التعليمى ، حسبما تقتضيه تلك الفلسفة ، حماية له من الضياع والاغتراب والقص واللصق ، مما تتخبط فيـه سياسة التعليم فى البلدان العربية والاسلامية وحماية لها من تبديد أموالها دون عائد الا التسيب والانحراف ، لأنها بعيدة عن الفلسفة العامة التى تحكم المجتمعات الاسلامية ، وبعيدة عن الثقافة والتراث الاسلامى .

منهج البحث :

المنهـج التحليلى الذى يمكننا من الوقوف على الفلسفة العامة

---

(١) النور : ٥٥ .

للقرآن الكريم وتحديدها ثم استنباط فلسفة التربية الاسلامية منها بحيث نعرض للتربية فى القرآن ومميزاتها وأهدافها ومجالاتها ، وطرائقها ، من خلال دراسة آيات القرآن الكريم دراسة تحليلية .

والمنهج المقارن حيث تقف على القوى المؤثرة فى نظم التربية الاسلامية المعاصرة من حيث فلسفتها وأهدافها وعن طريقه يمكن المقارنة بين فلسفة التربية القرآنية وفلسفات التربية القائمة فى بلاد العالم الاسلامى والوصول عن طريق المقارنة الى اثبات أن فلسفة التربية القرآنية أصيلة ، وأنها هى الحل الوحيد للخروج من المأزق التربوى الذى تعيشه البلاد الاسلامية .

ويتكون البحث من ستة فصول :

الفصل الأول :

ويدور حول الصلة التى تربط فلسفة المجتمع بفلسفه التربية ، وفيه تتناول صلة فلسفة التربية بالفلسفة ، وفلسفة المجتمع وصلتها بفلسفة التربيــة .

الفصل الثانى :

وفيه قام الباحث بتحديد فلسفة الحياة القرآنية وذلك عن طريق استقراء آيات القرآن ، فتناول الفصل الجوانب المختلفة التى تشكل فلسفة الحياة القرآنية كما حددها القرآن: الله . الكون . الانسان : حيث درس الانسان من وجهة نظر القرآن والطبيعة الانسانية كما صورها القرآن ، وعلاقة الانسان بالله وبالكون .

المجتمع الاسلامى : حيث درس الباحث دور الانسان فى النظام الاجتماعى ، ودور المجتمع (كمجموعة أفراد) فى اقامة النظام الاجتماعى من حيث القانون الأخلاقى للجماعة والحقوق والواجبات والعدالة الاجتماعية ووسائلها وأهدافها ، ودراسة الأسس الاقتصادية وأصول الحكم للمجتمع المسلم ، ودراسة وضع أهل الذمة فى المجتمع الاسلامى .

المجتمع الدولى : وفيــه درس الباحث علاقــة المجتمع الاســلامى بالمجتمع الدولى سواء فى حالات الحرب أو فى حالات السلم .

الحياة الآخرة : وقد درسها الباحث باعتبارها بعدا رئيسيا فىفلسفة الحياة الاسلامية القرآنية وأوضح معالمها وفصولها وبعض مشاهدها .

ثم انتهى الباحث من ذلك كله الى تحــديد القرآن لشخصية الفرد المسلم فى علاقاته بهذه الجوانب المختلفة والتى تؤثر فى تحديد اطار فلسفة التربية القرآنية .

الفصل الثالث :

وفيه دار البحث حول فلسفة التربية الاسلامية كما حددها القرآن الكريم ، واستنادا الى فلسفة الحياة الواردة فى الفصل السابق حيث قام الباحث بدراسة التربية وأهم سماتها من القرآن ثم تحديد أهداف التربية اعتمادا على تدرج قيمى حدده القرآن فىكثير من آياته ، وعرضها الباحث بحيث استنبط منها أهدافا للتربية .

ثم درس الباحث مجالات التربية فتناول الجانب الجسمى والجانب الجانب العقلى والجانب العقائدى والجانب الوجدانى والجانب الاجتماعى بحيث حدد معالم شخصية الانسان كما يريده القرآن الكريم ، ثم تناول الباحث طرق التربية كما بدت فى القرآن الكريم ، وخلص الى خاتمــة الفصــل .

الفصل الرابع :

ولمــا كانت مجتمعات العالم الاسلامى تختلف فى أخذها بفلسفات التربية كان لزاما على الباحث أن يقارن فلسفة التربية القرآنية بفلسفات التربية المختلفة حيث تم اختيار أنماط من هــذه الفلسفات ومقارنتهــا بالفلسفة القرآنية ، ومن خلال هــذه المقارنة خلص البــاحث بمميزات خاصة بفلسفة التربية القرآنية .

الفصل الخامس :

وفى هذا الفصل انتقل الباحث الى دراسة واقع البلاد الاسلامية ، حيث درس المؤثرات المختلفة التى أثرت وتؤثر فى فلسفة التربية ، ودرس واقع هذه البلاد من جميع نواحيه ، وكيف أن فلسفات التربية فى هـذه البلاد بعيدة عن فلسفة التربية القرآنية .

الفصل السادس :

وفيه قام الباحث بعرض النتائج التى خرج بها من الدراسة ، ومجموعة من التوصيات .

والله أسأل التوفيق والسداد .

الفصل الأول

فلسفة التربية وفلسفة المجتمع

- تمهيـــد .
- مفهوم فلسفة التربية وعلاقتها بالفلسفة .
- فلسفة المجتمع وأثرها فى فلسفة التربيـة .
- خاتمـــة .

تمهيـــد :

التربية عمليـــة اجتماعية ، ولذا فهى تختلف من مجتمع الى آخر ، حسب طبيعة ذلك المجتمع ، والقوى الثقافية المؤثرة فيه ، بالاضافة الى القيم التى يعيش على أساسها ، ومعنى ذلك بطريقـــة أخرى أن التربيـــة تشتق أهدافها من أهداف المجتمع ، وتشـكل نفسها حسب فلسفة المجتمع وتتحدد خطواتها لبلوغ تلك الأهداف .

طبيعة العملية التربوية :

تعنى كلمة التربية ــ لغة ــ « التنمية ، يقال رباه ، نماه وربى فلاناً غذاه ونشأه ، وربى نمى قواه الجسدية والعقلية والخلقيه ، ويقال ربى الفاكهة » و « (تربى) تنشأ وتغذى وتثقف » (٢) .

واذا كان قد اختلف فى تعريف التربية اصطلاحيا ، فانه من الممكن أن نقول أنهذا الاختلاف تابع مناختلاف ثقافات المجتمعات . والاختلاف حولأهدافالتربية،حيث «يختلف معنى التربية ومفهومها باختلاف ميادين الدراسة النفسية والاجتماعية والحضارية ، فى نظرتها للفرد والمجتمع ، فأحيانا تفهم التربية على أنها التعلم ، ولكنها تعنى فى الواقع ما هو أكثر من التعلم ، انها الوســيلة التى يحدث من خلالها التغيير فى الســلوك ، وأحيانا تفهم التربية على أنها نقل التراث ، ولكن هذا المفهوم لا يعبر عن دورها الأساسى ، فدورها الفعال . .يتمثل فى اثراء الخبرة كأساس لنمو نظم اجتماعية جديدة ، تتلاءم مع تغير النظم الثقافية »(٣)،التى يعيش بها

---

(١) د. عبد الغنى النورى ، د. عبد الغنى عبود (مرجع سابق) ، ص ٣٢ .

(٢) المعجم الوسيط ــ قام باخراجه ابراهيم مصــطفى وآخــرون ، وأشرف على طبعــه عبد الســلام هارون ــ جـ ١ ــ مجمع اللغة العربية ، سنة ١٣٨٠ هـ ، ١٩٦٠ م ، ص ٣٢٦ ، نقــلا عن د. عبد الغنى عبــود : المقولة الأولى من كتاب : فى التربية المعاصرة ، ص ١٧ .

(٣) منير المرسى سرحان : فى اجتماعيات التربيـــة ــ مكتبة الأنجلو المصرية ــ طبعة أولى ــ ١٩٧٣ ، ص ٣٩ .

المجتمع الذى هو عبارة عن حصيلة الثقافة التى مر بها ويعيش فيها ، ذلك أن « السلوك الانسانى فى أى ثقافة من الثقافات يمكن فهمه على ضوء القيم والمثل والاتجاهات العامة التى تسود هذه الثقافة بالذات ، كما أن ضوابط محددة تحكم انفعالات الأفراد »(١) وذلك يؤثر فى التربية والنظام التربوى لأى مجتمع ، اذ « كل نظام تربوى يقوم على فلسفة عملية خاصة تتصل بالحياة اتصالا وثيقا »(٢) ومن ثم يمكن أن نعرف التربية ، بأنها « تلك العملية المقصودة أو غير المقصودة التى اصطنعها المجتمع لتنشئة الأجيال الجديدة ، وبطريقة تسمح بتنمية طاقاتهم وامكانياتهم الى أقصى درجة ممكنة ضمن اطار ثقافى معين قوامه المناهج والاتجاهات والأفكار والنظم التى يحددها المجتمع الذى تنشأ فيه ، بما يجعلهم على وعى بوظائفهم فى هذا المجتمع ودور كل منهم فى خدمته ، ونمط الشخصية التى يختارها ، ثم نوع السلوك الذى يجب عليه أن يسلكه »(٣) .

فالتربية اذن تعنى بتنمية الأفراد الانسانيين ، طبقا لفلسفة المجتمع الذى توجد فيه هذه التربية وهى اذن ليست سوى الحياة الكلية للمجتمع ، والأفراد الذين يعيشون فيه منظورا اليه من وجهة نظر معينة لامكانيات النمو بالنسبة للأفراد ، وأهداف التطور بالنسبة للمجتمع »(٤) . ومعنى كل هذا أن التربية والتنشئة لا تمارس فى فراغ ، بل تطبق على حقائق »(٥) — ويستلزم ذلك أمرين :

---

(١) د. سعيد اسماعيل على : أصول التربية الاسلامية (مرجع سابق) ، ص ٢٣٩ .

(٢) ت. ب. نن : التربية ، مادتها ومبادؤها الأولية — ترجمه صالح عبد العزيز شبحاته — راجعه محمد عطية الابراشى — مطبعة لجنة التأليف والنشر — القاهرة ، ص ١٤ .

(٣) د. محمد سيف الدين فهمى ، سليمان نسيم : مبادىء التربية الصناعية — مكتبة الانجلو المصرية — القاهرة — ١٩٦٧ ، ص ٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٥ .

(٥) غاستون ميالاريه : مدخل الى التربية — ترجمة نسيم نصر — منشورات عويدات — بيروت — طبعة أولى — ١٩٧٤ ، ص ١٣ .

١ — أنها تبدأ مع بداية حياة الانسان على هذه الأرض ، فالطفل اذ يولد يعاني عجزا لا مثيل له لدى أى وليد فى المستويات التطورية الحيوانية ... وهذا العجز له دلالة هامة جدا اذ يعنى :

أولا : أن الطفل يظل فترة طويلة ، بحاجة شديدة الى استمرار عناية البالغين به ، كشرط لاستمرار بقائه ، ويعنى :

ثانيا : أنه يلقى فرصة للتعليم نتيجة احتكاكه بالبالغين لا تتاح لغيره فى أى مستوى تطورى آخر ، ويعنى :

ثالثا : أنه بحكم طبيعته العضوية التى لها هذه الدرجة من عدم التحديد الفطرى أكثر استعدادا لتشكيل نشاطه فى قوالب متنوعة ، ويعنى :

رابعا : أنه مضطر الى أن ينمى وسائل التعبير والطلب بدرجة تتناسب مع شدة احتياجه الى مساعدة الآخرين وتنوع حاجاته[1] .

والطفل فى نموه ، يحتك بالآخرين احتكاكا يؤدى الى تعديل فى السلوك، على نحو من الانحاء[2]،وهذا التعديل ينتج عن تربية «قد تكون مقصودة، كما هو الحال فى التربية المدرسية ، وقد تكون غير مقصودة كما هو الحال فى التربية اللامدرسية وفى الشارع ، فى المنتدى ، وفى الصحافة ، والاذاعة،والتليفزيون وغيرها،التى قد يكون لها تأثير فى تعديل السلوك، أخطر من تأثير التربية المقصودة » [3] .

٢ — أنها توجد فى مجتمع معين له ثقافته وفلسفته التى توجه حياته ، هذه الحياة التى تحكمها مجموعة من القواعد والمعايير التى هى جزء من

---

(١) د. سعيد اسماعيل على (مرجع سابق) ، ص ٢٣٥ .

(٢) د. عبد الغنى النورى ، د. عبد الغنى عبود (مرجع سابق) ، ص ٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٤ .

ثقافة المجتمع ، والتى يعبر عنها بفلسفة المجتمع،والتى «موم بوظيفة تنظيم السلوك البشرى ، وتحوله الى أعمال هادفة لأزمة وضرورية للنظام الاجتماعى الذى يعيش الانسان فى كنفه وفى ظله ، ودور التربية المنشود، لا يتحقق الا حين تزود الأفراد تبعا لأعمارهم وقدراتهم ومستويات نضجهم بالمواقف التى تنمى العقلية الابتكارية التى تمكنهم من اكتشاف آفاق جديدة تنهض بواقعهم الموجود (١) وتعمل على تقدم هذا المجتمع الذى ينتمون اليه •

وفى سبيل ضبط السير العام للنظام الاجتماعى ، توصل الانسان الى افتراضات من خلال تجاربه تتلخص فيما يلى :

ـ « طبيعة العالم أو نوع العالم الذى عاش فيه » كيف وجد ؟ وكيف خلق ؟ ومن خلقه ؟ وهذه افتراضات ضرورية لحصوله على الغذاء والمأوى والأمن ، لبقائه العضوى •

ـ مكانه فى هذا العالم ، وعلاقته بالقوة أو بالقوى التى تتحكم فيه ، وفى هذا العالم الذى يعيش فيه ، ويتغذى منه ويحتمى به •

ـ علاقته كفرد ، بزملائه الذين يعيشون معه ومن يتعامل معه ، والحياة الجماعية التى يحتويها ، وما فى هذا من حقوق له والتزامات عليه •

ـ الطبيعة البشرية ، صورة النفس ، وماذا يدفع الفرد الى هذا السلوك أو ذاك ؟ ماذا يدفعه الى عمل ما ؟ وقد أدت هذه الافتراضات الأربعة الى تكوين اطار من المعتقدات عن الطبيعة وعن الانسان فى ضوء ما استطاع هذا أن يضيفه من معانى على الأحداث ، وعلى سلوك غيره

---

(1) Francis J. Brown : Educational Sociology, 2 nd ed, N. Y., Prentice Hall, 1955, p. 209.

ومن ثم بدأ الانسان الفرد يشكل ويفسر نفسه وسلوكه لا لغيره فقط ، ولكن لنفسه أيضا »(١) •

وهــذه الجوانب هى التى تشكل فلســفة المجتمع ، وهى تختلف باختلاف المجتمعات التى تنبع منها وتعيش فيهــا ، وذلك لأن المجتمعات مختلفة باختلاف البيئات والثقافات ، وعلى أساسها يحدد أهدافه ، واللغة التى تترجم هذا وتحيله الى واقع ملموس ، هى التربية ولا شىء غيرها •

والنظام التربوى فى أى مجتمع من المجتمعات يتشكل طبقا لهذه العناصر، التى تكون فكرة أو فلسفة المجتمع فى الحياة ، وهى تعكس « ما وصل اليه ذلك المجتمع من حضارة ورقى ، فكلما تقدمت الحضارة ، تعقدت الحياة ، وتعقدت معها شــئون التربية ، وأصبح لتنظيمها أهمية اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية »(٢) • ومعنى هذا أن التربية وليدة المجتمع بكل ما فيه ، بنظامه الاجتماعى ، وظروفه السياسية وموقعه الجغرافى ، ومركزه الاقتصادى ، وتقاليده الروحيــة ، وتفوقه فى نواحى المعــرفة المختلفة (٣) •

فالنظــام الاجتماعى اذن له تأثير واضح على الفلســفة التربوية ، ومؤسسات التربية المختلفة انما توجد فى مواقف اجتماعية « ومنها تستمد كثيرا من توجيهاتها وأساليب العمل بها ، وقد يكون هــذا أمرا مفروضا أحيانا ، ولكن الصورة الغالبة ، تشير الى أن الاستمرار بهذه التوجيهات والتعليمات وأساليب العمــل بهــا غالبا ما تنبع من العادات والتقاليد ، وما يلاحظ لدى أعضاء الجماعات الاجتماعية من أنماط سلوكية »(٤) • وهذه

---

(١) د . سعد مرسى احمد : التربية والتقدم ـــ عالم الكتب ـــ القاهرة ١٩٧٠ ، ص ٣١ •

(٢) فتحية سليمان : التربية عند اليونان والرومان ، مكتبة نهضــة مصر ـــ القاهرة د.ت ـــ ص ج •

(٣) المرجع السابق ، ص ج •

(٤) فتحى عبد المقصــــود الديب ، د. صــلاح الدين على مجاور : المنهج المدرسى ، أسسه وتطبيقاته التربوية ـــ دار القلم ـــ الكويت ـــ ١٩٧٣ ، ص ٧٢ •

هى التى تقدم المفتاح للفلسفة التربوية التى تستحق بذل الجهد ، فى وضعها وصياغتها لأن الأفكار والمعتقدات الرئيسية والقيم المتعارف عليها اجتماعيا، وأساليب العمل وغير ذلك من الخصائص التى تميز طريقة الحياة تقدم منبعا ومصدرا رئيسيا للفلسفة التربوية (١) . ولعل هذا يفرض علينا توضيح معنى الفلسفة ، وصلتها بالتربية ، ومعنى فلسفة التربية ، وصلتها بالفلسفة الى جانب توضيح معنى فلسفة المجتمع وصلتها بفلسفة التربية.

اولا : معنى الفلسفة :

ان مفهوم الفلسفة يختلف حوله الفلاسفة ، ورغم هذا، فالملاحظ أن « أشيع التعريفات عندهم قد تأثرت بنظرة القدماء الى الفلاسفة ، فاتجهت الى البحث عن حقيقة الأشياء وطبيعة الموجودات وانصرفت الى البحث عن المبادئ الأولى والعلل البعيدة »(٢). وقد استفاض البحث فى معنى هذه الكلمة منذ آماد طويلة بين المتصلين بالمباحث النظرية (٣) . ويرتد لفظ الفلسفة الى اللفظ اليونانى « فيلاسوفيا » ، ومعناه ايثار الحكمة ، ويصل البعض الى » ادخال الكيمياء والفلك والطب فى الفلسفة كأجزاء لها ، وينتهى أمر التعليم الى حده الأخير ، فيقولون : أن الفلسفة هى «مجموعة المعلومات فى عصر من العصور »(٤) . ويميل البعض الى تعريفها بأنها « المحاولات التى يبذلها الانسان عن طريق العقل وطريق التصفية ليصل بها الى معرفة الله »(٥). ومعنى هذا أن الفلسفة هى نماء الفكر الناضج، فى سبيل الوصول للحقائق .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٦٣ .

(٢) توفيق الطويل : اسس الفلسفة ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٥٢ ، ص ٣٦ .

(٣) د. عبد الحليم محمود : التفكير الفلسفى فى الاسلام ـ طبعة ثالثة ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة ـ سنة ١٣٨٧ هـ ، ١٩٦٨ م ، ص ٢٢٥ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٢٨ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٤٥ .

واذا كان الأمر كذلك « فما هو ذلك الشخص الذى يحمل رسالتها ويترجم عن مضامينها ؟ أيكون الفيلسوف هو ذلك الشخص الذى يتحمل الألم فى شجاعة وصبر فى سبيل المبادىء التى يعتنقها ؟ أم أنه ذلك الشخص الذى يستطيع أن يتصرف بحكمة واتزان فى مواقف الحياة العامة ؟ وبهذا المعنى العملى الأخير يكون لفظ فيلسوف مرادف بكلمة حكيم ويكون معنى الفلسفة الحكمة وهو هو معناها العام ، أما المعنى الثانى للفيلسوف، فانه يشير الى الشخص المحب للحقيقة الباحث عنها والذى يتعشق الحكمة ويزن آراءه وآراء الآخرين بميزان العقل الدقيق ، والفلســفة اذن على هــذا المعنى ، هى البحث الحر الاستدلالى ، وهذا هو مفهومها بالمعنى الخــاص »(١) .

وأيا كان الأمر ، فان الفيلسوف هو فرد انسانى،يحاول دائما « أن يكتشف العلاقات بين الظواهر التى تبدو مختلفة فى هــذا العالم ، ومن خلال هذه العلاقات يستطيع أن يفهم العالم ويدركه ، كــأن له معنى»(٢)، وذلك ما يدعو لأن يكون الفيلسوف حكيما ، لأنه « يسعى للكشف عن الفروض الأساسية التى تقوم عليها نظرتنا للعالم وللحياة » (٣) ومن أجل هذا فاننا نلحظ فروقا بين الفلسفة والعلم « فالعلم يكتفى بدرس ظواهر الكون ونظمه ونواميسه أما الفلسفة فتبحث فى أصل الكون وعلته » (٤) والأول طريقه التجريب والثانى طريقه النظر والتأمل والارتياض العقلى . ونتيجة النظر والتأمل فى الكون وعلته تكونت « فلسفة الوجود » ومن البحث فى العقل وكنهه وقدرته تكونت « فلسفة المعرفة » ومن البحث فى كنه الخير والجمال والقبح تكونت « فلسفة القيم » وهذه هى أهم

---

(١) د. محمد على أبو ريان : الفلسفة ومباحثها — الطبعة الأولى — دار الجامعات المصرية — ١٩٧٤ ، ص ٢٠ .

(٢) فيليب فينكس : فلسفة التربية — ترجمة وتقديم د. محمد لبيب النجيحى — دار النهضة المصرية — القاهرة — ١٩٦٥ ، ص ٢٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٩ .

(٤) الشيخ نديم الجسر : قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن — دار العربية — بيروت — طبعة ثالثة — سنة ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م ، ص٢٦ .

مجـالات البحث والتفكير الفلسفي ، التي يسـميها البعض بالفلسـفة العـامة .

ويرى البعض أن الفلسفة العامة « سوف تختفي ان آجلا أو عاجلا، في العلم ، والى أننا سوف لا نكون في حاجة الى فلاسفة متخصصين في الفلسفة ، وانما في حاجة الى مزيد من فلاسـفة العلوم الذين يفلسفون علومهم الخاصة »[1] . ورغم وجود هذه النظرة ، فمما لا شك فيه أن فلسفة كل علم من هذه العلوم لابد وأن «ترتبط بفلسفة عامة»أى باطار فلسفي عام ، يساعدنا على تقديم مبادىء هذا العلم ومنهجه وافتراضاته ، ففيلسوف هذا العلم أو ذاك لا يقوم بهذه المهمة الفلسفية الا من زاوية موقفه ازاء العلوم وازاء هذا العلم ، وازاء المنهج العلمي ، وازاء الكون والمجتمع »[2] .

وعلى هذا ، فان الفلسفة ترتبط بمختلف العلوم ، وارتباطها الأساسي بالانسانيات والعلوم الاجتماعية لأنها ترتبط بالانسـان أكثر ، وبحياته ومشكلاته ، واذا كان الفيلسوف في وقت من الأوقات قد اتسم بأنه هو ذلك الشـخص الذي يجلس في برج عاجي ، ويفكر ويتـأمل ليتفلسف، فان الأمر يختلف اليوم عما كان عليه قبل ذلك ، فأصبح الفيلسوف أكثر التصاقا بالأرض وبمشكلات الحياة وبمشكلات المجتمع ، لأن الفلسفة « جزء من الثقافة يتفاعل مع سائر أجزاء الثقافة ، فانها قوة تتأثر وتؤثر بدرجات متفـاوتة في غيرها من القوى الأخرى الاقتصـادية والسياسية والدينية والعلمية ، وهي ليست مجرد تسجيل فكري أو تصوير فوتوغرافي للظروف الثقافيـة والمشـكلات الاجتمـاعية ، والقلاقل والهـزات التي يتعـرض لهـا المجتمـع ، فهي تعكس هـذه الأوضـاع من زاوية معينة — من زاوية مجموعة من القيم ، تمثل اتجاهات ومصـالح

---

(١) د. صادق سـمعان : الفلسفة والتربيـة — الطبعـة الأولى — دار النهضة المصرية — القاهرة — ١٩٦٢ ، ص ٣٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٨ .

معينة »(١) فالفلسفة نابعة من الحياة « لم تقطع صلتها يوما بالحياة »(٢) والعلاقة وثيقة بين الفلسفة والوجود البشرى لأن الانسان هو « الحيوان الذى يشعر بأن وجوده أحجية تتحداه ، وتناوشه وتقض مضجعه وتقلق باله ، ولا تفتأ تدعوه الى اماطة اللثـام عن سرها »(٣) والانسـان هو المخلوق الوحيد الذى يتفلسف ، « لأنه الحيوان الوحيد الذى يعـانى القلق والجزع والهم والانشغال والسأم والخوف من الموت »(٤) .

والفلسفة تقوم أولا : بالعملية النقدية ، بمعنى أنه اذا كان العالم يجرب ثم يقدم نتائج تجربته للمجتمع ، ومنهم الفلاسفة ، فان الفيلسوف يقوم بنقد المسلمات التى قام عليها التجريب ، ويوجه الانتباه الى ما فيها من قوة وضعف ، بناء على ما لديه من الاطار العام للفلسفة . والى جانب هذا فانها تقوم بفحص وتوضيح العلاقات المختلفة التى توجد بين العلوم بعضها البعض من ناحية ، وبين العلوم وغيرها من ميادين الخبرة البشرية من ناحية أخرى ، بمعنى أنهـا تقوم بالربط بين الجزء والكل ، فى نفس الاطار الفلسفى العام ، ثم هى تقوم بدور آخر هو الدور التأملى الذى يرتبط ارتباطا وثيقا بالخبرة ، بحيث يمكنه أن يتصور بناء جديدا لهـذه الخبرة فى أحسن صورة لهـا ، فدور الفلسفة ووظيفتها نقـدية تحليلية تأملية »(٥) .

فالفلسفة اذن هى مجمـوعة الأفكار المترابطة فى صـورة مذاهب فكرية ، « تتسق فى بحثهـا عن الحقيقة الكونية ، وظواهرها الطبيعيـة

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٢ .

(٢) د. زكريا ابراهيم : مشـكلة الفلسفة — رقم (٤) من (مشكلات فلسفية) — مكتبة مصر — القاهرة — ١٩٧١ ، ص ٨٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٩٧ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٩٩ .

(٥) د. محمد لبيب النجيحى : مقدمة فى فلسفة التربية — الطبعـة الثانية — مكتبة الانجلو المصرية — القاهرة — ١٩٦٦ ، ص ٣٠ .

والبشرية »،وقد تعرف بأنها « وجهة نظر شخصية موحدة ، تقوم بتوجيه سلوك الفرد وتفكيره ، وذلك أن تصوراته الفكرية حين تترابط وتتسق مع بعضها مكونة مذهبه الفلسفي ، فان مذهبه هذا يوجه سلوكه وتصرفاته ، ويبنى عليه أحكامه ، أى أن ما عرفه من معلومات ومعارف وخبرات مختلفة يكون أساسا ومنطلقا فلسفيا يتعرف فيه على حياته ، ويترجم به مظاهرها لنفسه ويتكيف على أساسه مع ما تفرضه عليه الحياة من مستلزمات»(١) •وكلا التعريفين مطلوب ، لأن الانسان تحدده مجموعة من الأحكام والمعايير والقيم التى تحكم تصوراته ، وذلك نابع من الأفكار المختلفة التى تترابط فى نسق فكرى ، وبالتالى تضبط سلوكه فى ضوء ظروف المجتمع الذى ينشأ فيه ، والتغيرات الحادثة فيه •

ثانيا : فلسفة التربية وعلاقتها بالفلسفة :

التربية علم فنى تطبيقى ، له أصوله وفلسفته التى يستند اليها ، وله أهدافه ومناهجه فى سبيل الوصول الى تلك الأهداف ، وله موضوعاته التى تتأثر كثيرا بالمفهوم السائد لطبيعة فلسفة التربية ، سواء كانت دراسة لآراء الفلسفة التقليدية فيما يتصل بالتربية ، أم مجموعة المبادىء التربوية التى يمكن للمعلم أن يسترشد بها فى الممارسات المهنية ، أم كانت بحثا عن أرض مشتركة بين التربية والفلسفة ، أم كانت دراسة لمشكلات التربية تكون فيها المشكلة التربوية محورا تجمع له من محاولات العلم والمعرفة ، وتقدم من قضايا الفلسفة ما يساعد على الدراسة بشكل فيه احاطة وعمق (٢) •

والواقع أن طبيعة هذا العلم « لا تجد معالجة للموضوع خالصة من نوع واحد ، فمن الصعب أن تجد دراسة منظمة لفلسفة التربية لا تنتظم جزئيا حول مشكلات تربوية ، أو لا تدخل فى اعتبارها الفلسفات

---

(١) منير المرسي سرحان (مرجع سابق) ، ص ٣٩ •

(٢) د. أحمد حسن عبيد : فلسفة النظام التعليمى وبنية السياسة التربوية (دراسة مقارنة) ـ الانجلو المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٧٦ ، ص ٨ •

الأخرى ، أو تاريخ الأفكار ، أو لا تقوم بتدريس بعض قواعد المنطق والأخلاق ، وكذلك نجد أن دراسة تاريخ أنماط فلسفة التربية تفترض نظرة منظمة لاختيار وتفسير المادة العلمية »[1] .

ومادام الأمر كذلك ، فان فلسفة التربية تعنى هذا كله ، ذلك أنها تحاول « فهم التربية فى مجموعها ، مفسرة اياها بواسطة مفاهيم عامة ، توجه فى تخير الأهداف التربوية وتخير أساليبها »[2] . ومن هنا ، فان الفكر التربوى « فلسفة قبل أن يكون أى شئ آخر ، فيجب أن يلقى ضوءا على مفهوم الانسان فى علاقاته مع العالم المادى والحياة المجتمعية ، وبما أن هذا المفهوم انضباط فلسفى فى أساسه فهو يؤلف فى قسطه الكبير صعيد التربية الوحيد ، ويبقى فى الغالب منفصلا عن الحقيقة المدرسية التى مع انفصاله عنها ، يجب أن يستخلص منها الأساس من أهداف مشاغله حاملا الى تلك الحقيقة وسائل تكاملها »[3] .

وعلى ذلك ، فانه يمكن تعريف فلسفة التربية بأنها : (النشاط الفكرى المنظم الذى يتخذ الفلسفة وسيلة لتنظيم العملية التربوية وتنسيقها وتوضيح القيم والأهداف التى ترنو الى تحقيقها فى سبيل ضبط العملية التربوية) .

وبناء على ذلك ، فان فلسفة التربية تلتقى مع الفلسفة فى كثير من أدوارها ووظائفها ، ففلسفة التربية تعمل على « نقد العملية التربوية وتعديلها ، والعمل على اتساقها وتوضيحها ، حتى تتلاءم هذه الخبرة الانسانية مع الحياة المعاصرة ، وفلسفة التربية تتضمن البحث عن مفاهيم تواجه الانسان بين المظاهر المختلفة للعملية التربوية فى خطة متكاملة

---

(١) فيليب فينكس (مرجع سابق) ، ص ٤٥ .

(٢) سهام عبد اللطيف : القيم التربوية فى الحديث النبوى كما جاء فى البخارى - رسالة ماجستير غير منشورة - المكتبة المركزية - جامعة عين شمس ، ص ٢ .

(٣) غاستون ميالاريه (مرجع سابق) ، ص ١٥ .

شاملة ، وتتضمن توضيح المعانى التى تقوم عليهـا التعبيرات التربوية ، وتعرض الفروض الأساسية التى تعتمد عليها المفـاهيم التربوية وتنمى علاقة التربية بغيرها من ميادين الاهتمام الانسانى»(١) . فالعلاقة بين الفلسفة وفاسفة التربية « وثيقة جدا ، حتى ليمكن القول بأنهما مظهران مختلفان لشىء واحد ، أحـدهما يمثل فلسفة الحياة ، والآخر يمثل طريقة تنفيذ تلك الفلسفة فى شئون الانسان »(٢) .

وفلسفة التربية ـ اذن ـ تحـاول الوصول الى اطار عام يحكم الانسان وعلاقاته المختلفة ، ويجيب على تساؤلاته المختلفة بشأن التربية ، وهى بهذا تضع اطارا عاما يحكم جميع مناشط التربية التى تحدث داخل هذا الاطار ، اذ تعمـل مثل هـذه التحديدات « على تنظيم المعلومات المتضاربة المتعلقة بالبحث التربوى ، والعلوم الانسانية ، ثم تقوم بتفسير هـذه المعلومات »(٣) .

أما الوظائف الأخرى لهـا فهى اما أن تكون تحليلية أو ارشـادية توجيهية ، وتقوم الفلسفة التربوية فى الجانب الارشادى على « تحديد الغايات التى يجب أن تستهدفهـا التربية ، ثم على تعيين الوسائل التى يمكن أن توصل الى الغايات المحددة ، ولا يمكن تحديد أهداف للتربية ولا رسم وسائل للوصول اليها الا من خلال معايير تحـددها فلسـفة التربية » أما الجانب النقدى « فيقوم بتحليل ونقد النظريات التأمليـة والارشادية ، كما يقوم بتحليل النظريات التى تتصل بالتربية من النواحى الأخرى للمعرفة ، وتجتهد فى توضيح المصطلحات التربوية التى شاعت وكثرت مثل الحرية والاهتمام والخبرة ، وكثير غيرها من المصطلحات»(٤) .

---

(١) محمد لبيب النجيحى : مقدمة فى فلسفة التربية (مرجع سابق) ، ص ٣١ .

(٢) د. صالح عبد العزيز : تطور النظرية التربوية ـ طبعة ثانيـة ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٤ ، ص ١٧ .

(٣) سهام عبد اللطيف (مرجع سابق) ، ص ٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢ .

ومعنى هذا أن فلسفة التربية تتناول قضايا الحياة التى تتأثر بها التربية ، والمتغيرات التى تحدث فى المجتمع ، وترسم لها فى التربية تغييرا بقدر ما يحدث من تغير فى الحياة العامة ، بسبب تلك التغيرات ، بحيث لا يكون هناك انفصام بين قضايا الحياة وقضايا التربية ، بل يكون هناك تكامل وتناسق وانسجام ، بين جميع مكونات المجتمع .

ففلسفة التربية تعنى « النشاط الذى يقوم به جماعة من المربين والفلاسفة ، وغيرهم لابراز هذه العلاقة بين الفلسفة والتربية ، ولتوضيح العملية التربوية وتنسيقها ونقدها وتعديلها فى ضوء مشكلات الثقافة وصراعاتها التى تبلورها الفلسفة »(١) . ومن خلال هذا النشاط تتضح حاجة هذه الجماعة الى النقد والتعديل والتحليل والتأمل ، حيث تبنى النظرية التربوية ، وتعدل فى النظام التربوى ، وهى بهذا تحتاج الى مناهج ومعارف العلوم الأخرى سواء منها ما كان تطبيقيا تجريبيا أو اجتماعيا انسانيا ، حتى يتسنى لها بناء النظرية التربوية على أساس فلسفى سليم واجتماعى كامل شامل ، وبناء على ذلك ، يمكن تلخيص اهتمامات فلسفة التربية ودورها ، فيما يلى (٢) :

١ - تحديد معالم النظرية التربوية عن طريق تحديد أهداف التربية .

٢ - دراسة ناقدة للنظريات التربوية والنظريات ودراسات العلوم الأخرى التى تؤثر أو يمكن أن تؤثر فى الفكر والسلوك التربوى .

٣ - دراسة ومناقشة الوسائل والحلول التى تقدم للتغلب على مشكلات التربية .

---

(١) د. صادق سمعان (مرجع سابق) ، ص ١٣٦ .

(٢) د. صادق سمعان : (مرجع سابق) ، ص ١٤٣ وما بعدها وانظر :

د. محمد الهادى عفيفى : فى أصول التربية (الاصول الفلسفية للتربية) - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٧٦ ، ص ١١ - ١٣ .

٤ — دراسة المواقف الفلسفية المختلفة ذات المغزى التربوى •

٥ — تحليل العبارات والمصطلحات والمفاهيم الشائعة فى الميدان التربوى •

ففلسفة التربية « توجه نظريات التربية وتطبيقاتها ، بثلاثة طرق رئيسية هى :

— تنظيم لتلك الميادين والتخصصات المختلفة المتصلة بالتربية بما فى ذلك النتائج المنظورة فى ميدان التربية ذاتها ، على أن يكون هذا التنظيم فى اطار نظرة شاملة عن الانسان وعن التربية التى تعده وتنميه •

— فحص واستنباط أهداف العملية التربوية ووسائلها عن طريق دراسة الأوضاع الاجتماعية والثقافية والسياسية بما فيها من صراعات وتناقضات وتطورات ، حيث أنه لا يمكن فصل التربية عن هذا كله ، فأهدافها ومشكلاتها ووسائلها ومقوماتها ومستقبلها يتأثر بهذه الأوضاع ، كما أنها قوة تأثير فيها •

— توضيح المفاهيم التربوية الأساسية والتنسيق بينها ، وايجاد أنماط فكرية تحقق الاتساق والانسجام فى عمليات التطور الاجتماعى »(١) •

ثالثا : فلسفة المجتمع وأثرها فى فلسفة التربية :

فلسفة التربية هى « النظرية التربوية التى تنبثق من النظريات والأفكار والفلسفة ، التى تظهر فى حضارة معينة »(٢) ، ذلك أن التربية عملية اجتماعية وهى أداة المجتمع فى تشكيل الأفراد ، ولا يرجع هذا

---

(١) د. محمد الهادى عفيفى : الأصول الفلسفية للتربية (المرجع السابق) ، ص ١٩ .

(٢) د. حامد عمار : بعض مفاهيم علم الاجتماع ، ط٢ — دار المعرفة — القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ٣٦ .

الى «أن الأفراد الانسانيين يشكلون بيئة مناسبة تقدم الحماية والاستمتاع والتعليم فحسب ، ولكن لأن هؤلاء الأفراد يلعبون أيضا دورا أكثر أهمية ، وهو أن وجودهم ضرورى للعلاقات التى يكونها الفرد النامى معهم ، اذ هى المكونات الواقعية لذاته ، فالفرد ليس كيانا مكتفيا بذاته له علاقته بالأفراد الآخرين ، ولكن العلاقات تدخل فى ذات وجوده ، وفى جوهر شخصيته ، فالذات ليست شيئا فى عزلة ، ولكنها دائما وبالضرورة ذات فى علاقة »(١) بل ان المدرسة وجميع المؤسسات التربوية هى « حصيلة المجتمع ، وأحد عوامل التطور المجتمعى »(٢) .

ومعنى هذا « أن التربية تعمل بالضرورة فى ضوء نظام اجتماعى معين يميزه أفراده من بين نظم اجتماعية أخرى لتحقيق أهداف معينة»(٣) حيث أن انتساب الأفراد لهذا المجتمع يعنى أنهم « يرون العالم وما فيه من أشياء على نحو ما تراه الجماعة »،بمعنى أنهم يستخدمون فى ادراكه « نفس المعانى أو الدلالات التى تستخدمها تلك الجماعة فى ادراكه »(٤) ومن ثم فان أية فلسفة تربوية « تعبر عن وجهة نظر اجتماعية ، لأنها تعنى اختيار نمط معين فى الأنظمة الاجتماعية والخلق والخبرة »(٥) فمحور الدراسة فى فلسفة التربية هو المجتمع ، ومنه تشتق أهدافها ، وفيه تعمل، اذ « لا قيمة كبيرة للنظر الفلسفى الا اذا اقترن ببعض ديناميكيات العمل التطبيقى ، فكما أن كل عمل بلا فلسفة هو تخبط أعمى ، فان كل فلسفة بلا تطبيق،هى سفسطة فارغة»(٦).وتستحيل هذه الفلسفة الى خير،

---

(١) فيليب فينكس (مرجع سابق) ، ص ٣ .

(٢) غاستون ميالاريه (مرجع سابق) ، ص ٣١ .

(٣) د. محمد الهادى عفيفى : التربية والتغير الثقافى ــ ط ٣ ــ الأنجلو المصرية ــ ١٩٦٧ ، ص ٢١١ .

(4) Karl Manheim : Ideology and Utopia, London, 1936. p.19.

(٥) د. محمد الهادى عفيفى (مرجع سابق) ، ص ٢١٠ .

(٦) د. أبو الفتوح رضوان : « المعلم قيادة فكرية » ــ **الكتاب السنوى فى التربية وعلم النفس** ــ بأقلام نخبة من أساتذة التربية وعلم النفس ــ دار الثقافة للطباعة والنشر ــ القاهرة ــ ١٩٧٤ ، ص ٣٠ .

اذا التحمت بالمجتمع ، فلابد اذن أن تترجم فلسفة التربية الى واقع اجتماعي ، ولا يقتصر دورها على مجرد الكلام فقط .

وتعنى كلمة مجتمع « مجموعة من الأفراد يعيشون فى منطقة متصلة الأجزاء ، ويشتركون فى تقاليد ونظم اجتماعية معينة وتكون لهم أهداف ومصالح مشتركة تجعلهم يقومون بألوان مختلفة من التفكير والسلوك الذى يغلب عليه الطابع التعاونى »(١).والمجتمع له حاضره الذى يعيشه، والذى يعبر عن ماضى ويعد لمستقبل هذا المجتمع والذى يعبر عن تطلعاته وآماله والتى تؤثر تأثيرا بالغا فى تربية الأفراد . أما فلسفة المجتمع(٢) ، فهى ذلك التصور الاجتماعي للمعايير التى تحكم المجتمع فى علاقاته المختلفة والتى على أساسها تتشكل الأنظمة الداخلية فى المجتمع،وينعكس أثرها على فلسفة التربية حيث تعتبر الناحية التطبيقية لفلسفة المجتمع .

ويختلف هذا التصور أو تلك الفلسفة من مجتمع لآخر ، وعلى هذا الأساس تختلف فلسفة التربية من مجتمع لآخر،حيث نجد نماذج مختلفة واضحة لتأثير فلسفة المجتمع فى فلسفة التربية ، التى تختلف باختلاف الحياة أيضا ، ونرى ذلك « واضحا فى اختلافها بين الشرق الشيوعى والغرب الرأسمالى وبلاد العالم الثالث ، بل فى داخل كل بلد »(٣) .

ولذا فانه من المهم دراسة المجتمع فى تاريخه الماضى « وقوفا على تربته الأصيلة ، وامتدادا به الى مستقبله ، وصولا الى أهدافه وتطلعاته ، وانتشارا منه الى خارج حدوده ، سعيا الى معرفة النسائم الفكرية التى

---

(١) د. محمد خليفة بركات : المدرسة والمجتمع ، اسس التربية فى الوطن العربى — المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم لاجتماعية بـ ج.ع.م. — لجنة التربية وعلم النفس — الحلقة الدراسية الأولى — القاهرة — ١٩٦١ ، ص ٢٧٧ .

(٢) ارجع الى ص ٥٢ — ٥٤ من الرسالة .

(٣) د. محمد فاضل الجمالى : نحو توحيد الفكر التربوى فى العالم الاسلامى — الدار التونسية للنشر — تونس — ١٩٧٢ ، ص ٦٩ .

تؤثر فيه ، وتعمقا منه الى داخله ، وقوفا على مصادر القوى ، ومصادر الضعف فيه ، وما وهبه الله من خيرات طبيعية ، وما صنعه أبناؤه على أرضه من نظم ومنشآت ، وارتفاعا الى أعلى ، ليرى كل شيء من حوله ، ويكيف نفسه وفق ما يراه ، انطلاقا الى غده الذى يرجوه ، ففاعلية برامج التعليم التى تراها فلسفة التربية لا تأتى من تلقاء نفسها ولا تفرض عليه بقوانين خارجة عن طبيعته الاجتماعية ، وعن ظروف الزمان والمكان الذى يعيش فيه هذا التعليم ، وانما هى فهم الأصول التى يقوم عليها ، والتى بها يستطيع أن يكون قوة بالفعل ، فى عمليات التغيير »(١) .

ومعنى هذا أن فيلسوف التربيــة يجب أن يكون على دراية تامة بالفلسفة الاجتماعية ، وبثقافة المجتمع حيث تساعده فى صياغة الفلســفة التربوية ، وفيلسوف التربية الاسلامية يجب أن يستمدها من منـابعها الأصلية بحيث تكون هــذه الفلسفة التربوية الاســلامية مستقلة تمام الاستقلال فى أصولها عن أى فلسفة أخرى ، بحيث تؤدى دورها كما ينبغى فى المجتمع العربى الإسلامى المعاصر الذى يسعى الى التقــدم والحضارة والرقى .

وهكذا يمكن أن نلخص هذا الفصل فيما يلى :

١ ـ أن التربية عملية اجتماعية وهى تعنى النمو ، وتبدأ من قبـل ميلاد الانسان وتستمر طوال حياته ، وأن الذى يقوم بوظيفة التربية هو المجتمع الذى تحكمه علاقات وأحكام معينة لطبيعة الكون والانســان والمجتمع ، وهــذه العلاقات والأحكام هى ما تسمى بفلســفة المجتمع ، الذى تتم على أساسها التربية ونمو الأفراد .

٢ ـ واذا كانت التربية علما فنيا تطبيقيا ، فان معنى هذا أن لهـا فلسفتها ، وفى سبيل تعريف فلسفة التربية عرفت الفلسفة التى هى عبارة

---

(١) د. محمد الهادى عفيفى : فى أصول التربية (الأصول الثقافية للتربية) ـ الانجلو المصرية ـ ١٩٧٤ ، ص ٤ ، ٥ .

عن مجموعة الأفكار المترابطة ، فى صورة مذاهب فكرية ، تتسق فى بحثها عن الحقيقة الكونية ، وظواهرها الطبيعية والبشرية ، أما مجـالاتها فهى فلسفة الوجود ، وفلسفة المعرفة ، وفلسفة القيم ، أما وظيفتها فتتلخص فى النقد والتحليل والتأمل .

٣ ـ أن فلسفة التربية هى (ذلك النشاط الفكرى المنظم الذى يتخذ من المنهج الفلسفى فى البحث وسيلة للعملية التربوية وتنسيقها وانسجامها، وتوضيح القيم والأهداف التى تبغى تحقيقها) ومن أهم وظائفها ، وضع اطار فلسفى للعملية التربوية ومن ثم فان وظائفها هى نفس وظائف الفلسفة ، من تأمل وتحليل ونقض ، فى سبيل التوصل الى الاطار الفلسفى وتوجيه النظرية التربوية ، وتحليل العبـارات والمصطلحات الشائعة فى الميـدان التربوى ومناقشة الوسائل والحلول التى تقدم لمشكلات التربيه .

٤ ـ أن علاقة التربية بفلسفة المجتمع واضحة ، حيث تؤثر الأخيرة فى الأولى تأثيرا بالغا، حيث لكل مجتمع فلسفة، يجب أن تنعكس على مناهج التربية وأدواتها ، لتحقيق أهداف المجتمع المطلوبة من التربية ، حيث أن هذا المجتمع حصيلة ثقافة لها أهدافها ، ولها وسائلها لتحقيق وبلوغ تلك الأهداف .

٥ ـ أن لكل مجتمع فلسفته التربوية ، ولابد من صياغة فلسـفية جديدة لتربية المجتمع الاسلامى تعتمد فى أساسها على المنابع الأصـلية المتمثلة فى القرآن الكريم والسنة المطهرة .

الفصل الثانى

فلسفة الحياة كما يحددها القرآن الكريم

- تمهيـد .
- جوانب فلسفة الحياة فى القرآن الكريم .
- الله .
- الكون .
- الانســان .
- المجتمع الاسلامى .
- المجتمع الدولى .
- الحياة الآخرة .
- خاتمة : اهداف القرآن من تحديده لهذه الجوانب .

تمهيــــد :

تعتبر فلسفة التربية انعكاسا لفلسفة المجتمع (١) وما تشتمل عليه من تحديد للعلاقات المختلفة للانسان فى حياته ، ومن ثم تستمد فلسفة التربية من اطار فلسفة المجتمع ، وفلسفة مجتمعاتنا الاسلامية يجب أن تســتمد من منابعها الرئيســية وهى القرآن والســنة ــ أساسا ــ ولذا فانه من الضرورى أن تعتمد فلسفة التربية على القرآن ، منبع فلســفة الحياة فى هذه المجتمعات ، ذلك أنه اذا كنا بصــدد البحث عن فلســفة التربية فى القرآن ، فان هذا الجانب أو هذا النظام الفرعى ينبع أساسا من نظــام كلى ، وبمعنى آخر ينبع من فلســفة عامة تفسر الجوانب المختلفــة من الحياة ، ولذا فانه لابد من الوقوف على هذه الفلسفة أولا ، حتى يتسنى لنا تحديد الجانب التربوى لها ، وذلك لأن دراسة أى اتجاه فى موضوع معين يتطلب معرفة الفلسفة التى ينتمى اليها ، والتى تحدد طبيعته ســواء كان هذا الاتجاه خاصا بالتقييم أو التنظيم أو التفسير أو العرض(٢) .

وتحديد جوانب هذه الفلسفة مسألة ضرورية لأسباب :

أولا : أنه لابد لأى باحث فى الاسلام من تصور شامل وتفسير كامل للوجود ، اذ هو جزء منه ، فلابد أن يحدد بدقة طبيعة الحقائق الكبرى التى يتعامل معها ، وطبيعة العلاقات والارتباطات بين هذه الحقائق .

ثانيا : أنه لابد له من معرفة حقيقة مركز الانسان فى هذا الوجود ، وطبيعة العلاقات التى تربط بينه وبين اخوانه من المسلمين وبين الناس على وجه العموم ، ثم غاية الوجود كله ، ومنه وجوده ذاته .

ثالثا : أنه بناء على التفســير الشــامل ، وعلى معرفة حقيقة مركز الانسان فى الوجود الكونى ، وغاية الوجود الانســانى ، يتحدد منهج

(١) أنظر الفصل السابق من الرسالة ــ ص ٦١ ، ٦٢ .

(٢) مقداد يالجن : الاتجاه الأخلاقى فى الاسلام ، دراسة مقارنة ، ط ١ ــ مكتبة الخانجى ــ مصر ــ ١٣٩٢ هـ ــ ١٩٧٢ م ، ص ١٥ .

الحياة الانسانية (١) ، وبالتالى تتحدد النظم الفرعية الأخرى من اقتصاد واجتماع وسياسة وتربية وغيرها .

رابعا — أن هــذا التصور أو تلك الفلســفة أو تلك الحكمة أو الأيديولوجيا ، حين يدرك الانسان أنها ليست من وضع البشر ، الذى يتعرض للخطأ والصواب ، وانما هى من وضع اله حكيم ، فانهــا تجعل من حياة ذلك الانسان نمطا معينا مميزا منفردا،واذا التزم الانسان بها ، حمى نفسه من أوهام البشر ، وليس معنى هذا أنها الزام مطلق بل انهــا قابلة للتعقل والتــأمل .

ترى هل قــدم القرآن فلسفة معينة للحياة ، تعتمد عليهــا فلسفة التربية الاسلاميــة ؟

ان هــذا السؤال وغيره كثير ، مما يحتــاج الى اجابات واضحة ومحددة ، وهذا ما سنحاوله فى هذا الفصل ان شاء الله .

---

(١) سيد قطب : خصائص التصــور الاســلامى ومقوماته — دار الشروق — بيروت — د.ت — ص ٥ .

جوانب فلسفة الحياة فى القرآن

اذا كانت الفلسفة عبارة عن مجموعة الأفكار فى صورة مذاهب فكرية تتسق فى بحثها عن الحقيقة الكونية وظواهرها الطبيعية والبشرية(١)، واذا كان الدين هو « مجموع تعاليم يريد بها شارعها أن تصير عادة وخلقا لطائفة من الناس ، لتبعث فيهم الفضائل والاحسان ، لأنفسهم وللناس » ، وحيث أن الأديان السماوية ، هي تلك الأديان « التى تلقاها البشر واردة اليهم من جانب الله تعالى بطريق الوحي » — فان الدين يكون لفظا أطلق على « شيء متلقى من جانب الحق تعالى »(٢) .

واذا كان القرآن الكريم هو كتاب الدين الاسلامى ، وهو الوحى المنزل من عند الله ، فانه بناء على ما سبق — لا يكون كتابا أو « عملا فلسفيا ، بمعنى أنه ليس ثمرة فلسفة»،«وهو لا يستخدم طرق الاكتساب الفلسفى،بالاضافة الى أنه لا يتبع كذلك طرق التعليم التى يتبعها الفلاسفة، وهي طرائق المنهج العقلى ، التى تقوم على التعريف والتقسيم والبرهنة والاعتراضات والاجابات ، وهى كلها متلاحمة دون جدال ، ولكنها لاتؤثر الا على جانب واحد من النفس ، هو الجانب العقلى ، على حين أن للقرآن منهجه الذى يتوجه الى النفس بأكملها ، فهو يقدم اليها غذاء كاملا ، يستمد منه العقل والقلب ، كلاهما ، نصيبا متساويا » (٣) واذا كان هذا الاختلاف ينصب حول المصادر والمناهج ، فان الأمر يختلف تماما فى الموضوعات والأهداف ، اذ نراهما متحدين تقريبا ، فالهدف الأسمى للفلسفة ، وكذلك الدين هو « حل مشكلة الوجود ، أصله ومصيره ،

---

(١) انظر الفصل السابق ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٢) فضيلة العلامة سماحة الأستاذ الامام محمد الطاهر ابن عاشور : أصول النظام الاجتماعى فى الاسلام — الشركة التونسية للتوزيع والنشر — تونس — ١٩٧٦ ، ص ٨ .

(٣) د. محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق فى القرآن — دراسة مقارنة للأخلاق النظرية فى القرآن — تعريب وتحقيق وتعليق د. عبد الصبور شاهين — مراجعة د. السيد محمد بدوى — مؤسسة الرسالة — ط ١ — ١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣ م ، ص ١٤ .

وتحديد الطريقة الحكيمة والمثلى للسلوك ، ولتحصيل السعادة »[1] .
ولذا فان القرآن — كتاب الاسلام — يمد الفلسفة بمادة غزيرة في الموضوعات [2] .

ويقدم القرآن عقيدة دينية واضحة ، وهذه العقيدة هي فلسفة الحياة بالنسبة للمسلمين حيث أن «العقيدة الدينية هي فلسفة الحياة بالنسبة الى الأمم التي تدين بها وأنها لا تعارض الفلسفة في جوهرها « خاصة » وأن الفلسفة تصلح للاعتقاد ، كما تصلح العقيدة للفلسفة »[3] . والقرآن « مشتمل على جميع العناصر الأساسية للفلسفة الدينية : أصل الانسان ومصيره وأصل العالم ومصيره ، ومبادىء السبب والغاية وأفكار عن النفس ، وعن الله ... » الخ[4] . وهكذا يقدم القرآن فلسفة للحياة ، تتناول حياة الانسان في جميع مراحلها ، وتجيب على تساؤلاته المختلفة في اطار متكامل، يحدد مناشط الانسان في حياته ، وهو في ذلك «لا يكتفي دائما أن يذكر بهما العقل ، ويثير أمرهما باستمرار أمام التفكير والتأمل ، وانما يتولى هو بنفسه التدليل على ما يقدم ، ويتولى تسويغه ، وفضلا عن ذلك ، فان طبيعة إستدلالاته والطريقة التي يسوق بها الدليل ، قد اختيرت كلتاهما على وجه يفحم أعظم الفلاسفة دقة ، وأشد المناطقة صرامة ، في الوقت الذي تلبى فيه أكثر المطالب واقعية كما تروق أرقى الأذواق الشعرية وأرقها — وأبسط المدارك وأقلها »[5] .

ومن ثم يمكن القول بأن في القرآن آيات كثيرة يمكن أن « يستخرج منها المسلم فلسفة قرآنية ، لا تحول بينه وبين البحث في غرض من أغراض

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٥ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٦ .
(٣) عباس محمود العقاد : الفلسفة القرآنية — دار الاسلام — القاهرة — ١٩٧٣ ، ص ٧ .
(٤) د . محمد عبد الله دراز (المرجع الأسبق) ، ص ١٥ .
(٥) المرجع السابق ، ص ١٥ .

الفكر والضمير (١) .

وسيحاول الباحث هنا توضيح جوانب الفلسفة القرآنية ، بادئا بالأساس الأول لكل الجوانب ، وهو أساس فلسفة الحياة كلها كعقيدة وكدين ، الله - ثم الكون ، ثم الانسان ، ثم المجتمع المسلم ، ثم المجتمع الدولي ، ثم اليوم الآخر .

---

(١) عباس محمود العقاد : الفلسفة القرآنية - المجلد السابع من المجموعة الكاملة لمؤلفات الأستاذ العقاد - دار الكتاب اللبناني - بيروت ١٩٧٤ ، ص ١٣ .

أولا : الله

الايمان بالله هو أساس كل ما عداه ، ولذا نجده مذكورا فى القرآن فى آيات تزيد على ٧٦٣ آية ، كما حصرها الامام الغزالى ، فى كتابه جواهر القرآن ، فلا تكاد تخلو سورة من السور من اسم الله ، بل يتكرر ذكره — أكثر من مرة فى السورة الواحدة — وما ذلك الا لأن الانسان يجىء الى هذه الدنيا ، « وعنده احساس عميق يظل يلازمه طيلة حياته ، بأن هناك (قوة عليا) تسيطر عليه وتدفع به وبحياته وبحياة مجتمعه — رغما عنه — الى حيث تريد هى ، لا الى حيث يريد هو »(١) . ومن خلال آيات القرآن نلحظ أنها قد سمت « بالذات العليا بصورة لم تسم بها عقيدة من قبل ذلك ، وبصورة أقصى ما يتصور العقل البشرى من الكمال » (٢) .

والكلمة الجامعة للعقيدة الاسلامية هى (لا اله الا الله محمد رسول الله) وبها يتحقق شرط الاسلام وهى تثبت الألوهية والتوحيد المطلق لله ، ومعنى الألوهية هو « استحقاقه للعبادة وحده » (٣) وهى أيضا تثبت النبوة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، ومعناها : اثبات صدق الرسالة له ، ومن ثم لجميع الأنبياء والرسل ممن ذكروا فى القرآن ، وسوف نبحث هنا قضية الألوهية ، كما وردت فى القرآن ، على أساس اليقينيات ، مما هو صريح ، أو بمعنى أصح « ما لا يسع مسلما أن يجهله »(٤) — أما ما يحتاج الى تأويل ، فهو متروك للتخصص .

---

(١) د. عبد الغنى عبود : العقيدة الاسلامية والايديولوجيات المعاصرة — الكتاب الأول من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) — طبعة أولى — دار الفكر العربى — القاهرة — ١٩٧٦ ، ص ٢٥ .

(٢) حامد عوض الله : الألوهية وفكر العصر (أهناك اله) — المركز الثقافى الجامعى — رقم (١) من (سلسلة الدراسات العلمية) — القاهرة — ١٩٧٧ ، ص ٤١ .

(٣) محمد أبو زهرة : العقيدة الاسلامية كما جاء بها القرآن — المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الاسلامية — الأزهر — ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م ، ص ٢٣ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٧ .

١ - ذات الله وصفاته (وحدانية الذات) :

نصت آيات القرآن على « ماوضعه سبحانه من أسماء وصفات تمثل ذاته ، وقدرته وحكمته وكل ما يليق به، وكان منها ، الواحد ، الأحد ، الصمد ، القدوس ، الحى ، القيوم ، الغنى ، الأول ، الآخر، ومنها الخالق، البارىء، المصور، البديع، القادر، الولى، الحافظ، ومنها ، رب ، رحمان، رحيم، رؤوف، ودود ، لطيف ، حليم ، رزاق ، وهاب»(١)، وهو بذلك يؤكد سمة رئيسية تمتاز بها العقيدة الاسلامية وهى الوحدانية ، كما يؤكد هذه الصفة تأكيدا « كتوكيده لوجود الله ، بل هو أشد وألزم فى عقيدة الاسلام ، لأن الايمان بالله الأوحد ألزم من الايمان بالعقيدة الالهية على اطلاقها ، اذ كان الايمان بأكثر من اله واحد مفسدا لفهم الكون ، ومفسدا لفهم الضمير ومفسدا لفهم الواجبات الأدبية ، والفرائض الدينية ، ومفسدا لعلم الانسان بحقيقة الانسان »(٢)، فالله واحد ، وقد أثبت له القرآن صفات « تصور الله غنيا بنفسه ، أبديا واسع القدرة والمعرفة ، محيطا بكل شىء ، وأنه الحق وحده »(٣)، فهو منفرد فى كل خصائصه ، « وقد دلت أسماؤه التى عبر بها عن نفسه فى كتابه ، على سمو ذاته ، وتعاليه عن خلقه ، وعلى كمال جماله ، المماثل فى رحمته وفضله ... والاسم الجامع لكمال الألوهية هو الاسم المعروف عند المسلمين بلفظ الجلالة ، وهو كلمة الله »(٤) :

« ليس كمثله شىء، وهو السميع البصير»(٥) - «هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحان الله عما يشركون ، هو الله الخالق البارىء المصور ، له الأسماء

(١) الامام الاكبر محمود شلتوت : الاسلام عقيدة وشريعة - دار الشروق - بيروت - طبعة تاسعة - ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م ، ص ٢٥ .

(٢) عباس محمود العقاد : الفلسفة القرآنية (مرجع سابق) ، ص ١١٥ .

(٣) د. محمد البهى : الجانب الالهى من التفكير الاسلامى - دار الكاتب العربى للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٤٠ .

(٤) الامام الاكبر محمود شلتوت (مرجع سابق) ، ص ٢٥ .

(٥) الشورى : ١١ .

الحسنى ، يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » [١] — « هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شىء عليم » [٢] — « قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » [٣] . وهناك الكثير من الصفات التى نصت عليها الآيات ، غير هذه الصفات [٤] .

فالله فى القرآن « واجب الوجود لذاته ، وهو قد أحاط بكل شىء علما ، وهو يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ويعلم ما تكسب كل نفس ، ويعلم ما كان وما يكون جملة وتفصيلا ، وهو لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء » [٥] . وجملة الأمر أن الله واحد ، وفى اثبات القرآن لهذه الوحدانية، نفى الشريك عنه ، وأثبت الوحدانية له « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » [٦] — « الله لا اله الا هو الحى القيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما فى السموات وما فى الأرض ، من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والأرض ، ولا يؤوده حفظهما ، وهو العلى العظيم » [٧] .

وقد تميزت هذه الآية « بكونها أعظم آية فى القرآن ، لما جمعت من أصول الأسماء والصفات الالهية والوحدانية والحياة والعلم والقيومية والملك والقدرة والارادة» [٨] . فالله واحد ، وهو حى، « فلم يزل موجودا ،

---

(١) الحشر : ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) الحديد : ٣ .

(٣) الاخلاص .

(٤) أنظر البروج : ١٤ — ١٦ ، الحديد : ٢٥ ، ٢٩ ، البقرة : ١١٥ ، ١١٧ ، ٢٢٧ ، النساء : ١٧١ ، آل عمران : ٢٩ ، ١٦٥ .

(٥) د. محمد يوسف موسى : القرآن والفلسفة — طبعة ثالثة — دار المعارف بمصر — ١٩٧١ ، ص ١٩ .

(٦) الأنبياء : ٣٢ . وانظر : المؤمنون : ٩١ ، الرعد : ١٦ ، فاطر : ١٣ — ١٤ .

(٧) البقرة : ٢٥٥ .

(٨) علاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى الصوفى (الخازن) : تفسير الخازن — الجزء الأول — مصر — د.ت. ص ٢٢٥ .

وبالحياة موصوفا ، لم تحدث له الحياة بعد موت ، ولا يعتريه الموت بعد حياة ، وسائر الأحياء يعتريهم الموت والعدم ، فكل شيء هالك الا وجهه سبحانه » وهو قيوم أى « يقوم بنفسه على كل شيء أو هو القائم على كل شيء،بمعنى أنه قائم بتدبير خلقه فى ايجادهم وأرزاقهم،وجميع ما يحتاجون اليه»(١)،« فلا يتعلق قوامه بشيء،ويتعلق به قوام كل شيء ، وذلك غاية الجلال والعظمة »(٢).وهو لا تأخذه سنة ولا نوم «وهذه صفات العبيد ، أما هو فمنزه عن تلك الصفات »(٣) ، وكل ما عــداه ملك له حيث بيده « أمر الخلائق جميعا فهى منه ، وهو المتفــرد بالملك ، والحكم والأمر ، ولا يملك أحد الشفاعة،الا بتشريفه اياه والاذن له ، وفى هذا نفى للشركة عنه فى الملك والأمر »،والأمر له وحده،فلا « علم لغير الله من ذاته،وان كان لغيره علم فمن عطائه،وهبته ، وعلى قدر ارادته ومشيئته»(٤).وعلم الانسان الذى وهبه الله اياه محدود بحدود الزمان والمكان ، وبالتالى فهو قاصر عن ادراك العلم كله ، ومن هذا أيضا عدم قدرته على ادراك ذات الله ، أو الاحاطة بها علما .

والله لا يثقله ولا يجهده ، ولا يشق عليه حفظ السموات والأرض والمخــلوقات فيهما ، وفى هذا كمال التنزيه لله تعالى ، اذ هو العلى أى «الرفيع فوق خلقه،الذى ليس فوقه شيء»(٥)،العظيم فلاشيء أعظم منه ، وهذه هى قمة الوحدانية فى الذات والصفات والأفعال،« وهذه الوحدانية الحاسمة الناصعة ، هى القاعدة التى يقوم عليها التصــور الاسلامى ، والتى ينبثق عنها منهج الاسلام للحياة كلها ، فعن هــذا التصــور ينشأ الاتجاه الى الله وحده بالعبودية والعبادة ، فلا يكون انسان عبدا الا لله ، ولا يتجه بالعبــادة الا لله و لايلتزم بطــاعة الا طاعة الله وما يأمره به من

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٢٦ .
(٢) الامام الغزالى : جواهر القرآن ـ القاهرة ـ ١٩٦٤ ، ص ٤٥ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٤٥ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٤٦ .
(٥) تفسير الخازن (مرجع سابق) ص ٢٢٨ .

الطاعات »(1) .

فالقرآن يخرج لنا صورة الله سبحانه ، على أنه واحد ، ليس كمثله شيء ، وليس له جسم ولا شبح ولا صورة له ، وليس له جثة،ولا يوصف بصفات الخلق الحادث،لا تلحقه المسرات ولا اللذات ولا ولد له ولا شريك ولا صاحبة ، انما هو « خالق واحد أحد لا أول له ولا آخر ، قدير على كل شيء ، وليس كمثله شيء »(2) .

٢ ــ صلة الله بالخلق « وحدانية الخالق والتكوين » :

من صفات الله تعالى الارادة،والخلق ، وهذا معناه أنه مالك الملك ، لارادته تلبى الأشياء « فتكون سماء أو أرضا أو يكون بعوضة أو نملة ، وهذا أو ذاك سواء أمام الكلمة كن .. فيكون ، ليس هنـاك صعب ، ولا سهل ، وليس هناك قريب ولا بعيد ، فتوجه الارادة لخلق شيء كاف وحده لوجوده كائنا ما يكون »(3): « انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون »(4) . وعن هذه الارادة صدرت جميع المخلوقات « انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون»(5) ــ «بديع السموات والأرض،واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون »(6) ــ ذلكم الله ربكم خالق كل شيء،لا اله الا هو ، فأنى تؤفكون »(7) .

---

(1) سيد قطب : فى ظلال القرآن ــ المجلد الأول ، الجزء الثالث ــ الطبعةالثانية ــ دار الشروق ــ بيروت ــ ١٣٩٥ هـ ــ ١٩٧٥ م ، ص ٢٧٦ .

(2) عباس محمود العقاد : الفلسفة القرآنيـة (مرجع سابق) ، ص ١٠٤ .

(3) سيد قطب : فى ظلال القـرآن ــ مجلد ٥ (مرجع سـابق) ، ص ٢٩٧٨ .

(4) يس : آخـرها .

(5) النحـل : ٤٠ .

(6) البقرة : ١١٧ .

(7) غافر : ٦٢ . وانظر على سبيل المثال لاالحصر : النحل : ٦٠ــ٦٥ ، آل عمران : ٦ ، غافر : ٦٢ ، البروج : ١٣ ، ١٦ ، الروم : ٤٠ .

وقد شاءت الارادة الالهية لكل شيء قدرا وقدرته تقديرا « وخلق كل شيء فقدره تقديرا »(١) — « انا كل شيء خلقناه بقدر »(٢).والقدر هو « اللحظة التي قدرها الله للمخلوقات قبل خلقها ، وتلك السنن التي أجراها عليها في تبدلاتها وأطوارها ، وسائر نواحي وجودها ثم (قضى) بتنفيذها على المخلوقات»(٣).وعلى ذلك فان الفساد لا يعترى هذا العالم « الا بارادة منشئه ولا يمكن الا أن يكون المنشيء واحدا ، ذاته غير ذات خلقه ، لا يشابهه أحد من خلقه ، لأن الفساد غير محتمل الا بارادة من كون وأنشأ » ويترتب على ذلك « الا يكون أحد من خلقه له صلة به غير صلة المخلوق بالخالق ، في وجوده وحياته »(٤) : « بديع السموات والأرض ، أنى يكون له ولد ، ولم تكن له صاحبة ، وخلق كل شيء ، وهو بكل شيء عليم ، ذلكم الله ربكم خالق كل شيء فاعبدوه ، وهو على كل شيء وكيل ، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير »(٥) .

ومن هذا يتضح أن الله واحد ، كامل ، مريد ، تصدر عن ارادته جميع المخلوقات ، وهو خالق النواميس والأسباب للحياة في الأرض وفي غيرها ، ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل يمتد الى أبعد من هذا ، فهناك علاقات تربط الله بالخلق ، لا تقتصر على مجرد الايجاد والخلق ، بل هناك الربوبية ، والعناية والرعاية والرحمة ، وهي أمور ضرورية للمخلوقات التي خلقها الله .

(١) الفرقان : ٢ .
(٢) القمر : ٤٩ .
(٣) د. محمد عبد الله العربي : النظم الاسلامية (الاقتصادية والحكومية والدولية) — مطبوعات معهد الدراسات الاسلامية — جـ ٢ — القسم الأول — ص ٧٧ .
(٤) محمد ابو زهرة (مرجع سابق) ، ص ٤٤ .
(٥) الأنعام : ١٠١ — ١٠٣ .

ثانيـا : الكون

الكون « وما فيه آية من آيات الله الناطقة ، وبرهان من البراهين الساطعة التى تقول بأن هـذا الكون له مدبر يدبر أمره ، واليـه يرجع الأمر كله ، وهو على كل شىء قدير »(١)،واذا كان فى الانسان منذ وجد على الأرض ، « شـوق الى تعـرف ما فى الكون المحيط به من سنن وخصائص ، فانه كلما أمعن فى المعرفة ظهرت له عظمـة الكون أكثر من ذى قبل ، وظهر له ضعفه وتضاءل غروره »(٢) .

وقد قدم القرآن حلا لمشكلة الكون ، الا أن هناك عدة اعتبارات يجب أن تؤخذ فى الاعتبار :

أولا : « ان القرآن ليس بدائرة معارف ، ولا من مقاصده ارشاد الناس الى العلوم الكونية من باب التعليم »(٣) و « الحقائق الكونية — كغيرها من الحقائق — ترد فى القرآن الكريم بقدر ما تخدم الاطار العام للأيديولوجيا الاسلامية ، وتوضحه وتجليه ، وهى لا ترد فيه لذواتها»(٤) بل تأتى لتوضح للانسان هذه الحقائق الأساسية التى يعيش فى وسطها .

ثانيا : أن خالق هذا الكون ، هو الله ، صاحب الارادة المطلقة،فهو خلق محكم لا مجال فى خلقه ولا فى تسييره للمصادفة ولا للاحتمالات ، ولا يعلم سر هذا الكون الا الله سبحانه وتعالى وهو القادر على انهـائه وايقافه ، كل ما فى الأمر أنه سخره للانسان حتى يستطيع تأدية رسالتـه

---

(١) د. محمد محمود حجازى : الوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم— طبعة أولى — دار الكتب الحديثة — ١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠ م ، ص ١٣٤ .

(٢) د. محمد حسين هيكل : حياة محمد صلى الله عليه وسلم — مطبعة دار الكتب المصرية — ١٣٥٨ هـ — من التعريف بالكتاب ب— ص ط .

(٣) الشيخ نديم الجسر : قضـية الايمـان بين الفلسـفة والعلم والقرآن (مرجع سابق) ، ص ٣٤٣ .

(٤) د. عبد الغنى عبود: الاســلام والكون — الكتــاب الثالث من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) — دار الفكر العـربى — القـاهرة — ١٩٧٧ ، ص ٦٢ .

فى الحياة ، وهى « نشر الحق والعدل والخير »[١] ، وعن هـذا الطريق يصل « الى مرتبة رفيعة من الايمان عن طريق تلمس الغاية من الأشـياء داخل اطار الكون المـادى أو حدوده الطبيعية »[٢] .

ثالثا : أن هذا الكون ملحوظ فيه التناسق،وهو بهذا الشكل مهيىء وصالح ومساعد « لوجود الانسان أرقى نماذج الحياة بصفة خاصـة ـ فليس الكون عدوا للحياة ، ولا عدوا للانسان ، وليست الضبيعة خصما للانسان يصارعه ويغالبـه ، انما هى خلق من خلق الله ، وهى صـديق لا تختلف اتجاهاته عن اتجاه الحياة والانسان »[٣] . وما يتخيله البعض من أنه صراع ، ليس صراعا وانما هو تحد ، اذ تتحدى الطبيعة الانسان لكى يكتشف أسرار هذا الكون ، وحتى « تكون هنـاك محاولة جادة لاستخـدام العقل والارادة ، والتغلب على الغمـوض والتعقيد »[٤] ، فاستخدام العقل مطلوب لفهم واكتشاف قوى الكون واستخدامهـا ، ولا تعارض بين ما يصـل اليه العقل ، وما جاء فى القرآن ، لأن « القرآن كلام الله ، والكون خلق الله ، ومادام الذى خلق هـو الذى قال فيجب بداهة ألا تتعارض حقيقة قرآنية مع حقيقة كونية »[٥] ، يتوصل اليهـا العقل والعلم ، وعلى ضوء هذا تتشكل نقاط الدراسة كما يلى :

---

(١) د. عبـد الغنى عبـود : العقيـدة الاسـلامية والأيديولوجيات المعاصرة (مرجع سابق) ، ص ٨٢ .

(٢) د. محمد جمال الدين الفندى : الله والكون ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ ١٩٧٦ ، ص ٢٢ .

(٣) سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الاسلام ـ دار الشروق ـ بيروت ـ ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م ، ص ٢٣ .

(٤) د. عماد الدين خليل : « فى التفسير الاسلامى للتاريخ (المسـألة الحضارية) » ـ **المسلم المعاصر** ـ العددان الأول والثانى ـ بيروت ـ ربيع ثان ١٣٩٥ هـ ـ ابريل ١٩٧٥ م .

(٥) الشيخ محمـد متولى الشعراوى : القضاء والقـدر ، معجزات الرسـول ، اعجاز القـرآن ، مكانة المرأة فى الاسلام ـ طبعة ثانية ـ اعداد احمد فراج ـ دار الشروق ـ ١٩٧٥ ، ص ١١٨ .

١ ـ تعريف بالكون

الكون يشمل كل خلق الله مما « يقع عليه اسم الشيء من أجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف »(١). وهذا يعني أنه يشمل كل شيء من أحياء وجمادات ، وعوالم روحية ، وغير ذلك مما لا يعلمه الا الله ، وهذه القوى المختلفة ليست منفصلة عن بعضها ، اذ أنها أجزاء « تؤلف وحدة متكاملة مترابطة »(٢)، فالكون واحد، ولكن تتعدد أبعاده ، وتتباعد حدوده بقدر ما يتم لعلمنا اكتشافه والاحاطة به ، والايمان الحقيقي يجيء على غرار ما للكون ، وما لله من مثال لامتناه »(٣) : «أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض،وما خلق الله من شيء»(٤)ـ « يزيد فى الخلق ما يشاء »(٥) ـ « ويخلق مالا تعلمون »(٦) .

وتشمل مكونات الكون ما هو كائن أمام الانسان يدركه بحواسه، وما هو كائن غير مدرك بحواسه وهو كثير،لا يمكنه أن يدركه أو يقيسه، ولا يعيب القرآن أن يدرك العقل البشري ما هو كائن وينكر ما ليس بكائن ، اذ هو كائن بتقرير الله ، والعقل البشري يسقط « احترامه حين يدعي أنه يعلم كل شيء ، وهو لا يعلم نفسه ، ولا يدري كيف يدرك المدركات »(٧) .

ويقسم القرآن الوجود الى نوعين ، « عالم الشهادة ، وهو ذلك العالم المحسوس أو الكون المشهود أو هذه الطبيعة أو ملكوت السموات

---

(١) الامام محمود بن عمر الزمخشري : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل فى وجوه ـ جـ ٢ ـ طبعة أولى ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة ـ ١٣٥٤ هـ ، ص ١٠٦ .

(٢) د. عبد الحليم محمود : فى رحاب الكون ـ دار الاسلام ـ القاهرة ـ ١٩٧٣ ، ص ٨ .

(٣) د. أحمد عروة (مرجع سابق) ، ص ٦٠ .

(٤) الأعراف : ١٨٥ .

(٥) فاطر : ١ .

(٦) النحل : ٨ .

(٧) د. عبد الغني عبود : الاسلام والكون (مرجع سابق) ، ص ١٠٦ .

في الأرض وأداة معرفته الإجمالية والتفصيلية العقل» ، « وطريقة معرفته » التجربة « وأوانه » الحواس. « والثاني هو عالم الغيب ، وطريق معرفته الكشف الروحي ، والوحي أكمل أشكاله ، وأروعها ، ومن الخطأ أن تطبق مقاييس عالم الشهادة على عالم الغيب ، لذلك كان الطريق إلى معرفة مخلوقات عالم الغيب كالملائكة والجن والشياطين هو الوحي الالهي الملقى الى الأنبياء »(١) .

اولا : الكون المشهود :

يعدد القرآن ألوانا من أجزاء الكون المشهود ، الا أنها لا تنفصل عن بعضها ، بل تأتي في حبل واحد متواصل ، اذ تعتمد كلها على بعضها البعض فتأتي السموات والأرض ثم تأتي مخلوقات الأرض المتنوعة .

(١) السموات :

ـ «ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق، وما كنا عن الخلق غافلين»(٢)ـ « أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها ، رفع سمكها فسواها»(٣) ـ « انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب . وحفظا من كل شيطان مارد ، لا يسمعون الى الملأ الأعلى، ويقذفون من كل جانب »(٤) ـ « ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين ، وحفظناها من كل شيطان رجيم »(٥) ـ « ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين »(٦) .

---

(١) أحمد محمد جمال : محاضرات في الثقافة الاسلامية ـ طبعة ثالثة ـ دار الشعب ـ ١٩٧٥ ، ص ٧١ .
(٢) المؤمنون : ١٧ .
(٣) النازعات : ٢٧ ، ٢٨ .
(٤) الصافات : ٦ ـ ٨ .
(٥) الحجر : ١٦ ، ١٧ .
(٦) الملك : ٥ .

ـ « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لهـا من فروج»(١) ــ «خلق السموات بغير عمد ترونها»(٢) ــ «الذى خلق سبع سموات طباقا ، ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ، فارجع البصر هل ترى من فطور »(٣) .

وهناك الكثير من الآيات تدور حول هذا المعنى، والسماء على قول العلم هى « الكرة الكونية الجامعة لكل الأفلاك ، والنجوم فى مجرتنـا أى فى حدود عالمنا المـادى »(٤).وهذا التفسير يعنى أن السماء هى التى تعلو فوق رأس الانسان ، وما تحتويه من أجرام ، مما لا يحصيه عـدد وقد نصت الآيات أن « السماء الدنيا هى التى زينها الله عز وجل بزينة الكواكب ، أى بمصابيح تنيرها ، أما السموات السبع فهى بذلك خارج عن نطاق الوجود التكوينى طالمـا عرت هـذا الوجود بالموجودات التى فيـــه »(٥) .

وهذه السماء لها وظيفتها القريبة والمتصلة بالانسان مبـاشرة ، فى أمور حياته اليومية،الى جانب اتصالها به من بعيد،مما قد لا يحسه الا من تأمل : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض ، ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه»(٦) ــ «وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم»(٧) ــ «والله أنزل من السماء ماء بقدر،فأنشرنا به

---

(١) ق : ٦ .

(٢) لقمان : ١٠ .

(٣) الملك : ٣ .

(٤) محمد اسماعيل ابراهيم : القرآن واعجازه العلمى ــ دار الفكر العربى ــ القاهرة ــ ١٩٧٧ ، ص ٦٠ .

(٥) يحيى كامل قنديل : القرآن تفسير أم تأويل (رسالة الاسلام) الجزء الأول ــ مؤسسة الحلبى وشركاه للنشر والتوزيع ــ القـاهرة ــ ١٩٧٥ ، ص ٤٦ .

(٦) الزمر : ٢١ .

(٧) الرعد : ١٧ .

بلدة ميتا ، كذلك تخرجون »(١) .

(٢) الأرض :

ـ « الذى جعل لكم الأرض مهدا ، وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى»(٢) ـ «الذى جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون »(٣) .

ـ « والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شىء موزون »(٤) ـ « والله جعل لكم الأرض بساطا ، لتسلكوا فيها سبلا فجاجا»(٥) ـ «والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج »(٦) .

هذه الآيات وغيرها تقرر أن الله خلق الأرض ، وكيفها ، وجعلها صالحة للحياة .

والعلم الحديث ، بأدواته وآلاته ، يكشف كل يوم جديدا مما يؤكد أقوال القرآن الكريم ، فحجم الأرض مناسب لنشأة الحياة ، اذ هو متوسط الحجم بالنسبة لأفراد المجموعة الشمسية ، وهو شبه بيضاوى أو اهليليجى الشكل ، وتختلف الأرض فيما بينها ، فى الزمن والكثافة والجاذبية،وغير ذلك من الخصائص التى تجعله ممهدا مهيئا للحياة(٧) .

---

(١) النحل : ٧٩ . وانظر : البقرة : ٢٤ ، سبأ : ٢٤ ، الزخرف : ١١ ، الحجر : ٢٢ ، الذاريات : ٢٢ ، يونس : ٦ .
(٢) طه : ٥٣ .
(٣) الزخرف : ١٠ .
(٤) الحجر : ١٩ .
(٥) نوح : ١٩ ، ٢٠ .
(٦) ق : ٧ .
(٧) د . حسن أحمد أبو العينين ، د . سيد حسن شرف الدين : الاقيانوغرافيا الطبيعية ـ دار المعارف ـ ١٩٦٩ ، ص ٦٧ .

ولكى يجعل الله الأرض بهـذه الصلاحية ، كانت هنـاك الدورة اليومية ، والدورة السنوية التى ينشأ عنها تغير الفصـول ، والتى تعتبر من منح الله على هذه الأرض حتى تظل مسرحا للانسان الخليفة . ومن أجل هذه الصلاحية أيضا ، كانت البحار والأنهار وكان الغلاف الجوى ، وهذا « يجعل هذا الكوكب الذى نعيش فيه يشبه المعمل الكبير ، جميع أجزائه حركة دائمة ، من غلاف جوى ومن تربة ومن عناصر ومن كائنات حية ، ومن سحب الى أنهار ومحيطات ـ الكل فى حركة دائمة تتداخل مع بعضها البعض ، بل ان كل ذرة على كوكب الأرض تعرف الطريق الذى تسير فيه ، فى دورات منظمة محددة ، دورات متسقة واعيـة تدل على التخطيط السليم المبدع بحيث يحافظ دائما وهو فى تحركه على استمرار وجود كوكب الأرض بصورته التى نعرفه بها ، والتى تهيىء استمرار بقاء الحياة عليه ، وأى خلل أو تعطيل فى هذه الدورات المتسقة فان نهـاية هـذا الكوكب تكون الفناء ، وتتأثر الحيـاة على سطحه ، ولربما تأثر هذا الكوكب ، وأصبح شظايا فى الفضاء »(١) .

وعلى سطح الأرض نجد المخلوقات من نبـات وحيوان فى توازن عجيب ، تستمر عن طريقه الحياة ، وفى هذا كله اعـداد لمسرح الحيـاة الانسانية ، ليعيش عليها الانسان ، وليعمل فكره فى هـذه المخلوقات ، وليدرك قوانين هذا الكون المتغير الذى يزيد وينمو ، بارادة الله ، الذى «يتحرك فيتخذ أشكالا دائمة التغير والتحور والتطور ، فالذرة لا تهدأ ، والنجوم تتقد أو تخمد والخلايا تتكون وتهدم ، لا يعرف الكون السكون أبدا » ، « وليأخذ الانسان من سنة التكون هذه فى حياته ، المحكومة هى الأخرى بهذه السنة ، « محكومة بسنة التنفس ليحيا ، وبسنة الطعام ليعيش ، وسنة التزاوج ليمتد »(٢) :

---

(١) حامد عوض الله (مرجع سابق) ص ١٢٨ .

(٢) يوسف كمال احمد : فلسفة التاريخ كما بينها القرآن فى **المسلم المعاصر** ـ العدد الثالث ـ رجب ١٣٩٥ هـ ـ يونيو ١٩٧٥ م .

«وكل فى فلك يسبحون»(١) ـ « انا كل شىء خلقناه بقدر »(٢) .

ثانيا : الكون غير المشهود :

الكون غير المشهود هو الغيب الذى نص عليه القرآن « الذين يؤمنون بالغيب »(٣) . والقرآن لا يطلب أكثر من الايمان بهذا الغيب ايمانا مطلقا ، لأنه من خصوصيات علم الله وليس من خصوصيات علم الانسان : « ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا »(٤) ـ «ويسألونك عن الساعة أيان مرساها . فيم أنت من ذكراها . انما أنت منذر من يخشاها . الى ربك منتهاها »(٥) . ومادام الأمر كذلك فالأولى بالانسان أن يشغل نفسه بمشكلات العمل والواقع ، والا يضيع وقته هباء فيما لا نفع ولا جدوى من معرفته . ومن مكونات هذا الكون نعرض لما يلى :

(ا) الملائكة :

وهم مخلوقات لم يحدد القرآن حقيقتهم ، ولا من أى مادة خلقوا ، ولا كيف خلقوا ، وكل ما ذكر القرآن هو أوصاف هؤلاء الملائكة منها :

ـ « الحمد لله فاطر السموات والأرض ، جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة ، مثنى وثلاث ورباع »(٦) .

ـ « وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه ، بل عباد مكرمون »(٧) .

---

(١) يس : ٤٠ .
(٢) النجم : ٤٩ .
(٣) البقرة : ٣ .
(٤) الاسراء : ٨٥ .
(٥) النازعات : ٤٢ ـ ٤٥ .
(٦) فاطر : ١ .
(٧) الأنبياء : ٦ . وانظر كذلك : الحج : ٧٥ ، مريم : ٦٤ التحريم : ٦ .

والى جانب هذا ، فان القرآن يقرر لهم أعمالا ، فهم لا يعصون الله ما أمرهم ، فمنهم حملة العرش[1] ، وهم رسل النصر[2] ، ويتنزلون على الذين استقاموا[3] ، ويصلون على المؤمنين[4] ، وهم الحفظة على النفوس[5] ، والكتبة[6] ، ومنهم الحفظة[7] ، ومنهم الموكلون بالوفاة[8] ، ومنهم الموكلون بأمر الجنة والنار[9] ، وبالجملة فان الملائكة قوة من قوى الكون « ويجب الايمان بأن هناك ملائكة ، وهى أرواح طاهرة مطهرة،لا يعصون الله ما أمرهم،ويفعلون ما يؤمرون»[10] .

(ب) الجن :

وطبيعتهم تخالف طبيعة الانس والملائكة : « وخلق الجن من مارج من نار »[11] ـ « والجان خلقناه من قبل من نار السموم »[12] . وهم يسمعون « واذ صرفنا اليك نفرا من الجن ، يستمعون القرآن »[13] ـ ومنهم الصالحون ، ومنهم الفاسقون « وانا منا الصالحون ، ومنا دون ذلك ، كنا طرائق قددا »[14] ، وهم يرون الانس ولا يراهم الانس « انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم »[15] .

---

(١) أنظر غافر : ٧ .
(٢) انظر الأنفال : ١٢ ، آل عمران : ١٢٣ .
(٣) أنظر فصلت : ٣٠ .
(٤) انظر الأحزاب : ٤٣ .
(٥) انظر الطارق : ٤ .
(٦) أنظر ق : ١٧ ، ١٨ .
(٧) أنظر الرعد : ١١ .
(٨) أنظر الأنعام : ٦١ ، السجدة : ١١ .
(٩) أنظر المزمل : ٢٨ ، والنحل : ٣٢ .
(١٠) الشيخ محمد أبو زهرة : العقيدة الاسلامية كما جاء بها القرآن الكريم (مرجع سابق) ، ص ٥٨ .
(١١) الرحمن : ١٥ .
(١٢) الحجر : ٢٧ .
(١٣) الأحقاف : ٢٩ .
(١٤) الجن : ١٧ .
(١٥) الأعراف : ٢٧ .

وهـكذا يقـرر القرآن أن الجن موجودون ، فلابد من الايمـان بوجودهم دون تأويل أو خروج على النص ، وهناك فريق منهم خرج عن أمر ربه ، وهؤلاء هم الشـياطين ، وهـذا الفريق جن كافر ، « ولكن الشياطين كفروا ، يعلمون الناس السحر »(١)•ومن هذا الفريق حذر الله تعالى بنى آدم « يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة،ينزع عنهما لباسهما ليريهما سؤاتهما»(٢) ــ «ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ، انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السـعير »(٣) • فالقرآن يخبر « أن الشيطان لنا عدو مبين ، واقتص علينا قصته وما فعل بأبينا آدم عليه السلام ، وكيف انتدب لعداوة جنسنا من قبل وجوده ، وبعده ، ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد منا ، مما فيه هلاكنا ، فوعظنا عز وجل بأنه كما علمتم عدوكم والذى لا عدو أعرق فى العداوة منه ، وأنتم تعاملونه معاملة من لا علم له بحاله « فاتخذوه عدوا » فى عقائدكم وأفعالكم ، ولا يوجدن منكم الا ما يدل على معاداته ومناصبته فى سركم وجهركم » (٤) •

وجملة ، فان كل ما نص عليـه القـرآن ، مما هو غيب لا يرى ، يجب الايمان به ، لأنه من عـلم الله ، ولا تستطيع حواس الانسـان ، ولا الوسائل العادية ، أن تحيط بهذا العلم ، ولا بهذا العالم غير المشهود، ومصدر معرفته هو القرآن ، أما الكون المـادى المشـهود فلنـا فيه الحرية المطلقة ، فى أن نعـرفه ونفسره حيث يعتمـد على العقل والبحث ووسـيلته الحواس •

---

(١) البقرة : ١٠٢ .
(٢) الأعراف : ٢٧ .
(٣) فاطر : ٦ .
(٤) الزمخشرى : الكشاف ج ٣ (مرجع سابق) ، ص ٢٦٩ .

٢ ـ نشـــأة الكون

أبدع الله الكون قبل خلق آدم بأزمان طويلة ، لا يعلمها الا الله ، وبمقاييس الآدميين « تجيء دائما نسبية قاصرة محدودة بازاء خلق الله ، فليس لنا أن نطمع فى الاحاطة الكاملة والتفسير لقضية (التكوين) هذه(١) ». ويقرر القرآن أن الله قد خلق الكون بالارادة المباشرة ، وقصة خلق الكون فى القرآن تتسع لتشمل وتستوعب ما يصح من النظريات التى يمكن أن تظهر فى هذا الشأن ، وتتسع لتشمل الكون المرئى وغير المرئى ، بحيث تقدم تفسيرا كاملا شاملا لنشأة الكون كله :

ــ « وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على المـاء ليبلوكم أيكم أحسن عملا »(٢) .

ــ « ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ســتة أيام ، ثم استوى على العرش ، يدبر الأمر »(٣) . فالقرآن يقرر أن الله كان وحده ، وكان عرشه على المـاء ، وكان كل شىء مقـدرا منذ الأزل ، وأثبته فى كتاب ، « ولمـا شاءت ارادته ــ وكل الأشياء سابقة ومقدرة فى علمه ــ أن يخلق شيئا تكون به الحياة ، وتكون حياته فى الأرض التى سيخلق فيها » ، « بدأ فى خلق السموات والأرض فخلقها فى ستة أيام »(٤) . ولكن كيف تم الخلق ؟ أو كيف بدأ ؟ فهذا لا يدخل فى باب الاعتقاد بل يدخل فى باب الفكر والتأمل ، على أساس عدم معارضته القرآن ، فليس هناك مكان

---

(١) د. عماد الدين خليل : فى التفسير الاسلامى للتاريخ « المسألة الحضارية » ــ **المسلم المعاصر** (مرجع سابق) .

(٢) هـود : ٧ .

(٣) يونس : ٢ ، وانظر الانبياء : ٣٠ ، وانظر فصلت : ٩ ــ ١٢ .

(٤) خليل طاهر : الأديان والانسان « منذ مهبط آدم حتى اليهودية والمسيحية والاسلام » ــ قـدم له وراجعه فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود ــ دار الفكر والفن ، ص ٣٨ ، نقلا عن : عبد الغنى عبود : الإسلام والكون .

للصدفة مطلقا . يدل على ذلك أن الانسان قد قضى شطرا كبيرا من فكره وعمره على ظهر الأرض ، فى محاولات جبارة لتفسير نشأة الكون ، فى طريق بحثه عن الحقيقة ، وظهرت تفسيرات شتى مختلفة وكثيرة ومتضاربة ، وبالرغم من هذا فانه كما يذكر الأستاذ سمارت ، بأننا ربما سوف لا نعلم الحقيقة التى تكونت بها كواكب هذه المجموعة ، وكيف جاءت الى الوجود .

وقصارى القول أن المسلم يجب أن يأخذ تصوير خلق الكون فى القرآن ، كما هو ، ثم يعمل عقله فى تفكير هادىء فى أصل هذا الكون « ان فى خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، لآيات لأولى الألباب »(١) . فحيثما تطلع الانسان فى القرآن، فى قصة خلق الكون ، يجد « أنها ترتبط بالدور المنتظر لكى يلعبه بالعمل والجدوى ، والنظام ، والأعمار ، والغاية التى بعث من أجلها ، وهى كلها قواعد أساسية لأى نشاط حضارى فعال ، هادىء منظم متطور على الأرض »(٢) . وصدق القرآن: «ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ، وما كنت متخذ المضلين عضدا »(٣) .

وبعد ، فان ذكر الكون ومكوناته فى القرآن يهدف الى :

ـ تعريف الانسان « بالله معرفة حقة ، ثم لاعدادنا بهذه ـ متى تمت لنا ـ لأن نؤمن بكل ما أخبرنا به من الأمور الغيبية ، التى لم يستطع العقل حتى الآن ادراكها ، ذات الله وصفاته والدار الآخرة ، وما يكون فيها » ، وقد لجأ القرآن الى هذه الطريق لأنها الوحيدة الممكنة لنا فيما يتصل بالله تعالى ، فالمعرفة لكى تكون تامة ، مما يراد معرفته ـ يجب أن تكون قائمة على رؤية العين ، مع التفكير بالعقل ، ولكن هذا محال فى جناب الله، اذ يجب أن «يلجأ للآثار التى يستدل بها العقل على من صدرت

---

(١) آل عمران : ١٩٠ .

(٢) د. عماد الدين خليل (موجع سابق) .

(٣) الكهف : ٥١ .

عنه ، ثم ليطمئن القلب أخيرا » (١) .

ـ الدعوة الى النظر والتأمل ، والتدبر فى مخلوقات الله ، ولذلك نراه يعقب على آيات الكون دائما : « ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » أو ما يؤدى نفس المعنى . ومعنى هذا كما هو واضح ، وجوب الملاحظة والتفكير فيما يحسه المرء ويشاهده ليصل من هذا الى ما لم يكن يعرفه . ومن هذا يستدل على انتفاء الصدفة ، لأن الله قادر،«أم يخلق هذا الكون بالصدفة ، فان وراء كل شىء هدفا »(٢) .

وبالتالى ، فانه لابد من النظرة العلمية للأمور ، ولابد من تحليل الكون ، وما فيه تحليلا علميا ، فى سبيل الوصول الى استغلاله استغلالا أفضل ، وليس معنى هذا اظهار الانسياق وراء النظريات العلمية فى سبيل اظهار أن القرآن موافق للنظريات العلمية ، وليس معناه أيضـا الجمود والوقوف عنـد النص ، وينتهى الأمر عند هـذ الحد ، فحسب القرآن « أن ينهض بالعقل والقريحة ، ولايصدهما عن سبيل العلم والصناعة »(٣) وهو بهذا يحمى الانسان من الصراع والتعطل .

ـ أن يصرف الانسان عبادته لله وحده،وذلك لأنه قد سخرالكون له ، وهو مسبح لله فى تسخيره هذا ، والانسان يجب أن ينساق مع الكون تسبيحا ، وعبادة ، سواء فى استغلال قوى الكون أو شكر الله تعـالى ، على هذه النعمة .

---

(١) د. محمد يوسف موسى : القرآن والفلسفة (مرجع سابق) ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

(٢) حامد عوض الله : الالوهية وفكر العصر (مرجع سابق) ، ص ٢٤٧ .

(٣) عباس محمود العقـاد : الفلسفة القرآنيـة (مرجع سابق) ، ص ١٢ .

ثالثا : الانســان

القرآن « كتاب الانســان ، فالقرآن كله اما حديث للانســان ، أو حديث عن الانسان »[1] ومن ثم فان فيه فلسفة كاملة عن الانسان : ماهيته ، وخلقه ، وطبيعته ، وهى هى نفس الأسئلة التى يثيرها الفلاسفة ، ففى القرآن اجابات عنها • وسوف نستوضح القرآن ، لأن الانسان هو مدار التربية وموضوعها ، ولابد من فهمه وفهم طبيعته اولا لتصاغ له التربية السليمة والموافقة له •

وسنحاول أن نفهم أولاً ، ماهية الانسان ، ثم قصة خلقه لأنها تشكل وتوضح طبيعة هذا الانسان •

١ ــ ماهية الانســان

الانسان فى القرآن مخلوق من خلق الله ، الا أنه مخلوق مسئول ، ففى القرآن وصف له « وهو فى الذروة من الكمال المقدور له بما استعد له من التكليف ، ووصف له ، وهو فى الدرك الأسفل من الحطة التى ينحدر اليها بهذا الاستعداد »[2] •وذلك يرتبط بالالتزام بالأمر والنهى أو التخلى عنه ، ولذا نجده يذكر فى القرآن « بغـاية المدح وبغـاية الذم وفى الآية الواحدة»[3] ، وما ذلك الا «لأنه أهل للكمال والنقص،لمـا يطرأ عليه من استعداد لكل منهما »،« لأنه أهل للتكليف»[4] ولذا «فهو أكرم الخلائق بهذا الاستعداد المتفرد بين خلائق السماء والأرض ، من ذى حياة أو غير ذى حيـاة »[5] :

---

(١) د. يوسف القرضاوى : الخصائص العامة للاسلام ــ ط ١ ــ مكتبة وهبة ــ ١٩٧٧ ، ص ٣٣ •

(٢) عباس محمود العقاد : الانسان فى القرآن ــ المجلد السابع من : **الأعمال الكاملة للأستاذ العقاد** ــ دار الكتاب اللبنانى ــ بيروت ــ ١٩٧٤ ، ص ٣٦٩ •

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٦٧ •

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٦٧ •

(٥) المرجع السابق ، ص ٣٧٥ •

— « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا »(١) .

— « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين »(٢) .

ومن أجل هذا ، سخر الله له كل ما فى السموات والأرض(٣) ، وذلك لأنه هو الخليفة : « واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة »(٤).ولذا فمكان الانسان فى القرآن الكريم «هو أشرف مكان له فى ميزان العقيدة ، وفى ميزان الفكر ، وفى ميزان الخليقة التى توزن بها طبائع الكائن بين عامة الكائنات »(٥) ، لأنه الخليفة . ولقد أتت هذه الخلافة عن قابليته للعلم:« وعلم آدم الأسماء كلها »(٦) ، وايداع الله — سبحانه — هذه القابلية للانسان يعنى أن هذا المخلوق مكلف ، لأن التكليف يقتضى عقلا والعلم يقتضى عقلا ، ومعنى هذا أن الانسان هو « المخلوق المكلف أو الكائن المكلف »(٧)،فهو« مخلوق ذو رسالة ، هى الاستخلاف ، حيث استخلف الله الانسان فى الأرض ، وسخر له ما فيها ، وزوده بالمواهب التى تعينه على الخلافة،وتيسر له طيبات الحياة كلها»(٨).

وتقتضى هذه الرسالة منه ، « أن يسير على درب من استخلفه ، فيكون الله هو المثل الأعلى فى حياته ، فيفهم الكون المحيط به ويستغله لصالحه ، ويحقق فيه ما استطاع ، رسالة الحق والخير والجمال ،

---

(١) الاسراء : ٧ .

(٢) التين : ٤ .

(٣) انظر على سبيل المثال : لقمان : ٢٠ ، الحج : ٦٥ .

(٤) البقرة : ٣٠ .

(٥) عباس محمود العقاد (المرجع الأسبق) ، ص ٣٧٤ .

(٦) البقرة : ٣١ .

(٧) عباس محمود العقاد (المرجع الأسبق) .

(٨) سيد قطب : هذا الدين — دار الشروق — بيروت — ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م ، ص ٩٢ ، ٩٣ .

رسالة الله في هذا الكون »[1] .

فالانسان في القرآن هو المخلوق المكلف ، له رسالته التي يعقلها ، ويجب أن يؤديها على الوجه الأكمل ، وهي رسالة ودور عاقل مكلف به ، عن علم وعن عقل .

٢ ـ خلق الانسان

يبرز لنا القرآن الكريم قصة خلق الانسان ، في كثير من السور ، وهي تبرز ما جبل الانسان عليه ، أي طبيعته : « واذ قال ربك للملائكة انى جاعل في الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال انى أعلم مالا تعلمون »[2] .

ونقطة البداية ، ارادة الله ، أن يخلق انسانا من « أصل الحياة كلها ، من طين هذه الأرض ومن عناصره الرئيسية التي تتمثل بذاتها في تركيب الانسان الجسدى ، وتركيب الأحياء أجمعين »[3] ـ ثم كانت « النفخة العلوية التي ميزت بينه وبين سائر الأحياء ، ومنحته خصائص الانسانية ، التي أفردته منذ نشأته ، عن كل الكائنات الحية ، فسلك طريقا غير طريقها ، منذ الابتداء ، بينما بقيت هي في مستواها الحيواني ، لا تتعداه »[4] . أما النفخ فلا ندرى كيفيته ، وهو لا يعنى أن شيئا خرج من الله فحل في الانسان ، اذ لا يخرج من ذاته شيء .

ثم ان الله أعطاه سرا من أسراره ، وهو القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات ، وحين أظهر الانسان هذه القدرة أمر الله تعالى الملائكة

---

(١) د. عبد الغنى عبود : الله والانسان المعاصر ـ الكتاب الثانى من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٧٧ ، ص ١١٣ .

(٢) أنظر قصة خلق آدم في سورة البقرة : ٣٠ وما بعدها .

(٣) سيد قطب : في ظلال القرآن ـ مجلد ٤ ، جـ ١٤ ، ص ٢١٣٨ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢١٣٩ .

بالسجود لآدم ، وامتنع ابليس ، و « حلت به اللعنة »(١)،لهذا الرفض :

ـ «مالك ألا تكون مع الساجدين ، قال : لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون.قال : فاخرج منها ، فانك رجيم ، وان عليك اللعنة الى يوم الدين ».وهنا تبدى الشر فى ابليس وقال : « رب انظرنى الى يوم يبعثون ، قال : فانك من المنظرين ، الى يوم الوقت المعلوم ، قال رب بما أغويتنى ، لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين ، الا عبادك منهم المخلصين.قال هذا صراط على مستقيم . ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ، الا من اتبعك من الغاوين ، وان جهنم لموعدهم أجمعين »(٢) . ومن هنا بدأ الصراع ، واحتال ابليس على اخراج آدم وزوجه من الجنة ، ونجح ونزل الجميع الى الأرض ، هبط آدم بما يحمل من أمانة التكاليف ، وما يحتويه من خيرية تقربه الى الله ، وشرية يطيع بها الهوى والشيطان ، فيهبط الى ما دون الانسانية ، وأصبح الصراع الحقيقى بين آدم والشيطان:« ان الشيطان لكم عدو،فاتخذوه عدوا»(٣)، ومعنى هذا :

١ ـ أن الانسان خلق ليكون خليفة فى الأرض ، فهو سيدها ، ومن أجله خلق الله كل شىء فى هذا الكون مسخرا له .

٢ ـ اعلاء شأن الانسان بالعلم اعلاء عظيما ، متمثلا فى سجود الملائكة له ، وخروج ابليس من رحمة الله لامتناعه عن السجود له .

٣ ـ الخطيئة فردية ، والتوبة فردية ، والخير سابق فى تكوين الانسان ، والشرعارض عليه ، والصراع الحقيقى بين الانسان والشيطان، وطريق الانتصار على الشيطان ، هو طريق اتباع الحق:«فاما يأتينكم منى

---

(١) د. محمد عزيز الحبابى : الشخصانية الاسلامية ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٩ ، ص ٢٥ .

(٢) انظر الحجر : ٣٢ ـ ٤٤ .

(٣) فاطر : ٦ .

هدى ، فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون »[1] .

٤ — أن الانسان جمع بين مجموعة من القوى ، بين الطين والنفخة الالهية ، ومن هاتين توجد مجموعة من القوى،«وهذه الطبيعة المزدوجة ، ليست أمرا طارئا على الانسان ، ولا ثانويا فيه بل هى فطرته التى فطره الله عليها ، وأهله للخلافة فى الأرض ، منذ خلق آدم خلقا جمع بين قبضة الطين ، ونفخة الروح »[2] .

٣ — الطبيعة الانسانية

الطبيعة الانسانية فى القرآن كل واحد متكامل ، وليست أجزاء منفصلة — الا أنها تتجمع فى مجموعة من القوى ، تتشكل فى محاور ، سنتناولها فيما يلى :

١ — **جسد وروح** : يقرر القرآن أن الطبيعة الانسانية « تتكون من عنصرين : أحدهما مادى ، والآخر غير مادى »[3] — وبتعبير آخر ، روح وجسد ، فهما فى القرآن : « ملاك الذات الانسانية ، تتم بهما الحياة ، ولا تنكر أحدهما فى سبيل الآخر » . وليس معنى هذا أنهما منفصلان ، وانما هما متكاملان،اذ أن الانسان وحدة متكاملة،فالجسم ليس منفصلا عن الروح،وانما هما وجهان لشىء واحد ، هو شخصية الانسان،والقرآن يحرم على المؤمن « أن يبخس للجسد حقا ليوفى حقوق الروح ، ولايجوز له أن يبخس للروح حقا ليوفى حقوق الجسد ، ولا يحمد منه الاسراف فى مرضاة هذا ، ولا مرضاة ذلك »[4] :

---

(١) البقرة : ٣٨ .

(٢) د. يوسف القرضاوى : الايمان والحياة — طبعة ٢ — مكتبة وهبة — ١٩٧٣ ، ص ٧٦ .

(٣) د. سعيد اسماعيل على : ديموقراطية التربية الاسلامية — دار الثقافة للطباعة والنشر — القاهرة — ١٩٧٤ ، ص ٨٧ .

(٤) عباس محمود العقاد : الانسان فى القرآن (مرجع سابق) ، ص ٣٨١ .

— « يا بنى آدم خذوا زينتكم عنـد كل مسجد ، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين.قل من حرم زينة الله التىأخرج لعباده والطيبات من الرزق »(١) — « ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معـايش »(٢) .

والجزء المـادى أو الجسم ، هو ذلك القسم البيولوجى فىالانسان بما يحتوى من رغبات وانفعـالات وشهوات ، وما ماثلهـا ، مما يؤكد الجانب المـادى منه(٣) ، ويمثل هذا الجسد البشرى « معطى مستمرا ومتينا ، ينكشـف كواقع مفتوح على الحياة البيولوجية ، بيد أنه ليس نباتا ولا حيوانا صرفا ، فالجسـد موجود ويتجـاوز الوجود الخـام ، فالكائن البشرى مدفوع لأن يتنفس ، لأن له طبيعة فزيولوجية »(٤) ، ومن هذا المنطلق ، يأكل ويشرب ويتكاثر ، اذ أن هذه الظواهر كلهـا تخضع للنواميس الطبيعية التى أودعها الله فى الأشياء(٥) .

ولا يقتصر الأمر عند حد الجسد ، والروح ، بل نجد ألفاظا مثـل القلب ، والعقل ، والنفس — وهى من حقائق التكوين المعنوى فىالانسان، وهى تختلف ، والاختلاف « يقاس من ناحية الى المادة ، ويقاس من ناحية الى المثل الأعلى،وهو الله ».أما الروح فهى « أقربها الى الحياة الباقية ، وأخفاها عن المدارك الحسية »(٦):« ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا »(٧).أما العقل فهو « قوة مدركة فى الانسان ، خلقها الله ليكون مسئولا عن أعماله ، « ولذا نجد آيات فى القرآن تفيد أن سـبب الانحراف والضـلال هو عدم العمـل بمقتضى

---

(١) الأعراف : ٣١ .
(٢) الأعراف : ١٠ .
(٣) د. سعيد اسماعيل على (مرجع سابق) ص ٨٨ .
(٤) د. محمد عزيز الحبابى (مرجع سابق) ص ٣٥ .
(٥) أنظر سورة الحج : بدايتها .
(٦) عباس محمود العقاد (مرجع سابق) ، ص ٣٨٧ .
(٧) الاسراء : ٨٥ .

العقل»(١): «وقالوا لوكنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير»(٢) – «يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه»(٣) – «أفلا تعقلون»(٤) – « وما يعقلها الا العالمون »(٥) – « أن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون »(٦) • وهذه « القوة الشعورية أو القوة الفكرية ، التى تعطى الانســان قوة التأمل والمراجعــة والترجيح والحكم بين الأشياء أو الطرق والوسائل العديدة التى سيواجهها الانسان عند الحصول على مطلوبه »(٧) ، هى الأساس الأول ، للتكليف فى القرآن ، ولذا ففاقــد العقل فاقد للتكليف •

أما النفس « فتشمل الارادة ، كما تشمل الغريزة ، كما تعمل واعية ، كما تعمل غير واعية »»(٨) ، ولها صفات عديدة فى القرآن :

– الاطمئنان : «يا أيتها النفس المطمئنة »(٩) •

– الوسوسة : « لقــد خلقنا الانســان ونعلم ما توســوس به نفسه »(١٠) •

---

(١) مقداد يالجن : الاتجاه الأخلاقي فى الاسلام (مرجع سابق) ، ص ١٧٠ •

(٢) الملك : ١٠ •

(٣) البقرة : ٧٥ •

(٤) البقرة : ٤٤ •

(٥) العنكبوت : ٤٣ •

(٦) الانفال : ٣٢ •

(٧) د. محمد البهى : الفكر الاسلامي والمجتمع المعاصر « مشكلات الحكم والتوجيه » – ط ٢ – دار الكتاب اللبنانى – بيروت – ١٩٧٥ ، ص ٣٣٩ •

(٨) عباس محمود العقاد : الانســان فى القرآن (مرجع سابق) ، ص ٣٨٨ •

(٩) الفجر : ٣٠ •

(١٠) قٓ : ١٦ •

ــ اللوم : « ولا أقسم بالنفس اللوامة »[١] .

ــ الأمر بالسوء : «وما أبرىء نفسى،ان النفس لأمارة بالسوء»[٢].

وهى تأتى « مرادفة للقوة التى يدركها اللوم ، والقوة التى يزهقها القتل ، والقوة التى تمس النعمة والعذاب ، وتحاسب على ما تعمل من حسنة وسيئة ، فهى القوة التى تعمل وتريد مهتدية بهدى العقل أو منقادة لنوازع الطبع والهوى ، وتوضع لها الموازين بالقسط يوم القيامة »[٣].

أما القلب ، فكل الآيات التى وردت فيه « قد عبرت عن معناه الروحى فقط ، لا عن معناه المادى »[٤] :

ــ «يوم لا ينفع مال ولا بنون ، الا من أتى الله بقلب سليم »[٥] ــ « ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس ، لهم قلوب لا يفقهون بها»[٦] ــ «أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يفقهون بها»[٧] ــ « ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد»[٨] .

وعلى ذلك فالذات الانسانية تعرض فى تكامل وشمول ، اذ أن « جملة هذه القوى من النفس والعقل والروح»،هى « الذات الانسانية ، فى حالة من حالاتها ، ولا تتعدد الذات الانسانية بأية صورة من صور الذات ، لأنها ذات نفس أو ذات روح أو ذات عقل ، فانما هى انسان

---

(١) القيامة : ٢ .

(٢) يوسف : ٥٣ .

(٣) عباس محمود العقاد : الانسان فى القرآن (المرجع الأسبق) ، ص ٣٨٨ . وانظر : الزمر : ٤٢ ، والمائدة : ٣٢ ، والنساء : ٢٩ ، ق : ٢٠ ــ ٢١ .

(٤) مقداد يالجن : الاتجاه الأخلاقى فى الاسلام (مرجع سابق) ، ص ١٦٧ .

(٥) الشعراء : ٨٩ .

(٦) آل عمران : ١٥٩ .

(٧) الحج : ٤٦ .

(٨) ق : ٣٧ .

واحد فى جميع هـذه الحالات ، ولذا فان الذات الانسانية هى محصلة هذه القوى ، بطريقة جدلية »[1] .

والانسان من وجهة النظر هـذه « رمز لمـا فى الاسلام من وحدة مذهبية...وهكذا فان المفهوم الواقعى للطبيعة الانسانية ، يجد مصداقه فى تعاليم الاسلام ، التى تؤلف بين البدن والروح ، فى دعوة واحـدة الى الكمال ، والتى تمزج فى نفس الممارسة الدينية بين نظافة البدن وطهارة النفس »[2] .

٢ - خير وشرير :

جوهر الطبيعة الانسانية فى القرآن أن الانسان مفطور على التوحيد، فقد خلق الله الناس « مفطورين على الاعتراف له بالربوبية وحده وأودع هذا فطرتهم،فهى تنشأ عليه »[3]:« فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله »[4].فالأصل فى الانسان - اذن - الخير ، ثم ان الانسان قد تعتريه بعض الشرور[5] . ولعل هذه الفطرة هى السبب فى حمل الانسان أمانة التكليف « انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان ، انه كان ظلوما جهولا »[6] .

« بهـذه الأمانة ارتفع الانسان مكانا عليا ، فوق مكان الملائكة ، لأنه قادر على الخير والشر فله فضل على من يصنع الخير ، لأنه لا يقدر

---

(١) عباس محمود العقاد (مرجع سابق) ، ص ٣٨٩ .
(٢) د. أحمد عروة : الاســلام فى مفترق الطرق (مرجع سابق) ، ص ٥٣ ، ٥٦ .
(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن - مجلد ٣ - جـ ٩ .
(٤) الروم : ٣٠ .
(٥) ارجع الى ص ٨٩ من الرسالة .
(٦) الأحزاب : ٧٢ .

بخلق غيره ، ولا يعرف سواه »(١) ـ « ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير »(٢) . وبهذه الأمانة هبط الانسان الى عداد الشياطين ، وذلك بفضل ما جبل عليه من نقاط ضعف أوضحها القرآن وبين أساليب العلاج :

ـ « وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن ، يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا »(٣) .

ـ « ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين »(٤) .

ـ « انه كان ظلوما جهولا »(٥) .

ـ « وكان الانسان كفورا »(٦) .

ولأن الانسان فيه نقاط الضعف هذه فهو « يتردى من أحسن تكوين الى أسفل سافلين ولا يزال في الحالين انسانا مكلفا قابلا للنهوض بنفسه بعد الفترة ، قابلا للتوبة بعد الخطيئة محاسبا بما جنت يداه ، غير محاسب بما جناه سواه »(٧) .

فالانسان في القرآن مجبول على التوحيد ، فطبيعته الأصلية خيرة ، ثم أنه قد ينحدر الى الشر ، وذلك نظرا لقابليته للاختيار . وليس معنى هذا أنه خير مطلق ، أو شر مطلق ، بل ان لديه من الامكانيات ما يفعل به الخير والشر ، وهو في ذلك محكوم بالتربية والتنشئة :

---

(١) عباس محمود العقاد : حقائق الاسلام واباطيل خصومه ـ المجلد السابع من أعمال العقاد (مرجع سابق) ، ص ٨٥ ـ ٨٦ .

(٢) الاسراء : ١١ .

(٣) الأنعام : ١١٢ .

(٤) الاسراء : ٢٧ .

(٥) الأحزاب : ٧٢ .

(٦) الاسراء : ٦٧ . وانظر : النساء : ٢٨ ، الاسراء : ١١ ، ١٠٠ ، الكهف : ٥٤ ، العاديات : ٦ ، العصر .

(٧) عباس محمود العقاد : حقائق الاسلام واباطيل خصومه (مرجع سابق) ، ص ٨٣ .

ـ « ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها »(١) .

٣ ـ مجبر ومختار :

الانسان كائن مكلف ، « ومن شروط التكليف طاعة وحرية »(٢) ، وذلك لا ينتج الا عن ارادة.وأهم وظيفة لها فى حياة الانسان «هى اختيار أعمال معينة من بين الأعمال ، ثم تنفيذها »(٣) ، وهى لا تعنى « مجرد الرغبة والميل ، ولا هى تغنى عن التفكير والاتجاه الى عمل ما ، وانما تكون الارادة حين تنتقل النية الى عمل ما ، ويستقر العزم عليه فى تصميم مهما تكن العوائق والموانع »(٤).فهى تتطلب تمهيدا هو الرغبة أو النية ، ثم يترتب على ذلك عزم ، أى قطع بالأمر ، بعد تردد ورغبة فيه ، فكيف تكون هذه الارادة ؟ أهى مجبرة أم مختارة ؟

ومن آيات القرآن ، ما يوحى بالجبر : « وما تشاءون الا أن يشاء الله »(٥) ـ « واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له »(٦) ، وكثير غيرها . ومنها ما يوحى بالاختيار : « من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر »(٧) ـ « من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة »(٨) ـ « من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها »(٩) . ومنها آيات تتوسط بين الجبر المطلق والاختيار المطلق :

---

(١) الشمس : ٦ ـ ١٠ .
(٢) عباس محمود العقاد : الانسان فى القرآن (مرجع سابق) ، ص ١١١ .
(٣) مقداد يالجن (مرجع سابق) ، ص ٢٠٥ .
(٤) د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) : مقال فى الانسان « دراسة قرآنية » ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٩ ، ص ١٠٦ .
(٥) الانسان : ٣٠ .
(٦) الرعد : ١١ .
(٧) الكهف : ٢٧ .
(٨) النساء : ١٣٤ .
(٩) الشورى : ٢٠ .

« وما تشاءون إلا أن يشـــاء الله »[1] ـ « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنـــا »[2] ـ « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »[3] .
ونلمح حل المشكلة كما يلى :

(١) باعتبار أن الله خـــالق كل شيء ، وأن الانســـان « قـــدرته واستطاعته واختياره كله مخلوق لله سبحانه وتعـــالى »[4] ، وباعتبار أن « وجود الانسان ابتداء وارادته وعمله وحركته ونشاطه داخل فى نطاق المشيئة المطلقة المحيطة بهذا الوجود وما فيه ومن فيه »[5] .

وباعتبار أن للخلق هدفا وغاية : « انا كل شيء خلقناه بقدر »[6] ، وبناء على هذا الاعتبار فان هناك جبرية « تتمثل فى مصير الانسان ، فانه لابد أن يموت مثلا ، وأنه لابد أن يحيا مرة أخرى ، وتتمثل أيضا فى أنه مقيد باطار من أطر جبرية الكون ، من حيث أنه مقيد بالقوانين الطبيعية عموما ، وبقوانين الطبيعة البشرية خصوصا »[7] .

(٢) والخالق للكون « عـــدل حكيم ، لا يؤاخذ العباد الا ولهم اختيار فى الخير والشر ، فليســـوا فيما يفعلون كالآلة فى يد محركهـــا أو كالريشة فى مهب الريح ، بل انه مختار فيما يفعل »[8] ـ واذا كانت الخاصة التى تجعل الانسان انسانا هى العقل والتفكير ، فتلك هى المنطقة التى يوجد فيها الاختيار ، وهى منطقة التكليف من الله ، ففاقد هـــذه

---

(١) الانسان : ٣٠ .
(٢) العنكبوت : ٦٩ .
(٣) الرعد : ١١ .
(٤) الشيخ محمد أبو زهرة : العقيدة الاسلامية كما جاء بها القرآن (مرجع سابق) ، ص ٤٧ .
(٥) سيد قطب : خصائص التصور الاســـلامى ومقوماته (مرجع سابق) ، ص ١٤٤ .
(٦) القمر : ٤٩ . وانظر : الفرقان : ٢ .
(٧) مقداد يالجن (مرجع سابق) ، ص ٢٨٠ .
(٨) الشيخ محمد أبو زهرة (مرجع سابق) ، ص ٤٧ .

لا يكلف من الله »[١] . وقد أعطاه الله هذه الحرية فى الاختيار ابتلاء : « الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا »[٢] .

(٣) أن الانسان اذا أراد ، فالله تعالى يوفقه ويمنحه ارادة منه لتحقيق ارادته ، وهذا لا يتأتى الا اذا بدأ الانسان بارادته ، من حيث بدايتها وهى النية ، ثم تتدخل ارادة الله « بتوجيهه وتوفيقه الى حيث تتجه نيته »[٣] : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا »[٤] ــ « فلما أزاغوا أزاغ الله قلوبهم »[٥] .

ونخلص الى أن الانسان مجبر فيما هو خارج عن ارادته ، وداخل فى ارادة الله ، وفيما هو من النواميس الكونية التى تجرى بارادة الله ، وهذا التقرير يجعل من الانسان قوة ايجابية فاعلة فى هذه الارض وليس عاملا سلبيا فى نظامها ، فهو مخلوق ابتداء ليستخلف فيها ، فالانسان فى القرآن « حر فى إرادته ، وتفكيره ، وعمله ، ولذلك أمر ونهى ، ووعد وأوعد ، وحذر وبشر ، لأن فى تكوينه قبول الفعل والترك ، واستقبال الأوامر والزواجر ، ثم هو مؤاخذ اذا أساء وظلم ، ومكافأ اذا أحسن وعدل »[٦] .

٤ ــ فرد فى المجتمع :

تقرر آيات القرآن فردية الانسان وجماعيته ، بمعنى أن فردية الانسان تصب فى مجتمع ، فالفرد فى القرآن مسئول أمام الله « ولا تزر

---

(١) الشيخ محمد متولى الشعراوى (مرجع سابق) ، ص ٤٢ .

(٢) الملك : ٢ . وانظر : محمد : ٣١ ، آل عمران : ١٤٢ .

(٣) مقداد يالجن (مرجع سابق) ، ص ٢١٠ .

(٤) العنكبوت : ٦٩ .

(٥) الصف : ٥ .

(٦) أحمد محمد جمال : محاضرات فى الثقافة الاسلامية (مرجع سابق) ، ص ٦٦ .

وازرة وزر أخرى »(١) . وعلى هذا ، فالقرآن يستبعد « كل مسئولية موروثة أو جماعية ، بالمعنى الحقيقى للكلمة »(٢) ، فالانسان « مسئول عن نفسه وعن عمله ، ومسئول عن ذاته ، وعن نشـــاطه ، ومسئول عن حواســـه وعقله ، وعن قلبه بتنقيته وصيانته وسلامته ، والترويح عنه ، باعطائه حقه من متاع الدنيا ، وزينتهـــا ، وعن جسمه وعن عمله » (٣) . الا أن الانسان لا يستطيع أن يعيش وحده ، « بل لابد أن يكون عضوا فى جماعة ، ومن ثم تكون له حقوق وواجبات اجتماعية ، ولذلك نجد القرآن زاخرا فى هذه الناحية بالكثير من المبادىء والوصايا » (٤) ، بمعنى أن القرآن يعتبر الانسان الفرد عضوا فى جماعة ، وهو يقرر مبدأ الفروق الفردية،حيث يتفاوت الأفراد فى مواهبهم،فى العلم والتضحية والفضيلة ــ وباقراره هذا ، أقر أصلح النظم لحياة الانسان ، وباختلافهـــا ، يندفع « الانسان والمجتمع نحو التطـــور والرقى المستمرين ، اذ لو كان البشر مثل النمل لمـــا وجد الطموح الانسانى ، ولمـــا وجد التطور والرقى ، ولمـــا علا الانسان على سائر المخلوقات » (٥) .

وبنفس القدر ، فان المجتمع مسئول عن الانسان الفرد ، بأن يصل به الى درجة يستطيع بها أن يميز بين الخبيث والطيب ، ثم ان الفرد مسئول عن مجتمعه ، بقدر ما هو مسئول عن نفسه ، وهذه المسئولية متكاملة ، كما تتضح فى القرآن ، والرباط بين الانسان والانسان هو رباط الحب وليس الصراع والتضـــاد ، ومقياس التفوق هو التقوى « ان أكرمكم

---

(١) الاسراء : ١٥ .

(٢) محمد عبد الله دراز (مرجع سابق) ، ص ٣٤٢ .

(٣) د. سيد أحمـــد عثمـــان : « المسئولية الاجتماعية فى الاســـلام (دراسة نفسية) » ــ **الكتاب السنوى فى التربية وعلم النفس** ــ بقلم نخبة من أساتذة التربية وعلم النفس ــ عالم الكتب ــ ١٩٧٣ م ، ص ٣ .

(٤) د. محمد يوسف موسى (مرجع سابق) ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٥) د. محمد فاضل الجمالى : نحو توحيد الفكر التربوى فى العالم الاسلامى (مرجع سابق) ، ص ١١ .

عند الله أتقاكم » (١) — « وتعاونوا على البر والتقوى » (٢) — « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » (٣) .

وبهذا وضع القرآن « الانسان علميا ودينيا ، فى موضعه الصحيح ، حين جعل تقسيمه الصحيح أنه ابن ذكر وأنثى ينتمى بشعوبه وقبائله الى الأسرة البشرية ، التى لا تفاضل بين الأخوة فيها ، بغير العمل الصالح وبغير التقوى » (٤) . وهكذا تتأكد فردية الانسان . ولكنها فردية فى مجتمع ، وليست فردية مطلقة .

ونخلص الى أن القرآن يحدد معالم الطبيعة الانسانية كما يلى :

١ — أن الانسان مخلوق من خلق الله ، وهو خليفة لله فى الأرض ، وله رسالة ، ومن ثم فهو المخلوق المكلف .

٢ — أنه مخلوق خلقا بقدرة الله وارادته ، وآدم هو الانسان الأول ، وابليس هو العدو الأول للانسان .

٣ — أن طبيعة الانسان واحدة ولكنها تتكون من مجموعة من القوى ، جسد ، وروح وعقل وقلب ، ونفس ، وكل هذا يشكل الذات الانسانية ، فالانسان ليس أحد هذه القوى فقط ، بل هو نتيجة تكامل هذه القوى جميعا .

٤ — الانسان مفطور على التوحيد ، ولذا فمن العدل أن نقول انه خير فى أصل خلقه، الا أنه قابل لفعل الخير والشر، ولديه الاستعداد لهذا وذاك ، لأن فيه مناطق ضعف ، يمكن أن توازى مناطق الخير فيه ، فالشر يعرض عليه ، كما يعرض عليه الخير أيضا .

---

(١) الحجرات : ١٣ .
(٢) المائدة : ٢ .
(٣) الفتح : ٢٩ .
(٤) عباس محمود العقاد : الانسان فى القرآن (مرجع سابق) ، ص ٤٠٧ .

٥ ــ والانسان حر فى ارادته ، لديه من القدرة على الاختيار مثل ما منحه الله من العقل ــ الا أن فيه جبرية، تتمثل فى النواميس التى يخضع لها .

٦ ــ وهذا الانسان فرد فى جماعة ، وهذا يجعله مسئولا عن نفسه وعن مجتمعه بقدر ما يكون المجتمع مسئولا عن أفراده ، والرابطة التى تربط بين الأفراد ، هى رابطة التعاون والحب ، كما سيتضح فى الفصل القــادم .

٤ ــ المجتمــع المسلم

لقد أوضح القرآن فلسفة اجتمــاعية كاملة وواضحة ، والأســاس الرئيسى لها ، هو العقيدة ، حيث الاعتقاد بوحدانية الله ، ومنه تنطلق بقية أجزاء الفلســفة الاجتماعية ، فالمجتمع المســلم « هو النتيجة الحتميــة للايمان ، والتعامل الجاد مع القرآن » (١) .

وقد قدم القرآن الاطار العام للفلسفة الاجتماعية ، أما التفصيلات والجزئيات، فتركها للعقل الحر، يجتهد فيها حسب ظروف المجتمعات ، بحيث لا تخرج عن الاطار العام ولا تتناقض معه ، وحيث ان الفلسفة الاجتماعية هى أساس الفلسفة التربوية ، فان الباحث سيدرس النظــام الاجتماعى القرآنى من حيث اطاره العام المحدد فى القرآن كما يلى :

ملامح النظام الاجتماعى الاسلامى

ــ « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » (٢) .

---

(١) محمد شديد : قيم الحياة فى القرآن الكريم ــ دار الشعب ، ١٩٧٣ ، ص ٩ .

(٢) النساء : ١ .

تقرر هـذه الآية ، ان الانسـان قد خلق فردا ، لينتشر فى الأرض ويكون المجتمعات ، والهدف هو التقوى ، وطريقها التعاون والتعارف ، وبها يحصل الانسان على « القوت للغذاء والسلاح للمدافعة » فالاجتماع « ضرورى للنوع الانسانى ، والا لم يكمل وجودهم ، وما أراده الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه اياهم »[1] . فوجود المجتمع ، ليس اذن لتحقيق الحاجات البيولوجية فحسب ، وانمـا هـو ضرورى لتحقيق الحاجيات الروحية والجوانب المعنوية ، ولذا نجد القرآن يحدد دور الانسان الفرد ثم دور المجتمع فى سبيل اقامة وتنظيم المجتمع المسلم .

اولا : دور الانسان الفرد :

أوضح القرآن دور الفرد فى النظام الاجتماعى ، ذلك لأن الانسان « هو أعظم ثروة فى الوجود »[2] ، وهو « مدنى بطبعه . فلا يستطيع أن يعيش منفردا ، بل لابد أن يكون فردا فى أسرة وفردا فى أمة . ثم فردا فى المجتمع البشرى »[3] . ويتم ذلك على أساس :

(١) أن الانسان هـو العنصر الأول الذى على عاتقه مسئولية تكوين وتشكيل الظاهرة الاجتماعية ، التى لا تتم الا بتفاعل بين شخصين أو أكثر ، ولكى يتم هـذا التفاعل يتعين أن يكون الفعـل الصادر عن شخص معين ، معتمدا على وجود فعل آخر ، صدر عن شخص آخر »[4] .

---

(١) عبد الرحمن بن خلدون : مقدمة ابن خلدون ــ طبعة الشعب ــ تحقيق د. على عبد الواحد وافى ــ بدون تاريخ ، ص ٤٠ .

(٢) الشيخ محمد أبو زهرة : « المجتمع الانسانى فى ظل الاسلام » ــ **المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الاسلامية** ــ مجمع البحوث الاسـلامية ــ الأزهر ، ١٣٨٦ ــ ١٩٦٦ ، ص ٣٤٠ .

(٣) د. عبد الحميد حسن : الحياة المثالية للفرد والأمة كما أوضح الاسلام معالمها ، التوجيه الاجتماعى فى الاسلام ــ من بحوث مؤتمرات مجمع البحوث الاسلامية ــ الجزء الرابع ــ ١٣٩٢ هـ ــ ١٩٧٢ م .

(٤) نيقولا تيماشف : نظرية علم الاجتماع ، طبيعتها وتطورها ، ترجمة د. محمـد عودة وآخرين ــ مراجعة د. محمـد عاطف غيث ــ دار المعارف بمصر ــ ١٩٧٠ ــ ص ٤٤٢ .

(٢) أن هـذا الفرد في وجوده الاجتماعي مكلف برسالة ، وعن طريق هذه الرسالة ، يمكن له أن يحقق أهدافه وأهداف مجتمعه ، وواجب على المجتمع أن يزود الأفراد بهـذه الرسـالة ، ودور الانسـان الفرد الاجتماعي ، يتمثل في أداء الواجبات التي فرضها القرآن ، والتي لا تقل أهمية عن الحقوق التي كفلها له القرآن ، والأفراد في ذلك متساوون ، لا فرق بين رجل وامرأة ، حيث أن المرأة لهـا وظيفتها ودورها الطبيعي الاجتماعي ، مثـل ما للرجل تماما ، الا أن دورها يتفق مع طبيعتهـا . وفيما يلي نتناول الأفراد ، أما الواجبـات التي تقع على عاتق الأفراد ، فسوف يأتي بيانها .

حقوق الأفراد :

ويتساوى فيها الأفراد جميعا ، ومنها :

١ ـ الحقوق الدينية والروحية :

ـ « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا » (١) .

ـ « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » (٢) .

وهكذا نجد في القرآن آيات كثيرة يتوجه الخطاب فيها للانسان بوجه عام ، حيث نجد فيها تكليفا بالايمان ، ونجد وعد الله تعالى لمن عمل صالحا ، « وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ، من ذكر أو أنثى ، من بني آدم ، وقلبه مؤمن بالله ورسوله ، وأن هذا العمل المـأمور به مشروع من عند الله بأن يحييه حياة طيبة في الدنيا ، وأن يجزيه بأحسن ما عمله ،

---

(١) النساء : ١٢٤ .

(٢) النحل : ٩٧ . وانظر آل عمران : ١٩٥ .

فى الدار الآخرة » (١) • وبهذا سوى القرآن بين الأفراد جميعا ، ذكورا واناثا « فى جميع ما يتعلق بشئون المسئولية والجزاء فى الدنيا والآخرة » (٢) •

٢ ـ الحقوق الانسانية :

لم يغفل القرآن حق الانسان فى الحياة الحرة الكريمة ، حيث لا تفاضل ، بل مساواة بين جميع أفراد المجتمع ، فنجده يضمن حق الحياة للأفراد ، ولا يغمط حقا من حقوق الحضانة أو الرضاعة ، أو مما يحافظ على حياته ، فحياته مقدسة لا يمكن المساس بها •

ـ «قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم»(٣) ـ «ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ، أن قتلهم كان خطئا كبيرا »(٤) ـ « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين ، لمن أراد أن يتم الرضاعة » (٥) •

وهكذا نجد فى القرآن آيات كثيرة تحافظ وتقر الحقوق الانسانية للأفراد الانسانيين •

٣ ـ الحقوق المدنية :

للأفراد جميعا حق الملكية والتصرف فى المال والولاية على النفس، لا فرق بين رجل وامرأة • واذا كان للرجل الولاية على المرأة فى الزواج ،

---

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ـ الجزء الرابع ـ من تفسير سورة النحل •

(٢) د. على عبد الواحد وافى : المرأة فى الاسلام ـ مكتبة غريب ـ القاهرة ١٩٧١ ، ص ٣٧ •

(٣) الأنعام : ١٤٠ ، وانظر أيضا الآية ١٥١ •

(٤) الاسراء : ٣١ •

(٥) البقرة : ٢٣٣ •

« فليس له أن يجبرها،وانما الأمر اليها أولا وبالذات »[١].ودون ذلك « لها أن تتعاقد وتتحمل الالتزامات وتملك العقارات والمنقولات وتتصرف فيما تملك»[١].ثم انها اذا تزوجت،فانها تظل لها شخصيتها المدنية الكاملة، لا تذوب فى شخص الزوج ، ولا حتى فى اسمه .

وعلى هذا فالقرآن يساوى بين الجميع فى الحقوق المدنية ، لا فرق فى ذلك بين الرجل والمرأة [٣] .

٤ — حق التعليم :

— « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » [٤] — « انما يخشى الله من عباده العلماء»[٥] ، والمعنى:« انما يخشاه حق خشيته،العلماء العارفون به ، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدر العليم ، الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى ، كلما كانت المعرفة أتم وأكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر » [٦] .

ومعنى هذا أن الأفراد مكلفون بالتعليم وهو حق لهم يجب أن يوفره المجتمع ، لا فرق فى ذلك بين الذكور والأناث ، وهكذا يجب أن تتاح الفرصة أمام أفراد المجتمع للحصول على العلم والأدب والثقافة ، حسبما يشاء كل فرد فى حدود الاطار العام للحياة فى القرآن .

هذه هى أهم الحقوق الواجبة للأفراد جميعا فى المجتمع المسلم ، حسبما يقرره القرآن . الا أنه ذكر حقوقا نوعية ، لكل نوع على حدة ،

---

(١) محمد أبو زهرة : المجتمع الانسانى فى ظل الاسلام (مرجع سابق) ، ص ٣٦٢ .

(٢) د. على عبد الواحد وافى : المرأة فى الاسلام (مرجع سابق) ، ص ٧ .

(٣) للاستزادة أنظر كتب الفقه .

(٤) الزمر : ٩ .

(٥) فاطر : ٢٨ .

(٦) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم — الجزء السادس — ص٥٣٠ .

ورائد القرآن في ذلك هو التخفيف في التكاليف . ولعل هذا ما نلحظه بالنسبة لتقرير القوامة للرجال على النساء : « الرجال قوامون على النساء ، بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم » (١) — « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة » (٢) .

ومعنى القوامة « القيـــام بالنفقة عليهن والذب عنهن » . والقيــام « بتدبيرها ، وتأديبها »(٣) . ومن أجل هذه القوامة انتقص القرآن من حق المرأة في بعض الحقوق مثل :

الميراث :

— « يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين»(٤) — « وان كانوا اخوة رجالا ونساء ، فللذكر مثل حظ الأنثيين »(٥).والقرآن بهذا « أرحم وأرأف اذ أعطاها نصـــيبا يمكنها تجميده من ارث أبيها ، وهو في نتائجه أكبر بكثير مما يتبقي لها ، لو أخذت نصيبا كاملا ، وشـــاركت الرجل بأعبائه » (٦) .

الشـــهادة :

— « استشهدوا شهيدين من رجالكم ، فان لم يكونا رجلين ، فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضـــل احداهما فتذكر احداهما الأخرى » (٧) . وهنا جعل القرآن شهادة الرجل بامرأتين ، واستبعدت

---

(١) النســاء : ٣١ .

(٢) البقــرة : ٢٢٨ .

(٣) أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصارى القرطبى : الجامع لأحكام القــرآن — كتاب الشعب — دار الشعب — بدون تاريخ — ص ١٧٣٨ ، ١٧٣٩ .

(٤) النســـاء : ١١ .

(٥) النســاء : ١٧٦ .

(٦) د. مصطفى الرافعي : الاسلام نظام انساني — بيروت — ١٩٥٨ ، ص ٧٨ .

(٧) البقرة : ٢٨٢ .

« شهادتها فى الأمور المؤدية الى نتائج خطيرة كالشهادة على الزنى ، ولم يعتد بشهادة النساء وحدها ، الا فى الأمور النسوية الخالصة ، التى لا يعرفها غير النساء »(١) .

وبهذا يمكن القول بأن القرآن أعطى حقوقا متساوية لأفراد المجتمع ، بحيث يكون لكل فرد دوره الاجتماعى الذى يقوم به .

الأسـرة :

اهتم القرآن بالأسرة اهتماما بالغا ، وذلك لأنها أساس بناء المجتمع.

ومدخل تكوين الأسرة هو الزواج : «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة »(٢) — « وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ، ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله »(٣) . ولأن الزواج له دوره فى الترابط الاجتماعى ، واقامة المجتمع المسلم ، فان القرآن حرم أصنافا معينة من الأقرباء لا يجوز التزوج بهن(٤) ، وكذلك حرم التزوج من المشركات ، وذلك « لاختلاف العقيدة ، وأثرها بالغ على النظام الاجتماعى الاسلامى، وللمسلم أن يتزوج بمن يشاء ما عدا هؤلاء »(٥) ، على أساس أن الزواج يقوم على نية العشرة الدائمة ، التى لا تنقطع ، وذلك لتحقيق الثمرة منه ، والتى تتلخص فى :

١ — السكون .

٢ — المودة والرحمة .

---

(١) د. على عبد الواحد وافى (مرجع سابق) ، ص ٥٨ .
(٢) الروم : ٢١ .
(٣) النـور : ٣٢ .
(٤) أنظر النساء : ٢٢ — ٢٤ .
(٥) د. يوسف القرضاوى : الحلال والحرام فى الاسلام — ط ١٠ — مكتبة وهبة — ١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦ م ، ص ١٠٨ .

٣ ــ التفكير فى آية هذا الزواج . وعلى هذا الأساس فان الزواج يحقق « الجو الاجتماعى الصالح ، لعملية التنشئة الاجتماعية »(١) .

وقد حــدد القرآن العلاقات الأسرية ، على أســاس أنها « علاقة انسانية فى المجتمع بين الذكور والاناث من البشر الذين يزاولون المعاش ويتمرسون بضرورة دنياهم صباح مساء »(٢)،بحيث تكون هذه الجماعة الصغيرة صالحة لأن « تقدم للطفل أو تعرفه بالعلاقات الوثيقة والعلاقات الشخصية له »(٣) .

وهذه العلاقة لابد أن تكون قائمة على أساس التشاور والتراضى، والمعروف فى المعاشرة(٤)،والتعاون ، ولا تقتصر على العلاقات بين الزوجين فقط ، بل تمتد الى الأقارب ، ولذا نص القرآن على الاحسان للوالدين، ولذى القربى : « وبالوالدين احسانا وبذى القربى »(٥) . وبهذا حدد القرآن ، علاقات الأسرة ، ودور كل فرد سواء بين الزوجين أو الأولاد. ولكن ، ما العمل اذا أصاب هذا البنيان صدع أو ريح تكاد أن تودى به كما فى حالات النشوز ؟

يحدد القرآن أسلوب العلاج ، الذى يتلخص فى الآتى :

١ ــ الموعظة الحسنة .

٢ ــ الهجر فى المضاجع .

---

(١) د. محمد على حسن : علاقة الوالدين بالطفل واثرها فى جناح الأحداث ــ مكتبة الانجلو المصرية ــ القاهرة ــ ١٩٧٠ ، ص ١٤٢ .

(٢) عباس محمود العقاد : الفلسفة القرآنية ، (مرجع سابق) ، ص ٦٤ .

(٣) فريدريك الكين ، جيرالد هاندل : الطفــل والمجتمع ، عملية التنشئة الاجتمــاعية ــ ط ١ ــ (ترجمة د. محمــد سمير حســانين) مؤسسة سعيد للطباعة ــ طنطا ــ ١٩٧٦ ، ص ١٢٨ .

(٤) انظــر البقرة : ٢٨٨ ، والنســاء : ٣١ ، والبقرة : ٢٣٣ ، والطــلاق : ٦ .

(٥) النساء : ٣٦ ، وانظر : الاسراء : ٢٣ ، ٢٤ .

٣ ــ الضرب غير المبرح .

وهذا ما حددته آية النساء(١) ، الا أنه لا يلجأ الى الضرب الا بعد التأكد « من عدم نفع الوسيلتين السابقتين »(٢) . فاذا لم نجد كل هذه الوسائل ، فانه يجوز الطلاق فى هــذه الحالة ، هذا بالنسـبة للمرأة ، أما اذا نشز الرجل ، أو خافت المرأة نشوزه ، فيمكن التوصل الى صلح بينهما لتستمر الأسرة ، فاذا استحال الأمر ، فللمرأة أن تتنازل عن حقوقها وتطلب الطلاق من الزوج(٣) .

هذا هو شــكل الخلية الأولى للمجتمع المســلم كأساس للنظــام الاجتماعى .

٢ ــ دور المجتمع :

المجتمع المسلم « مجتمع معنوى ، أى أن العلاقات الاجتماعية فيه ، تبنى على الروابط الأدبية من تواد وتراحم » .. « ولا شك أن العلاقات المعنوية التى تقوم على المودة والرحمة هى التى يقوم عليها بنيان الجماعات الانسانية ، وهى الروابط التى تربط آحاد الناس ببعضهم »(٤) . ويبنى القرآن المجتمع على أساس العقيدة « وحيث يجتمع الناس على عقيــدة واحــدة ، تغــدو أساسا لمجتمع جــديد يســوده الاتســاق الفكرى والاجتماعى ، فى صــورة من الاخاء الانســانى ، يجب كل نزعة للقبلية أو الشعوبية »(٥) . والقرآن يوضح دور المجتمع ، الذى هو عبارة عن مجموعة من الأفراد ، فى وضوح ودقة ، على أساس :

---

(١) النساء : ٣٥ .

(٢) د. محمد الأحمدى أبو النور : منهج السنة فى الزواج (مرجع سابق) ، ص ٤٩٦ .

(٣) انظر النساء : ١٢٨ .

(٤) محمد أبو زهرة : المجتمع الانسانى فى ظل الاسلام ، (مرجع سابق) ، ص ٣٧١ .

(٥) د. حسين فوزى النجار : الاســلام والسياسة ــ مطبوعات الشعب ــ ١٩٧٧ ، ص ٧٨ .

١ - رعاية الأخوة والمساواة بين الأفراد .

٢ - صيانة الحقوق والحرمات ، التى كفلها الاسلام لكل فرد .

وعلى هذين الأساسين ، يحيط القرآن المجتمع بسياج أخلاقى ليحمى العلاقات بين الأفراد حتى يظل المجتمع المسلم قويا . والالتزام بهذا السياج يعمل على استقامة الحياة على نمط سوى ، يبغى خير الحياة وخير الانسان .

اخلاق المجتمع المسلم :

١ - الأوامر :

« وتعاونوا على البر والتقوى» هذه الآية تبين « أن واجب المؤمنين أن يتضافروا لايجاد مجتمع فاضل ، ولا يسكت مؤمن عن الدعوة الى الفضيلة ، فى دائرة استطاعته من غير فتنة ولا نقص للصلات بين الجماعة »(١) .وقد ورد فى القرآن مجموعة من الفضائل الأخلاقية،تضمن سيادة الفضيلة فىالمجتمع المسلم ، حتى يصبح مجتمعا خاليا من الأمراض، وبالتالى يكون مجتمعا قويا ، ملتزما بشريعة الله ، لا يوجد به مكان لمنحرف،لأنه لا يوجد من يجهر بمعصية ، الا ونال عقابه ، ولن يوجد فيه ضال ، لأن السياج الأخلاقى شامل ، والأفراد متحابون اخوان فى سبيل الخير ، والكل ملتزم بالشريعة باطنيا ، فوازعه من داخله ، وان كان المجتمع كمجموع أفراد يقوم بدور الرقيب .

والقرآن(٢) يأمر بأداء الأمانات والوفاء بالعهود ، وتنظيم العقود

---

(١) محمد حسين هيكل : حياة محمد صلى الله عليه وسلم (مرجع سابق) ، ص ٥٠١ .

(٢) انظر النساء : ٥٨ ، والبقرة : ٢٨٢ ، والمائدة : ١ ، والاسراء : ٣٤ ، والرعد : ٢٠ ، والأنعام : ١٥٢ ، والنساء : ١٣٥ ، والحجرات : ١٠ ، والأنفال : ١ ، والنساء : ١١٤ ، ٨٥ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، والفتح : ٢٩ ، والبقرة : ٢١٥ ، ٢٢٠ ، ١٧٧ ، والبلد : ١٢ ، ١٣ ، وآل عمران : ١٣٤ ، والشورى : ٣٧ ، والمائدة : ٦١ ، والضحى : ١٠ ، ١١ ، والتوبة : ١٥٢ : وآل عمران : ١٨٧ ، والبقرة : ١٥٩ .

وكتابتها ، والادلاء بالشهادة الصادقة ، والاصلاح بين المتخاصمين ، والشفاعة الحسنة ، والتراحم والاحسان واستثمار الأموال فى سبيل الخير ، والعفو ، والجامع لهذا كله أنه يأمر « بنشر العلم » . فأمهات الفضائل يأمر بها القرآن ، ويلزم ، وأكثر من هذا فان الأمر مفتوح الى دعوة الحق والتواصى بالصبر ، بما تشتمل عليه من خير — كل خير : «والعصر . ان الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

٢ — المحظورات :

نهى القرآن نهيا قاطعا عن جملة من الأفعال ، التى تؤثر سلبيا على المجتمع ، وفرض عليها عقوبات . ذلك أن هذه الأفعال تعد جرائم تهدد البناء الاجتماعى للأمة ونظامها ، وذلك « حفاظا على الكليات الخمس التى عنى الاسلام بالمحافظة عليها ، وهى النفس والدين والنسل والعقل والمال ، وهى جميعا مما يتصل بتوفير الحياة واعلاء الكرامة الانسانية ، وجعل فيها شفاء للمجنى عليه من شر الترة ، وحنق المظلوم ، وتعويضا عادلا عما يقع عليه من أذى ، ودرعا لذوى النفوس الشريرة من الجهر بالمعصية والايغال فيها »(١) .

فالقرآن ينهى عن قتل النفس أو الاضرار بها ، ويفرض القصاص عقوبة للقتل ، ويحمى الأموال ويحرم أكل أموال الناس بالباطل ويحرم الرشوة ، والغش والربا ، والاختلاس ، وأكل مال اليتيم . . بالجملة، يحرم

---

(١) د. حسين فوزى : الاسلام والسياسة (مرجع سابق) ، ص ١٠٨ .

القرآن كل ما يعرض النظام الاجتماعى للفساد[1] ، فيحرم خيانة الأمانة والايذاء بلا داع ، والظلم والتواطؤ على الشر ، والزنا ، والدفاع عن الخونة ، والغدر والخداع والشهادة بالزور ، وكتمان الحق ، وقول السوء ، وسوء معاملة اليتيم والسخرية من الناس ، واحتقارهم ، والتجسس ، والاغترار والغيبة و .... وهكذا نجد القرآن يحرم ممارسة أى مرض اجتماعى ، يقضى عليه ، قبل أن يستفحل ويستشرى خطره .

وسبيل المجتمع فى كل هذا هو العدالة الاجتماعية ، التى عن طريقها يحقق المجتمع المسلم أهدافه ، ويحمى أفراده ، وعن طريقها يمكن أن يلزم أفراده بهذا القانون الأخلاقى الذى يعتبر فى حد ذاته هدفا من أهم أهداف المنهج الربانى القرآنى .

---

(١) انظر : المائدة : ٣٢ ، والبقرة : ١٧٨ ، والمائدة : ٣٨ ، والنساء : ٢٩ ، والبقرة : ١٨٨ ، والمطففين : ١-٣ ، والبقرة : ٢٧٨-٢٧٩ ، والأعراف : ٨٥ ، والنساء : ١٢٢ ، ٢٩ ، ٨٥ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٠٠ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، والأنفال : ٢٧ ، والأحزاب : ٥٨ ، وطه : ١١١ ، والشورى : ٧ ، ٤٠ ، والفرقان : ١٩ ، والمائدة : ٢ ، ٧٨ ، والنحل : ٩١ ، وآل عمران : ١٨٨ ، والحج : ٣٠ ، والبقرة : ٢٨٣ ، ١٥٩ ، والحجرات : ٦ ، ١١ ، ١٢ ، ولقمان : ١٨ ، والهمزة : ١ ، والمجادلة : ٩ ، والنور : ٤ ، ٥ ، ١٥ ، ٨ ، ١٩ ، ٤ .

وانظر أيضا : دستور الأخلاق فى القرآن ، وتفصيل آيات القرآن الكريم ، (لجول لابوم) .

« العدالة الاجتماعية »

- « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون »(١) .

- « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله ، شهداء بالقسط ، لايجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى»(٢) .

تأمر هذه الآيات بالعدل ، وهو يرتبط أساسا بفكرة التوحيد ، والايمان بالله ، التى على أساسها يقوم المجتمع المسلم ، ويعتمد عليها ، «ويوم يؤمن الانسان بالله ، كما آمن بالفكر ، يوم يوفر تفكيره لمحض الخير »(٣) .

والعدالة الاجتماعية تعنى :

« تمكين كل ذى قوة من أن يعمل بمقدار طاقته ، بحبث تهيأ الفرص المناسبة ، لكى تظهر كل القوى ، وتوضع كل قوة فى مرتبتها وأن توجد الكفالة للعاجزين عن العمل ، لكى يعيشوا وينالوا حظهم فى الحياة ، ليكونوا قوة فى الجماعة ان كانوا صغارا ، وليأمنوا من الجوع والعرى ان كانوا كبارا ، لا يرجى أن يزول سبب عجزهم » (٤) .

وقد اعتمد القرآن فى تحقيق العدالة الاجتماعية،على أسس تتلخص فيما يلى :

اولا - الحرية :

لن تنجح عدالة اجتماعية ما لم توفر الحرية للانسان ، من كل مايعوق نموه الاجتماعى ومشاركته الاجتماعية ، ولن تتحقق الا اذا استندت

---

(١) النحل : ٩٠ .

(٢) المائدة : ٨ .

(٣) د. محمد البهى : الاسلام فى حياة المسلم - ط ٥ - مكتبة وهبة - ١٩٧٧ ، ص ١٩٨ .

(٤) الشيخ محمد أبو زهرة : المجتمع الانسانى فى ظل الاسلام . (مرجع سابق) ، ص ٣٩٧ .

الى شعور نفسى باطنى باستحقاق الفرد لها ، وبحاجة الجماعة اليها ، وبعقيدة فى أنها تؤدى الى طاعة الله ، والى واقع انسانى أسمى »(١) . ولذا نجد القرآن يشمل ويقدم « أرقى مضامين الحرية » (٢) . اذ أن الاسلام « لا يرى قيمة لحياة الانسان بدون الحرية » (٣) . وهى تعتمد فى أساسها على التحرر الوجدانى العقائدى ، ثم تأتى بقية الحريات ، نتيجة له .

١ ـ التحرر العقائدى :

لقد حرر القرآن الانسان « من عبادة أحد غير الله ، ومن الخضوع لأحد غيره » (٤) ، وترك « لكل فرد الحرية التامة فى أن يبنى عقيدته على ما يصل اليه عقله السليم ، ونظره الصحيح ، وجعل أساس الأيمان وعماد التوحيد ، البحث والنظر والعقل والدليل » (٥) : « لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى » (٦) .

والقرآن يحرر عقيدة الانسان من اتباع الهوى أو التقليد الأعمى ، فالوحدانية لله وحده ، والعبودية له وحده ، والاستعانة به وحده : « اياك نعبد ، واياك نستعين » وأكثر من هذا « فقد ترك الاسلام الحرية حتى

---

(١) سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الاسلام (مرجع سابق) ، ص ٣٦ .

(٢) د. جابر طعيمة : الاسلام والتقدم الاجتماعى « دراسة للتكافل الاقتصادى والاجتماعى فى الاسلام » ـ ط ٢ ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ صيدا ـ ١٩٧٣ ، ص ٨٣ .

(٣) د. مصطفى السباعى : اشتراكية الاسلام ـ الناشرون العرب ـ ١٩٧٧ ، ص ٧١ .

(٤) سيد قطب (مرجع سابق) ، ص ٣٧ ، ٣٨ .

(٥) عبد الله فوشة : « فلسفة الحريات فى الاسلام » ـ مجموعة بحوث الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة ـ بحوث ودراسات ، جمع وتقديم محمد خلف الله أحمد ـ مكتبة النهضة المصرية ـ بدون تاريخ ـ ص ١٠٨ .

(٦) البقرة : ٢٥٦ .

لهؤلاء الذين أنكروا الايمان بالله ، أو الذين اختلفوا مع الاسلام فى العقيدة » (١) : « وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر » (٢) .

وهكذا يحرر القرآن الانسان من كل ما يعوق تقدمه فى مجال العقيدة ، حتى يحس الانسان قيمة ذاته ، وحتى ينطلق فى حياته من غير قيود ، اعتمادا على فطرة الانسان المجبولة على التوحيد ، واعتمادا على أن كل شيء بيد الله ، ومن ثم يتحرر الانسان من الخوف ..

٢ - التحرر الفكرى :

- « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » (٣) - « أفلا يتدبرون القرآن ، أم على قلوب أقفالها »(٤) . والقرآن يدعو الى التفكر فى آيات الله ، والتدبر فيها ، وهذا لا يتأتى الا اذا توفرت الحرية الفكرية اللازمة لهذا التفكر والتدبر.ولقد أطلق القرآن العنان للفكر،فيما يعود على الناس بالخير ، خاصة « وأن عقائده وتعاليمه وأحكامه تتفق مع العقل السليم ، والنظر الصحيح وأنه دعا الى الاجتهاد ، واعتبر القياس ، فلا يمكن أن يتطرق اليه الجمود ، أو يضيق عن حاجات الاجتماع ، أو يصادم الحقائق العلمية ، أو يعارض النظريات الكونية ، أو أنواع العلوم التى تحقق مصلحة للأمة ، أو تدرأ مفسدة عنها » (٥) .

٣ - التحرر الاقتصادى :

أقر القرآن الحرية الاقتصادية ، وهى ضمان العمل للانسان ليتكسب منه ، ليحصل على لقمة العيش من وراء هذا العمل - عمل شريف يتناسب

---

(١) د. ابراهيم الطحاوى : الاقتصاد الاسلامى مذهبا ونظاما ، دراسة مقارنة - ج ٢ - مجمع البحوث الاسلامية - ١٩٧٤ ، ص ١١٦ .

(٢) الكهف : ٢٩ .

(٣) البقرة : ٣٧ .

(٤) محمد : ٢٤ .

(٥) عبد الله غوشة (مرجع سابق) ، ص ١١٦ .

مع قدرات الانسان وامكانياته ، على أن لا يأخذ الغير ما يكتسبه الفرد ـ الا بحق مشروع .

وقد ترك القرآن حرية اختيار العمل للأفراد ، وفقا لميولهم واستعداداتهم ، بشرط ألا يجلب ضررا على المجتمع ، وبحيث يقوم على بناء المجتمع ويحفظ كيانه :

ـ « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا ، فامشوا فى مناكبها ، وكلوا من رزقه »[1] ـ « وقل اعملوا ، فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »[2] .

وعلى أساس هذه الحريات الثلاث تبنى بقية ألوان الحريات ، كالحرية السياسية ، وغيرها . والملاحظ أن هذه الحرية التى منحها القرآن للأفراد ، هى حرية مضبوطة ، لا حرية غوغائية . وبهذا وفر القرآن للانسان مجالا واسعا للتأثير والايجابية ، فالانسان المسلم كامل الحرية ، لا تحد حريته الا حرية أخيه الانسان ، وأمن المجتمع .

ثانيا : الوحدة الانسانية :

وتتمثل فى أمرين :

١ ـ المساواة .　　　　٢ ـ الاخاء .

١ ـ المساواة :

يقرر القرآن مبدأ المساواة على أساس وحدة الجنس البشرى من حيث المبدأ والمنشأ والمصير :

ـ « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء »[3] .

---

(١) الملك : ١٥ .
(٢) التوبة : ١٠٦ .
(٣) النساء : ١ .

— « ألم نخلقكم من ماء مهين ، فجعلناه فى قرار مكين ، الى قدر معلوم ، فقدرنا فنعم القادرون »(١) .

فالكل سواء أمام الله من حيث المبدأ ، وما يترتب على هذه الوحدة، لابد أن يكون واحداً فالناس « يتساوون فى الأخذ عن الله ، والخضوع جنيعا لما شرعه الله »(٢) ، ولكن « قد يتميز بعض الناس بالذكاء أو المواهب ، أو فى العمل أو الانتاج ، أو فى النفع العام للمجتمع ، وهذا هو معنى قوله « وهو الذى جعلكم خلائف فى الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم »(٣) .

ولكن هذا التفاوت ليس سبيلا للتفاضل عند الله : « ان أكرمكم عند الله أتقاكم »(٤) . وفى تقدير المجتمع تقديرا أدبيا كريما ، هو مطالب أصحاب المواهب بأن يستعملوها فى خدمة أمتهم ومصلحتها (٥) .

ومعنى هذا : أن المساواة « مطلقة فى تطبيق الشريعة الاسلامية ، لا فرق فى هذا بين الحكام والمحكومين »(١)،ولا بين رجل وامرأة،وذلك فى الحقوق العامة ، التى تحمى كل انسان أن يبغى عليه أحد . « والفيصل فى ذلك هو التقوى » ، وهى « كلمة جامعة لكل ما يقيمه الانسان من تعليمات وحدود ، فلا فضل لانسان على انسان الا بما ينهض به من تبعات ويرعاه من حدود »(٦) .

---

(١) المراسلات : ٢٠ — ٢٣ .

(٢) محمد عبد الله العربى : النظم الاسلامية (مرجع سابق) ، ص ٦٠ .

(٣) الانعام : ١٦٥ .

(٤) الحجرات : ١٣ .

(٥) د. مصطفى السباعى : اشتراكية الاسلام (مرجع سابق) ، ص ١١٣ .

(٦) على عبد العظيم : « الشريعة الاسلامية اعلى وادق الشرائع » — منار الاسلام — العدد ٢ — (السنة الثانية) — صفر١٣٩٧ — فبراير١٩٧٧ .

(٧) عباس محمود العقاد : الديمقراطية فى الاسلام — المجلد الخامس من اعمال العقاد — دار الكتاب اللبنانى — بيروت — ١٩٧٤ ، ص ٤٩٧ .

٢ ـ الاخـاء :

ـ «انما المؤمنون اخوة»(١).والاخوة المؤمنة عمادها البر والرحمة، لا تشوبها شائبة الاستعلاء أو المن ، فالجميع اخوة لأنهم « خلص لذلك متمحضـون ، قد ازاحت عنهم شـبهة الأجنبيـة ، وأبى لطف حالهم فى النماذج والاتحاد ، أن يقدموا على ما يتولد من التقاطع »(٢) ــ وهى نابعة من « الارادة الحرة وابتغاء وجه الله دون أى اعتبار آخر »،وتصدر « عن نفس قوية لا تعرف لغير الله اسلاما ، ولا تضعف ولا تتهالك باسم الورع أو التقوى ، ولا يتسرب اليهـا خوف أو وهن الا عن معصية تجترحها أو اثم تقترفه »(٣) ، وهذا الاخاء « يجعل الانسان يعترف بحق الانسان فى الحياة والوجود،وهو الذى يحول الانسان من أنانى جامح، تتحكم فيه أنانيته ، الى مشارك لغيره فى الحياة » ـ وهى تجعل المسلم :

١ ـ يحول دون اضرار أخيه .

٢ ـ يشاركه سروره وأحزانه ويترفق به فى ضعفه وعجزه .

٣ ـ ويمد له يد المعونة عند الحاجة .

٤ ـ ويقدم له الرأى والمشورة(٤) .

واذا تحقق شرط الوحدة الانسانية من مساواة واخاء ، اذن يتحقق قول الله تعالى : « محمد رسـول الله والذين معه أشـداء على الكفار رحماء بينهم »(٥) .

---

(١) الحجرات : ١٠ .

(٢) الزمخشرى : تفسير الكشاف (مرجع سابق) الجزء الرابع ، ص ١٢ .

(٣) د. محمد حسين هيكل : حيـاة محمـد (مرجع سابق) ، ص ٢٢٧ .

(٤) د. محمد البهى : الاسلام فى حيـاة المسلم (مرجع سابق) ، ص ٩٠ .

(٥) الفتح : آخـرها .

ثالثا : التكافل الاجتماعى :

وهو من ثمرات التحرر والوحدة الانسانية ، فالتكافل الاجتماعى « هو الذى ينظم حياة المجتمع الاسلامى فى جميع قطاعاته »(١) .

ومعنى التكافل الاجتماعى « أن يتساند المجتمع أفراده وجماعته ، بحيث لا تطغى مصلحة الفرد على مصلحة الجماعة ، ولا تذوب مصلحة الفرد فى مصلحة الجماعة ، وانما يبقى للفرد كيانه وابداعه ومميزاته ، وللجماعة هيبتها وسيطرتها ، فيعيش الأفراد فى كفالة الجماعة كما تكون الجماعة متلاقية فى مصالح الآحاد ودفع الضرر عنهم »(٢) .

والقرآن يقرر ألوان التكافل سواء كان بين الفرد ونفسه ، أو بين الفرد والمجتمع جميعا فكل فرد فى المجتمع مسئول عن هذا التكافل ، ومجموع الأفراد مسئول عنه ، وباستقراء آيات القرآن نجدها توضح طرق التكافل كما يلى :

١ ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

٢ ـ الدعوة الى الخير واستباق الخيرات .

٣ ـ التعاون على البر والتقوى .

٤ ـ التواصى بالحق والصبر والمرحمة .

٥ ـ البر بالفئات الضعيفة والفقيرة .

٦ ـ وحدة المجتمع الاسلامى(٣) .

---

(١) عبد المنعم خلاف : المادية الاسلامية وأبعادها ـ دار المعارف بمصر ـ د . ت . ص ١٣٨ .

(٢) عبد العزيز الخياط : المجتمع المتكافل فى الاسلام ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٩٧٢ ، ص ٧٢ .

(٣) أنظر الآيات : الشمس : ٧ ـ ١٠ ، والبقرة ١٩٥ ، ١٥ ، والتوبة : ٧١ ، والحجرات : ١٠ .

وبالحرية والوحدة الانسانية والتكافل الاجتماعى ، يمكن تحقيق العدالة الاجتماعية الحقيقية فى المجتمع المسلم ، والى جانب ذلك ، فهى لا تهمل النواحى الاقتصادية أو غيرها ، اذ هى جوانب تحقيق هذه العدالة ، ولذا سنلمح لها فى ايجاز .

الاقتصاد القرآنى

يقوم الاقتصاد القرآنى على دعامتين أساسيتين هما : المال والعمل ، وقد تناولهما القرآن فى كثير من نصوصه فبين أهمية المال ، اذ هو لفظ شامل « يشمل جميع القوى التى سخرها الله للانسان من خير فى البر والبحر ، ظاهر الأرض وباطنها »(١) .

١ ـ الملكية الحقيقية للمال :

يقرر القرآن أن « لله ملك السموات والأرض وما فيهن »(٢) ـ «له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى»(٣) .فالله مالك كل شيء فى الحقيقة ، ومن هنا فاذا نسب الانسان الملكية لنفسه ، فانه ولابد أن يتقيد وينفذ شرائع المالك الحقيقى ، ويعمل طبقا لشريعة المالك ، اذ أنه مستخلف فيه:«آمنوا بالله ورسوله ؛ وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه»(٤) ـ ومعناه أيضا،« ضمان وجدانى لتوجيه المال الى نفع عباده »(٥) . وهكذا يمكن القول بأن القرآن يقرر الملكية الفردية ، ليكون كل فرد مسئولا عن المال الذى بين يديه ، ويقرر الحرية فى التصرف فى هذا المال ، فى اطار التعاليم الالهية ، وهى حقوق الله

---

(١) د. محمد عبد الله العربى : النظم الاسلامية (مرجع سابق) ، ص ١٣٠ .
(٢) المائدة : ١٢٠ .
(٣) طـه : ٣ .
(٤) الحديد : ٧ .
(٥) د. محمد عبد الله العربى : النظم الاسلامية (مرجع سابق) ، ص ١٠٤ .

أو المصلحة العامة للأمة،أى «ما ارتفع فوق مصلحة أشخاص معينين»(١)• وهذه المصلحة هى « كل ما يحفظ عليهم تماسك جماعتها ووحدتها ، ويقيها عدوان أعدائها ، ويحقق لها قيامها وأهدافها ، ويصون علاقات أفرادها » (٢) •

٢ ـ حقوق الله فى المال :

وتتمثل هذه الحقوق فى أوامر الله تعالى فى هذا المال ؛ ولها جانبان : جانب سلبى ويتمثل فى تجنب الخبيث ، وجانب ايجابى ويتمثل فى فعل ما يرضى الله تعالى ، كايتاء الزكاة ، والانفاق فى سبيل الله •

أما الجانب السلبى فيتمثل فى النهى عن التلهى بالأموال (٣) ، وعدم أكل أموال الناس بالباطل (٤) ، وعدم الاستفادة من أموال اليتامى والضعفاء(٥) ، وتحريم الغش والكنز والبخل والربا •

وأما الجانب الايجابى ، فيتمثل فى الأمر بوجوب استثمار المال ، باعتباره مصدرا من مصادر الانتاج،وأداء الزكاة والانفاق فى سبيل الله ، على اعتبار أن المال مال الله ، وملكية الانسان لهذا المال «وظيفية»(٦) ، والالتزام بهذه الأوامر هو شكر المنعم على هذه النعمة •

هذا عن الاطار العام لسياسة المال ، أما التفاصيل فمتروكة لذوى العقول يجتهدون فيها لصالح المجتمع •

---

(١) د. محمد البهى : الفكر الاسلامى والمجتمع المعاصر (مرجع سابق) ، ص ٣٧ •
(٢) نفس المرجع ، ص ٣٨ •
(٣) انظر المنافقون : ٩ •
(٤) انظر النساء : ٢ •
(٥) انظر النساء : ١٠ •
(٦) فتحى رضوان : الاسلام والمذاهب الحديثة ـ العدد (٤١٥) من سلسلة (اقرأ) ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٧٦ ، ص ٣٤ •

أما الجانب الثانى وهو **العمل** . فنجد القرآن يدعو اليه ، ولايقتصر على عمل معين (١) من أنواع العمل ، بل يأمر بها جميعا ، ســواء كان تجارة أو صناعة أو زراعة ، ولكنه العمل المتزن ، بغير افراط ، ولا جعله غاية فى ذاته :

« هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها ، وكلوا من رزقه »(٢) ـــ « فانتشروا فى الأرض ، وابتغوا من فضل الله »(٣) .

ومعنى هذا أن القرآن يوجه المسلمين الى تحصيل المـــال من طرق مشروعة ، وينهاهم عن تحصيله بالطرق الغير المشروعة ، وحيث أن المسلم مكلف اقتصاديا ، فلابد له من العمل ، وحيث أن الانتاج ضرورة ، فيجب توفير العمـــل المناسب لكل فرد على أساس الكفاية والمقـــدرة ، فى اطار تكافؤ الفرص فى العمل ، وليس على أساس الصراع واقتناء الأموال .

اصـــول الحكم

نتناول هنا الأسس النظرية للحكم فى القـــرآن ، لأنهـــا جناح مهم لاستكمال العدالة الاجتماعية وتحقيقها ، وهـــذه الأسس تشكل الأساس العام أو الاطار العام لنظرية الحكم فى القرآن ، سواء عبر عنها بالامامة ، أو الخلافة ، أو غيرها ـــ وتتلخص فى :

١ـــ أنها تقوم أساسا على توحيد الله،واعتباره السلطة الحقيقية التى تصدر عنها جميع القوانين .

٢ ـــ العدل : اذ هو « الغاية العامة أو غاية الغـــايات من الحكم الاسلامى »(٤).ولذا نجد القرآن يأمر به « أن تحكموا بالعدل »(٥) .

---

(١) أنظر قريش ، عبس : ٢٤ ـــ ٣٢ ، والحديد : ٢٥ ، والأعراف : ٢٦ ، والنحل : ٤٤ .

(٢) الملك : ١٥ .

(٣) الجمعة : ١٠ . وانظر : البقرة : ١٩٨ ، والنمل : ١٤ .

(٤) د. محمد ضياءالدين الريس : النظريات السياسية الاسلامية ـــ دار المعارف بمصر ـــ ١٩٦٦/١٩٦٧ ، ص ٨٢١ .

(٥) النســـاء : ٥٨ .

٣ ــ الشورى : وهذه أوجبها الله على الحكام : « وشاورهم فى الأمر »(١) ــ « وأمرهم شورى بينهم »(٢)٠أما طريقتها ، فلم يحدد القرآن لها نظاما ، وتطبيقها متروك للظروف والمقتضيات ، والمهم أن يكون كل عضو من أعضاء الشورى « مدركا لاستقلاله الأدبى ولمسئوليته الأخلاقية وأن يعبر عن رأيه فى حرية ، بعد تأمل ناجح فى المشكلة المعروضة »(٣)٠ وهى لا تكون فيما نزل به وحى،بل تكون فيما يستجد من مشاكل،تجابه السلطة السياسية أو المجتمع ، والأصل فيها حرية الرأى ما لم تمس أصلا من أصول العقيدة أو العبــادة ٠

٤ ــ الطاعة من المحكومين : « يا أيهــا الذين آمنــوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم »(٤)٠ويلخص الماوردى ذلك فيقول: « واذا قام الامام بما ذكرناه من حقوق الأمة فقد أدى حقوق الله تعالى فيما لهم ، وعليهم ، ووجب عليهم حقان : الطاعة والنصرة »(٥) ، أما اذا خــرج رئيس الدولة عن الشرع ، سقطت طاعته ، لأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ٠

مصدر السيادة فى نظام الحكم :

مصدر السيادة فى الدولة الاسلامية هو الله ، أما السيادة السياسية فهى للأمة ، وهى تستمد من المبادىء الأساسية للاسلام ، أما رئيس الدولة فهو وكيل الأمة(٦) ، ومن ثم فحريته محــدودة جدا ، لأنه فرد فى أمة ،

---

(١) آل عمران : ١٥٩ ٠

(٢) الشورى : ٣٨ ٠

(٣) د. محمد عبد الله دراز (مرجع سابق) ، ص ٤٦ ٠

(٤) النساء : ٥٩ ٠

(٥) المــاوردى : الأحكام السلطانيــة ــ مطبعــة الوطن ــ مصر ــ ١٢٩٨ هـ ، ص ١٦ ٠

(٦) ارجع الى :

ــ عباس محمود العقاد : الديموقراطية فى الاسلام ٠

ــ المسلم المعاصر ــ العدد العاشر ٠

فلا امتياز له عن أدنى فرد فى الأمة ، أما عن المؤسسات الحكومية فمتروكة لعمل العقل ، وللأمة ، بحيث تختار ما يناسبها وبما يتوافق مع طبيعتها ووضعها ، بحيث لا تخرج عن الاطار العام للمجتمع الاسلامى .

وضع أهل الذمة (١) :

يلزم القرآن المسلمين بأن يوفوا بعهد من يدخل معهم فى عهد : « وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا » (٢) ، وهذا أمر بالوفاء بالعهد « والميثاق الذى أبرموه مع غيرهم من أهل الديانات الأخرى ، واحترام ما تعاهدوا عليه احتراما تاما ، ما داموا هم على العهد لم ينقضوه » (٣) ، وعلى ذلك فان لأهل الذمة حقوقا تتلخص فيما يلى :

١ - الوفاء لهم بالعهد .

٢ - احترام دياناتهم وأموالهم وأنفسهم وأعراضهم .

٣ - وللمسلمين حق مصاهرتهم والأكل من ذبائحهم (٤) .

٤ - ولهم حسن المعاملة والمعاشرة « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبروهم وتقسطوا اليهم » (٥) .

٥ - ولهم حق تولى الوظائف فى الدولة ، دون الوظائف العامة ، ولهم تعليمهم الخاص بهم ، مادام لا يثير فتنة ، ولم يتعرض لعقائد المسلمين .

---

(١) الذمى هو : غير المسلم ، الذى يقيم مع المسلمين فى دار السلام ، بمقتضى عقد ذمة يعقده معهم .

(٢) الاسراء : ٣٤ .

(٣) د. محمد مصطفى شحاتة الحسينى : العلاقات الدولية فى الفقه الاسلامى (محاضرات) - طبعة أولى - جامعة الأزهر - ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م ، ص ٨٣ .

(٤) انظر المائدة : ٥ .

(٥) الممتحنة : ٨ .

٦ ـــ ولهم عاداتهم الخاصة بهم ، لا يتدخل فيها القانون الاسلامي ، الا أنهم في الشئون العامة ، خاضعون للقانون الاسلامى العام .

خامسا : المجتمع الدولي

يشتمل القرآن « على مبادىء لتنظيم العلاقات بين جماعة المؤمنين، وبين الجماعات الأخرى »(١) ، وفي جميع حالاتها :

١ ـ حالة السلم :

يطلب القرآن من المسلمين وغير المسلمين أن يعيشوا في سلام ، لأن السلام هو « الحالة الأصلية ، التي تهيىء للتعاون والتعارف ، واشاعة الخير بين النـاس عامة »(٢) . واذا احتفظ غير المسلمين بحالة السـلم ، فهم والمسلمون في نظر القرآن سواء ، « اخوان في الانسانية ، يتعاونون على خيرها العام ولكل دينه الذى يدعو اليه بالحكمة والموعظة الحسـنة ، دون اضرار بأحـد ، ولا انتقاص لحق أحد »(٣) : « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن ، الا الذين ظلموا منهـم ، وقولوا آمنـا بما أنزل الينا ، وأنزل اليكم،والهنا والهكم واحد،ونحن له مسلمون»(٤).

أما المعاهدون ـــ وهم الذين ارتبطوا مع المسلمين بمعاهدة ـــ فواجب الوفاء بعهودهم « وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ، ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها ، وقد جعلتم الله عليكم كفيلا »(٥).ومثلهم في ذلك المشركون ،

---

(١) د. أبو المعاطى أبو الفتوح : حتمية الحـل الاسلامي (تأملات في النظام السياسى) ـــ القاهرة ـــ ١٩٧٧ م ، ص ٢٧ .

(٢) الامام الاكبر محمود شلتوت : الاســلام عقيدة وشريعة (مرجع سابق) ، ص ٤٥٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٥٣ .

(٤) العنكبوت : ٤٦ ، وانظر : البقرة : ٢٥٦ ، والغاشية : ٢١ ، ٢٢ ، والأنعام : ١٠٨ .

(٥) النحـل : ٩١ .

الذين يثبتون على عهدهم « الا الذين عاهدتم من المشركين ، ثم لم ينقصوكم شيئا ، ولم يظاهروا عليكم أحدا ، فأتوا اليهم عهدهم الى مدتهم ، ان الله يحب المتقين » (١) .

أما المحايدون ، فهؤلاء يجب أن يتركوا ويبذل لهم الأمن : « فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم ، وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا »(٢) . هذا الى جانب أن القرآن دعا الى حسن الجوار(٣) .

٢ ـ حالة الحرب :

« وحين تقف القوة فى سبيل الدعوة بالحسنى ، فلا محل معها للاقناع ولا لحرية الاستماع ، وانما هى القوة تدفع القوة ، حين تنقطع أسباب المحبة ، وأسباب الأمان ، ولا أمان حيث يرفض التعاهد والولاء »(٤) . والقرآن فى توجيهاته ، وتشريعاته للحرب ، لم يبحها « الا فى حالة الاضطرار ، وذلك عند التأبى عن الدخول تحت لوائه ، وقصد التقوى والتضييق على من آمنوا بالحق الذى أدركوه »(٥) : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير » (٦) .

سادسا : الحياة الآخرة

لا تنتهى حياة المسلم بانتهاء حياته الأرضية ، بل يعتبر الموت فى فلسفة القرآن انتقالا الى حياة أخرى ، وقد أعطى القرآن أهمية لهذه الحياة الأخرى ، لم تتضح فى دين أو فلسفة مثلما اتضحت فى القرآن ،

---

(١) التوبة : ٤ .
(٢) النساء : ٩٠ .
(٣) انظر الممتحنة : ٨ .
(٤) عباس محمود العقاد : الديموقراطية فى الاسلام (مرجع سابق) ، ص ٥٢٣ .
(٥) د. محمد مصطفى شحاتة الحسينى (مرجع سابق) ، ص١٢٣ .
(٦) الحج : ٣٩ ، ٤٠ .

فهو يعرض لها « جزءا محسوسا وحيا متحركا وبارزا شاخصا »(١) •
وقد سماها القرآن باسم «الدار الآخرة»«والحياة الآخرة»«اليوم الآخر»،
تمييزا لها عن الحياة الدنيا ، وجعلها جزءا أساسيا من عقيدة المسلم •

١ - بداية هـذه الحياة :

وهى تبدأ بموت الانسان، حيث أن الموت جزء أساسى من عقيدة القرآن،
فكلما يحس الانسان بحقيقة وجوده ، فانه لابد وأن يدرك أنه سيموت ،
حيث الموت هو الحقيقة المؤكدة ، وليس هذا الموت فناء، « بل تغير حال
فقط » « حيث تفارق الروح الجسـد ومعنى مفارقتها للجسـد انقطاع
تصرفها عنه بخروج الجسد عن طاعتها »(٢) ، ولحظة خروج الروح من
الجسد هى لحظة بداية الحياة الآخرة •

وهـذا الانتقال ضرورى ، ذلك أنه « اما أن يكون الخلق عبثا ،
واما أن تكون هناك بكل تأكيد (رجعة) للعدالة »(٣). « أفحسبتم أنما
خلقناكم عبثا ، وأنكم الينا لا ترجعون »(٤) •

٢ - حلقات هـذه الحياة :

لم يذكر القرآن غير القليل عن هذا العالم الآخر ، فان هذا مما يفيد
الانسان فى عقيدته ، ولا يطالب المسلم بغير ذلك(٥) ، ولكنه يذكر ، أنه

---

(١) سيد قطب : مشـاهد القيامة فى القـرآن - دار الشروق -
بيروت - بدون تاريخ ، ص ٣٧ •
(٢) الامام الغزالى : احيـاء علوم الدين - دار الشعب - المجـلد
الرابع - بدون تاريخ ، ص ٢٩١٥ •
(٣) د. محمد عبد الله دراز (مرجع سابق) ، ص ٣٤٠ •
(٤) المؤمنون : ١١٥ •
(٥) أنظر احيـاء علوم الدين للغزالى ، وغيره من كتب التوحيد ،
حيث فيها تفصيل لهذه الحياة ، وانظر أيضا :
- دكتور عبد الغنى عبود : اليوم الآخر ، والحياة المعاصرة - الكتاب
الخامس من سلسلة الاسلام وتحديات العصر •

اذا ما فنيت الخلائق جميعا بالنفخة الأولى من الصور ، « ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات والأرض الا من شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى ، فاذا هم قيام ينظرون »(١) — بعد هذا الفناء ، ينفخ فى الصور مرة أخرى، ليخرج الناس من قبورهم ، فيما يسمى بالبعث .أما ما بين البعث والموت « فالقرآن لا يعطى تفاصيل عنها »(٢) ، ولكن يتبين من بعض الآيات،أن فى هذه المرحلة نعيما وعذابا: « مما خطيئاتهم أغرقوا،فأدخلوا نارا »(٣) — « النار يعرضون عليها غدوا وعشيا »(٤) . ويقول فى حق الشهداء « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون »(٥) .

وبعد البعث يكون الحشر ، وتحدث المساءلة (٦) ، وهذا هو الحساب ، وبعده يساق الناس الى الصراط ، ثم يساقون اما الى الجنة ، واما الى النار .

وفى الجنة ألوان من النعيم والمتع الحسية مما ذكره القرآن وكرره ، يناله الانسان نتيجة عمله الصالح فى الحياة الدنيا ، الا أن رحمة الله هى مصدر فرح الانسان فى هذه الحياة : « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا »(٧) .

وفى النار ألوان من العذاب ، وذلك نتيجة لأن أصحابها لم يؤمنوا بالله ولم يلتزموا منهج الله فى الحياة الدنيا ، وبنفس القدر من ألم الكافر لغضب الله عليه ، يفرح المؤمن فى جنته .

---

(١) الزمر : ٦٨ ، وانظر يس : ٤٨ — ٥٢ .
(٢) د. محمد عبد الله دراز (مرجع سابق) ، ص ٣٦٩ .
(٣) نوح : ٢٥ .
(٤) غافر : ٤٦ .
(٥) آل عمران : ١٧٠ .
(٦) انظر : مريم : ٦٨ ، والحجر : ٩٢ ، والصافات : ٢٣ ، والزمر : ٧٠ — ٧٤ .
(٧) يونس : ٥٨ . وانظر : الأنعام : ٣٢ ، والرحمن ، والواقعة ، والأعراف ، حيث فيها ألوان النعيم ، وألوان العذاب .

والخلود(١) هو سمة هذه الحياة البارزة : كل فى مكانه ، ومركزه ، منعما أو معذبا ، حيث لا موت فى هذه الحياة ، ومن هذا كله نجد أن الحياة الآخرة «قضية أصيلة فى الضمير الانسانى»(٢)،وترجع أهميتها الى :

١ ـ أنها حياة توفى فيها الأجور •

٢ ـ أنها حياة باقية خالدة ، لا يلحقها الفناء ، فحياة الانسان الدنيوية يجب أن تكون استعدادا لها •

٣ ـ أنها ابتلاء وتمحيص لعقيدة المؤمن ، فاما أن يظل على ايمانه ، واما أن يكفر •

وبهذا تكتمل العدالة الالهية فى الأرض ، وفى السماء ، حيث ينال كل واحد جزاء عمله كاملا ، ولذا كان اليوم الآخر فى القرآن واضح المعالم ، لأن هذه الحياة « ليست نزعات خاصة لانسان ولا آراء شخصية لفيلسوف ، ولا رأيا شائعا فى أى عصر ، سواء كان معاصرا للاسلام أم سابقا عليه ، أم لاحقا به »(٣) •

وبعد ••• فهذه ملامح الفلسفة القرآنية للحياة الانسانية ، وهى لا تشتمل على الجانب الروحى فقط ، أو المادى فقط ، بل تشتمل على جميع الجوانب بحكمة بالغة ، وهى بمثابة « نظام نموذجى يضع فى حسبانه الكون ككل »(٤) ، ثم تضع تصورا للانسان والمجتمع والحياة الآخرة ، ويمكن أن تتلخص رسالة القرآن فى الاعداد لهذا اليوم •

---

(١) انظر الزمر : ٧٠ ـ ٧٤ ، الكهف : ١٠٧ ـ ١٠٨ •

(٢) د• عبد الغنى عبود : اليوم الآخر والحياة المعاصرة ـ الكتاب الخامس من سلسلة الاسلام وتحديات العصر ـ طبعة أولى ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ـ ١٩٧٨ ، ص ١٧ •

(٣) د• محمد عبد الله دراز (مرجع سابق) ، ص ٤٨٦ •

(4) Ali Khalid Modawi : A theoretical Basis for Islamic Education, Thesis Submitted to the University of Wales, in Candidature for the Degree of Philosophiae Doctor, April 1977, p. 800.

خاتمة

اهداف القرآن الكريم من تحديده لهذه الجوانب

بعد هـذا العرض ، لعله من المهم ، توضيح أهـداف فلسفة الحياة القرآنية ، وهى تلخيص لمـا دار من بحث فى هذا الفصل ، وهى كما نرى تتمحور حول الانسان ، تحاول الارتفاع به الى انسانيته الحقة ، فى كل جانب من جوانبه ، وملخص هذه الأهداف ما يلى :

١ ـ الجانب العقـائدى :

يطلب القرآن من الانسان الايمـان بالله واحـد ، لا شريك له ، وبالغيب ، وبالرسل ، وبالكتب السماوية ، وباليوم الآخر ، الذى يعتبر « حتمية من حتميات الحياة السعيدة على هذه الأرض »(١) . وهـذا كفيل بأن يجعل من الانسان المسلم عابدا لربه حق العبادة ، وايمـانه هذا يجعله يلتزم بمنهج الله الذى يعتبر جزءا من اعتقاد المسلم .

٢ ـ الجانب الكونى :

يثبت القرآن للكون خالقا ، وتربطه صلة العبودية بهـذا الخالق ، والانسان قوة من قوى الكون ومن ثم فان صلته بالله يجب أن تكون على أساس العبودية وأن يعرف ربه من خـلال التـأمل فى الكون المسخر له لاستغلاله ، والوصول من ذلك الى عبادة الله حقا واستغلال قوى هـذا الكون ، فى سبيل هذه العبادة .

٣ ـ الجانب الانسـانى :

١ ـ فيما يختص بذات الانسان : هدف القـرآن من عرضه للطبيعة البشرية ، أن يعرف الانسـان أنه خلق من خلق الله ، خلق « لمعـرفته ،

---

(١) د. عبد الغنى عبود : اليوم الآخر والحيـاة المعـاصرة (مرجع سابق) ، ص ١٥ ـ من التقديم .

وعبادته ، وآداء أمانته فى الأرض ... فهو سيد فى الكون عبد لخالقه »[١]، وهو الكائن المكلف ، فيجب أن يستخدم طبيعتــه فى اسـتغلال الكون ، اذ هو « بالعقــل يصبح انسانا ، وبتسليط العقــل على الطبيعة استطاع الانسان أن ينشىء العلوم الحديثة ، وبفضــل العلوم الحديثة ، استطاع الانسان أن يتوصل الى المخترعات العجيبة »[٢] ، ويدرك أن هذا العقل وجميع قوى الانسان هبــة من الله تعالى ، وبالتــالى ، فلا يظن أنه بعقله يستطيع أن يصل الى كل شىء ، فيغتر به ، وينفصل عن خالقه ، وجملة ، يمكن القول ، ان هدف القــرآن هو التــوازن فى الطبيعة البشرية ، بين العقل والقلب والروح والنفس والجسد ، ولا يتم ذلك الا باتباع المنهج القرآنى ، والعبودية لله ، واحترام العمل الانسانى ، والالتزام بالأخلاق الفاضـــلة .

٢ ــ فيما يختص بالمجتمع : يهدف القــرآن الى اقامة مجتمع مسلم على أساس :

(أ) القانون الموحد الذى يطبــق على الجميع دون تفاضـــل لأحد على أحــد .

(ب) التوازن الدقيق بين الفرد والمجتمع بحيث لا تطغى الفــردية ، ولا يطغى المجتمع .

(جـ) الأخلاق الفاضلة التى تحقق السلام الاجتماعى ، حيث تتمثل سلطة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

(د) العدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعى ، والشورى فى الحكم ، حيث يتحرر الفرد من الخوف ويأمن على حياته ، حيث لا يضطهد ولا يجوع ، ولا يعرى ، بحيث يتحقق مجتمع الأمن والطمأنينة ، اذ يحتم القرآن على

---

(١) د. يوسف القرضاوى : الخصائص العــامة للاســلام (مرجع سابق) ، ص ٩ .

(٢) د. محمد فاضل الجمالى : نحو تربية مؤمنة (مرجع سابق) ، ص ٩٥ .

« المؤمنين أن يتضافروا فى سبيل ايجاد مجتمع فاضل ، ولا يسكت مؤمن منهم عن الدعوة الى الحق » (١) .

(هـ) القانون الذى يحكم العلاقات بين المجتمع المسلم والمجتمعات الأخرى ، وأول الركائز فى هـذه العلاقات الوفاء بالعهـود والعقود ، ثم التسامح الذى يشجب العصبية ، والتعصب الطائفى الذميم والاكـراه فى الدين ، ولا انكار للحرب اذا كانت مشروعة .

هذا هو المنهج ، وهذه هى الأهداف التى نص عليها القـرآن ، فى سبيل بناء الانسان المسلم ، الذى يكون المجتمع المسلم الفاضـل السعيد المطمئن الساعى نحو الله . وأداة تحقيق هذه الأهداف هى التربية ، ومعنى هذا أن القرآن يعنى بالتربية،ولقد مارس محمد صلى الله عليه وسلم هذا المنهج ، فوجد المجتمع المسلم عن طريق اخراج « عباد الله جميعا من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ، ويخرج الناس جميعا من ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والآخرة ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام ، يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات،ويحرم عليهم الخبائث،ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم » (٢) .

---

(١) محمد أبو زهرة : محاضرات فى المجتمع الاسـلامى ــ معهـد الدراسات الاسلامية بالقاهرة ــ بدون تاريخ ــ ص ٥ .

(٢) أبو الحسن الندوى : ماذا خسر العـالم بانحطاط المسلمين ــ طبعة عاشرة ــ دار الانصار ــ القاهرة ــ ١٣٩٧ هـ ــ ١٩٧٧م ، ص٩٣ .

الفصل الثالث

فلسفة التربية الإسلامية كما يحددها القرآن الكريم

* تمهيـــد .
* التربيـة وموقعها فى الاسلام .
* اهداف التربية الاسلامية .
* ميادين التربية الاسلامية .

١ ــ التربية الجسدية .
٢ ــ التربية العقليـة .
٣ ــ التربيـة العقائدية .
٤ ــ التربيـة الأخلاقية .
٥ ــ التربيـة الوجدانية .
٦ ــ التربيـة الجمالية .
٧ ــ التربية الاجتماعية .

* طـرق التربيـة الاسلامية .
* خلاصـة .

تمهيـــــد :

توصل البحث (١) الى أن هناك فلسفة متكاملة وشاملة لجميع نواحى الحياة ، حددها القرآن فى دقة ووضوح ، وهى كل يتركب من جزءين : « أحدهما : المعرفة بالله ، وثانيهما المعرفة بالخير ، أو بعبـارة أدق — هى وحدة عبارة عن المعرفة بالله التى تتضمن المعرفة بالخير »(٢) .

والمنهج الذى وضعه القرآن فى سبيل المعرفة بالله ، منهج كله خير ، اذ أن مداره العقيدة ، وهو فى ذلك يجيب على أسئلة مثـل : من خلق هذا العالم ؟ ومن نظمه ؟ ومن نسقه ؟ يجيب القرآن : أنه الله(٣) . وعلى أساس هذه القضية الأساسية ، نجد المنهج كله،أو الفلسفة القرآنية كلها، تدور حولها ، فالحياة عامة وخاصة محددة ، والعلاقات محددة ، سـواء فى المجتمع المسلم ، أو فى خارج المجتمع المسلم ، كل ذلك فى دقة وشمول ووضوح(٤)،حيث حدد القرآن الاطار العام لهذه الحياة ، أماما دون ذلك من جزئيات ومشاكل فرعية ، فمتروك للانسان ، ليجتهد فيه ، ويعمـل عقله فى سبيل التغلب على هذه المشكلات ، فى حدود الاطار العام .

وتوصل البحث أيضا الى أهداف لهذه الفلسفة نعمل على تحقيقها ، ولا يمكن أن تحقق الا فى الانسـان ، ومن أجل هذا رأينـا فى القرآن اطارا كاملا للطبيعة البشرية(٥) — وسبيل ذلك هو التربية .

التربيـة وموقعها فى الاسـلام :

من غيرالمعقول أن يوجد مثل هذا المنهج ولا تواكب وجوده تربية ، تعتمد عليه ، ويعتمد عليها فى تحقيق أهدافه ، ومن ثم يمكن القول بأن هناك تربية قرآنية ، لها فلسفتها الواضحة،« لأن القرآن الكريم فى حقيقة

---

(١) ارجع الى ص ٧٣ — ١٤١ من الرسالة .

(٢) د. عبد الحليم محمود : التفكير الفلسفى فى الاسـلام (مرجع سابق) ، ص ٢٣٢ .

(٣) انظر ص ٧٦ — ٨٣ من البحث .

(٤) أنظر ص ١١٠ — ١٣٥ من البحث .

(٥) انظر ص ٩٩ — ١١٠ .

الأمر منهج متكامل للتربية الاسلامية ، لا يترك صغيرة ، يشمل النفس الانسانية كلها بحذافيرها ، ويشمل الحياة البشرية بالتفصيل،فهذا المنهج التربوى فريد عن كل مناهج الأرض ، فريد فى شموله،ويقظته لكل دقيقة من دقائق النفس البشرية ، وكل خالجة ، وكل فكرة وكل شعور ، وفريد فى أثره فى داخل النفس وفى واقع الحيـاة »(١) . والمتصفح فى تاريخ الأمة الاسلامية يجد أنها عاشت على هـذا المنهج أربعـة عشر قرنا من الزمان ، وظلت مسلمة ـ رغم عاديات الزمن ـ بفضل القرآن ، وما تأتى ذلك الا بفضل تربية أبنائها على هـذا المنهج ، ذلك أن « التربية نظـام اجتماعى ينبع من فلسـفة كل أمة ، وهو الذى يطبق هذه الفلسـفة ، أو يبرزها الى الوجود »،فهى «انعكاس فلسفة الأمة وتطبيقها عمليا»(٢).

واذا كان الأمر كذلك ، فانه من اللازم أن نحدد أهداف التربيـة وطرقها وميادينها كما حددها القرآن ، لأنه على أساسها :

١ ـ يتوصل الفكر التربوى الاسلامى ويخلص التربية الاسـلامية من شوائب التخلف الثقافى .

٢ ـ يتم تشكيل النظام التربوى تماما ، سواء فى ادارته وعلاقاته ، على أساس سليم .

٣ ـ يتم بناء المناهج ومحتوياتها ، وخاصة أنها تقوم على تربيـة الانسـان .

٤ ـ يمكن تجديد واصلاح حال التربية فى البلاد العربية الاسلامية، والتى ضاعت ، بسبب المهاترات والترقيع ، والجمود ، فلم تعد تنتج الا نشازا من الأشخاص ، ومسوخا لحضارات تتناقض تماما مع ثقافة المجتمع الذى يدين بالاسلام .

---

(١) د. اميـل فهمى حنـا شنودة : المذاهب والآراء التربوية ـ دار العلم للطباعة ـ ١٩٧٧ ، ص ١٦١ .

(٢) د. احمد فؤاد الأهوانى : التربيـة فى الاسـلام (دراسات فى التربية) ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٨ ، ص ٧ .

٥ - يمكن علاج الأمراض الاجتماعية التى تعانى منها المجتمعات الاسلامية .

وفى سبيل هذا الأمر ، فاننا سوف نحدد الاطار الفلسفى للتربية ، التى تقوم على بناء الانسان ، أما الجزئيات والتفاصيل الدقيقة ، فليس لنا معها حديث ، اذ أنها تتشكل طبقا لظروف المجتمعات المختلفة .

طبيعة التربية الاسلامية :

يخطىء من يظن أن التربية الاسلامية تعنى ذلك الجزء من المنهج الذى يهتم بتلقين المتعلمين التعاليم الاسلامية فى الجانب الاعتقادى والعبادات وكفى ، وحتى لو انضم الى ذلك المعاملات ، ويخطىء أيضا من يقصر التربية الاسلامية على ذلك الجزء من المنهج الذى يقوم بتعليم الناشئة المبادىء الأخلاقية الاسلامية فقط ، اذ أنه ما دام الدين هو الحياة ، حيث يحتوى على مجموعة التعاليم ، التى يريد شارعها أن تصير عادة وخلقا لطائفة من الناس تشمل حياتهم كلها ، فالتربية الاسلامية تعنى هذا ، بمعنى أنها هى الحياة ، فهى لا تعنى فقط الأخلاق أو العقائد أو العبادات ، بل انها تعنى أعظم من هذا وأكبر ، اذ لو كانت تعنى هذا فقط ، لكان الأمر فى غاية السوء ، ولما أصبح للأسلام حضارة متميزة منفردة ، عن غيرها من الحضارات ، بل ان التربية الاسلامية أعمق من كل هذا - فهى تضمه،ولا ينفرد هذا بمعناها ، بحيث يمكن القول ان التربية الاسلامية تعنى منهجا كاملا للحياة ، وللنظام التعليمى بكامله،ومكوناته، وذلك للاعتبارات التالية :

- أن التربية الاسلامية تضم جميع مناحى الانسان ، ولا ينصب اهتمامها فقط على ناحية واحدة أو جانب واحد،مما يدخل تحت مفهوم الانسان ، كما حدده الاسلام .

- أن التربية الاسلامية تتناول الحياة الدنيا والحياة الآخرة على قدم المساواة ، ولا تهتم بواحد منهما فقط ، على حساب الآخر ، فللجانبين فى الاسلام نفس الأهمية .

ــ أن التربية الاسلامية تعنى بالانسان فى كل مناشط حياته ، وتنمى لديه العلاقات التى تربطه بالآخرين ، ولا تقتصر على علاقة واحدة أو جانب واحد فقط ، بل تهتم بجميع العلاقات وتؤكد عليها ، وهذا يحقق التكامل والتوازن فى الشخصية .

ــ أن التربية الاسلامية مستمرة، تبدأ منذ يتكون الانسان جنينا فى بطن أمه الى ان تنتهى حياته على الأرض ، ومن ثم فهى تشمل ألوانا من التربية مقصودة وغير مقصودة ، وتعليما ذاتيا ، تسهم فى بناء شخصية الانسان ، فجميع مؤسسات المجتمع تقوم على التربية ، وبوظيفة التربية ، وكل أفراد المجتمع يلعبون نفس الدور ، فهم اما معلمون او متعلمون ، « فالحياة كلها تربى الانسان وليس المعلم وحده هو المربى ، ولا فى المدرسة وحدها يتربى الانسان »(١) .

ــ أن منهج التربية الاسلامية حين طبق بتكامله وشموله واتزانه ، خرج للحياة أناسا هم الأحياء ، الذين لم يكونوا زهادا قط ، بل كان لهم نصيب من الدنيا ، تماما كما كان لهم نصيب من الآخرة .

وذلك كله نابع من مراعاة القرآن والتربية الاسلامية للفطرة « وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده ، وهو أهون عليه ، وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم..» الى قوله..« فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها »(٢) . فالفطرة هى « ما فطر أى خلق عليه الانسان ظاهرا وباطنا ، أى جسدا أو عقلا » واذا كان الاسلام هو دين الفطرة فليس « المقصود منه أن تعاليم الاسلام لا تشتمل الا على ما هو الفطرة ، أو ما تشهد الفطرة بصدقه .. بل

(١) د. محمد فاضل الجمالى : « فلسفة تربوية متجددة ، واهميتها للبلدان العربية » ــ **فلسفة تربوية متجددة ، لعالم عربى يتجدد** ــ دائرة التربية فى الجامعة الأميركية ــ بيروت ــ مطابع دارالكشاف ــ بيروت ــ ١٩٥٦ ، ص ٤٩ .

(٢) الروم : الآيات من ٢٧ ــ ٣٠ .

المقصود منه ، أن الأصول التى فى الاسلام هى من الفطرة وتتبعها أصول وتعريفات هى من المقبول لدى الفطرة »(١) •

وعلى ذلك فالمنهج التربوى القرآنى من أصلح المناهج التربوية للانسان ، ولذا فان التربية الاسلامية من أمثل ألوان التربية التى تحقق انسانية الانسان •

من هذا يمكن القول بأن التربية الاسلامية القرآنية ، ليست بحال من الأحوال جزئية الغرض ، اذ أنها تعتمد على منهج كامل متكامل شامل متوازن ، ومن ثم فهى كلية فى أغراضها ، وتعتنى بالانسان ككل ، وباستمرارية تعلمه ، وتهتم بالدنيا والآخرة ، وبالعمل والتطبيق ، وتهتم بالمادة كما تهتم بالروح ، فى سبيل بناء شخصية المسلم •

أهداف التربية الاسلامية كما حددها القرآن :

وحيث أن التربية هى التنمية ، فان المشكلة الأساسية هى «اختيار» الاتجاه أو الأهداف ، فأهداف التربية هى اتجاهات يبحث عنها المربون لتوجيه أولئك الذين يقعون تحت رعايتهم(٢) • « والأهداف هى غايات وأغراض ومقاصد نهائية يجب الوصول اليها ، وتستخدم كموجهات لطريق التقدم فى النمو والتنمية ، وترتبط ارتباطا مباشرا بالقيم » ، « ذلك لأن التربية تتضمن اختيارا لاتجاه معين •• يتعلق ولاشك تعلقا جذريا بالقيم »(٣) •

وتعتمد التربية الاسلامية فى تحديد أهدافها على قيم أساسية ، وأخرى فرعية ، متداخلة معها ، والقيم الأساسية تتدرج تدرجا واضحا ،

---

(١) محمد الطاهر ابن عاشور : أصول النظام الاجتماعى فى الاسلام (مرجع سابق) ، ص ١٧ •

(٢) فيليب فينكس (مرجع سابق) ، ص ٨٢٢ •

(٣) د. محمد لبيب النجيحى : مقدمة فى فلسفة التربية (مرجع سابق) ، ص ١٣٦ •

ومعيار القيم هو الله ، حيث أقام القرآن « ميزانا ثابتا وضوابط محكمة لقيم الحياة »(١) .

والقيم القرآنية تندرج تحت فئتين :

الفئـــة الأولى :

القيم الروحية : وهى متعلقة بالله ، اذ له المثل الأعلى « وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم »(٢) . وأول قيم هذا النوع ، هو الايمان ، حيث أنه « لا يقوم وجود للاسلام حين يكون ، الا على الايمـــان بالله ايمانا يجعل المسلم فى حالة يقين مطلق بالوحدانية الخالصة التى يترجم بها المسلم وجوده فى وحـــدة اجزاء هـــذا الكون المتكامل المتماسك ، المطرد السنن،المحكم القوانين »(٣).ومن أجل ذلك، ومن منبع الايمان يجعل المسلم كل عمله لله ، ويخلص قلبه من هم الدنيا ، ويتوجه بكليته الى خالقه ، بالفكر والاعتبار ودوام المراقبـــة والاقبال عليه ، والتسليم المطلق له ، ومن هذه القيمة الأصلية ، تنبع بقية قيم المسلم فى حياته ، وتنطلق من هذا المنطلق .

الفئـــة الثانيـــة :

قيم العبودية : لأنها هى حال الانسان الثانية ، التى يعـــالج فيهـــا شئون الحياة من أمر نفسه وأهله ، ورعاية مصـــالحه ، ومصالح غيره ، « فيمارس فيها الأسباب ، ويباشر فيها ما تقتضيه بشريته » (٤) . وفى هذا النوع ، نجد أن الانسان يحكم القيمة المطلقة فى قمة ، هى الله ، فنجد هنـــاك فى القرآن مجموعة من القيم متدرجة تدرجا ظاهريا ، الا أنهـــا متداخلة مع بعضها ، فهناك قيم فردية ، وقيم اجتماعية .

---

(١) محمد شديد : قيم الحياة فى القرآن الكريم (مرجع سابق)، ص ٦٨ .

(٢) الروم : ٢٧ .

(٣) صابر طعيمة : المعرفة فى منهج القـــرآن الكريم « دراسة فى الدعوة والدعاة » ـــ دار الجيل ـــ بيروت ـــ بدون تاريخ ـــ ص ٢٨٨ .

(٤) الامام العلامة / عبد الحميد بن باديس : تفسير ابن باديس فى مجالس التركيب من كلام الحكيم الخبير (جمع وترتيب واعداد وتعليق محمد الصالح رمضان ، توفيق محمد شاهين) ـــ طبعة ثانية ـــ دار الفكر ـــ ١٣٩١ هـ ـــ ١٩٧١ م ، ص ٣٣ .

أما القيم الفردية فتندرج تحتها :

ـ قيم عقلية : وهذه تنشأ من ميدان الحياة العقليه ، فالعلم له قيمة ، والحق له قيمة ، فى حياة الانسان المسلم ، ولذا فهو يسعى اليهما ويحاول الوصول اليهما ، وميزانه فى ذلك العلم ، هو الله ، مثله الأعلى ، فعلم الله مطلق وعلم الانسان محدود : « ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفـدت كلمات الله ، ان الله عزيز حكيم »(١) . وفى حق الانسان : « وما أوتيتم من العلم الا قليلا »(٢) . وقيمة العلم هنا وعند المسلم أنه ضابط لكل شىء ، فيما يرى وما يسمع، ومايفعل ، وبالتالى ، فان « العقائد لاتكون الا حقا ، والأقوال الاصدقا، والأفعال الا سدادا »(٣) : « ولا تقف ما ليس لك به علم ، ان السـمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا »(٤) .

ـ قيم اخلاقية : اذ « أن كل خبرة بشرية معاشة ، يمكن أن تنطوى على » مضمون ذى قيمة « فالحياة الأخلاقية بما فيها من جهد ومشقة .. وألم واثم وخطيئة وتوبة ويأس وشقاء ولذة وسـعادة .. حيـاة عامرة بالخبرات حافلة بالمعانى ، مفعمة بالقيم»(٥) . وميزان هذه القيم ، هو الله أيضا ، وذلك من ناحيتين : تمثل أخلاق الله وصفاته ، وتمثـل الأوامر الأخلاقية فى القرآن الكريم ، وقيمتها فى أنها توجد الوازع النفسى الذى يمنع من الانحراف عن الصلاح ، وهى أيضا نابعة من القيم الروحيـة ، التى تعطى العبادة قيمة أخلاقية عظيمة:« وأقم الصلاة ، ان الصلاة تنهى عن الفحشـاء والمنكر »(٦) ـ « فمن فـرض فيهن الحج ، فـلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج »(٧) .

---

(١) لقمـان : ٢٧ .
(٢) الاسراء : ٨٥ .
(٣) تفسير ابن باديس (مرجع سابق) ، ص ١٥٥ ـ ١٥٦ .
(٤) الاسراء : ٣٦ .
(٥) د. زكريا ابراهيم : المشكلة الخلقية ـ رقم (٦) من مشكلات فلسفية ـ ١ ـ مكتبة مصر بالفجالة ـ القاهرة ١٩٦٩ ، ص ١٧ .
(٦) العنكبوت : ٤٥ .
(٧) البقـرة : ١٩٧ .

والقيمة النهائية التى تتوصل اليها هذه القيم الأخلاقية، هى التقوى، وهى جماع الخير كله .

- قيم نفسية : وهذه تعكس فكرة الانسان عن ذاته : «بل الانسان على نفسه بصيرة »[١] . أى أن هـذه القيم تعنى أن الانسان « نفسه موكولة اليه ، وهو موكول بها ، وعليه أن يهديها الى الخير ، ويقودها ، فاذا انتهى بها الى الشر فهو مكلف بها وحجة عليها »[٢] . فقيمة النفس تابعة أيضا من مدى التزامها بمنهج الخير ، كما دل عليه القرآن ، وذلك ينبع كله من القيمة الأساسية ، وهى القيمة الروحية . وقيم النفس كثيرة فى القـرآن .

- قيم مادية : وهى خاصة بتلك الأشياء التى تساعد على الوجود المـادى ، من طعام وملبس وغيرها ، وهذه أيضا قيم مذكورة فى القرآن، اذ أن قوام الانسان بها ، ولكنها مصبوغة بصبغة معيّنة ، فمنبعها روحى أيضا ، اذ أن الأشياء التى حللها القرآن هى ذات القيمة : وغيرها فاقد القيمة تماما عند المرء المسلم .

- قيم جمالية : وهذه تعكس تقـدير الانسان للجمال ، والقرآن يعرض الجمال كقيمة ، بل ان القرآن نفسه هو جماع قيم الجمال ، اذ هو لا يهمل توجيه نظر الانسان دائما الى جمال الكون وتناسـقه المبدع ، ويدعو الانسان دوما أن يعكس التذوق الجمالى على نفسـه ، فى كل جزئية من جزئيات حياته ، وليس أدق من المسلم فى تعبيراته وفى مواعيده وهى قيم جمـالية .

أما **القيم الاجتماعية :** فهى تنبع أساسا من حاجة الانسـان الى الارتباط بغيره من الأفراد، والقرآن يعرض ألوانا من القيم الاجتماعية ،

---

(١) القيامة : ١٤ .
(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن - مجلد ٦ ، جـ ٢٦ ، ص ٣٧٦٩ .

فى الزواج ، وفى العلاقات الأسرية ، وفى العلاقات بالناس[١]، وفى المساواة، وفى الاخاء ، واحترام النـــاس ، واعتبار المـــال ذا وظيفة اجتماعيـــة ، وغير ذلك من القيم الاجتماعية التى تلعب دورا بالغا فى حيـــاة الناس ، ومن العجيب أن القيم الفردية تلعب دورا بالغا وهاما فى هذا النوع من القيم ، اذ أن جميع القيم الفردية تنقلب الى قيم اجتماعية ، خاصة وأنه لا تعارض بين الفرد والمجتمع .

ولكى تظل القيم ثابتة فى مرونة ، فان القرآن يجعل من الله المثـــل الأعلى الذى تقاس قيم الاسلام عليه ، اذ أن « صفات الله تعالى حين تصبح مثلا أعلى للانسان ، وحين تنبع قيم الحياة من هـــذه الصفات ، وترتبط بها ، تتغير مفهوم القيم والأخلاق ، فلا تطوع لنزوات الأهواء والشهوات، ولا تتغير بتغير الظروف وطبيعة المجتمعات ، وتصـــبح القيم والأخلاق بارتباطها بصفات الله ثابتة المنبع والمفهوم والميزان ، متطورة بالتدرج فى طريق الكمال »[٢] .

وهكذا فان للقرآن قيمه النابعة منه ، تبدأ من العقيدة الالهية التى تمثل قمة القيم ، أما باقى القيم فهى متداخلة تداخلا واضحا ، بما يجعلنا نقول ان القيم القرآنية موحدة ، فضلا عما تتسم به من شمول وتكامل . ولا غرو ، فتلك هى طبيعة الاسلام ، وطبيعة كتابه ــ القرآن .

وعلى أساس هذه القيم ، يمكن أن نحدد أهداف التربية الاسلامية كما يلى :

اولا : اهـــداف عامة :

وهى تقريبا ملخصة فى هدف واحد ، « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون »[٣] . فوظيفة الانسان فى الأرض هى عبـــادة الله ، وهى

---

(١) أنظر الفصل السابق ، وانظر سورة الاسراء : ٢٢ ــ ٣٩ .
(٢) محمد شديد : قيم الحياة فى القرآن الكريم (مرجع سابق) ، ص ٧٩ .
(٣) الذاريات : ٥٦ .

أوسع مدلولا من اقامة الشعائر،فالانسان لا يمكن أن يقضى حياته كلها، في اقامة الشعائر ، والله لم يكلفه بهذا ، بل كلفه بألوان أخرى من النشاط، وذلك من مدلول قوله تعالى : « واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة» ،فخلافته «فى الأرض اذن عمل هذا الكائن الانسان،وهى تقتضى ألوانا من النشاط الحيوى فى عمارة الأرض ، والتعرف الى قواها وطاقاتها ، وذخائرها ومكنوناتها ، وتحقيق ارادة الله فى استخدامها وتنميتها وترقية الحياة فيها ، كما تقضى الخلافة القيام على شريعة الله فى الأرض ، لتحقيق المنهج الالهى ، الذى يتناسق مع الناموس الكونى العام .

ومن ثم يتجلى أن معنى العبادة ، التى هى غاية الوجود الانسانى ، أو التى هى وظيفة الانسان الأولى ، أوسع وأشمل من مجرد الشعائر ، وأن وظيفته الخاصة داخلة فى مدلول العبادة قطعا ، وأن حقيقة العبادة تتمثل فى أمرين رئيسيين :

الأول : هو استقرار معنى العبودية لله فى النفس ، أى استقرار الشعور على أن هناك عبدا يعبد ربا يعبد ، وأن ليس وراء ذلك شىء ، وأن ليس هناك الا هذا الوضع وهذا الاعتبار ، ليس فى هذا الوجود الا عابد ومعبود ، والا رب واحد ، الكل له عبيد .

والثانى : هو التوجه الى الله بكل حركة فى الضمير ، وكل حركة من كل شعور آخر ، ومن كل معنى غير معنى التعبد لله »(١) .

وما دام هذا هدف خلق الانسان ، كما حدده القرآن فان هدف التربية أيضا هو فى هذا السبيل : اعداد الانسان للعبادة — أن « يصير الانسان — كل الانسان — عابدا،ذلك هو الهدف الكلى للتعليم والتربية

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن — مرجع سابق — مجلد ٦ — جـ ٢٧ ، ص ٣٣٨٧ .

فى الاسلام»(١) . ولذا يمكن القول بأن هدف التربية الأعلى هو اعداد وتنمية وبناء الانسان العابد،«الذى يفى بشرط الخلافة فى الأرض ــ شرط الاستخلاف ، هو العمل بمقتضى التكريم الالهى ، فلا يهبط الانسان عن مستوى الانسانية،ولا يتنازل عن الأفضلية التى فضله بها خالقه ، على كثير من خلقه ، فينشط فى عمارة الأرض ، بما يوجبه حمله فى البر والبحر ورزقه من الطيبات»،«فيستغل هذه الطاقات الممنوحة فى كل اتجاه، ولكن على المستوى الكريم الرفيع فى حدود التقوى والاستمداد من منهج الله » (٢) هادفا عبادة الله ، ما دامت العبادة « شاملة لكل ما يقوم به الانسان ، من عمل وفكر وشعور ، ما دامت وجهته الى الله تعالى» (٣) .

ومن ثم فان هدف التربية الاسلامية هو تكوين وتنشئة الانسان العابد الصالح ، من جميع جوانبه ، وهذا الانسان العابد انسان « يعرف ربه ، ويدين لله بالطاعة والعبادة ، ويعرف نفسه،فيقدرها حق قدرها فى حدود العبودية لله وحده ، ولكنها عبودية مكرمة ، لأنه نفحة من روح الله ، مفضلة على سائر الخلق بالعقل ، والقدرة على التفكير وعلى الاختيار ، ويعرف رسالته : خليفة لله فى الأرض يعمر الحياة فيها ، فى ظل من حكم الله وشريعته وهداه ويجتهد فى الوصول الى الكمال الانسانى الذى رسمه الله اجتهادا اختياريا واعيا ، مستخدما فى ذلك كل الكلمات التى وهبها الله له ، وكل العلم الذى حباه اياه ، سواء كان علما سماويا عن طريق الوحى أو انسانيا مكتسبا عن طريق النظر فى الكون بفكر ، وتدبر وبصيرة ، أو موروثا عن هذين المصدرين ، وهو

---

(١) د. عبد الفتاح جلال : من الأصول التربوية فى الاسلام ــ المركز الدولى للتعليم الوظيفى للكبار فى العالم العربى ــ سرس الليان ــ المنوفية ج. م. ع. ــ ١٩٧٧ ، ص ٧٩ .

(٢) محمد قطب : منهج التربية الاسلامية ــ دار الشروق ــ د.ت ــ ص ٧٩ .

(٣) حسن ابراهيم عبد العال : التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ــ رسالة ماجستير غير منشورة ــ مكتبة كلية التربية بطنطا ــ ١٩٧٧ ، ص ٦٢ .

في كل ذلك مطالب بتحكيم العقل ، منهى عن التقليد الأعمى والجمود على المفاهيم الخاطئة لمجرد أنها موروثة ، ويعرف مصيره بعدهذه الحياة ، موت ثم بعث ثم حساب على كل ما قدمت يداه،ثم حياة خالدة قدرها الله، يجزى فيها عن قيامه بتبعات التكليف،والأمانة التى حملها فى هذه الدنيا، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر »(١) .

ومعنى هذا أن التربية الاسلامية تطبع شخصية المسلم بطابع خاص ، « يميزه عن أى لون آخر من ألوان التربية »(٢) .

ثانيا : اهداف خاصة :

اذا كان الباحث قد اشتق هدفا عاما للتربية من خلال القرآن ، فان هنالك مجموعة من الأهداف الخاصة أو الأهداف المباشرة او المحددة التى تفصل الأهداف الشاملة والعامة ، ويحددها « بحيث تكون أكثر واقعية وقدرة على التلاؤم مع حياة التلاميذ »(٣) المتعلمين ، او المسلمين، بمعنى أصح . وهذه الأهداف مفسرة ومحددة للأهداف العامة أو الشاملة ، ونحن وان لم نلمح أهدافا خاصة لدرجة التحديد ، فى الفلسفة التربوية القرآنية فانه يمكن القول ان هذه الأهداف الخاصة يشترط فيها :

١ — أن تكون انعكاسا لفلسفة المجتمع القرآنيـة أو الاسلامية ، وانعكاسا لأهداف المجتمع(٤) ، وانعكاسا لأهداف التربية العامة .

---

(١) د. زغلول راغب النجار : « ازمة التعليم ، وحلولها الاسلامية » — **المسلم المعاصر** — العدد (١٢) — ذو الحجة ١٣٩٧ هـ — ديسمبر ١٩٧٧ م ، ص ١٣١ ، ١٣٢ .

(٢) د. محمد فؤاد الأهوانى (مرجع سابق) ، ص ١٩ .

(٣) منير المرسى سرحان : اجتماعيات التربية (مرجع سابق) ، ص ٨٠ .

(٤) أنظر ص ٦٤ ، ٦٥ من الرسالة .

٢ ــ أن تكون مراعية لظروف المجتمع البيئية والاقتصادية ، بحيث لا تخل بالاطار العــام •

٣ ــ أن تساير روح العصر الذى تعيش فيه ، وبحيث لا تجمــد الانسان عند عصر معين •

٤ ــ أن تراعى مراحل النمو الانسانى ، ومتطلبــاته ، وقــدرات الانسان فى كل مرحلة من هذه المراحل ، وظروف كل انسان ، الخاصة •

٥ ــ أن تراعى التطور فى مجال التربية ، بمعنى الانفتاح الفكرى •

وبمعنى آخر ، فاذا كانت الأهداف العامة التى حــددها القرآن ، تعمل على تشكيل الانسان المسلم بشكل عام فى كل زمان ومكان ، فان الأهداف الخاصة ، تتأثر بالاختلافات الجغرافية والاقتصادية ، وهذه قد ترك باب الاجتهاد مفتوحا أمامها ، لتحديدها ، طبقا لظروف العصر الذى توجد فيه ، ولكن معيار الصلاحية لها ، هو مدى قربها أو بعــدها من المثل الأعلى والهدف الأعلى •

واذا كان هدف التربية القرآنية هو تكوين الانسان العابد الصالح ، فان ذلك تسهم فيه مجموعة من الأهداف الخاصة كالأهداف الاجتماعية والفكرية وغيرها ، وداخل كل نوع من هذه الأهداف ، أهداف خاصة أخرى ، فالهدف الخاص بانماء الفكر ، هدف خاص ، يستخدم فى سبيل الهدف العام ، ولكن مراحل النمو الانسانى المختلفة لها أهدافها ومطالبها الخاصة ، ففى المراحل الأولى من حياة الفرد تغلب عليه النظرة الحسية ، فاذا ما نضج وظهرت قدرته على التفكير المجرد ، فان أهــداف التربية تختلف عن سابقتهــا ، وهكذا فان الهدف العــام تنطوى تحته أهداف

خاصة ، تتأثر بالعوامل المختلفة ، وتتشكل تبعا لها ، الا أنهـا تصل فى النهاية الى الهدف النهائى .

والآيات القرآنية كثيرة فى هذا المجال ، ومنها « يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينـه ، فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخـافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله واسع عليم»(١) .

وبعد ، فان الأهداف التى أوضحناها سابقا ، الى جانب ما ذكرناه عن طبيعة العملية التربوية ، تتطلب توضيحا لمجالات أو ميادين التربية التى يجب أن تعمل فيها ، فى سبيل تحقيق أهدافها .

ميادين التربية الاسلامية

تمهيـــد :

رأينا أن التربية الاسلامية شاملة متكاملة متوازنة ، تشـمل كل جوانب المسلم ، بحيث لا يطغى أى جانب من هذه الجوانب المختلفة ، وهى مستمرة باستمرار حياة الانسان على الأرض ، ونقوم بها الجماعة المسلمة فى سبيل تطبيع أفرادها على المبادىء التى تؤمن وتدين بها .

وهذا يدعونا الى التساؤل عن ميادين التربية الاسلامية ، فاذا كان للتربية الاسلامية أهداف مبنية على قيم معينة ، فانه لابد أن يكون لها ميادينها ، وميادينها هى نفس ميادين القيم ، التى تشكل جوانب شخصية المسلم ، التى تتكون من مجموعة من الأطر المختلفة للنمو ــ « فثمة اطار للنمو الجسـم وثمة اطار للنمو الفسيولوجى ، وثمه اطار للنمو العقلى وثمة اطار للنمو الاجتمـاعى ، وغير ذلك من مختلف الأطر فى المراحل

---

(١) المـائدة : ٥٤ .

النمائية المختلفة ، وهكذا تؤدى كل مجموعة من هذه الشروط المؤثرة فى ناحية من نواحى الشخصية الى تغيرات معينة ، وهذه التغيرات تتكامل بالشكل العام ، الذى يسمى الشخصية » (١) • وجوانب الشخصية التى تهتم بها التربية القرآنية ، هى : جانب جسدى ، وعقلى ، وعقائدى ، وأخلاقى ، ووجدانى وجمالى ، واجتماعى ، وهذه سبعة جوانب رئيسية تحتوى فى داخلها على مجموعة أخرى من الجوانب التفصيلية •

واذا كانت هذه هى جوانب الشخصية الانسانية ، فان الكل أكبر من مجموع أجزائه(٢)•والتربية القرآنية تتعامل مع هذا الكل ، فى سبيل هدفها الأعلى،بحيث يمكن بناء الانسان بناء غيرمتناقض،وغير متضارب ، فى اطار الهدف العام من التربية ، بحيث تكون شخصية متكاملة « حتى يخرج للمجتمع المسلم السليم ، الذى يؤدى هدف الاسلام من التربية » (٣) •

اولا : التربية الجسدية

ليس للجسد استقلال ذاتى ، عن الجوانب النفسية والعقلية والروحية،وانما هو يرتبط بها ارتباطا وثيقا،اذ هو مجرد جانب منجوانب الذات الانسانية ، والتربية تهتم بالجسد على هذا الاعتبار ، وليس على أساس الثنائية ، وانما من قبيل الواقعية ، ولعل هذا ما نلحظه حين يخاطب القرآن الانسان ، فهو يخاطبه كله ، رغم اقراره للقوى الداخلية فى الانسان « يا أيها الانسان » — « هل أتى على الانسان »•ومعنى هذا أن الذات الانسانية أعم وأشمل من الجسد و « من النفس ومن العقل ومن الروح،

(١) انظر البحث ص ١٠٩ •

(٢) د• أحمد زكى صالح : علم النفس التربوى — ط ١٠ — مكتبة النهضة المصرية — ١٩٧٢ ، ص ٧٠ •

(٣) على القاضى : « منهج التربية فى الاسلام » — صحيفة التربية — تصدرها رابطة خريجى معاهد وكليات التربية — السنة ٢٩ — العدد الثالث — يونيو ١٩٧٧ ، ص ٥٩ •

حين تذكر كل منها على حدة »(١) •

وتأتى أهمية الجسد،من أنه يكتسب فاعليته ودوره،باتصاله وتلاحمه مع أجزاء الشخصية الانسانية الأخرى ، والعبادات كشعائر دينية تعتمد على الجسد ، فالمسلم يصلى بالجسد ، ويصلى « بالخضوع الذى تفرضه الحركات الجسمية التعبدية » ، حتى « انه يصل الى درجة قصوى من الاستغراق بالسجود » (٢) — وهو حركة جسمية • فالجسد هو الأداة التى عن طريقها تترجم الذات الانسانية الأعمال ، وتتبدى أهمية ذلك جيدا ، اذا عرفنا أن النشاط الانسانى فى عمومه عبادة مادامت لوجه الله تعالى •

الجسد فى القرآن :

والقرآن ينص على أن الانسان مخلوق من طين جسما ، وهذا الجسم « قوى غاية القوة ، لأنه يكيف نفسه تبعا لجميع الطقوس »(٣)• وهو مخلوق بارادة الله بداية ، ثم قضت هذه الارادة أن يتم خلق الانسان عن طريق التكاثر الذى يتم نتيجة لقاء الرجل بالمرأة وهو لقاء جسدى ، وينتج جسدا ، ولأن الجسد له أهمية بالغة فى حياة الانسان ، فاننا نجد القرآن « يرفض التطرف فى الزهد ويعارض فى آن واحد ، كل عملية ترمى الى انزال الكائن الانسانى الى مستوى كائنات عضوية لا روح فيها » (٤) • وما دام الأمر كذلك ، فالجسد الانسانى (قابل للتربية) ، على اعتبارين أساسيين :

١ — ان الجسد الانسانى ليس مقصودا به فحسب مجرد أجزائه المادية المحسوسة ، بل يشمل أيضا الطاقة الحيوية المنبثقة منه •

---

(١) عباس محمود العقاد : الانسان فى القرآن (مرجع سابق) ، ص ٣٨٩ •

(٢) د• محمد عزيز الحبابى : الشخصانية الاسلامية (مرجع سابق) ، ص ٣٦ •

(٣) الكسيس كاريل : الانسان ذلك المجهول : (تعريف شفيق أسعد فريد) — مكتبة المعارف — بيروت — ١٩٧٤ ، ص ١٠٠ •

(٤) د• محمد عزيز الحبابى (مرجع سابق) ، ص ٣٦ •

٢ - ان هناك ارتباطا وثيقا بين الجسد والنفس والعقل والروح ، وهذه الثلاثة ، تؤثر تأثيرا واضحا فى الجسد ، كما أنه يؤثر فيها تأثيرا واضحا ، ولا انفصال بينه وبينها ، فالجسد لا يؤدى وظيفته منفصلا عن هذه القوى : « ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون »(١) .

والقرآن يوصى بالاهتمام بالجسد والعناية به ، من اطعام وإراحة وتنظيف وتقويم . وهو يدعو لذلك ، ليأخذ الانسان بنصيب من المتاع الحسى الطيب الحلال وهو لا يحظر على الانسان الاستمتاع بزينة الله فى الأرض : « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة »(٢) .

- «ولا تقتلوا أنفسكم»(٣) - «ولا تنس نصيبك من الدنيا»(٤) - « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق »(٥) . وكل ذلك « لغاية نفسية مقامة على قاعدة جسمية ، ثم ليوفر الطاقة الحيوية اللازمة لتحقيق أهداف الحياة ، وهى أهداف تشمل كل كيان الانسان »(٦) .

والقرآن لم يهمل الطاقات الحيوية فى الانسان : مثل الجنس، وغيره من الأمور التى تضمن بقاء النوع الانسانى ، حيث نجد اهتمام القرآن بالأمور الجنسية ، وهى جزء هام يرتبط فيها الجانب النفسى بالجانب الجسدى ، ولقد فرض القرآن للانسان حدودا تحدد سلوكه الجنسى فى الحياة ، وذلك عن طريق الزواج ، الذى يلبى الحاجات الجسديه والنفسية للانسان .

---

(١) الأعراف : ١٧٩ .
(٢) البقرة : ١٦٥ .
(٣) النساء : ٢٩ .
(٤) القصص : ٧٧ .
(٥) الأعراف : ٣٥ . وانظر : المائدة : ٨٧ ، ٨٨ ، والبقرة : ١٧٢ ، والأعراف : ٢٦ ، ٣١ .
(٦) محمد قطب : منهج التربية الإسلامية (مرجع سابق) ، ص ١٢٧ .

ولقد عرض القرآن لأمور الجنس فى صراحة تامة ، فنجـده يتكلم عن الجماع ويسـميه بمسميات مختلفة تليق بالأدب الرفيع فى القرآن ، وهو لا يعرضها مطلقة ، بل فى ثوبها وفى مكانها ، اذ هى مقيدة بحـالات النكاح او الزواج ، أما اللقاء الجنسى ، فنجده يسميه بمسميات مخالفة تماما للسابقة ، ويعرض أيضا لأعضاء التناسل بمسمياتها ، وهو بهـذا يحيط هـذه الأعضاء بقدسية ، وليست « حقارة أو غموض » بل هى مقدسة « فى الحلال ، ولا يدنسها الا الحرام »[١] .

وفى القرآن تسمى افرازات الأعضاء التنـاسلية بمسمياتهـا أيضا « خلق من ماء دافق »[٢] . فهو عند الرجل والمرأة ماء دافق ، وعنـد الرجل منى : « أفرايتم ما تمنون » [٣] . ويسمى أيضا الحيض باسـمه ويأمر الرجل بتجنب المرأة فى هـذه الفترة ، كما يعرض لمراحل تكوين الجنين المختلفة[٤] .

وهو يحيط الناحية الجسمية فى هذه الناحية بأدب رفيع سام يجعل من الانسان انسانا لا حيوانا ، فهـو يلزمه بطهارة حسية مثل الغسـل والوضوء بعد الجماع ، وهكذا .

وبالجملة ، فان القرآن يهتم بالجسد وقواه اهتماما بالغا ، ولكن هذا الاهتمام لا يتأتى من منطلق ذاتى ، وانمـا هو يأتى ، لكى يساعد الانسان على أداء رسالته فى الحياة ، ومن أجل هذا فان القرآن يوجب التوسط فى اشباع حاجات الجسم ، اهتماما به ، ثم انه يأمر بالسعى والحركة والمشى وغيرها ، مما يفيد الجسم: «فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه» . وهو فى هذا يعد الجسم ليكون قويا غير عليل ، وبذلك يتوفر للمجتمع

---

(١) محمد علم الدين : التربيـة الجنسية بين الواقع وعلم النفس والدين — الهيئة المصرية العامة للكتاب — ١٩٧٠ ، ص ٥٧ — وانظر: النور : ٣٠ ، ٣١ ، المؤمنون : ٢ .

(٢) الطارق : ٥ ، ٦ .

(٣) الواقعة : ٥٨ .

(٤) أنظر سورة الحج : أولها ، والمؤمنون : أولها .

المسلم ، أفراد أقوياء وأصحاء ، وهذا بعض ما توحي به الآية الكريمة : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » (١) ، اذ أنها توحي بجميع أنواع القوة ، سواء كانت مادية او معنوية ، ومن هنا كان الاهتمام بالقوة الجسدية المتحكم فيها عقل،يعرف معنى العبودية لله ، من دعوة القرآن ، ولذا أصبح من « فروض العين فى الاسلام أن يتعلم الانسان القتال ، ومن أول شروط القتال أن يكون الانسان ذا لياقة جسمية كاملة »(٢) . ولذا يمتدح القرآن العلم مع الجسم ، ويعتبرهما منة من الله « ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم ، والله يؤتى ملكه من يشاء ، والله واسع عليم »(٣) . وهو فى نفس الوقت يكره الأجسام الضخمة التى لا يسيطر عليها عقل « واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وأن يقولوا تسمع لقولهم ، كأنهم خشب مسندة »(٤) .

المدلول التربوى للجسد فى القرآن :

١ ـ تعتنى التربية الاسلامية بالجسد ، فى سبيل تكوين وبناء الانسان الصالح ، حيث أن انخفاض القدرة الجسدية ، يؤدى الى انخفاض القدرة على أداء العمل ، ومن ثم الى عجز عن العبادة ، ونقص فى تكوين الشخصية الانسانية ، ومن ثم تهتم التربية القرآنية بالتربية الجسدية .

وليس المقصود بالتربية الجسدية ، تنمية العضلات والقدرات الجسمية ، بحيث تكون قوية فقط ، بل اعداد الجسم كله اعدادا سليما ، حيث تؤكد على الرياضة البدنية ، وغيرها مما يؤدى الى تنمية ملكات الجسد ، بحيث تكون قادرة على أداء ما يطلب منها وقتما يطلب منها ذلك ، الى «جانب الاسترواح والترفيه .. فى ممارسة النشاط الرياضى» حيث « فى ممارسة الرياضة ابقاء للجسم على شكل مقبول ، فيه جمال

---

(١) الأنفال : ٦٠ .

(٢) سعيد حوى : الاسلام (اربعة اجزاء معا) ـ مراجعة وهبى سليمان القاوجى ـ مكتبة وهبة ـ ١٩٧٧ ، الجزء الثالث ، ص ١٠٠ .

(٣) البقرة : ٢٤٧ .

(٤) المنافقون : ٤ .

وصحة »(١) • فالتربية الجسدية اذن تعنى (ذلك النشاط الذى تقوم به التربية فى سبيل تنمية الجسم تنمية سليمة فى اطار تكوين الشخصية المتكاملة والمتوازنة والعابدة لله) •

٢ ــ كما تهتم التربية الاسلامية بالجسد عن طريق التربية الرياضية، التى تتضمن الخبرات المختلفة منذ بداية حياة الانسان ، حيث تهيىء الوسط الذى يمكن من خلاله أن تحقق أهدافها التربوية، وذلك « يكون باحصاء التمارين التى يحتاجها الجسم ، ليكون قويا ، مقاتلا ، كالجرى والقفز والسباحة ، والملاكمة ، والمصارعة ، والربع ، ثم يمر الطالب على كل منها بدورة مستقلة فاذا ما انتهى من مرحلة الدراسة ، يكون قد أخذ حظه الكامل من التربية الجسمية »(٢) • وبذا تحقق فوائد جمة ، فى نمو الأطفال والشباب ويتبين الجانب الأخلاقى فى التربية الرياضية ، فى التسامح ، والروح الرياضية ، والتعاون ، وبهذا يعد الجسم كقوة ضرورية للجهاد والقتال •

٣ ــ وتهتم التربية القرآنية بالجانب الصحى : سواء من حيث النظافة العامة ، أو الوقاية من الأمراض المختلفة ، بحيث يعتبر ذلك جزءا من عقيدة المسلم ، فالوضوء ويسبقه الاستنجاء ، يعتبر نظافة بدنية قبل الدخول فى الصلاة ، والسواك يعتبر نظافة للفم والأسنان • وبنفس القدر من الأهمية ، يهتم القرآن بغسل الجسد كاملا فى حالات معينة « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ، ولا جنبا الا عابرى سبيل حتى تغتسلوا ، وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا ، فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ، ان الله كان غفورا رحيما »(٣) •

---

(١) سعد مرسى أحمد : التربية والتقدم (مرجع سابق) ، ص ٨٦ •
(٢) سعيد حوى (مرجع سابق) ، ص ١٠٠ •
(٣) النساء : ٤٣ •

وهكذا نرى آن التربيـة القرآنية ، تهتم بالتربيـة الرياضيـة ، وبالنظافة العامة ، فهى اذن تسعى الى تكوين وتنشئة الجسم صحيا ، عن طريق تكوين عادات صحية نافعة ، من شأنها أن تنشىء الجسم صحيا ، وتجعله لائقا للعمل ، بل تعطيه القدرة على المرونة ، والتشكل لمجـابهة متطلبات الحياة المتغيرة (١) .

٤ ـ وبالنسبة للتربية القرآنية ، فان هـدف التربية القرآنية هو تنمية الانسان تنمية كاملة ، بحيث يستمتع بهذه الناحية الفطرية استمتاعا كاملا ، واذا كان التربويون يتفقون اليوم « على أن التربية الجنسية ، يجب أن يكون محورها الحياة الجنسية للانسان ، كما يتطلبها التكيف الكامل للفرد مع أسرته ومجتمعه ، ويجب أن يكون التركيزفيها على نمو ذات جنسـية ايجـابية » (٢) ، وذلك فى سبيل تهيئة الانسـان الفرد لممارسة وظائفه المقبلة ، فسوف يصـبح أبا أو أما ، فلابد اذن أن يربى جنسيا ، وهذا ما تضعه التربية القرآنية فعلا فى حساباتها : حيث تعمل على تنشئة الأفراد تنشئة جنسية سـليمة ، وفى اطار أخلاقى بحت ، الى جانب ضبط هذه الناحية ، فى توسط بين الكبت والتفريط ، وتوضـح « أن الانغماس فى الشهوات والعلاقات الجنسية غير مشروع ، بوصفه لا يليق بكرامة الانسان كانسـان ، وبكرامة الفرد فى المجتمـع ، وفى علاقاته مع أسرته »(٣) .

٥ ـ وكل اجراء تتخذه التربية القرآنية فى سبيل تربية الجسد ،

---

(١) سعد مرسى احمد : التربية والتقدم (مرجع سابق) ، ص ١٨٦ .

(2) P. Shiller : Sex Education, in the Encyclopedia of Education, Vol. 7., p. 993.

عن سهام العراقى .

(٣) سهام العراقى : دراسة لآراء المدرسين بمحافظة الغربية نحـو التربية الأخلاقية فى المدارس ، دراسة وصفية تحليلية علاجية ـ رسـالة ماجستير غير منشورة ـ كلية التربية بطنطا ـ ١٩٧٧ ، ١٤ .

منبعه أن الجسد غاية في ذاته ووسيلة لتحقيق أهداف الانسان،ولتحقيق أهداف الاسلام ، في تكوين الانسان العابد الصالح . ومن هنا فانه يحرم على الانسان ممارسة أي عادة أو تناول مأكولات أو مشروبات مضرة بالجسد ، لأن ذلك لا يقتصر على الجسد فقط ، بل يمتد الى الأجزاء الأخرى من شخصية الانسان ، وهي تضر بها وبالجسد في آن ، حيث يعجز عن أداء مهمته التي خلقه الله لها ، ورسالته التي يجب أن يؤديها ، وان كانت هذه القواعد حرمانا ، الا أن القاعدة القرآنية.ان الحرمان قد يحقق الكثير مما لا يستطيع الاشباع تحقيقه ، حيث يربي الارادة التي تهيمن على الجسد هيمنة كاملة ، وقد حدد القرآن الطريق الى هذا « واستعينوا بالصبر والصلاة ، وانها لكبيرة الا على الخاشعين ، الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم ، وأنهم اليه راجعون »(١) .

وهكذا تهدف التربية الاسلامية الى تنمية الشخصية الاسلامية . تنمية كاملة متكاملة ، في جانبها الجسدي ، وفي تكامل مع الجوانب الأخرى من الذات الانسانية ، وتتخذ لذلك طرقا تعتبر أهدافا خاصة :

— التربية الرياضية عن طريق العبادات ، ثم أي طريق آخر ، بحيث تتكامل الأخلاق مع الرياضة .

— النظافة العامة ، حيث تدرب المتعلم على تنظيف نفسه وجسده تنظيفا كاملا،اما جزئيا،كما في الوضوء ، أو في الغسل كليا،وذلك كشرط لتأدية الفرائض والممارسات الدينية .

— الربط بين الجانب الجسدي وبقية جوانب الشخصية الأخرى ، بحيث تصبح التربية الجسدية تربية ارادة ، وفكر وتأمل وأخلاق .

— التربية الجنسية وهي جزء من نشاط الانسان الجسدي النفسي والطاقات الحيوية المنبعثة من الجسد وفي نفس الوقت تعكس تأثير الجانب العقائدي والنفسي على الجسد .

---

(١) البقرة : ٤٥ — ٤٦ .

ـ والمعيار الأساسى هنا هو أن الله قوى ، ويجب أن يقترب الانسان من صفة الله ، بقدر ما تسمح له بذلك طاقاته . والقوة فى جانب الانسان، تعنى فيما تعنى قوة الجسد ، ومن ثم تعتبر تربية الجسد قيمة من القيم القرآنيـــة .

ثانيا : التربيــة العقلية

تمهيــــد :

الانسان هو موضوع التربية ، وقيمــة المصـــدر التربوى ، يمكن أن تقاس بمدى احترامه لعقل الانسان ، حيث انه هو الأداة التى بها يفهم ويتأمل ويفكر ويتعلم[١] . وتنصب التربية هنــا على العقل باعتبـــاره « قوة مدركة فى الانسان، خلقها الله فيه ، ليكون مسئولا عن أعماله»[٢]. والعقل هو الذى يعطى الانسان قوة التأمل والمراجعة والترجيح والحكم بين الأشياء أو الطرق والوسائل التى سيواجهها الانسان عند الحصول على مطلوبه ، وهو الأساس فى التكليف فى القرآن .

العقل فى القــرآن :

العقل ـ طبقا لمـــا جاء بالقرآن ـ « من أجل نعم الله على الانسان، وأنفع القوى الفطرية التى أودعها الله فيه »[٣] . ومن ثم فهو « طريق الانســـان الى الله »[٤] . ولذا كان انكار القرآن على الذين يعطلون قواهم العقلية تماما : « ان شر الدواب عنـــد الله الصـــم البكم الذين

---

(١) د. سعيد اسماعيل : أصول التربية الاسلامية (مرجع سابق) ، ص ٢٨ .

(٢) انظر ص ١٠١ من البحث .

(٣) يحيى هاشم حسن فرغلى : معالم شخصية المســلم (التكوين الأساسى) ـ المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت ـ د.ت ـ ص ٧ .

(٤) د. عبد الغنى عبود : الإنسان فى الاســلام والانسان المعاصر ـ الكتاب الرابع من سلسلة (الاســلام وتحــديات والعصر) ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٧٨ ، ص ٦٩ .

لا يعقلون »(١) .

والقرآن ينوه بالعقـل ويعـول عليه فى « أمر التبعة والتكليف ، ولا تأتى الاشارة اليه عارضة ولا مقتضبة فى سياق الآية . بل هى تأتى فى كل موضع من مواضعها ، مؤكدة جازمة اللفظ والدلالة،وتذكر فى كل معرض من معارض الأمر والنهى ، التى يحث فيهـا المؤمن على تحكيم عقله ، أو يلام فيها المنكر على اهمال عقله وقبول الحجر عليه ، ولا يأتى تكرار الاشارة الى العقل بمعنى واحد من معانيه ، التى يشرحها علمـاء النفس ، بل تشـمل وظائف الانسـان العقلية على اختلاف أعمالهـا ، وخصائصهـا ، وتتعمـد التفرقة بين هـذه الوظائف والخصـائص ومناسباتها »(٢) . وهو بهذا يؤكد دور العقل فى حياة الانسان المسلم ، وذلك لأنه جزء من الطبيعة الانسانية :

ـ « فلينظر الانسان مم خلق » (٣) ـ « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت » (٤) ـ « ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » (٥) .

والعلم والعقـل هما وسيلة المعرفة ، ولذا يربط القرآن سـلوك « المسلم تجـاه كل حياته من فكر أو عمـل بالعقل والعلم ، فلا يسمح لأفراده أن يكونوا عشوائيين أو مقلدين أو متواكلين ، وانمـا بالمنهجية التى تفكر وتخطط وتدرس ، ثم تنزل الى الواقع لتجنى ثمار خير متوقع لا مفاجآت مجهول »(٦) .

---

(١) الأنفال : ٢٢ .
(٢) عباس محمود العقاد : التفكير فريضة اسلامية ـ دار الهلال ـ القاهرة ـ د.ت ـ ص ٥ .
(٣) الطارق : ٥ .
(٤) الغاشية : ١٧ .
(٥) الروم : ٢١ .
(٦) صابر طعيمة : المعرفة فى منهج القرآن الكريم (مرجع سابق) ، ص ٥٨ .

وقد فتح القرآن الباب للعقل ليقوم بوظيفته الفكرية دون قيود ، والأبعد من ذلك أنه ترك له الحرية فى اختيار الطريق الذى يوصله الى الحقيقة ، فللعقل اذن وظيفة بمعنى أن له طريقة متميزة للوجود والعمل .

وظيفة العقـل :

وباستقراء آيات القرآن نجد أن للعقل وظيفة واضـحة تتحـدد فيما يلى على أساس التحليل والتعليل والربط :

١ - **التفكير فى احوال العالم وسنة الله فى الارض واحـوال الامم والشعوب على مدار التاريخ :** وهـذا الضرب من التفكير ، يوصـل الانسان الى أن تاريخ الأمم وحياة المجتمعات - فى نظر الاسلام - هو كذلك فى واقع الحيـاة - ليس أطوارا متعـاقبة بغير معنى ، ولا هدف ولا غاية ، ولا نظام معروف . انها تتبع سنة معينة - « سنة الله فى الذين خلوا من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا » (١) - سنة الله التى « تعمل بما أودعه الله فى الانسان من طاقات واستعدادات ، وما أعطاه من قدرة على الاختيار بين أحد طريقين » (٢) . ولعله لأجل هذا النوع من التفكير، وعائده الممتاز على الأمة ، « أكثر الله تعالى ، فى كتابة قصص الأولين ، ومواضع العبرة بهم » (٣) .

٢ - **التفكير فى المعاملات :** وينبنى على احساس الانسان وشعوره بما لأجله يحتاج المرء الى المعاملة مع الناس ، والحكمة من هذه العلاقات والمعاملات ، ومعنى التفكير فيهـا هو ادراك العلل وتعليل الأحكام ، وكيف لا ، والقرآن يعلل الأحـكام ، كما فى تحـريم الخمر ، والأمر بالقصاص ، حيث أومأ الى التعليل فى مشروعيته ، وهـذا ايحاء للفكر

---

(١) الأحزاب : ٦٢ . وانظر : الانعام : ٦ ، ١١ ، والأعراف : ١٣٦ ، ١٣٧ ، ٩٦ ، ويونس : ١٣ ، ١٤ ، وهود : ١٨ - ٢٠ ، ويوسف : ١٠٩ ، والحج : ٤٠ - ٤١ ، والنور : ٥٥ ، والنمل والقصص والروم وغافر .

(٢) محمد قطب : منهج التربية الاسلامية (مرجع سابق) ، ص١١٣ .

(٣) محمد الطاهر بن عاشور (مرجع سابق) ، ص ٦١ .

البشرى لادراك هذه الأحكام والتفكير فيها ، ولاشك أن ذلك يسهم فى التزام الانسان أدبيا بالقانون الأخلاقى ، وبالمعاملات التى أقرها القرآن ، ويسهم فى ادراك الانســـان ، أنه والناس جميعـــا اخوة ، متساوون ، وهـــكذا .

٣ - **التفكير العلمى** : « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم ، لاتعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ، لعلكم تشكرون » (١) .
ومعنى هـــــذا :

(أ) ان الانسان يولد فى هذه الأرض ، لا علم له بشىء من هـــذا الكون على الاطلاق .

(ب) وبناء على ذلك فان الله زود الانسان بالحواس والعقل ، لتكون أسبابا للعلم ووسائل للمعرفة ، ولذا فان الانسان مسئول مسئولية كاملة أمام الله عن هذه الوسائل : « ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » (٢) ، وذلك لأنها منحة الله :« هو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئده قليلا ما تشكرون » (٣) .

(جـ) أن الواجب بناء على ذلك ، استعمال تلك الحواس الظاهرة ، والباطنة ، المسماة بالعقل ، وتلك نعمة كبرى تستوجب شكر المنعم عن طريق استخدامها الاستخدام السليم ، وذلك عن طريق النظر الى مخلوقات الله فى الكون (٤) .

والقرآن بهذا يدعو الانسان الى التفكير العلمى ، والتأمل والتدبر للوصول الى القوانين العلمية ، التى تحكم المـــادة ، انطلاقا من دعوته

---

(١) النحـــل : ٧٨ .
(٢) الاسراء : ٣٦ .
(٣) المؤمنون : ٧٨ .
(٤) انظر الفصل السابق ص ١٣٩ .

الى النظر فى المحسوسات والماديات ، وكيفية بدء الخلق ، أى أن العقل لا يجب أن يكتفى بتسخير هذه القوى فى الماديات ، بل لابد من النظر الى ما وراء ذلك ، والقرآن ذاته يدعو الانسان الى النظر والتفكير فى :

- المادة أو المواد التى خلقت الأشياء .

- كيفية خلق الأشياء .

- كيفية بدء الخلق .

- الأطوار والمراحل التى تمر بها الأشياء ، خلال حياتها أو وجودها فى ظاهر الحس .

- درجة اتقان صنع الأشياء (١) .

هذا فيما يتعلق بعمل العقل ، وهو النظر الى الأشياء ، الا أن للعقل وظيفة أخرى وهى النظر فى العلاقة التى بين الأشياء ، اذ أن هناك حركة وسكونا ، وهناك توافق وتجاذب . وادراك أدوار الأشياء فى الحياة ، والربط بين هذه الأدوار - كل هذه وظائف للعقل ، متوجة بفتح القرآن المجال له للعمل بحرية تامة .

والهدف من ذلك كله ليس المعرفة والتفكير من أجل التفكير فقط ، بل باعتباره وسيلة الى معرفة الله وعبادته والوصول الى السعادة ، فالهدف الأكبر للمعرفة ، فى القرآن « هو الاتصال بالله لأنه سبحانه هو المثل الأعلى للحق والخير والجمال (٢) .

---

(١) صنابر طعيمة (مرجع سابق) ، ص ١٦٧ ، ١٧٧ .

(٢) على عبد العظيم : فلسفة المعرفة فى القرآن الكريم - من (سلسلة البحوث الاسلامية) - مجمع البحوث الاسلامية - السنة الخامسة ، العدد (٦٥) - ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م ، ص ٥٨ .

المدلول التربوى للعقـل :

العقل البشرى طاقة هائلة ، أنعم الله بها على الانســان ، ومن ثم فان التربيــة العقلية تعنى ، تنمية الطاقات العقلية وتدريبها ، فى ســبيل استخدامها فى الخير ، وبحيث تصل الى النضج الفكرى ، فى طريق بناء الشخصية الاســلامية العــابدة ، والمدلولات التربوية للعقــل تتلخص فيما يلى :

١ ــ عدم اتباع الظن والتخمين فيما يتعلق بالأمور التربوية ، وبناء عليه ، فانه لا يجــوز بحال من الأحوال ، أن يتقولب الفكر التربوى فى «قوالب» ، « كما شكلها المفكرون السابقون ، حتى لا تكون قيدا يحد من حركتها فى رؤية الاختلافات بين مجتمع اليوم ومجتمع الأمس » (١) ــ على أن يلتزم الفكر التربوى بالاطار العام المحــدد لفلســفة الحياة ، وليس على أساس الفكر المجلوب أو المنقــول ، الا اذا كان مفيــدا ، وبشرط موافقته للاطار العام •

٢ ــ واذا كان من وظائف العقل فى القرآن التقلب بين نعم الله ، فانه من اللازم غرس هذه الصفة فى النظام التربوى ، بحيث يســتخدم العقل « بصفة مستمرة ، لمواجهة أمور كل يوم جديد » (٢) ، بحيث ينجدد النظام التربوى طبقا للمتغيرات العصرية •

٣ ــ واذا كان العقل فى الجو القرآنى يتمتع بحرية واسعة ، لاحدود لها ، الا ما حدده القرآن ، من عدم البحث فى المعميات ، فان هذا يعطى للعقل حق ممارسة النقد « بكل جرأة ، لا يصدنا عن ممارسته ، أن يصدر الكلام من أى موقع ، ما دام صادرا من انسان غير معصوم » (٣) •

٤ ــ والتربية القرآنية تسعى الى تنمية العقل تنمية متكاملة ، فهى تعنى بتنمية قدرة التخيل عند الانسان ، أى « القــدرة على خلق عالم

---

(١) د . سعيد اسماعيل على : أصول التربية الاسلامية (مرجع سابق) ، ص ٣١ •

(٢) المرجع السابق ، ص ٣١ •

(٣) المرجع السابق ، ص ٣١ •

داخلى مستقل الى حد ما عن العالم الخارجى المباشر ، الذى نعرفه عن طريق الحواس ، ومكونات العالم الداخلى الذى تتخيله يمكن أن تشتق من الخبرات الحسية الأولى ، ولكن يعاد تنظيمها وتتغير ، لتخلق عالما داخليا جديدا » ــ وبالتالى فان التربية تدرب الانسان ، على أن « يعيد بناء عالم الحواس ، ويعيد تشكيله » (١) .

وبتدريب التربية المتعلم على هـذا فانه يمكن له أن يغير ويربط وينظم الموجودات حوله فى سبيل ايجاد حياة أنسب ، وهى لا تقف عند هذا الحد ، بل تمتد الى تدريب الذاكرة ، وذلك لأن الانسان هو نتاج المـاضى، كما أنه يعيش فىحاضره يعده لمستقبل . وهكذا يمكن القول بأن التربية الاســلامية تقوم بتدريب العقــل الانسانى على جميع المناشط الممكنة فيه ، فى حرية ، وعلى أساس النظرة الى الآفاق النهائية للحياة ، عن طريق الملاحظة الموضوعية ، والتحليل والفهم ، واستخراج الحقائق ، وتجميعها وتبويبها ، والوصول الى الأحكام السليمة ، بمعنى أن التربية تسعى الى تدريب المتعلم على تعقل كل شىء ، وفحص الجزئيات ، وفهم ما يقال له وتفكره ، وعدم تقبله بدون دليل .

٥ ــ والتربية القرآنية تســتخدم الحواس فى التربيــة الفكرية ، فاذا كان القرآن قد قدم فرصا كبيرة ، للخبرة الحسية الواسعة المدى ، فان التربية القرآنية تلتزم بهــذا ، بحيث تقوم فى تدريبها على أســاس الخبرات الحسية ، وتترك للعقل الحرية فى توجيه وتنسيق هذه المدركات الحسية .

٦ ــ ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل تمتد التربية القرآنيه الى تربيــة البصيرة ، حيث يعترف القرآن ويقرر أن الاشراقات الالهية (٢) لها دور فى بناء المعرفة الانسانية ، ويقرر القرآن : « واتقوا الله ويعلمكم الله » (٣) ــ فالتقوى ، وهى هدف الاســلام ، هى السبيل الى تدريب

(١) فيليب فينكس : فلسفة التربية (مرجع سابق) ، ص ٧١٩ .
(٢) انظر سورة الكهف « قصة موسى والعبد الصالح » .
(٣) البقرة : ٢٨٢ .

البصيرة الانسانية ، حيث يمكن للانسان الصالح أن يتلقى علما من لدن الله ، يقول القرآن « فوجدا عبدا من عبادنا ، آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما » (١) — « وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث ، والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، ولما بلغ أشده آتينا حكما وعلما ، وكذلك نجزى المحسنين » (٢) .

والتربية اذ تدرب الانسان على التقوى ، والاحسان ، والشكر للمنعم ، فانها فى الحقيقة تدرب بصيرة الانسان على التلقى من جانب الله ، بمعنى توفيقه الى العلم النافع ومنحه علما من علمه يستطيع به المسلم أن يسخر الأشياء حوله فى منفعته ومنفعة الناس : « قال الذى عنده علم من الكتاب ، أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك » (٣) .

٧ — واذا كان القرآن يدعو الى القراءة ، والقراءة المستمرة ، وبجميع ألوانها ، سواء كانت القراءة قراءة فى القرآن ، الكون المقروء ، أم قراءة بالتأمل فى ملكوت السماء والأرض ، الكون المرئى — فان التربية تقوم بتدريب المتعلم على أنواع هذه القراءة : « أفلا يتدبرون القرآن ، أم على قلوب أقفالها » (٤) . والمقصود بالتدريب على القراءة ، هو أن تكون قراءة الانسان « ناقدة » ، وأن يفهم الانسان ما يقرأ ، ويزن الأدلة ، فلا يخدع ولا يضلل (٥) .

٨ — والتربية القرآنية تربى الأفراد على الانفتاح الفكرى ، بمعنى انها تربى المتعلم ليعيش فى قلب عصره ، وقلب كل العصور فى آن واحد ، بمعنى ان المسلم اذا كان مطالبا بأن « يعى ثقافة عصره ليدير حواره مع

---

(١) الكهف : ٦٥ .
(٢) يوسف : ٢١ ، ٢٢ .
(٣) النمل : ١٥ ، ١٦ ، وما بعدها حتى آية ٢٨ .
(٤) محمد : ٢٤ .
(٥) د. سعيد مرسى احمد : التربية والتقدم (مرجع سابق) ، ص ٨٤ .

مفردات هذا العصر ، ومطالبا كذلك بأن يعى ثقافة كل العصور انطلاقا من قضية مسلمة ، هى أن الثقافة شجرة جذورها غائصة فى تربة الزمن ، وفروعها ضاربة فى آفاق كل العصور » (١) — فان التربية القرآنية تربى الفرد المسلم على أساس الانفتاح الفكرى وليس على أساس التزمت والتعصب والتقوقع .

والفرد المسلم الذى تدربه التربية القرآنية على هذا ، وتربيه عليه :

— لا يكتم علما اهتدى اليه : « ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » (٢) .

— ينسب الفضل لأهله ، ويرجع المعلومات الى مصادرها ، لأن المصدر الحقيقى هو الله تعالى ، الذى لا تغيب عنه شاردة : « ولا تلبسوا الحق بالباطل ، وتكتموا الحق ، وأنتم تعلمون » (٣) .

— لا يتبع الظن وانما يبنى أحكامه على حقائق ومسلمات ، لا على أساس الأوهام والظنون ، فتفكيره علمى ، وليس تفكيرا خرافيا أوأسطوريا ، ولا يفكر عن طريق غيره ، وانما تفكيره نابع فى الواقع ، من عقيدة .

— يبعد عن المناقشات والجدل الذى لا فائدة منه ولا طائل تحته ، ومن ثم عن العلوم التى لا فائدة منها : « وان جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون . الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون » (٤) .

---

(١) محمد أحمد العزب : « تأملات فى تكوين الشخصية الاسلامية » — منار الاسلام — السنة الأولى — العدد الرابع — ١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦ م ، ص ١٨١ .

(٢) البقرة : ١٥٩ .

(٣) البقرة : ٤٢ .

(٤) الحج : ٦٨ .

وهو فى ذلك ، يصرف وقته فى الفكر النافع ، والعلم المفيد ، الذى يفيده ويفيد مجتمعه ، ويحقق له الرقى والتقدم .

- يسأل فيما يجهل عنه ، ولا يعرفه ، حتى يصل الى الطريق الصحيح ، بحيث يكون متفتح الفكر : « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » (١) .

ومعنى هذا كله أن أهداف التربية القرآنية فى الجانب الفكرى تتلخص فيما يلى :

١ - تنمية الانسان فكريا بحيث يكون انسانا عابدا صالحا .

٢ - استخدام الحواس فى تنمية هذا الجانب .

٣ - تنمية العقل الانسانى وقدراته المختلفة عن طريق الفكر العلمى التجريبى ، بمحتوياته ومشتملاته .

٤ - اتاحة الفرصة والتدريب على الانفتاح الفكرى على الماضى ، وما فيه من خبرات ، وعلى الحاضر ، وما فيه من مشكلات ، استشراقا للمستقبل ، بحيث يستفيد من الخبرات المختلفة والعلوم المختلفة مهما اختلفت مصادرها ، ما دامت مفيدة ، على أن يرفض ما يضره على وجه العموم .

٥ - الاهتمام بتربية البصيرة - وذلك عن طريق التقوى .

٦ - وهى فى كل ذلك ملتزمة بأخلاقيات البحث العلمى ، وبالأخلاق الاسلامية ، بحيث لا يستخدم هذا التفكير الا فيما ينفع الناس ، لا فيما يضرهم .

---

(١) الأنبياء : ٧ .

ثالثا : التربية العقائدية

تمهيـــد :

لكى نوضح منهج القرآن فى تربية العقيـــدة ، يلزم أن نستكشف معنى العقيدة ، وهى ترد عند اللغويين على المعانى التالية :

١ ـ عقد عقدا : الحبل نقيض حله ، والبيع أو اليمين أحكمه ، تعاقد القوم تعاهدوا •

٢ ـ اعتقد المـــال جمعه ، والأمر صدقه ، وعقد عليه قلبه وضميره ، وتدين به •

٣ ـ العقيدة : ما عقد عليه القلب والضمير ، وما دان به الانسان واعتقده ، الجمع عقائد •

٤ ـ المعتقد والاعتقاد : ما يعتقد فيه الانسان •

وهى « الايمان بحقيقة معينة ، ايمانا قطعيا ، لا يقبل الشـــك أو الجدل » ، أو هى « الحكم الذى لا يقبل الشك فيه لدى معتقده » •

وعلى ذلك فان « عقيدة الانسان : مذهبه باختصار أى هى ما يؤمن به ، ويراه عن اقتناع قلبى أكيد ، وعلى أســـاس هـــذا الذى يؤمن به ويراه ، يذهب فى حياته ، أى يسير ويسلك » (١) •

والانسان فيه « حاسة روحية ، تتلمس آفاق النور دائما » (٢) ، حيث « يولد الانسان وبه ايمـــان فطرى بوجود قوة خفية تسيطر عليه وعلى الحيـــاة حوله ، قوة يفزع اليهـــا عند الحاجة ، ويطمئن بوجودها فى حياته » (٣) •

---

(١) صابر طعيمة : المعرفة فى منهج القرآن الكريم (مرجع سابق) ، ص ١٩٣ •

(٢) عبد الكريم الخطيب : الله ذاتا وموضوعا ، قضية الالوهية بين الفلسفة والدين ـ ط ٢ ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٧١ ، ص ٩٠ •

(٣) عبد الرزاق نوفل : الله والعلم الحديث ـ الناشرون العرب ـ دار الشعب ـ ١٩٧١ ، ص ١٦ •

« ولئن كان الفكر البشرى حافلا بالكثير من الهجمات الصارخة ، والحملات العنيفة ، والتخرصات الكاذبة ، وضروب الأفكار الصريحة ، الا أن وراء تلك المزاعم العقلية العريضـــة ، يكمن دائما ايمـــان باطن أو شعور خفى ، بأن ثمة شيئا فيما وراء العـــالم الطبيعى المرئى ، وأن هناك حقيقة أخرى ، تعلو على الوجود البشرى المتناهى» ، «وهذا الأيمان قــد يبقى بمنأى عن كل ارتياب ، وكأنمـــا هو يستمد قوته من مصدر علوى ، هيهات أن تزعزعه الشكوك » (١) .

العقيدة فى القرآن :

والقرآن يوفر على الانسان كل جهد فى هذا السبيل (٢) ، فيقرر أن الانسان له عقيدة ، ويعرض عقيدته تلك ، فى جوانب ثلاثة :

الجانب الاول : الايمـــان بالله ، واحدا فى ذاته ، واحدا فى صفاته ، خالقا لكل شىء — من أجل الانسان ، سخر الأشياء فى السماء والأرض ، وجعل فى الأرض كل ما يحتاج اليه الانسان ، لينعم به ، وليشكره على هذه النعم .

الجانب الثانى : الايمان بالقضاء والقدر ، لأن الله هو الذى يقدر ويتصرف ، وكذلك الايمان باليوم الآخر ، وأنها هى الحياة السعيدة ، لمن اتقى وآمن وعمل صالحا ، التعيسة لكل من عصى الله ، وكفر به . وقد ذكرها القرآن بالتفصيل (٣) .

الجانب الثالث : ويدخل فى الاعتقاد الايمان بالرسل جميعا وبالكتب السماوية السابقة ، فضلا عن الايمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث يحقق الايمان بها سعادة للانسان .

هذه جوانب ثلاثة تعكس العقيدة الاسلامية وتوضحها كما جاء بها القرآن ، ولها وظيفة أساسية فى حياة الانسان ، وهدف القرآن منها الى :

---

(١) د . زكريا ابراهيم : مشكلة الانسان — رقم (٢) من (مشكلات فلسفية) — ط ٢ — مكتبة مصر — ١٩٦٧ ، ص ١٨٥ .

(٢) ارجع الى ص ٧٧ من الرسالة .

(٣) ارجع الى ص ١٣٧ ، ١٣٨ من الرسالة .

١ - راحة الانسان المسلم في جزء من أهم أجزاء شخصيته ، وهو ذلك الجزء الذي يتساءل فيه الانسان دائما عن قوة هي أكبر منه ، لابد أن ينصاع لها ، لأن الانسان متدين بفطرته .

٢ - صيانة القيم الانسانية ، وتهذيب الفرد ، بأن « تقوى فطرته الطبيعية » (١) ، فهي توفر للانسان الاستقرار النفسي والسعادة الدنيوية ، الى جانب السعادة الأخروية « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره ، قد جعل الله لكل شيء قدرا » (٢) .

٣ - حماية الانسان من الضياع ، حيث « تضع الانسان في موضعه الصحيح ، فتعتبر له وبه في الحياة ، ليسير على هدى وبصيرة ، ويسلك سبيل الحق والرشاد ، في معالم واضحة ، وخطى ثابتة ، وهدف مرسوم » (٣) : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » (٤) .

٤ - ان توحيد عقيدة الأفراد هي التي « توحد أفكارهم ومفاهيمهم ومشاعرهم ، وتضبط تصرفاتهم وأوضاعهم وسلوكهم ، حتى يصح أن يوصف هذا المجتمع بالصلاح والتماسك والثبات والاستقرار » (٥) ، وبهذا يتحرر المجتمع من الخوف ويتحرر من عبادة العباد الى عبادة الله الواحد ، القادر الحكيم ، خالق كل شيء ، بيده الأمر واليه المصير ، ويحس الانسان الفرد بأنه مساو للناس جميعا ، وبأنه أخ للانسان ، فليس أحد أفضل من أحد أو أقوى منه ، بل الكل سواء أمام الله ، لا تفاضل الا بالعلم والتقوى (٦) .

المدلول التربوي للعقيدة :

اولا : للعقيدة مدلولات تربوية كثيرة ، ذلك أن توحيد العقيدة

---

(١) عمر عودة الخطيب : لمحات في الثقافة الاسلامية (مرجع سابق) ، ص ٢٤٧ .

(٢) الطلاق : ٢ ، ٣ .

(٣) عمر عودة الخطيب (مرجع سابق) ، ص ٣٣٧ .

(٤) الذاريات : ٥٦ .

(٥) عمر عودة الخطيب (مرجع سابق) ، ص ٣٤٧ .

(٦) انظر الفصل السابق ، ص ١٢٥ - ١٢٧ .

هو الهدف الأسمى للتربية ، ومن توحيد العقيدة توحد أهداف التربية ، ونظمها وطرائقها ، فى سبيل توحيد فكر الأفراد ، وهى تعنى «تنمية الانسان العابد الصالح ، على طريق التعرف على الله سبحانه ، والاتصال به، والقرب منه ، لتحقيق هدف الانسان فى الأرض عن طريق الاستعانة بالله » وهى فى ذلك تستعين بالهدف الأساسى للاسلام ، وهو « العبادة ، والتشبه بصفات الله الذى خلقه وصوره ، الى جانب الاعتماد على أن الانسان ، مفطور على التوحيد » (١) . ومن ثم تسعى التربية الى غرس الايمان فى نفوس الأفراد ، عن طريق الاعتراف بوحدانية الله ، واستقلاله المطلق ، وتعمل فى نفس الوقت على أن تغرس فى نفس كل فرد أنه « واحد مستقل ، الا أن وحدانية الكائن البشرى واستقلاله ليسا مطلقين ، فالله وحده لا تعتريه النسبية » (٢) . وعلى أساس هذه العقيدة ، تكون قيم الحياة نابعة أساسا من صفات الله ، ومن التخلق بأخلاق الله تعالى ، ولله المثل الأعلى ، وتكون « صفات الله تعالى هى الصلة التى تربط بين تصور القرآن للكون ، والحياة والانسان ، وبين قيم الحياة ، عقيدة وفكرا وسلوكا » (٣) . فاذا كان الله تعالى تعرف الى خلقه بأسماء وصفات تليق بكماله وجلاله ، فانه لابد للناس من التأسى بالله ، ولابد أن تعمل التربية العقائدية والروحية على هذا ، اذ أنه مطلوب منها أن تجعل من الأفراد أفرادا متمثلين لصفات الله ، فيكون الأفراد علماء ، قادرين حكماء ، سامعين ، ذوى أبصار ، صبورين ، أقوياء خيرين ، وكلها صفات مطلوبة بحكم العقيدة ، غير أن الأمر الذى يجب أن يؤخذ فى الاعتبار هو أن صفات الله تعالى ، تختلف كليا عن مدلولها حين تنسب الى الخلق ، فهى « صفات تكون مطلقة بالنسبة لله تعالى » (٤) ، وهى حين تنسب الى الخلق ، فهى « نقص يتدرج نحو الكمال بقدر ما يطيق البشر » (٥) .

(١) انظر الفصل السابق ، ص ١٠٣ .

(٢) د . محمد عزيز الحبابى : الشخصانية الاسلامية (مرجع سابق) ، ص ٤١ .

(٣) محمد شديد : قيم الحياة فى القرآن (مرجع سابق) ، ص ٦٧ .

(٤) د. زكى نجيب محمود : ثقافتنا فى مواجهة العصر — ط ١ — دار الشروق — ١٩٧٦ ، ص ٥٨ .

(٥) محمد شديد (مرجع سابق) ، ص ٦٩ .

فاذا كان من صفات الله « العليم » فانها صفة مطلقة ، لا يحـدها بشر ، ولا يصل اليها : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ، ويعلم ما فى البر والبحر، وماتسقط من ورقة الا يعلمها ، ولاحبة فى ظلمات الأرض، ولارطب ولا يابس ، الا فى كتاب مبين » [١] ، فان هذه الصفة فى جانب الانسان ، يجب على التربية أن تعمل على أن تستقر ابتـداء فى ضمير الانسان ان الله « العليم » لا يرضى لعباده الجهـل ، ولا يمكن أن ينال القرب منه جاهل ، وحسب الانسان أن يجعل من هذه الصفة مثلا أعلى ، يأخذ نصيبه منها بقدر ما يطيق ، ويتدرج بالتطلع الى هذا المثل الأعلى نحو الكمال بغير حدود ، وبقدر ما يبذل من جهد ، وبقدر ما يحصل عليه من علم ، بقدر قربه من الله تعالى ، فكلما ازداد علمـا ، ازداد معرفة ، وازداد قربا من الله [٢] .

ثانيا : وهكذا تعمل التربية العقائدية مع بقية الصـفات الالهية ، وعلى هذا ، فان التربية القرآنية يمكن أن تصنع هذا الانسان صنعا عجيبا متفردا عن طريق [٣] :

اولا : تكوين الرغبة فى الاعتقاد : ويكون ذلك فى الطفولة ، عن طريق التقليد والمحاكاة ، وفى الكبر باستخدام العقل والتفكير ، وذلك لأن « من لا يرغب فى الاعتقاد ، لا يعتقد » [٤] : « ولو أننـا نزلنا اليهم

---

(١) الأنعـام : ٥٩ .
(٢) محمد شديد (مرجع سابق) ، ص ٧٠ .
(٣) أنظر تفصيلا لذلك :
ــ الامام الغزالى : المقصد الأسنى ، فى شرح أسماء الله الحسنى .
(٤) د. مقداد يالجن : « وسـائل التربية الايمانية فى ضـوء العلم والفلسفة والاسلام » ــ **المسلم المعاصر** ــ العـدد الخامس ــ بيروت ــ ١٣٩٦ هـ ــ ١٩٧٦ م ، ص ٧٧ .

الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ، ماكانوا ليؤمنوا »(١) .
ويتم ذلك التكوين عن طريق :

١ ـ تعداد النعم المحسوسة التى يتمتع بها الانسان ، واثارة عقله ووجدانه للتفكير فيها ، ومن ثم فانه يفكر فى واهبها ، وحينذاك يظهر لدى المتعلمين الرغبة فى الاعتقاد بالله ، خالق هذه النعم ، فالقرآن يكرر الدعوة الى النظر فى القوة التى خلقت هذا الكون ، وتلك النعم التى يتمتع بها الانســان .

٢ ـ توضيح أن فى الاعتقــاد مصلحة للبشر ، لأن فيه راحتهم ، نفسيا وفرديا واجتماعيا : « ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا ، يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار ، خالدين فيها أبدا » (٢) ـ « ومن يؤمن بالله يهد قلبه ، والله بكل شيء عليم » (٣) ـ « فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا » (٤) ، فاذا علم المتعلم هذا ، وغرس فى نفسه واتجاهاته ، فانه لا شك يكون على استعداد لقبول الايمان والعقيدة التى تريد التربية أن تغرسها فيه .

٣ ـ ازالة العوائق ، التى تحــول دون رغبة المرء فى الاعتقــاد الصحيح ، مثل التعصب أو العناد أو عــدم استعمال العقل أو الحواس « تلك القــرى نقص عليك من أنبائها ، ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات ، فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل » (٥) ـ « واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس ، قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ، الا انهم هم السفهاء ، ولكن لا يعلمون » (٦) .

---

(١) الأنعام : ١١١ .
(٢) الطــلاق : ١١ .
(٣) التغابن : ١١ .
(٤) الجــن : ١٣ .
(٥) الأعراف : ١٠١ .
(٦) البقرة : ١٣ .

ثانيا : تقديم الأدلة المختلفة على العقيدة ، التى تولد الايمان بالله والاعتقاد فيه ، وذلك يتم عن عدة طرق تدور كلها حول الله القوة المطلقة ، ولكن تقديم الأدلة من طبيعة الانسان ذاته ، ومن نفسه يكفى ، ثم بعد ذلك تقديم الأدلة الكونية ، والقرآن ملىء بالنوعين (١) .

وهكذا تعتبر هـذه الأدلة القرآنية محور بناء العقيدة القرآنية ، فى سلوك الانسـان وفى فكره وفى كل حياته ، ويمكن أن تشفع هـذه الآيات ، بالآراء المختلفة ، من الفلسفة أو من العلوم الطبيعية ــ تلك التى تقترب من منهج القرآن ، ولا تقدم على أساس أنهـا أهداف وغايات فى حد ذاتها ، بل على أنها وسيلة لبناء العقيدة ، تأكيدا لمـا جاء فى القرآن الذى يحتوى على جميع مناشط العلم الصحيح فى آياته : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق » (٢) .

ثالثا : تكوين الاتجاه نحـو التطبيق العملى للعقيدة ، وما يترتب عليها ، اذ أن الانسان اذا ما شعر بأن (كل شىء فى عالمنا قد جعل لخدمته) ، فلابد أن يولد هـذا الشعور حب مسخر هذا العالم للانسان ، وحينئذ يمكن للتربية أن تخلق من هذا الانسان عبدا طائعا ، للقوة المسخرة وهى الله ، واتباع شرعه ، الذى ورد على لسان محمد صلى الله عليه وسلم : « قـل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم . قل أطيعوا الله والرسول ، فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين » (٣) . وهنا تأتى طاعة الله فى كل ما شرع ، خاصـة اذا علم الانسان أن الكون كله تحت يد الله يتصرف فيه كيف يشاء ، وأنه غفور رحيم ، وأنه جبار ، واذا تكون فى نفس الانسان وعقله وشعوره أن الله

---

(١) أنظر الانسان : ٢ ، والنحل : ٧٨ ، والشعراء : ٧٨ ، ٨١ ، والنبأ : ٨ ــ ١١ ، والنساء : ١ ، والحجرات : ١٣ ، والمـائدة : ٤٨ ، وابراهيم : ٣٢ ، ٣٤ .

(٢) فصلت : ٥٣ .

(٣) آل عمران : ٣١ ، ٣٢ .

جبار غفور ، فان هذا كفيل بتوليد طاعة الله ـ فعلا ، وذلك لأن « الانسان المحب يطيع أوامر محبه عن رغبة ، ويخاف عصيانه ، لأن عصيانه يزيل حبه ، فان المحب لمن يحب مطيع » . ثم ان القرآن فى تربيته ، يكون « عاطفة مخافة الله بالدرجة التى أراد بها تكوين عاطفة المحبة له ، وذلك ليخاف من عصيان أوامر الله ، لأن هذا الخوف يمسكه عن السقوط فى الرذيلة التى تكون سببا لنيل نقمة الله ، وعذابه الأليم » (١) .

فالتربية تكون لدى المسلم الاتجاه نحو توجيه عمله لله ، خالصا لوجهه ، لأن الله لا يقبله الا أن يكون خالصا لوجهه تعالى ، وبأن يكون هذا العمل طيبا ، فالله لا يقبل الا طيبا ، واذا ما أصابت الانسانية الضعيفة مصيبة ، فان المسلم يعتقد دائما ، أنه قد يكون فى ذلك الخير كل الخير : « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون »(٢).وهى بهذه تعطى للمسلم بعدا جديدا « تجعله يحس بالرضا ، لأن الله سبحانه وتعالى هو الذى يتولى أمره ، وهو الذى يحيطه بالعناية والرعاية وهو الذى يختار له الخير ، ما دام ملتجئا اليه » (٣) .

وهكذا تكون التربية الاسلامية عقيدة للانسان المسلم مريحة له فى ذاته ، تقيه شر العقد النفسية والفكرية وغيرها ، لأنه دائما مع الله ، لا يخاف الا منه ، ويلتجىء اليه فى كل شىء ، ويرتبط به ارتباطا وثيقا ، بحقيقة من الحقائق العليا ـ بعقد مكتوب بدم القلب ، وميثاق الفطرة ، وأشعة الفكر بين الانسان وفطرته ، بحيث تنعكس هذه الرابطة أو ذلك الرباط على الانسان ، فى معاملاته وعشرته ، بحيث تصبح حياة الانسان كلها عبادة ، لا تقتصر فقط على أداء الفرائض ، وذلك كله يحقق الانسان العابد الصالح .

---

(١) د. مقداد يالجن (مرجع سابق) .
(٢) البقرة : ٢١٦ .
(٣) على القاضى:منهج التربية فى الاسلام (مرجع سابق) ،ص٦١ .

والتربية تتبع فى ذلك طريقا تتبين معالمه فيما يلى :

(أ) تكوين الرغبة فى الاعتقاد .

(ب) تقديم الأدلة المختلفة على العقيدة التى تولد الايمان بالله .

(جـ) تكوين الاتجاه نحو التطبيق العملى للعقيدة - وهى تهدف بذلك الى :

١ - ربط الانسان بخالقه ربطا وثيقا عن حب وخشية .

٢ - تحرير الانسان من العبودية لغير الله .

٣ - تمثل الانسان بصفات الله .

٤ - حب عباد الله ، وبالتالى العمل من أجلهم عملا متواصلا متفانيا ، وبالتالى توحيد فكر المجتمع ، وتكوين مجتمع فاضل ، تسوده الفضيلة والحب والاخاء والمساواة .

٥ - ابراز أهمية العمل والتطبيق .

رابعا : التربيــة الاخلاقية

تمهيـــد :

رأينا أن القرآن يفسر الحياة تفســيرا واقعيا ، « يوسع من ميدان الانسان ، ويفرض عليه نظــرة أعمق الى مصالحه ومادته ، ويجعل من الخسارة العاجلة ، ربحا حقيقيا ، فى هــذه الفطرة العميقة ، ومن الأرباح العاجلة خسارة حقيقية فى نهاية المطاف » (١) . ومن أجــل ذلك يتعهــد الانسان « بتربية أخلاقية خاصة ، تعنى بتغذية الانسان وحياته ، وتنمية العواطف الانسانية والمشاعر الخلقية فيه » (٢) . ولأهمية هذا الجانب الذى تتعهده التربية ، فان مجموعة من الأسئلة تثار فى هذا المجال ، مثل :

---

(١) السيد محمد باقر الصدر : فلسفتنا (مرجع سابق) ، ص٤٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٧ .

ما هو الخلق ؟ وهل يتكون بطريقة كسبية أم أنه فطرى ؟ وما الارادة البشرية ؟ وما دور الجزاء ؟ ...

كل هذه الأسئلة من الضرورى الاجابة عليها ، حتى تتضح معالم التربية الأخلاقية ، ولكن على قدر حجم الموضوع فى هذه الدراسة . وقبل أن نبدأ ، نحب أن نوجه الفكر الى أنه لا مكان للأخلاق ، بدون عقيدة ، فالعقيدة تتصل بالأخلاق ذاتها ، ومعناها هو الايمان بالحقيقة الأخلاقية ، كحقيقة قائمة بذاتها ، تسمو على الفرد ، وتفرض نفسها عليه ، بغض النظر عن أهدافه ومصالحه ورغباته ..

الاخلاق فى القرآن :

الخلق عبارة عن « سلوك الانسان (كفرد وكجماعة) سلوكا يميز فيه بين الخير والشر ، فيحب الخير ويختاره ، ويعمل على تنفيذه ، ويمقت الشر ويعافه » (١) ، وهو « تكامل العادات والاتجاهات والعواطف والمثل العليا ، بصورة تميل الى الاستقرار ، وتصلح للتنبؤ بالسلوك المقبل »(٢). وعلى كل فهو سلوك « يتفاعل فيه الضمير والفكر والعاطفة والارادة والتنفيذ والعادة ، فكل هذه تتخذ فتكاون وحدة سلوكية ، أخلاقية يعيشها فى واقع الحياة اليومية » (٣) . وعن هذا السلوك ، تنتج الحاسة الخلقية ، الموجودة فى النفس الانسانية فطريا ، حيث يستطيع الفرد العادى أن « يميز الى حد ما — وفى كل ما يقوم به من أنواع السلوك — بين ماهو خير وما هو شر ، وبين ما هو شر وما هو محايد ، لا ينفع ولا يضر ، وذلك مثلما يميز فى عالم المحسوس بين الجميل والقبيح والمجرد من كل تعبير » (٤) .

فهنالك وازع أخلاقى يعتبر قوة نفسية داخلية تدفع الانسان نحو عمل الخير ، وتردعه عن الاتيان بالشر ، وهذا ما يقرره القرآن فعلا ،

(١) المرجع السابق ، ص ٤٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٧ .

(٣) د. محمد فاضل الجمالى : نحو توحيد الفكر التربوى فى العالم الاسلامى (مرجع سابق) ، ص ١٤٤ .

(٤) د. فؤاد البهى السيد : الأسس النفسية للنمو من الطفولة الى الشيخوخة — ط ٤ — دار الفكر العربى — ١٩٧٥ ، ص ٣٤٧ .

الا أنه يضيف الى هذه الفطرة ناحية أخرى وهى « يقين بقدر ما للسابقة من احتمالية وتردد ، وهى الوحى الالهى » (١) .والى جانب هذا ، تعتمد أيضا على حرية الارادة البشرية ، اذ أن الانسان مسئول وحر (٢) . ومن هذه الثلاثة ، ينتج الالزام الخلقى ، الذى يستبعد ، الخضوع المطلق ، مثلما يستبعد الحرية الفوضوية ، ويضع الانسان فى موضعه الحقيقى بين المادة الصرف والروح الصرف وتتأكد به مسئولية الارادة البشرية ، وقدرتها على الالتزام ، وحمل الأمانة والتكليف .

ولقد أقر القرآن مجموعة من الجزاءات الأخلاقية ، منها الجزاء ذو الطابع الاصلاحى ، بمعنى أنه عندما يسلك سلوكا معينا خاطئا ، فان القرآن يلزمه باصلاح ما ترتب على هذا السلوك ، وهو يتمثل فى تأنيب الضمير والندم والتوبة :« ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما » (٣) . كما أقر الجزاء الاستحقاقى ،وهو رد فعل للقانون الأخلاقى بممارسته مباشرة وتلقائيا ، ولا يسع الانسان الا أن يتحمله ، رضى أم لم يرض ، بمعنى أنه ينزع الى نوع من « التقدير للذات ، ويؤدى اما الى ارتفاع فى القيمة الانسانية ، واما الى هبوطها ، والجزاء — هنا — حسى ومعنوى ، فالكفاح جزاؤه النصر ، والاعتدال الصحة ، والادمان والرذيلة جزاؤهما النتائج الضارة للجسم والعقل ، ثم هناك جزاء فى الآخرة » (٤) .

(١) د. محمد فاضل الجمالى (مرجع سابق) ، ص ١٤٤ .

(٢) د. محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق فى القرآن (مرجع سابق) — من مقدمة الأستاذ الدكتور السيد محمد بدوى ، ص ى ، ج .

(٣) النساء : ١١٠ ، وانظر الأنعام : ٥٤ .

(٤) د. محمد عبد الله دراز : دستور الاخلاق (مرجع سابق) ص ى ح ، ى ط .

وانظر الجزاء الاخلاقى فى الآخرة والدنيا فى الآيات القرآنية الآتية : سورة فصلت : ٣٤ ، والمائدة : ٩١ ، والاسراء : ٢٩ ، والطلاق : ٢ ، ٣ ، ٤ ، والزمر : ١٠ ، وهود : ٣ ، ١٠٢ ، والبقرة : ٩٧ ، ٢٢٢ ، والمؤمنون : ١١١ ، والأحزاب : ٤٧ ، والسجدة : ١٧ .

والفعل الأخلاقى له هدف خاص أو قريب ، وهدف عام أو بعيد ، أما الهدف القريب الخاص فهو احترام الذات ، بمعنى احترام الانسان لذاته ولانسانيته ، وهو هدف مباشر ، أما الهدف البعيد فهو رضا الله ، عن طريق العمل الصالح ، وفى هذا ضمان لسعادة الدنيا والآخرة : «وقيل للذين اتقوا ، ماذا أنزل ربكم ، قالوا خيرا ، للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ، ولدار الآخرة خير ، ولنعم دار المتقين » (١) .

وأول الطريق فى تحقيق الأهداف الأخلاقية ، انما هو ضبط النفس ، بمعيار العبودية لله ، « فلا يظهر خلق من أخلاقها الا فى الحدود التى حددها الله عز وجل » (٢) ، وفى القرآن الكريم نجد مجموعة من أمهات الفضائل الأخلاقية ، يتميز بها المسلم ، من مثل : البر ، والوفاء ، والصبر ، والصدق ، والخوف من الله ، والانفاق فى سبيل الله والعدل ... وغير ذلك (٣) .

هـذا الى جانب أن القـرآن قد نص ، على أخـلاق للموضوعات والأنشطة المختلفة فى حياة الانسان ، فهناك — على حسب تصنيف الدكتور دراز — أخلاق (٤) :

— دينية وموضوعها الله ، وهى الأساس لبقية الجوانب .

— فردية وهذه موضوعها الانسان نفسه .

— أسرية وهذه موضوعها الأسرة والعلاقات الأسرية .

— اجتماعية وموضوعها المجتمع المسلم والعلاقات الاجتماعية .

— دولية ، وموضوعها الدولة ، والعلاقات الدولية .

---

(١) النحـل : ٣٠ .

(٢) سعيد حوى : الاسلام (مرجع سابق) ، ص ٧٢ .

(٣) انظر البقرة : ١٧٧ ، والأنفال : ٢ — ٤ ، والمؤمنون : ١ — ١١ ، والنور : ٣٧ ، والفرقان : ٣٥ — ٣٧ ، والفتح : ٣٩ .

(٤) د . محمد عبد الله دراز : دستور الاخـلاق فى القـرآن ، وقد اعتمدنا عليه فى هـذا التصنيف .

وهكذا حدد القرآن وفصل أخلاقا للمناشط المختلفة فى حياة الانسان ، وحدد مسئوليته ، فى التزامه بهذه الأخلاق [١] .

وبناء على ما سبق فان مسألة الاعتقاد فى هذه الأخلاق القرآنية - وانبثاق الحياة عنها ، ليست فكرا مجردا ، لاعلاقة له بالواقع ، وانما هو مسائل تتصل بالعقل والروح والنفس والقلب ، وبواقع الحياة كلها ، والهدف الذى تهدف اليه هذه الأخلاق القرآنية ، هو « الرضا الالهى ، والقياس الخلقى ، الذى توزن به الأعمال ، انما هو مقدار ما يحصل بها ، من هذا الهدف المقدس » [٢] .

المدلول التربوى للأخلاق :

أولا : من أهم الأهداف التى تسعى التربية الاسلامية لتحقيقها ، الهدف الأخلاقى [٣] . ويدخل فى نطاق الأخلاق « كل سلوك ارادى صادر من انسان راشد » [٤] . ولذا فهدفها هو تنمية السلوك الأخلاقى ، على أساس شموله لما ينظم علاقة الفرد بنفسه أو بالناس ، أفرادا أو جماعات ، أو بالكون أو بالخالق ، طبقا لما جاء به القرآن الكريم ، وتهدف من ذلك الى سعادة الانسان عن طريق ارضاء الله ، بحيث تصبح الأخلاق هى ذلك النشاط الذى يربط بين تعاليم القرآن ، وبين الانسان ، فردا وجماعة ، بحيث تتحول هذه التعاليم الى حياة يومية تمارس .

وما دامت الأخلاق القرآنية تتخلل كل مناشط الحياة ، فالنظام التربوى الاسلامى يجب أن تربطه أخلاقيات بالمجتمع المسلم الذى

---

(١) للتوسع انظر المرجع السابق ، والاتجاه الأخلاقى فى الاسلام - مقداد يالجن ، والامام الغزالى « احياء علوم الدين » ، وغيرها من الكتب المتخصصة .

(٢) السيد محمد باقر الصدر (مرجع سابق) ، ص ٤٤

(٣) انظر صدر الفصل ص ١٥١ من الرسالة .

(٤) مقداد يالجن : الاتجاه الأخلاقى فى الاسلام (مرجع سابق) ، ص ٣٥٥ .

يعيش فيـه ، وتربط بين مؤسساته وأنظمته المختلفـة أخلاقيات ، هى صورة لأخلاق القرآن ، وبهذا تصبح التربية قائمة على أخلاق ، وتؤدى وظائف أخلاقية ، فى سبيل تحقيـق أهداف خلقيـة ، وهى بذلك تيسر السبل والوسائل النظرية والعملية ، لتربية الانسان المسلم لتحقيق أهدافها من التربية الأخلاقية •

ثانيا : واذا كانت الأخلاق القرآنية تعتمد على جانب فطرى أصيل فى الطبيعة الانسانية ، وجانب الوحى ، ثم الارادة البشرية ، فان أسلوب التربية الأخلاقية ، يمكن أن يتم عن طريق :

١ ـ تنمية الوازع الداخلى ، أو ما يعبر عنه بالضمير الأخلاقى ، الذى يتغذى من ايمان المرء ومعتقداته ، والتربية الاسلامية تغذى هذا الوازع الى أن يزدهر ، وتستعين فى ذلك بالتربية العقائدية (١) •

٢ ـ التزويد بالمعـرفة ، وهنـا تزود التربية المتعلمين بالأخلاق القرآنية من القرآن ، وذلك عن طريق العلم ، والتجربة ، حيث عن طريقها يمكن للانسان أن يميز بين الخير والشر • وتشمل هـذه المعرفة ، المعرفة بالغاية والوسيلة ، التى تحقق السلوك الأخلاقى •

٣ ـ تربية الارادة ، وسوف يأتى بيانها ، فى التربية الوجـدانية ، الا أن تربية الارادة ، تنمى فى الانسان حرية الاختيار السـليم ، حيث يختار الخير وينفذه ، وحيث تؤثر الارادة على الفكر والعاطفة •

٤ ـ التدريب على تنفيذ الخير ، ودعوة الآخرين للمشاركة فى عمل الخير ، وذلك على أساس الاختيار الحر •

٥ ـ الاعتياد والمران على تنفيذ الخير ، بحيث يصبح عمل الخير والالتزام الخلقى والفعـل الخلقى ، عادة راسـخة ، وسجية نامية ،

---

(١) ارجع الى الجزء الخاص بالتربية العقائدية ، ص ١٧٧ وما بعدها من البحث •

فى الانسان (١) .

ثالثا : واذا كان النظام الأخلاقى شاملا متكاملا ، فانه من الضرورى أن تكون التربية الأخلاقية متكاملة ، حيث تلبى الحاجات الانسانية فى مجالاتها المختلفة ، بحيث يصبح المتعلم قادرا على ضبط نفسه والسير فى حدود هذا الاطار الأخلاقى ، واذا كانت التربية هى الحياة ، فان المدرسة يجب أن تنقل الأخلاق الى داخلها ، بمعنى أن التربية الأخلاقية لا يمكن أن تقتصر على مجرد تعليم الحكمة ، بل أن المتعلمين يجب « أن تتاح لهم العديد من الفرص ، لكى يعتادوا المثــل الأخلاقية » (٢) . ولقد أعطى القرآن مجموعة من الطرق التى توصلنا اليها وســوف نناقشها فى مرحلة تالية ، يمكن عن طريقها أن نربى تربية أخلاقية ، ونحقق أهدافها ، من مثل الصــلاة ، والأمر بالمعــروف ، والنهى عن المنكر ، والموعظــة الحسنة ، والدعوة الى الفضيلة ، والقصــة ، والقدوة ، وهذه الطرق تلعب دورا بالغا ، فى تربية وتنمية الأخلاق .

رابعا : وفى جميع الطرق ، يتكامل الجهاز النفسى مع الجهاز العقلى للانسان ، اذ أن تكيف الأفراد مع هذه الأخلاق ، تكيف اختيارى وليس آليا ــ كما سبق القول . ومعنى هذا أن التربية فى سبيل تكوين أخلاقيات لدى المتعلم ، يجب أن تستعين بالادراك والحاجات والانفعالات والعواطف ، ثم بالتحليل العقلى ، حيث تتضــح ضرورة وأهميــة الأخلاق للوضــع الاجتماعى ، وللوضع الفردى ، ومن ثم فانها تجمع بين العرض الأخلاقى والوظيفة الأخلاقية ، بمعنى أنه اذا كانت الأخلاق القرآنية ليست أخلاقا دينية ، « بمعنى أن رقابتها توجد فقط فى السماء ، وأن جزاءها فيما وراء الموت ، فانها تخول هــذه الصلاحيات فى نفس الوقت ، لقوتين مؤثرتين أيضا هما : الضمير الأخلاقى ، والسلطة الشرعية ، وليس ذلك فحسب ،

---

(١) د. محمــد فاضــل الجمــالى : نحــو توحيد الفكر التربوى فى العالم الاسلامى (مرجع سابق) ، ص ١٤٤ .

(2) Hutchins, R. M.: Morals, Religion and Higher Education; University of Chicago Press, Chiccgo, p. 195.

بل انها تكلف كل فرد فى الأمة ، أن يحول بكل الوسائل المشروعة ، دون انتصار الرذيلة والظلم»[1] • فهى بنفس هذا المعنى ، يجب أن تنمى الارادة الانسانية بحيث تطيعها على أساس الفهم والتعقل •

والتربية القرآنية اذ تعمل هذا العمل ، انما تراعى النمو ومـراحله ومتطلباته ، ثم الفروق الفردية القائمة بين الأفراد : « لايكلف الله نفسا الا وسعها » [2] •

وبالجملة فان التربية الاسلامية حين تهدف الى تربية الانسان المسلم تربية أخلاقية ، تضع فى اعتبارها أن الانسان حضارى ، وحضارته أخلاقية بالدرجة الأولى ، وبفضل أخلاقيتها ، استمرت ودامت ، وأثرت وتأثرت ، ومن ثم فانها تسلك سبلا تتمثل فيما يلى :

ـ تنمية الجانب الفطرى فى الانسان ، نحو الخير ، وذلك عن طريق الايمان ، بالأخلاق القرآنية •

ـ التزويد بالمعرفة ، وتنمية الارادة الانسانية لاختيار الحق والخير •

ـ عرض الأخلاق القرآنية شاملة متكاملة حسب المواقف •

ـ وعن طـريق المؤسسات الاجتماعية ، والعبادات ، والقـدوة ، والتدريب ، تنمى الأخلاق بطريقة عملية •

ـ وعن طريق استخدام أجهزة الانسان المختلفة ، سواء منها النفسى أو العقلى أوغيرها ، اذ أنها ليست أخلاقا دينية صرف ، تقوم على الخوف والرجاء ، بل تقوم على الفهم والتعقل وحرية الارادة الانسانية ، وهى فى هذا تراعى مراحل النمو المختلفة للانسان •

ـ وهى تبعد عن الغلو والتطرف فى تربيـة الانسان الأخلاقيـة ، وذلك عن طريق الحكم الخلقى الثابت ، حيث يساعد هذا المتعلمين « على

---

(١) د. محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق فى القرآن (مرجـع سابق) ، ص ٦٧٦ .

(٢) البقرة : ٢٨٦ .

استخلاص عناصر هذه الأحكام ، فيطبقونها على أنفسهم » (١) .

خامسا : التربيــة الوجدانية

تمهيـــد :

النفس فى القرآن جانب هام من شخصية الانسان (٢) ، وهى «أقرب الى الطبع أو القوة الحيوية التى تشمل الارادة ، كما تشمل الغريزة ، كما تعمل واعية»(٣) ـ فهى قوة من قوى الانسان ، ومن أجل هذا تهتم التربية الاسلامية بتربية النفس ، أو بتربية الوجدان ، والغرض من ذلك هو أن يجعل الانسان المتعلم لنفسه خلقا ، تصدر عنه الأعمال كلها جميلة ، والطريق الى ذلك هو فهم قوى النفس ، ثم اتخاذ الوسائل من أجــل ذلك ، ذلك ان النفس اذا تركت بدون تهذيب وتربية ، « كان فيها بدائية ، يصحبها عدم اتزان ، كالذى يغضب من أدنى شىء والذى يفــزع من صــفير الطائر أو يرتاع من خبر ، أو يفرط فى الضحك من شىء يسير . ولكن بالتدريب والاستمرار والتخلق ، تكتسب النفس أخلاقا جديدة . وكل انسان صالح لأن يروض ويتخلق بخلق جديد مع تفاوت بين الناس فى سرعة الاستجابة وفى بطئها » (٤) .

النفس فى القــــرآن :

واذا كانت النفس فى القرآن تذكر على أنهــا ذات الانسان فى بعض الأحيــان ، الا أن فيها قوى داخليــة ، وهــذه القــوى تجمعها خاصة

---

(١) د . أحمد زكى صالح : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ، ص ١٣٣ .

(٢) ارجع الى ص ١٠٠ ، ١٠١ من الرسالة .

(٣) عباس محمود العقاد : الانسان فى القــرآن (مرجع سابق) ، ص ٣٣٧ ، ٣٣٨ .

(٤) محمد علم الدين : « علم النفس واثره فى التربية الاسلامية » ـ الوعى الاسلامى ـ السنة الحادية عشرة ـ العدد (١٣١) ـ ذى القعدة ١٣٩٥هـ ـ نوفمبر ١٩٧٥م .

الانسان(١) - فان النفس في القرآن ، هي محرك الانسان نحو تحقيق أهدافه ، واشباع حاجاته على قدر المستطاع ، وهي لذلك مكلفة ، يلزم تدريبها وتربيتها ، ومن قوى هذه النفس الدوافع ، تقوم بدفع الانسان لاشباع حاجات جسدية ونفسية ، والالتزام بتوجيه العقل نحو منهج الله ، وهذا هو السلوك السوى ، والمرضى هو ما دون ذلك . والى جانب الدوافع النفسية ، هناك العواطف . واذا ما ارتبطت هذه العواطف بالله ، كان لها دور بالغ الأهمية ، في توجيه سلوك الانسان ، حيث تجد المجال فسيحا « صحيحا في أنواع النشاطات الاجتماعية » ، وهي « تنمو بهذه العواطف وتستقر وينهيأ لها سبيل النجاح » (٢) .

ولتستمر حياة الانسان ، زوده الله بمجموعة من محركات السلوك ، التي تتميز « بارتباط حيوى ، يؤدى نقصه الى تهديد مباشر لسلامة الكائن الحي» ، وكذلك بمجموعة من الدوافع ، التي تعتبر «صورا متطورة معقدة من الحركات ، لعب فيها وعى الانسان بحالته وأسباب وجوده ، وأهداف استجابته وغايتها ، لعب فيها الوعي دورا هاما ، وحول الحاجة الى رغبة في شيء بعينه » (٣) . فالدوافع اذن « هي الطاقات التي ترسم للكائن الحي أهدافه وغاياته ، لتحقيق التوازن الداخلي ، أو تهيىء له أحسن تكيف ممكن ، مع البيئة الخارجية » (٤) .

وتنقسم الدوافع الى :

دوافع اولية : وهذه يولد الانسان مزودا بها ، فهي دوافع تظهر عند الانسان منذ لحظة الولادة ، ويتوقف عليها بقاء حياة الانسان ، فهي

---

(١) ارجع الى ص ٩٩ ، ١٠٠ من الرسالة .

(٢) يحيى هاشم حسن فرغل : معالم شخصية المسلم (مرجع سابق) ، ص ٦٧ .

(٣) د. أحمد فايق ، د. محمد عبد القادر : مدخل الى علم النفس - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة - ١٩٧٢ ، ص ٢٩٨ .

(٤) د . سيد خير الله : « علم النفس في القرآن » - **منار الاسلام** - السنة الأولى - العدد الخامس - جمادى الأولى ١٣٩٦ هـ - مايو ١٩٧٦م

حاجات فسيولوجية أو بيولوجية ، تتصل بالأعضاء الداخلية للجسم (١) .

دوافع ثانوية مكتسبة : وهـذه يتعلمها الانسان ويكتسبها ، نتيجة احتكاكه بغيره من الأفراد ، « ويتعلمها الفرد ، نتيجة تفاعله مع البيئة »(٢).

وقد يصعب الفصل بين الاثنين ، لأن بينهما تداخلا ، ونجد القـرآن ينظر اليهما نظرة عامة ، ولايدخل فى تفاصيلهما . وقصارى القول فى هذا أن القرآن لم يهمل الدوافع ولم يحطمها ، وأنه تدخل ليقرها ويقومها ويهذبها ، ويوجهها توجيها سليما ، لأن الانسان بطبيعة الحال ، محب للخير : « وأنه لحب الخير لشـديد »(٣) ـ بمعنى أن الانسان يحب كل ما يحافظ على استقراره العاطفى والنفسى ، ويكره كل ما عداها ، ولأن هذا مما فطر عليه الانسان ، فانه يحب الخير حبا جما ، ولا يتأخر عن اشباعها ، والقرآن يتدخل فقط ليضبط هـذه الدوافع ، بحيث لا تطغى ولا تسيطر على الانسان سيطرة تامة ، فأعطاها وزنها الحقيقى ، ولم يحرم الانسان منها ، ولم يدع الانسان يفرط فى اشباعها ، حتى ولو كان من طريق حلال : «يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ، ولا تسرفوا ، ان الله لا يحب المسرفين » (٤) .

والقرآن حين ينظمها ، ينظمها فى حدود ما يحبه الله وما يبغضه ، فالله « لا يحب المعتدين حتى فى حلال أو حرام ، الغـالين فيما أحل أو حرم ، باحلال الحرام أو بتحريم الحلال ، ولكنه يحب أن يحل ما أحل ويحـرم ما حرم » (٥) . بل يمد القرآن الخيط الى أبعد من هذا ، فمن أصاب حراما فى سبيل الحاجات الأوليـة ، لمكروه سيصيبه ، فهـو فى حـل ما دام

---

(١) د. حامد عبد العزيز الفقى : دراسات فى سيكولوجية النمو ـ عالم الكتب ـ القاهرة ـ ١٩٧٤/١٩٧٥ ، ص ١٦٦ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٦ .
(٣) العاديات : ٨ .
(٤) الأعراف : ٣١ .
(٥) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (مرجع سابق) ص ٤٠٣ ،

مضطرا : « فمن اضطر فى مخمصة ، غير متجانف لاثم ، فان الله غفور رحيم » (١) .

والقرآن يربط العواطف بالله ، اذ هو يحرر الانسان من الخوف ، ويعطيه الأمان الكامل ، ليؤمن حياته ، فأعمار الناس فى يد الله وحده : « انا نحن نحيى ونميت والينا المصير » (٢) . فلا معنى للخوف من الموت ما دام بيد الله : « أينما تكونوا يدرككم الموت ، ولو كنتم فى بروج مشيدة » (٣) ، وهو كذلك يؤمن حياته من أى ضرر يتوقعه : « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا » (٤) ، ويؤمن الانسان من المجهول الذى يخافه: «فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا» (٥) ، ويؤمن الانسان على رزقه : « الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر » (٦) .

والقرآن بهذا يؤمن عواطف الانسان،من الخوف من الناس،ويوجهها الى الخوف من الله : « انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه ، فلاتخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين » (٧) — « قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم » (٨) . والى جانب هذا الربط فانه يضع المثير المناسب لهذا الخوف ، سواء كان مثيرا حسيا أو مثيرا معنويا ، وذلك لأن الناس مختلفون فى تركيبهم النفسى ، فمنهم من يثار بالحس ومنهم من يثار بالحالات المعنوية (٩) ، الا أن القرآن لم يترك الانسان يحس بالخوف

---

(١) المائدة : ٣ .

(٢) ق : ٤٣ .

(٣) النساء : ٧٨ .

(٤) أنظر التوبة : ٥١ ، المائدة : ٧٦ ، فاطر : ٢ ، النساء : ١٩ ، لقمان : ٣٤ ، الطلاق : ١ .

(٥) النساء : ١٩ .

(٦) الرعد : ٢٦ ، وانظر : العنكبوت : ١٧ .

(٧) آل عمران : ١٧٥ .

(٨) الأنعام : ١٥ ، وانظر : المائدة ٩٤ .

(٩) محمد قطب : منهج التربية الاسلامية (مرجع سابق) ، ص ١٦٣ ، ١٦٥ .

المطلق ، فقد شفع الخوف بلون آخر ، يجنب النفس الأمراض ، وهو الرجاء : « نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم ، وأن عذابى هو العذاب الأليم » (١) .

فاذا ما وقع الانسان فى الخطيئة ، فانه لا يتركه لعذاب نفسه ، بل ترك باب التوبة مفتوحا ، لكى يرجع الانسان إلى الله ، ولكنه ينص على أساليب للوقاية من الوقوع فى الخطأ ، وهى فى الحقيقة تربية للإرادة الانسانية ، وعلى قمة هذه الوسائل الصبر ، اذ أن الانسان « قادر على الصبر وكظم الغيظ ، وعلى تحمل ضياع المحبوب واحتمال المكروه وذلك بالعزم ، وبمخالفة النفس ، ورياضتها ، وسياستها ، فالصابر حابس لنفسه عما تنزع اليه من الشهوات ، وما تشكو من الآلام » (٢) : « واصبر حتى يحكم الله » (٣) — « فصبر جميل ، والله المستعان على ما تصفون » (٤) .

فالقرآن اذن يجنب المؤمن الأمراض النفسية ، الى جانب أنه ذكر أسسا نفسية كثيرة ، لا مجال للتوسع فيها ، فهناك أسس الفروق الفردية والنمو ، وغيرها ، وهذه الجوانب المختلفة تحتاج الى دراسات مستفيضة ، اذ أن القرآن فى هذه الناحية ، لم تمسه يد بعد .

المدلول التربوى للنفس :

أولا : النفس فى القرآن قوة من قوى الانسان ، والتربية الاسلامية تعد وتنمى النفس على هذا الأساس ، بحيث « يتمكن الانسان من أن يكون عبدا صالحا ، لأن العبودية هى جوهر الانسانية » (٥) ، وذلك على

---

(١) الحجر : ٤٩ ، ٥٠ .

(٢) د. حسن الشرقاوى : نحو علم نفس اسلامى — الهيئة المصرية العامة للكتاب — ١٩٧٦ ، ص ١٧ .

(٣) يونس : ١٠٩ .

(٤) يوسف : ٨٣ ، وانظر : البقرة : ١٥٣ ، والنحل : ١٢٧ .

(٥) د . جعفر شيخ ادريس : « التصور الاسلامى للانسان ، أساس الفلسفة الإسلام التربوية » — المسلم المعاصر — العدد الثانى عشر — ذى الحجة ١٣٩٧ هـ — ديسمبر ١٩٧٧ م ، ٧٨ ، ٧٩ .

أساس طبيعة الانسان ، فى القرآن (١) ـ وتضع فى اعتبارها أن التربية يجب أن تكون عن طريق الاستمتاع والحرمان ، على أساس تعدد الحاجات الانسانية ، من مادية بحتة ، الى روحية الى اجتماعية ، ومن ثم يمكن تنمية الجانب النفسى والوجدانى عن طريق ربط الاشباع أو الحرمان ، بما حلله الله وما حرمه ، وكذلك ربط العواطف الانسانية بالله ، فيحب ما يحبه الله ، ويبغض ما يبغضه الله ، وعقد الصلة بين الارادة الالهية وارادة الانسان .

وهى فى كل هذا تهدف الى تنمية الانسان المخلوق المكلف الحنيفة، بحيث تنمى فيه تحمل المسئولية ، والارادة ، والمبادأة والاستقلالية ، اذ أن هذه النفس مسئولة أمام الله مسئولية كاملة .

ثانيا : وحيث أن رسالة التربية هى الأفراد الانسانيون ، فان التربية الاسلامية تعمل على تكوين أفراد انسانيين أسوياء ، واثقين من الله ومن أنفسهم ، لا يخافون الا من الله ، وبالتالى يتحقق النضج الانفعالى ، والاتزان العاطفى ، حيث التحرر من الخوف ، والتفاؤل والأمل فى الله ، ومن ثم يتحررون من العقد والانحرافات(٢) ، التى تحد من انتاجيتهم،وذلك عن طريق تدريبهم على التخلص من القلق ، وذلك بالاعتماد على الله فى كل شىء ، والرضا بقضائه ، وعلى أن الانسان فى معية الله دائما ، حيث أن مصدر القلق فى الحياة ، « هو الدنيا بما فيها ، من مال وبنين ، ومنصب وجاه ، وتهديد للنفس والمال ، وما الى ذلك » (٣) :

ـ « المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا ، وخير أملا » (٤) .

---

(١) ارجع الى ص ٩٨ ، ٩٩ من الرسالة .

(٢) د . ابراهيم عصمت مطاوع : « المدرسة الشاملة » ـ المقولة الخامسة من : **فى التربية المعاصرة** (مرجع سابق) ، ص ١٥١ .

(٣) د. عبد الغنى عبود : فى التربية الاسلامية ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٧٧ ، ص ٦٨ .

(٤) الكهف : ٤٦ .

ثالثا : واذا كان القـرآن يتعـامل مع النفس على أسـاس المثـير والاستجابة ، وليس على أساس رد الفعل المنعكس ، أى على أسـاس « أن الفكر نشاط ايجابى فعال للنفس (١) ، فالتربية تتعامل مع الأفراد على هذا الأساس ، بحيث تقدم المثيرات المختلفة ، ثم تدرب الانسان المسلم على تعقلها والاستجابة لهذه المواقف (٢) ـ كما تأخذ فى اعتبارها الفروق الفردية بين الأفـراد ، اذ منهم من يستثار بالحس ، ومن يستثار بالمعنى ، وهذا نلاحظه كثيرا فى الترغيب والترهيب ، ومن ثم تعمل التربية القرآنية على تدريب الانسان على ضبط استجاباته ، بحيث لا تصدر الا عن فكر وروية .

رابعا : العلاقة التى تربط بين القائمين على التربيـة والمتعلمين هى علاقة حب ، وليست علاقة القهر والاستبداد لأن الجميع خلق ، والفـرق فرق فى الخبرة ، ليس الا ، ومن ثم يقبل المعلم كل ما يقـدمه المتعلم ، ولا يرفضه ، ولا يواجهه باستحقار ، لأن هذا هو قدر المتعلم ومقدرته ، ودور المعلم هنـا هو بذل أقصى ما فى جهـده لتوجيه المتعلم ، وتفجير طاقاته ، وهـذا من ايجابيات المعلم ، على أن يوفر لهم الأمن ، ويتقبل متعلميه على ما هم عليه ، لا كما ينبغى أن يكونوا ، مع الاهتمام بنواحيهم المختلفة داخل المدرسة وخارجها ، لأن هـذا يوفر للمتعلمين جوا نفسيا رائعا لتحقيق أهداف التربية .

وما دام القرآن يحمى الانسـان من الانحراف النفسى ، ويوفر له أسباب الحماية والسعادة ، فان التربية الاسلامية تعمل على هذا أيضا ، فاذا ما أخطأ المتعلم ، فانها تحاول معه أن ترده الى جادة الصواب عن طـريق التوبة ، وبالتـالى لا تعمل على خلق عقـدة الذنب أو الشعور بالنقص المركب ، وانما هى تعمل على تنمية الانسان تنمية عادية ، لأن فى الانسان

---

(١) السيد محمد باقر الصدر : فلسـفتنا (مرجع سـابق) ، ص ٣٦٨ .

(٢) انظر قصة يوسف مع امرأة العزيز .

أسباب هبوط ، ولأن الانسان مفطور على بعض نواحي الضعف ، التي تظهر بين الحين والحين ، في غياب النفس الواعية .

خامسا : وتعمل التربية الاسلامية على تدريب وتنمية الارادة الانسانية ، التي هي صورة من صور النفس ، تقع بين الجبر والاختيار ، وهي تتيح الفرصة للمتعلمين أن يختاروا ، اذ أنه بدون « توفر نوع من الحرية أو قدر منها ، فلن تكون هناك مسئولية » . ومحاسبة المتعلم يجب « أن تبنى على مقدار حريته في الاختيار أساسا » (١) ، وبهذا الشكل تتولد لديه المسئولية الاجتماعية .

فالتربية القرآنية من الناحية النفسية ، تنظر للمتعلم من منظور الاستخلاف أيضا ، وتحاول تنميته انسانا عابدا صالحا ، انطلاقا من أن القرآن « يجعل العبادة عملا والعمل عبادة ويربط بين النفس والجسم والسماء والأرض والدنيا والآخرة كلها في نظام » (٢) ، ومن ثم فهي تنمي الفرد المسلم تنمية نفسية ووجدانية سليمة ، بحيث يتحقق الهدف النهائي للتربية الاسلامية وذلك عن طريق :

- استغلال الطبيعة الانسانية ككل ، لا كأجزاء منفصلة .

- الاشباع والحرمان ، وعن طريقه يمكن تربية الارادة الانسانية وحرية الاختيار .

- الحب والرجاء والأمل والتفاؤل ، وبهذا يتخلص الانسان من العقد النفسية والوساوس والأمراض النفسية . واشعار المتعلم أن الله معه في كل لحظة ، وأنه في معية الله دوما ، وأنه لا حرج عليه اذا أخطأ .

---

(١) د. محمد جواد رضا : فلسفة التربية وأثرها في معلمي المستقبل « دراسة تجريبية » — مطبوعات جامعة الكويت — رقم (١,٣) — الكويت ١٩٧٢ ، ص ٧٩ .

(٢) محمد قطب : قبسات من الرسول — ط ٢ — دار الشروق — د . ت . ص ٨٥ ، ٨٦ .

ــ اثارة الدافعية نحو العمل والتعلم الصادق وذلك عن طريق : ..

ــ صدق التوكل الذى يؤدى الى توفير الجهد الانفعالى ، والعقلى، بل والبدنى ، المبذول فى الاهتمامات والتعلقات المتفرقة ، ثم توجيه ذلك الجهد ، وتركيزه فى التعلم (١) .

ــ بعث الحركة الداخلية ، التى تؤدى الى حركة خارجية (٢) ، والتى تتميز بالاقبال والحماسة ، وتسمى بالهمة .

ــ توجيه النية ، باعتبارها ظاهرة نفسية ، لها دورها فى كثير من مظاهر الحياة النفسية العقلية عند الانسان (٣) .

سادسا : التربية الجماليـــة

تمهيـــــد :

تأتى أهمية التربية الجمالية فى الاسلام ، من أن الكون من حولنا ، ملىء بالأسرار ، ملىء بآيات الجمال ، ومن أن الانسان بطبعه طلعة ، والفكر دائما يتساءل عن سر الابداع الموجود فى هذا الكون ، والقرآن يلفت النظر ويشد الأذهان دائمـا ومعها القلوب الى هـذا الجمال فى كثير من آياته المبثوثة فى القرآن بثا ، ويعيش معها المسلم الذى يحرك فيه القرآن كل قواه وفاعلياته الذاتية وامكانياته « الحسية والعاطفية والخيالية ، والعقلية، والانفعالية والروحية ، ويسير بها صوب استجابة مكثفة مترعة ، ازاء كل ما يحركها ويهزها ، ويدفعها الى مزيد من الحياة » (٤) .

---

(١) د. سيد أحمـــد عثمان : التعلم عند برهان الاسلام الزرنوجى (ت سنة ٥٩١ هـ ــ ١١٩٥ م) ــ مكتبة الانجلو المصرية ــ القـاهرة ــ ١٣٩٧ هـ ــ ١٩٧٧ م ، ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٤ .

(٤) د . عماد الدين خليل : فى النقد الاسلامى المعاصر ــ ط ١ ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ ١٣٩٤ هـ ــ ١٩٧٢ م ، ص ٣٠ .

الجمـال فى القـرآن :

المسلم أمام كونين ، كون مشاهد ، وكون مسموع مقروء ، هو القرآن الكريم ، المليء بالاعجاز الفنى ، وبآيات الجمال المتناسقة ، والصـور التعبدية الرائعة ، والكلمات والحروف التعبيرية ، التى تكاد تجسد ماتحكى عنه ، أشخاصا يمثلون أمام قارئه ، وفيه تصويرات رائعة للحياة وللكون ، وللجنـة ونعيمها الحسى والمعنـوى ، وللنار وجحيمها وعذابها الحسى والمعنوى ، وهـذه الآيات التى تصور الكون وموسيقاه وتناسقه الرائع ، وما فيه من جمال ، أنهـاره ، وجباله وسهوله ووديانه ، أقماره وشموسه، نباته وحيوانه ، كلها تدعو الانسان الى التدبر فى جمال الخلق وتناسـقه وابداعه :

ــ « ان فى خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفـع الناس ، وما أنزل الله من السـماء من ماء فأحيـا به الأرض بعد موتها ، وبث فيهـا من كل دابة ، وتصريف الرياح المسخر بين السماء والأرض ، لآيات لقوم يعقلون » (١) .

فهذا مشهد كونى رائع ، يتجلى على حواس المسلم ، ويحس به ، فيدرك فيه آيات الجمال ، حتى أنه اذا نطق ينطق بكلمة واحدة ، هى الله ، التى تنطق وتفصح عن مكنونهـا ، من قدرة الله ، فى خلق السموات والأرض ، وفى « هذه السفن التى تمخر عباب المحيط مسخرة بقدرة الله تحمل كل متاع وطعام ، وهذا المطر الذى ينزل من السماء ينبت الزرع ، فاذا الأرض به ربيع أخضر ، كأنما تمشت فيها الحياة ، وهذه الدواب ، والأناس والحيوانات التى تملأ الأرض حركة وحياة ، وتنطلق فى جنباتها ... تأكل من خير الله ، وهذه السحب السيارة ، وتلك الرياح المتحركة التى تدفع بالسحب الى كل بلد ميت» (٢) . «ان هذه الصورة ، التى تنساب الى نفس

---

(١) البقـرة : ١٦٤ .

(٢) توفيق محمد سبع : واقعية المنهج القرآنى ــ سلسلة البحوث الاسلامية ــ السنة الخامسة ــ العـدد ٧٠ ــ ١٣٩٣ هـ ــ ١٩٧٣ م ، ص ٥٩ .

المسلم فى لفظ رقيق ، وفى حركة دقيقة منتظمة متناسقة ، توحى له بذلك الناموس الهادىء الجميل الذى يربط هذه المخلوقات جميعا على سنن واحدة ، هى سنن الله » (١) .

وهكذا نجد فى القرآن آيات كثيرة ، تلفت النظر وتشده الى الواقع، واقع العالم ، والكون الذى يعيش فيه الانسان ، اشباعا لجانب مهم فى الانسان ، اذ أنه « يطرب للصوت الشجى ، ويرتاح للمظهر الجذاب »(٢) . ومن أجل ذلك فان القرآن يفرض على الانسان أن ينظر الى هذا الجمال ، فالتأمل فى جمال الكون ، الزام عقيدى ، يلزم به المسلم ، لأن القرآن « فتح أوسع نظرة جمالية متفتحة ، على الانسان والآفاق،لأن نظرة الاسلام فى جوهرها نظرة كونية ، ولأن الانسان المسلم انسان كونى لا تحده حدود الاقليمية أو العنصرية ، أو حتى الأرضية . انه يهفو لأن ينسجم ويتفاعل ، مع هذا الكون ، الذى هو بضعة منه » (٣) .

وهو يستهدف فوق هذا أن يعيش المسلم خبرته الجمالية بكامل كينونته ، حيث أن الخبرة الجمالية ، هى «احساس الانسان بالطبيعة احساسا عميقا ، خصبا ، وفيرا ، واكتشافه لما فيها من نظام وانسجام وتوافق» (٤) .

وكما يعبر الكون عن نفسه فى أسلوب جميل ، فان الانسان يستهدف التعبير عن اتصاله وتأثره وتجاربه ووجوده وعلاقته بالناس والأشياء ، بأسلوب راق جميل ، يعبر عن التناسق الرائع للأشياء والقيم الخارجية ، « ويمجد بطولة الانسان،وايجابيته ازاء الأحداث،وقدرته على

---

(١) انظر على سبيل المثال : فاطر : ٢٧ ، ٢٨ ، والحجر ١٦ - ٢٣ .

(٢) محمد علم الدين : التربية الاسلامية - رقم (١٩٠) من (كتب اسلامية) - المجلس الاعلى للشئون الاسلامية - القاهرة - المحرم ١٣٩٧ - يناير ١٩٧٧ ، ص ٣٦ .

(٣) د . عماد الدين خليل (مرجع سابق) ، ص ٤٠ .

(٤) د . زكريا ابراهيم : الفنان والانسان - مكتبة غريب بالفجالة بالقاهرة - ١٩٧٣ ، ص ٧ .

تشكيل مصيره ». ... « ويعبر عن أعماق الانسان المؤمن وعن تجاربه الشعورية المتنوعة، التي تنبثق عن الايمان بالله ، وعن الحب الكبير الذي يتفجر عن هذا الايمان ، ويتجه صوب كل الناس وكل الأشياء » (١) .
سواء كان هـذا في كلمة أو قصيدة ، أو في قصة أو في مسرح أو في فن تشكيلي أو في قطعة موسيقية ، أو في أغنية أو في نشيد ، لا يحـده في ذلك حد ، انطلاقا من مبدأ الحرية المكفولة لكل فرد في المجتمع المسلم ، فله أن يتناول ما يريد من الأشياء من أكبرها وأعظمها جرما الى أدقهـا ، وما خفي عن الانسان من عالم الملائكة والجن ، وذلك كلـه في اطـار التصور الأساسي للحياة ، والكون والانسان والمجتمع - « يوازيه انفتاح وجداني دائم ، وتوتر فني ، لا ينضب له معين ، ازاء الكون والحياة والانسان ، ومن بعد هـذا يجيء الالتزام عفويا ، متساوقا ، منسابا ، علاقته بالعطاء الفني ، لا تقوم منطلقا ، على القسر والتكلف والاكراه ، ولا تعترف أبدا بالمدرسية أو الوعظية أو المباشرة » (٢) .

وهو في كل هذا ينساب تسبيحا لله مع الموجودات ، لأنه لم يخرج عن لا اله الا الله ، واسلام النفس له ، الذي أتاح له ووهبه من الجمـال فنونا وألوانا تنعكس على فنه ، ما دام الفن يرتكز على الخبرة الجمالية .

واذا كان « الجمال سمة بارزة من سمات هذا الوجود ان لم يكن أبرز سماته ، والحس البصير المتفتح يدرك الجمال من أول وهلة ، وعند أول لقاء » (٣) - فان من اللازم تأهيل الشخصية الاسلامية ، للاحساس بهذا الجمال ، وتربية الوجدان ، موازيا لتنمية جوانب الشخصية المتكاملة « جنبا الى جنب ، مع الوظائف العقلية ، خصوصا وأن الصلة وثيقة بين هذين النوعين من الوظائف النفسية ، بحيث أن ما يؤثر على الوجدان ،

---

(١) د . عماد الدين خليل (مرجع سابق) ، ص ٤١ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٦ .
(٣) محمد قطب : منهج الفن الاسلامي - دار الشروق - بيروت - د.ت - ص ١٢٥ .

لابد فى الوقت نفسه من أن يؤثر على التفكير » (١) ، وهذا من شأنه أن يؤثر تأثيرا عميقا فى كل حياة الانسان بجميع جوانبها ، وذلك لأن « التفكير الضحل ، كثيرا ما يواكب الوجدان الضحل » (٢) ، ولأن الجمال يحرك فى الانسان باطنه وشغاف قلبه ، وبالتالى يخلصه من التبلد الوجدانى والخواء النفسى ، الذى يمكن أن يشعر به ، فى حياة يغلب عليها روتين واحد لا يتغير ، ومن ثم يتسرب اليه الملل ، ومن شأنها أيضا احساس الانسان بالقيم ، حتى يصبح أقدر على تذوق جمال الحياة .

المدلول التربوى للجمال :

أولا : التربية الجمالية هى ذلك النشاط الذى يهدف الى تنمية الانسان — فى مختلف مراحل حياته — متمتعا بقدرة خاصة على تذوق القيم الكامنة فى الحياة ، واكتشاف ألوان وأشكال الثراء الباطنة فى أعماق الوجود ، وهذا هو هدف التربية الاسلامية فى هذا الجمال ، فهى تهتم اهتماما بالغا به ، والقرآن الكريم ملىء باللوحات الحسية الفنية ، التى تعطى التربية مادتها الخام فى هذا السبيل ، وهى لوحات متنوعة متدرجة ، من الكون كله الى أدق الدقائق فى العواطف الانسانية والعلاقات الانسانية ، وهى خبرات حية يعيشها الانسان ، منطلقة من التصور الكلى والفلسفة العامة للكون والحياة والانسان ، وهى تعمل على تنمية الانسان الخليفة العابد من هذا الجانب الحساس ، بحيث تجعل منه انسانا مرهف الحس ، يحس بالجمال ، وينسجم مع الحياة ومع مظاهرها ، ومع قوى الكون المسبح ، العميق ، فى تسبيح عميق ، اذ أن القرآن يدعو المسلم الى التعلق بأعماق الوجود ، ويرفض منه السطحية ، والتبلد الوجدانى ، فقيم المسلم متجددة ، وليست ساكنة راكدة ، والاحساس بالجمال ، يؤدى الى تجدد هذه القيم ، وتمثلها فى عقل وسلوك الانسان .

---

(١) د . زكريا ابراهيم : الفنان والانسان (مرجع سابق) ، ص ١٤٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

ثم هى تعمل على تشكيل الانسان المسلم الفنان الذى يحس فى أعماقه بالوجود ، ويعكس هذا الجمال ، عن طريق التعبيرات الفنية ، وذلك تبعا للفروق الفردية والاستعدادات الشخصية ، وذلك عن طريق :

١ — تدريب الأحاسيس الانسانية ، وفتحها على مشاهد الكون كلها من مجرات ونجوم وأرض وسماء وأقمار ، وما فيها من ألوان وأصوات ، حيث أن تدريب المتعلمين على ادراك الجمال فى الطبيعة ، وسيلة من وسائل التربية القرآنية الجمالية •

٢ — توجيه الانسان نحو الجمال فى أسلوب القصص القرآنى ، وكذلك فى العبادات التى تتوازن فيها الحركات الجسدية مع الروحية ، وهو تناسق يعطى جمالا رائعا • ومع هذه الحركات نجد تلك الترانيم الجميلة لآيات القرآن •

٣ — توجيه الانسان الى ادراك التناسق ، فى العلاقات الانسانية ، وبين الطبيعة وبين الانسان ، والعلاقات الانسانية بين الانسان والانسان ، وادراك الجمال فى هذا المجال ، يجعل المتعلم رقيق الحس مرهفه ، فى تعامله مع الطبيعة ، وفى تعامله مع الانسان ، اذ أنه يركز على القيمة ، مثلما يركز على المنفعة •

٤ — تنمية القدرة على التمييز الدقيق فيما تتأثر به حواس الانسان ، سواء من الأشكال أو لألوان (١) ، حيث يدرب الانسان على الاحساس بالألوان ، وتنوعها وجمالها ، وتناسقها فى المخلوقات ، من جوامد وحيوان ونبات وانسان — حيث فيها من الألوان ، ما ينمى حس الانسان ، تنمية جمالية سليمة ، وهكذا يوجه القرآن نظامه التربوى الى استغلال هذه الألوان ، فى تدريب حواس الانسان على تذوق الجمال : «ألم تر» — وينمى الاحساس بالمذاق : « ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ، ان فى ذلك

---

(١) أنظر فاطر : ٢٧ — ٢٨ ، والأنعام : ٩٩ ، والزمر : ٢١ •

لآيات لقوم يعقلون » (١) . ويرتبط بهـذا ، تنمية الاحساس بالروائح والمسموعات ، من سماع حفيف الأشجار الى زقزقة الطيـور وشقشقتها الى خرير المياه ، الى تسبيحة العابد ، الى الترحيب به فى الجنة ، وصورة الملائكة ، وهم يرحبون بالمؤمنين ، والى فوران جهنم وصياحها : « اذا ألقـوا فيها سـمعوا لهـا شهيقا وهى تفور » (٢) .

٥ ـ وتستخدم التربية الاسلامية فى ذلك اللوحات الفنية ، الموافقة للتصور الاسلامى ، وكذلك الحركات الايقاعية ، التى تدرب المتعلم على أن يكون متناسقا فى حركاته ، وهى بهذا تعمل على أن يمتلك كل متعلم فنا من الفنون ، أو حرفة من الحرف اليدوية ، لأن مثل هـذا الامتلاك ، ينتقل به من مستوى معاناة الخبرة ، الى مستوى تحقيقها أو اجرائها . وكل عمل فنى فى هـذا المجـال مشروع ، ما دام متوافقا مع التصـور الاسلامى والفلسفة الاسلامية كما جاء بها القرآن الكريم .

ثانيا : والقرآن حين يفسح المجال أمام الخبرة الجمالية بهذا الشكل، ابتداء من القوة الكبرى فى هذا الكون وحتى أدق الدقائق فى الـكون المحسوس ، أو المسموع ، كما جاء فى القرآن ، فانه يوجه التربية ، الى تنمية الانسان المسلم فى هذا الجانب ، على أساس العمل والتطبيق ، فهى تتيح الفرصة لاستخدام يديه ، فى ممارسة النشاطات الفنية المختلفة ، ولا تترك الفرصة فى استغلال مواهب الانسان المتعلم الفنية ، سواء فى كتابة قصة أو شعر أو غناء ، أو فى كتابة مسرحية ، أو غيرها من ألوان الفنون ، التى تعكس الاحساس بالجمال لدى الانسان .

وبهـذا تستطيع التربية الاسلامية تنمية الخبرة الجمالية ، وتنميـة القدرات الفنية الكامنة لدى المتعلمين ، فى شـتى مجالات حياتهم بحيث يفيضون ، ويضيفون على الحياة الانسانية ، معنى وجمالا ، اذ أن الخبرة

---

(١) الرعد : ٤ .
(٢) الملك : ٧-٨ .

الجمالية الفنية بين أيدى الانسان فى كل لحظة ، وهى خبرة جادة ، تدخل فى صلب حياة المسلم ، وليست ترفا كما قد يظن البعض .

وبالجملة نقول ان التربية الاسلامية تهـدف الى تكوين الانسان العابد الصالح ، من جميع جوانبه ، بما فيها الجوانب الجمالية ، اذ أنهـا تجعل من الانسان المسلم انسانا فنـانا فى كل حالاته ، بمعنى أنه يحس الجمال فى كل لحظة من لحظات حياته ، سواء فيما يتعلق بحياته الأرضية ، أو فيما يتعلق بحياته الأخروية (الأبدية) ، التى لا تنتهى ، وهى فى ذلك تستخدم :

ــ القرآن باعتباره كتابا أدبيـا من الطراز الأول ، يمكن أن ينمى حاسة الجمال عن طريق دراسته وتدريسه وحفظه .

ــ الكون ومشاهده فى القرآن وفى الواقع الملموس .

ــ ادراك العلاقات بين الكائنات أو الخلائق وبعضها .

ــ التمييز بين الأشـكال والأحجـام والألوان والطعوم والروائح والمسموعات .

ــ استغلال الامكانيات البشرية فى الانسان لكى تجعل منه إنسانا فنانا ، عن طريق التذوق للوحات والموسيقى وغيرها ، ثم استغلال هـذه الامكانيات فى العمل الفنى اليدوى .

سابعا : التربيـة الاجتماعية

تمهيـــد :

اذا كان أى مجتمع من المجتمعات ، له شكله الخاص به والمميز ، فانه فى سبيل استمرار حياته ـ يحاول تشكيل الأفراد على أساس هـذا الشكل ، والثقافة المميزة التى ينبع منها ، وأداته فى ذلك هى التربيـة ، اذ أن رسالتها تنصب على الأفراد ، بحيث تجعلهم اجتماعيين ، بمعنى أنها تعد الأفراد للقيام بوظائفهم فى المجتمع ، حتى يتمتع أبناؤه بقدر من ثقافة هذا المجتمع ، الذى ينتمون اليه ، وذلك ضمانا لاستمرار بقاء المجتمع ، وبقاء ثقافته ، والارتقاء به ، وهى فى نفس الوقت ، تعمـل على احداث التغيير ، وتطوير ثقافة المجتمع ، لتصل الى الأفضل •

النظام الاجتماعى فى القرآن :

والمجتمع الاسلامى له شكله النابع من تحديد القـرآن الكريم له ، وفيما يلى تلخيص موجز لمـا تناولنـاه فى الفصل السابق (١) :

ـ يعتمد النظام الاجتماعى الاسلامى على قاعدة أساسية هى توحيد الله والعمل الصالح ، وكل الاجراءات التنظيمية لهـذا المجتمع تنبع منها •

ـ المجتمع الاسلامى يلزم أفـراده بالزواج وتكوين الأسرة حتى يستمر بيولوجيا ، وهذه أيضا لها علاقات محددة وروابط معينة •

ـ والعـلاقات الاجتماعية فى المجتمع المسلم ، تنبنى على أسـاس المودة والرحمة ، حيث يرتبط آحاد الناس ، برباط عظيم (٢) •

ـ والمجتمع والفرد علاقتهما مزدوجة ، بمعنى أن الفـرد له ذاته وشخصيته المستقلة ، فلا يذوب فى المجتمع ، ولكنه يضر المجتمع ، بحريته المطلقة ، ومعنى هذا أن هناك توازنا بين الفرد والمجتمع ، حيث يقوم بينهما تكامل ، يوجب على كل منهما تبعات ، ويرتب لكل منهما حقوقا (٣) •

---

(١) أنظر الفصل السابق من البحث ـ النظام الاجتماعى ، ص ١١٠ •

(٢) أنظر الفصل السابق من البحث ـ النظام الاجتماعى ، ص ١١٠ •

(٣) حسن ابراهيم عبد العال (مرجع سابق) ص ٢١ •

وواجب الفرد نحو المجتمع يتلخص فى التالى :

ـ الالتزام بقانون الجماعة ، وهـذا يستلزم من الأفراد الالتزام بعقيدة المجتمع الأساسية ، التى تعتبر أمانة اجتماعية (١) .

ـ التعاون مع الجماعة فى سبيل الخير العام : « وتعاونوا على البر والتقوى » (٢) ـ من مساهمة فى الاقتصاد وغير ذلك .

ـ تقديم العمل الصالح والتنافس فى هذا السبيل : « ليبلوكم أيكم أحسن عملا » (٣) ، حيث يجب الانفاق فى سبيل الله ، واستثمار الأموال ، والاعتدال فى الانفاق وغير ذلك من الجوانب الأخلاقية .

ـ نشر العلم الذى يسهم اسهاما ايجابيا فى بنـاء المجتمع وتطويره واستغلال الذكاء فى هذا السبيل : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ، ليتفقهوا فى الدين ، ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم » (٤) ـ ومن ذلك ، الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

أما واجب الدولة نحو الأفراد فيتلخص فيما يلى :

ـ توفير العلم لجميع أفراد المجتمع انطلاقا من قاعدة وجوب نشر العـلم .

ـ اقرار النظام العـام وتوفير الأمن والطمأنينة للأفراد بمـا فيهم الأقليـات » (٥) .

ـ الحفاظ على الوحدة الوطنية للجماعة الاسلامية .

ـ توفير الأمن للفقراء والمحتاجين ، فالمجتمـع مسئول عن رفـع مستوى أفراده ، وتعاونه فى سبيل تقوية نفسه (٦) .

أما قيادة المجتمع ، فمهمتها صعبة ، ونجاح القيادة نجاح للمجتمع ، وفشلها يعوق المجتمع ، ولهـذا نجد القرآن يلزم القيادة بالعدل والرحمة

(١) الأنفال : ٢٧ .
(٢) المـائدة : ٢ .
(٣) هـود : ٧ .
(٤) التوبة : ١٢٢ .
(٥) أنظر الفصل السابق (أهل الذمة) ، ص ١٣٣ .
(٦) الحشر : ٧ .

بالجميع واتباع الحق (١) ، ويبعدها عن انتظار الأجر من المجتمع (٢) ، ويحذرها من الفتنة والميل ، ويمنعها من الطغيان والفردية ، والافساد فى الأرض ، ويوجب عليها استشارة الأمة ، والاستماع الى آرائها ، بما فيها الآراء المعارضة .

أما فيما يتعلق بالنظام الاقتصادى : فان الملكية الفردية محترمة ، والمـال مال الله ، والانسان خليفة الله فى هـذا المـال ، وله أن ينميه ، والمجتمع يجب أن يتيح الفرصة للملكية الفردية فى انمـاء أموالها بوسائل مشروعه ، والمجتمع عليه أن يقف ضد الاستغلال والاحتكار ـ هذا الى أن المـال الخاص يجب أن يؤدى حقوق الله تعالى فى هذا المـال (٣) .

أما فيما يتعلق بالعلاقات الدولية ، فالقاعدة هى السـلام والدعوة بالسلام ، ثم اذا كان ثمـة عهـود فيجب الالتزام بها ، فاذا ما حدثت الخصومة فان المجتمع الاسلامى لا يبادر بالشر ، ثم انه يدخل الحـرب بعد استنفاد وسائل السلام ، للدفاع عن ذاته ، وتوفير الأمن لأفراده (٤) .

هذه هى أهم ملامح النظام الاجتماعى فى القرآن ، أساس التربيـة الاسلامية ، وعليه تقوم هذه التربية .

المدلول التربوى للنظام الاجتماعى فى القرآن :

تعمل التربية على الضبط الاجتماعى ، وفكرة الضبط الاجتماعى فى الاسلام « قائمة على أساس نوعى الضبط الاجتماعى المعروفين لدى علماء الاجتماع :

النوع الأول : ضبط اجتماعى داخلى ، ينميه الاسلام فى المسلم ،

---

(١) انظر الشورى : ١٥ .
(٢) انظر الشعراء : ١٠٩ .
(٣) انظر الفصل السابق « الاقتصاد القرآنى » ، ص ١٢٩ .
(٤) انظر الفصل السابق « المجتمع الدولى » ، ص ١٣٤ .

قوامه القيم والأخلاق الاسلامية التى تشكل ضميره ، وايمانه وعقله الذى يهديه الى معرفة الحلال والحرام .

والنوع الثانى : ضبط خارجى يتمثل فى تشريعات الاسلام وعقوباته القانونية ، فيما يختص بكل آمور الحياة الاجتماعية والمختلفة » (١) .

وللنظام الاجتماعى كما حدده القرآن ، **مدلولات تربوية** مختلفة منهـا :

اولا : أن التربية الإسلامية ، تعمل على تنشئة الأفراد اجتماعيا ، وتكوينهم تكوينا صالحا ، فى سبيل تنمية شخصية الانسان العـابد ، وذلك عن طريق تنمية صفاته الفردية ، بحيث يعرف حقـوقه وواجباته ، بحيث لا يطغى بفرديتـه على المجتمع ، ولا يطغى المجتمع عليه ، وهى فى ذلك لا تصب الأفراد فى قوالب جامدة ، ثابتة أو محددة ، بل انهـا تتيح لكل فرد الفرصـة أن ينمو ، طبقا لقدراته الفردية ، وهى فى ذلك لا تواجه واقعا أيا كان ، لتقره أو تبحث عنه ، عن سند أو حكم أو برهان، تعلقه عليه ، كاللافتة المستعارة ، وانما هى تواجه المجتمع والواقع ، لتزنه بميزان القرآن ، فتقر منه ما يوافق هذا الميزان ، وتلغى منه ما لا يوافقه ، وتنشىء واقعا غيره ، طبقا لقواعد القرآن ، وواقعها حينئذ هو الواقع.

فالتربية الاسلامية من أهم أهدافها تنشـئة الأجيال طبقـا لمعايير المجتمع المسلم ، وهى تعطى الأفراد فى هـذا السبيل ، اللغـة وحسن التصرف فى المواقف الاجتماعية ، مع مراعاة اعدادهم للمستقبل القريب والبعيد ، مع مرونة لاحتمالات التغير .

ثانيا : وتهتم التربية الاسلامية بالأسرة اهتماما بالغـا ، باعتبارها الوعاء التربوى ، ومن ثم فهى توجه العناية لها ، حيث تهتم باعداد الأفراد ليكونوا آباء وأمهات صالحين ، مع الاهتمام بالأم خاصـة ، اذ هى التى

---

(١) د. محمود السيد سلطان ، د. صادق جعفر اسماعيل : مسائل الفكر التربوى عبر العصور - جامعة الكويت - ١٩٧٧ ، ص ٦٢ .

تحسن تربية أطفالها تربية جسدية وخلقية وعقلية ودينية وصحية (١) ، ومن ثم تستطيع تزويد المجتمع بأفراد ، يستطيع معهم بالتربية ، أن يجعلهم ملتزمين التزاما كاملا تجاهه .

وتعنى بالطفولة ، عناية فائقة ، وتدرب الأطفال على العلاقات الاجتماعية السليمة ، مع مراعاة ميولهم وقدراتهم ، وتمتدح فيهم الصفات الطيبة ، وتنطلق معهم من نفس منطلق حبهم ، وهو حب اللعب (٢) ، بحيث تنمى فيهم الصفات الاجتماعية المطلوبة .

وبنفس القدر من الاهتمام تهتم التربية الاسلامية بالشباب ، باعتبارهم قوة المجتمع ، وان كان القرآن قد امتدح فيهم صفات من قبيل « ان خير من استأجرت القوى الأمين » (٣) - « وزاده بسطة في العلم والجسم » (٤) . فهى تستخدم أدواتها وطرقها ، في سبيل تنشئة الأفراد تنشئة اجتماعية سليمة ، ولا غرو فالقرآن يوحى بالاهتمام بتربية الأطفال والشباب،على معايير المجتمع وأنظمته،وتنشئتهم عليها . ولننظر آية سورة النور (٥) ، لنرى فيها اهتماما بالغا بضرورة تربية الأطفال وتعويدهم على العادات الاجتماعية ، فالاستئذان ، توحى الآية بتدريب الأطفال عليه ، في ثلاثة أوقات معينة ، وخاصة لمن لم يبلغوا الحلم ، أما من بلغوا الحلم ، فالاستئذان واجب في كل الأوقات . وهكذا نلمح في هذه الآيات وصية بضرورة تربية الأطفال والشباب اجتماعيا - فالتربية الاسلامية تزود النشء بالمهارات الاجتماعية اللازمة ، لكى يعيشوا في مجتمع مسلم .

---

(١) د . محمد فاضل الجمالى : نحو تربية مؤمنة (مرجع سابق) ، ص ١٨ .

(٢) يوسف : ١٢ .

(٣) القصص : ٢٦ .

(٤) البقرة : من ٢٤٧ .

(٥) أنظر سورة النور : ٥٨ ، ٥٩ .

ثالثا : والفرد عضو فى جماعة ، والتربيــة الاســلامية تعمل على تزويده بمهارة مناسبة يكتسب منها عيشه ، بمعنى ، جعل الفرد عضــوا اقتصاديا منتجا ، وبالتالى فهى تدربه على المناشط الاقتصادية المختلفة من انتاج واستهلاك ، واسهام فى الاقتصاد الاســلامى ودفعه ، والآيات فى ذلك كثيرة ، لا تقصر النشاط الانتاجى على عمل معين ، أو مهنة معينة ، وانما على المهن على اختلافها ، ومعنى هــذا بطريق ضمنى أن التربية الاسلامية تدرب الأفراد على امتهان مهنة ، بحيث يصبحون أفرادا منتجين فى المجتمع المسلم (١) .

ثم اننا نلحظ اهتمام القرآن بالتربية الاستهلاكية ، فهنــاك آيات كثــيرة توصى بالاهتمام بتدريب الانسان على الانفــاق فى سبيل الله ، وقضاء حوائجه ، دون اسراف ولا تقتير : « الذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ، وكان بين ذلك قواما » (٢) — الى جانب تدريب الفرد المسلم على الانفــاق فى ســبيل المجتمع ، وفى سبيل الخير العــام ، وهــذا من مستلزمات الحياة فى المجتمع المسلم .

والقرآن يدعو الى التسابق فى الخيرات ، والتربية الاسلامية تدرب أفرادها عليه وعلى تجويد العمل والتعاون من أجله ، واستغلال الذكاء فى هذا ، مما يؤدى « الى خفض تكاليف الانتاج ، أو تحسين وســائل الانتاج ، مما يمكن المستهلك من الحصول على مطالبه ، بأقل ثمن » (٣) ، ويسهم فى زيادة دخل المجتمع المسلم .

وتربط التربية القرآنية الأخلاق بالاقتصاد على نحو متفرد ، فهى تنشىء الأفراد اقتصاديين ، على أساس أخلاقى ، وليس على أساس الغش

---

(١) أنظر الفصل السابق (الاقتصاد الاسلامى)، ص ١٢٩ من الرسالة .

(٢) الفرقان : ٦٧ .

(٣) د. عبد الله العربى : «الاقتصاد الاسلامى والاقتصاد المعاصر» — المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الاسلامية — الأزهر ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦م ، ص ٣٠٨ .

أو الاستغلال ، ثم ان التعامل الاقتصادى يكون على أساس الانسان(١) .

رابعا : والتربية القرآنية ، تدرب الأفراد على التعامل مع السلطة السياسية القائمة فى المجتمع ، بحيث يعرف الفرد كيف يبدى رأيه ، طبقا لمبدأ الشورى ، اذ أن التربية فى الفصل الدراسى ، وفى المدرسة ، وفى المجتمع الخارجى ، أساسها الشورى : لا تضعف رأيا ، ولا تتجاهله ، وهى بعد ذلك تنمى لدى المتعلم عادات معينة ، مثل تقدير وجهات النظر الأخرى ، والتمسك بالحق ، حتى أمام الرأى المعارض ، واحترام حريات الآخرين ، والتعامل السياسى فى المجتمع .

وهكذا تنمى التربية القرآنية الأفراد للمشاركة فى السياسة العامة للدولة ، ومشاركة القيادة فى حفظ المجتمع المسلم من الأضرار ، التى يمكن أن تلحق به ، مع الالتزام بالخط الأساسى فى القرآن . ثم انها تعد الأفراد للقيادة ، حيث يصبح لدى كل فرد ـ يستطيع القيادة ـ فرصة القيادة ، فهو يتقدم اليها ، اذا وجد فى نفسه القدرة والاستعداد للقيادة ، والقيام بتبعاتها : « قال اجعلنى على خزائن الأرض ، انى حفيظ عليم »(٢) .

خامسا : والتربية القرآنية توصى باعداد الأفراد ، بحيث يصبحون أفرادا عالميين ليساهموا فى حضارة العالم ، حيث يرتبط كل منهم ارتباطا وثيقا بالانسانية ، فوق كل اعتبار ، حيث يتعاون الجميع على خيرها : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم » (٣) .

ومن هذه الآية نستشف أن التعاون والتعارف ، لا يعنى التعارف اللفظى فقط ، وانما هو يعنى التعارف فى كل أوجه الحياة ، حتى أن لكل

---

(١) انظر الانعام : ١٥٢ ، والأعراف : ٨٥ ، والمطففين : ١ ـ ٢ ، والنساء : ١٣٥ ، والحديد : ٢٥ .

(٢) يوسف : ٥٥ .

(٣) الحجرات : ١٣ .

مجتمع الحق فى أن يستفيد من خبرات المجتمعات الأخرى ، اذ أنها ليست حكرا عليــه ، فهى نتاج عقــل وفــكر وهما من نعم الله على الانسان ، والانسان انسان فى كل زمان ومكان ، وليس لأحد مهما بلغت قوته أن يحتكر ما توصــل اليه عقل وفكر ، وهذا لون من التعاون والتعارف ، فيه احترام « الانسانية ، وايفاؤها كل حقوقها ، وتكريمها أينما حلت ، وكائنا ما كان الانسان »(١) .

فالتربية القرآنية تعمل على تنمية الانسان تنميــة شاملة عالميــة ، ليكون الانسان عالميا صالحا لكل مجتمع ، اذ لديه الأصول العامة ، ومعه عقل متفتح على العالم ، وخبرات يستغلها فى خدمته ، وفى طاعة الله . ومن هذا المنطلق ، فان تعلم اللغات ضرورى وهام ، اذ أن القرآن ، والمجتمع المسلم ، والفرد المسلم ـ كلها تحترم ثقافات الشعوب الأخرى ، والتربية بدورها تهتم بهــذا ، اذ أنه يساعد على التقارب ، والتفاهم والتعارف والاستفادة من خبرات الآخــرين ، بما يوافق العقيــدة الاســلامية ، والعبودية ، والاستمداد من الله ، وهكذا تغرس التربيــة الاسلامية فى نفوس أبنائها ، ذلك المبدأ الاسلامى الرائع « لاترفضوا ما دامت عقيدتكم فى عقولكم وضــمائركم وقلوبكم ووجدانكم ، فقد أسلمتم وجودكم وأهدافكم ومحيــاكم ومماتكم لله ، فلا ترفضــوا ما دمتم قد دخلتم فى السلم كافــة ، وجئتم تحملون هـــذا السلم الى البشرية فى كل مكان فلا ترفضوا » (٢) . وهى تدربهم على « أن يفتحوا أعينهم جيدا ازاء كل ما تعرضــه عليهم الحضــارات الجــديدة من قيم ومعطيــات فيتمعنوا ويدرسوا ويفكروا وينقدوا ويقارنوا ثم يصــدروا حكمهم لا بالرفض أو القبــول ، كلا ، فما علمهم الاســلام الرفض الحضــارى ، ولكن

---

(١) محمد أحمد فرج السنهورى : حاجة المجتمع الى الدين ـ (١٥٥) من (كتب ثقافية) ـ مختارات الاذاعة والتليفزيون ـ المؤسسة المصرية العامة للأنباء والنشر والتوزيع والطباعة ـ بدون تاريخ ـ ص ٤٤ .

(٢) د . عماد الدين خليل : فى النقد الاسلامى المعاصر (مرجع سابق) ، ص ١٨٠ .

بالاختيار والانتقاء ، والعزل والفصل ، ثم اعادة البناء ، وهم يصدرون فى فاعليتهم هـذه ، عن القاعدة التى جاءهم بها الرسول عليه الصلاة والسلام ، لا يشذون عنها ولا ينحرفون ، أى من الاسلام ، ومن الاسلام وحده ، يمكن أن ينطلقوا ، لاعادة صياغة حضارة الانسان ، على عين الله الذى أسلموا وجوههم له (١) .

خلاصة القول أن التربية القرآنيـة تعطى للجانب الاجتماعى أهميته وضرورته فى تشكيل الانسان المسلم ، وتنميته اجتماعيا ، وجعله انسانا عابدا لله ، عن طريق غرس الفضـائل الاجتماعية فيه ، وتدريبه على المعاملات الاجتماعية من خلال :

ــ الاهتمام بالأسرة ، والأم ، اذ بهما يتشكل الوعاء التربوى الأول ، الذى يتلقى الطفل .

ــ الاهتمام بالطفولة والشباب ، على أساس أنهما ذخيرة المجتمع ، والقوة المستقبلة فيه .

ــ التشكيل الاقتصادى للانسان ، على أساس تنميته انسانا منتجا .

ــ التشكيل السياسى للأفراد بحيث تجعلهم واعين سياسيا ، قادرين على الاسهام فى تقـدم المجتمع الاسلامى ، والدفاع عنه ، والحفـاظ على أمنه وطمأنينته .

ــ تشكيل الانسان عالميا باعتباره عضوا فى المجتمع العالمى .

---

(١) عماد الدين خليل (مرجع سابق) ، ص ١٨١ .

طرق التربيـة الاسلامية

تمهيــد :

تساعد الأهداف التى حددناها سابقا ، فى رسم الطريقة التى بهـا تتحقق ، وهذه الطرق أو الوسائل عامة أيضا ، كما هو الحال فى الفلسفة التربوية القرآنية ، ويمكن أن تصـاغ حسب ظروف كل مرب ، وموقع عمله مع أعمار معينة .

واذا كانت الطريقة فى التربية تعنى « مجموع الأنشطة والاجراءات التى يقوم بها المدرس ،اولتى تبدو آثارها على ما يتعلمه التلاميذ » (١) ، وهى تحتـوى بذلك على مجمـوعة من الأنشـطة التى تظهر آثارها فى الفصل الدراسى ، وخارج الفصل ــ فان طريقة التربية فى القرآن ، تعنى هذا تماما ، الا أنها تتعدى هذا ، فتظهر فى الموقف التربوى ، وفى خارجه ، مع اعتبار تكامل الطريقة والمـادة والهدف ، لا انفصال بين واحدة منها والأخرى .

ومن أهم وسائل التربية القرآنية التعليم والقراءة ، لذا جاء فى أول سورة من سور القرآن : « علم بالقلم » ، أى تعليم الرب للانسان بالقلم ، لأن القلم كان وما يزال أوسع وأعمق أدوات التعليم فى حياة الانسان(٢) ، ولذا يقسم الله تعالى به فى سورة «ن» (٣) ، وهو يقسم به « منوها بقيمة الكتابة ، معظما لشأنها » (٤) ، فالقلم والتعليم من أهم طرق التربيـة الاسلامية ، وبعد هذا تأتى بقية الطرق ، لأن القرآن لم يقتصر على طريقة واحدة . وهذه هى أهم الطرق التى اتبعها القرآن ، فى التربية :

---

(١) أحمد حسين اللقانى ، برنس أحمد رضوان : تدريس المـواد الاجتماعية ــ طبعة أولى ــ عالم الكتب ــ ١٩٧٤ ، ص ١٧٨ .

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن ــ مجلد ٦ ــ الجزء الثلاثون (مرجع سابق) ، ص ٣٩٣٩ .

(٣) ن : ٢ .

(٤) سيد قطب : فى ظلال القرآن ــ مجلد ٦ ــ ج ٢٩ (مرجع سابق ، ص ٦٣٥٥ .

١ — التعليم عن طريق العمل والخبرة :

يشترط القرآن أن يكون العمل قرينا للعلم ، اذ أن « تكوين أخلاق الانسان وروحياته ، وبناء علاقاته الاجتماعية لا تقوم بالوعظ وحده ، ولا بالحفظ وحده ، بل تحتاج الى أفعال يمارسها الانسان ، لتتكون أخلاقه عمليا ، ليبنى علاقات مع بنى الانسان بالواقع » (١) ، اذ أن « تعود المرء على النظام فى الحياة ، وعلى ضبط النفس وعلى الحياة الاجتماعية التعاونية ، وعلى التضحية فى سبيل المجموع — كلها تتطلب مرانا وممارسة يومية ، تلازم حياة الانسان ليل نهار » (٢) . وشروط الاسلام كلها من هذا القبيل ، فاذا كانت عتبة الدخول فى الاسلام هى شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله لفظية ، فان ترجمتها عملية ، تتمثل فى بقية الشروط ، التى تتلخص فيما بقى من أركان الاسلام :

— الصلاة :

وهى « عبادة بدنية فرضها الله على المسلم فى اليوم والليلة خمس مرات ، فى أوقات محددة » (٣) ، ثم ان الانسان يستقبل القبلة ويكبر ، فيدخل فى الصلاة ، سواء فى كل صلاة وعلى مدار اليوم والليل : « أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل ، وقرآن الفجر ، ان قرآن الفجر كان مشهودا » (٤) . والشرط فيها الطهارة التى تعتبر نظافة ، والتى تتحقق عن طريق الوضوء ، أو الغسل الكامل لجميع أعضاء الجسم .

والصلاة تربى الانسان خلقيا وروحيا ، فهى تربط الانسان بالله ، « كما أنها تقوى ارادة الانسان وتعوده على ضبط النفس والصبر والمثابرة ، والمحافظة على المواعيد » (٥) . وهى تعمل على أن تنفسح

---

(١) د. محمد فاضل الجمالى : نحو توحيد الفكر التربوى (مرجع سابق) ، ص ١٠٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٥ .

(٣) الامام الأكبر ، محمود شلتوت (مرجع سابق) ، ص ٧٧ .

(٤) الاسراء : ٧٨ .

(٥) د . محمد فاضل الجمالى (مرجع سابق) ، ص ١٠٥ .

جوانح المسلم لتشمل الكون والحياة « فيذوق الخلد ويذوق حقيقة الوجود » (١) ، اذ هى « اتصال وثيق بالله (ينقطع) به المسلم عن الدنيا ، بما فيها ومن فيها ، خمس مرات مفروضة كل يوم، يناجى فيها ربه عن قرب، ويذوق (حلاوة) تلك المناجاة فيتجنب طريق الشيطان ، ويسلك طريق الله الذى أحس بـ ويحس بـ حلاوة مناجاته ، وبالتالى السير فى طريقه » (٢) .

وفى الصلاة تربية عقائدية ، وتربية عملية ، حيث الالتزام بالعمل الصالح ، وتربية أخلاقية وتربية جسدية . والتربية القرآنية اذ تستغل هذه الطريقة فى تحقيق أهدافها ، تعمل منذ البداية على تعويد الانسان على أدائها ، سواء بالتقليد أو الاقناع أو الاجبار عليها ، ثم هى تلزم الانسان وتدربه على التفكير الدائم فيها وجعلها شغله الشاغل فى حياته ، فتربطه بالله فى كل لحظة (٣) .

ب - الزكاة :

وهى عبادة مالية ، عنى بها الاسلام ، وتأتى الصلاة وبعدها الزكاة لأن الصلاة تربى على المساواة والاخاء ، فيزداد حب الانسان لبنى الانسان، والزكاة ترجمة عملية لهذا ، والقرآن ينظم هذه الفريضة ، ويفرض لها أدبا ، هو فى غاية السمو (٤) .

والعلم بالزكاة لا يمكن أن يكون مفيدا الا اذا اقترن بعملها وفعلها ، وليس أبلغ من القرآن ، حين يعكس هذا فيقول : « والذين هم للزكاة فاعلون » (٥) ، ففى هذا تعبير صادق على أن فريضة الزكاة ليست

---

(١) محمد قطب : منهج التربية الاسلامية (مرجع سابق) ، ص٧٦
(٢) د . عبد الغنى عبود : فى التربية الاسلامية (مرجع سابق) ، ص ١٧٥ .
(٣) انظر : العنكبوت : ٤٥ ، طه : ١٣٣ ، البقرة : ٢٣٨ ، ٢٧٧ ، ابراهيم : ٤٠ .
(٤) انظر : البقرة : ٢٧١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ .
(٥) المؤمنون : ٤ .

مجرد العلم بها ، بل هى علم وفعل ، وهى ربط بالله ربطا وثيقا ، وهى عمل فى سبيل الفرد والمجتمع .

و « اعتبار الزكاة والصدقة فرضا متصلا بالايمان ، يجعلهما بعض النظام الروحى ، الذى يجب أن ينتظم حضارة العالم » (١) ، لما لها من أثر تربوى رائع ، اذ فيها طهارة للقلب من الشح ، « وتربية للضمير ، وتعديل لطبيعة الشح ، وتحويل لغريزة حب الظهور » (٢) . وفيها تربية اجتماعية ، حيث تربى الانسان على المساواة ، وانكار الذات ، وعلى مكافحة « الافراط فى النزعة المادية الفردية » (٣) . والتربية الاسلامية فى عمومها — تستغل هذه الطريقة ، بغرسها فى نفوس أبناء الأمة المسلمة ، ابتداء من الأسرة ، وفى المدرسة ، يمكن غرسها بسهولة ؛ عن طريق تكوين جماعة « لجمع التبرعات والصدقات فى صناديق ، توضع فى المدرسة ، وتشرف عليها هيئة من الطلاب ، باشراف مدرس أو أكثر وتقرر توزيع الصدقات على مستحقيها بصورة منتظمة ، ففى ذلك تربية روحية واجتماعية ثمينة » (٤) . وبالتالى يصبح المتعلمون اخوة — تلك الاخوة « التى تخرج الانسان عن الشعور (بالملك) فيما يمتلك ، فليس هناك ملك خاص فى الأسرة الواحدة ، وانما الناس شركاء فى الخير ، أصلاء فى رزق الله العميم » (٥) . ومن ثم فهى تغرس فى نفوس المتعلمين ، تلك النظرة الكونية (٦) .

---

(١) د. محمد حسين هيكل (مرجع سابق) ، ص ٥٢٤ .

(٢) الشيخ نديم الجسر : « القرآن فى التربية الاسلامية » — المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الاسلامية — مرجع سابق — ص ١٨٤ .

(٣) د . محمد فاضل الجمالى : نحو توحيد الفكر التربوى فى العالم الاسلامى (مرجع سابق) ، ص ١٠٦ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٠٧ .

(٥) محمد قطب : منهج التربية الاسلامية (مرجع سابق) ، ص ٧٧ .

(٦) انظر : البقرة : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٢٦٧ ، آل عمران : ٩٢ ، والبقرة : ٤٣ ، ١٧٧ ، ٢١٥ ، والتوبة : ٦٠ ، ٩٩ ، والمعارج : ٢٤ ، ٢٥ ، والحديد : ١٨ ، والتغابن : ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، والرعد : ٢٢ .

جـ ـ الصـيام :

وهو «الامتناع عن الأكل والشرب والملامسة الجنسية طول النهار ـ من الفجر الى غروب الشمس ـ بقصد امتثال أمر الله ، وقد فرضه الله فرضا عاما ، على جميع القادرين ، فى شهر رمضان » (١) . وللصوم فوائد عظيمة ، فهو « طهور للنفس يوجبه العقل عن اختيار من الصائم، كى يسترد حريته وارادته وحرية تفكيره . فاذا استردهما استطاع السمو بهمـا الى عليا مزاتب الايمان الحق بالله » (٢) ـ وبه يستطيع الانسان « الاتصال به اتصال طاعة وانقياد ، كما أنه مجال الاستعلاء على ضرورات الجسد كلها ، واحتمال ضغطها وثقلها ، ايثارا لما عند الله من الرضى والمتاع »(٣) .

فالأثر التربوى للصيام يتلخص فى تربية الروح ، وتربية الخلق ، حيث يتعود الانسان على ضبط نفسه ومكافحة شهواته ، وبذلك تتقوى الارادة ، وتربية اجتماعية ، اذ يجعل الفرد يفكر فى حاجة الفقير والمحتاج، وفيه شعور بالمساواة والاخاء وفيه تربية جسدية اذ يروض الجسم ويقويه، ويجعله قادرا على تحمل المشاق ، فضلا عن الجوع والعطش :

ـ « ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ، كما كتب على الذين من قبلكم ، لعلكم تتقون . أياما معدودات ، فمن كان منكم مريضا أو على سفر، فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ، فمن تطوع خيرا فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم ، ان كنتم تعلمون . شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان . فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العـدة ، ولتكبروا الله على ما هداكم ، ولعلكم تشكرون » (٤) .

---

(١) الامام الاكبر ، محمود شلتوت (مرجع سابق) ، ص ١٠٦ .
(٢) د . محمد حسين هيكل (مرجع سابق) ، ص ٥١٠ .
(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن ـ مجلد ١ ـ جـ ٢ (مرجع سابق) ، ص ١٦٧ .
(٤) البقرة : ١٨٣ ، ١٨٥ .

والتربية الاسلامية تستخدم هـذه الطريقـة بفعالية ، حيث تدرب المتعلمين على الصيام منذ الصغر ، وتأخذ من الصيام درسا جليلا ، حيث تيسر ولا تعسر على المتعلمين ، فى حدود أداء الفريضـة ، والتزام الأمر الالهى ، وفى حدود الاطار العام للفلسفة القرآنية ، وذلك لأن الله رحيم يريد بعباده اليسر ولا يريد العسر ، على قدر الطاقة .

د ـ الحـج :

وهو عبادة ، « تنتظم من الانسان قلبه وبدنه وماله .. يقوم بهـا المستطيع من المسلمين ، فى زمن معلوم وأمكنة معلومة ، امتثالا لأمر الله تعالى وابتغاء مرضاته ، وتبتدىء تلك العبادة ، بنية الحج خالصـا لله ، مع التجرد من الثياب المخيطة ، ومن صنوف الزينـة والترف ، وتنتهى بالطواف حول بيت الله الحرام » (١) . والهدف من هذه الفريضة ، هو « الاستجابة لأمر الله ، والطاعة » (٢) .

وفى شعائر الحج ومناسكه ، الكثير من الأهداف التربوية العملية ، التى تسهم فى تحقيق الهدف النهائى من التربية ، يمكن أن نرى منها :

تربيـة روحية :

يتزود بها المسلم ، « فتملأ جوانحه خشية وتقى لله وعزما على طاعته ، وندما على معصيته ، وتغذى منه عاطفة الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولمن أحبوه ونصروه ، واتبعوا النور الذى أنزل معه » (٣) .

تربيـة فكرية :

حيث يلتقى القديم مع الحديث ، والحاضر مع المستقبل ، وفى هذا

---

(١) الامام الأكبر محمود شلتوت : الاسلام عقيدة وشريعة (مرجع سابق) ، ص ١١٤ .

(٢) محمد عبد الله السمان : « الحج بين العقيدة والمبدأ والهدف » ـ منار الاسلام ـ السنة الأولى ـ العـدد (١٢) ـ ذو الحجة ١٣٩٦ هـ ـ ديسمبر ١٩٧٦ م .

(٣) د. يوسف القرضاوى : العبادة فى الاسلام ـ مطبعة النصر ـ القاهرة ـ د . ت ، ص ٢٦٩ .

توسيع للخبرة الانسانية « اذ يلتقى الانسان بأبناء بلاد أخـرى ، قـد يختلفون عنه فى اللغـة والعـادات ، ولكنه يرتبط بهم بشعور الأخوة والمساواة ، التى يضمنها القرآن ، بين بنى البشر ، فلا فرق بين الأبيض والأسود ، والأحمر ، ولا بين الغنى والفقير ، ولا القوى والضعيف »(١). وفى هذا مجال للفكر ولتبادل الخبرات المختلفة بين أبناء الاسلام .

تربيـة جسدية :

حيث يدرب الانسان على تحمل المشاق ، والمكابدة ، وغيرها من ألوان الرياضات الجسدية ، حيث السعى والطواف ، الى جانب مشاق السـفر .

تربيـة للسـلام :

ذلك أن أرض الحج بلد حـرام ، ومنطقـة أمان فريد فى نوعه ، « شمل الطير فى الجو ، والصيد فى البر ، والنبات فى الأرض ، فهـذه المنطقة لا يصاد صيدها ، ولا يردع طيرها ، ولا حيوانهـا ، ولا يقطع شجرها وحشائشها ، ومعظم أعمـال الحج تقع فى شـهر ذى القعدة ، وذى الحجة ، وهما من الأشهر الحرم ، التى جعلها الله هدنة اجبارية ، تغمد فيها السيوف ، وتحقن فيها الدماء ، ويوقف القتال »(٢) . وفى هذا تربية وتدريب للانسان المسلم على الحياة بسلام وفى سلام مع جميع خلق الله .

كل هذا الى جانب التربية الاجتماعية ، وغيرها ، وفوقه تربية كونية، تربط الانسان بالقوى الكونية، وبالكون كله فى تسبيح لله (٣) . والتربية الاسلامية يمكن أن تعمل على أن يعايش المتعلمون جو الحج ، فيشاركون الحجاج مشاركة وجدانية سواء فى التلبية أو فى صوم هذه الأيام ، ومن ثم يمكن أن تدرب التربية أفرادها ، على ما يمكن أن يدرب عليه الحج ويربى ، اذ هو من الطرق التربوية ذات الأثر الممتاز .

---

(١) د. محمد فاضل الجمالى : نحو توحيد الفكر التربوى (مرجع سابق) ، ص ١٠٨ .

(٢) د . يوسف القرضاوى (مرجع سابق) ، ص ٢٧٥ .

(٣) أنظر : الحج : ٢٧ — ٣٠ ، وآل عمران : ٩٦ ، ٩٧ ، والبقرة : ١٩٧ ، ١٨٩ .

هـ — الجهـاد :

وهو طريقة من طرق التربية الاسلامية يلتقى فيهـا العلم بالعمل ، وهى طريقـة تتخلل جميع الطرق السابقة ، حيث لا تقتصر على ميدان القتال فحسب ، وانما تشتمل على « جهاد الأعداء ، وجهاد النفس ، وجهاد الشر والفساد » (١) . ولذا نجد فيها جميع ألوان التربية ، اذ فى الجهاد تربية روحية ، وخلقية ، حيث يربى فى الانسان الصبر ، والبذل ، والغيرية، والتضحية ، وهى من أجل المبادىء ، وهذا الجهاد من مستلزمات الايمان بالله ، لاعلاء ورفعة كلمته : « وجاهدوا فى الله حق جهاده ، هو اجتباكم ، وما جعل عليكم فى الدين من حرج ، ملة أبيكم ابراهيم » (٢) . ومن ثم فهـو ابتلاء من الله : « ولنبلونكم حتى نعلم المجـاهدين منكم ونعلم الصابرين ونبلو أخباركم » (٣) .

والتربية القرآنية بهـذه الطريقة ، تربى المؤمن الشجاع ، الواثق فى الله ، والمؤمن به ، حيث أن الجهاد هو الترجمة العملية للايمان ، حيث يربى الانسان المسـلم على الاعتقاد بأن الله مالك الملك ، ومالك الحياة والموت ، فليس الجهـاد قتلا فى الميدان ، وليس الجهاد فى سبيل كبت النفس وشهواتها ، مما يقصر العمر أو يطيله ، لأن هذا فى علم الله وحده وبيده وحده ، فلا يخشى الانسان على عمره أبدا .

كما تربى الانسان على الاعتقاد بأن الرزق من عند الله ، وليس من عند أحد من العباد فيأمن على رزقه ، ومدى نجاح التربية فى اعداد الانسان اعدادا جيدا ، يجعله مجاهدا ، ومضحيا بالنفس والنفيس ، فى سبيل اعلاء كلمة الله « وبذل قصارى الجهد فى سبيل سلامة الأمة والوطن ، والدفاع عن حوزة البلاد ، والعمل فى سبيل رفع مستوى الحياة الانسانية » (٤) :

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن — مجلد ٤ — جـ ١٧ — ص٢٤٤٦ .
(٢) الحج : ٧٨ .
(٣) محمد : ٣١ . وانظر : آل عمران : ١٤٢ .
(٤) د. محمد فاضل الجمالى : نحو توجيد الفكر التربوى فى العالم الاسلامى (مرجع سابق) ، ص ١٠٩ .

« الذين جاهـدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، ان الله مع المحسنين » (١) — « يا أيها الذين آمنوا اتقو الله وابتغوا اليه الوسيلة ، وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون » (٢) .

هـذه هى أهم المعالم فى الطريقـة الأولى ، التى تنتهجها التربية الاسلامية فى القرآن ، فى سبيل تحقيقها لهدفها الأعلى ، وهى كما ترى — «مع ما يرافقها من تكرار وتثبيت ، وتغلغل فى صميم الحياة اليومية للانسان» هى من أولى الطرق التربوية التى يدعو القرآن الى الأخذ بها » (٣) ، وعن طريقها يمكن تحقيق أهداف التربية الاسلامية فى القرآن ، عن طريق غرس الايمان فى نفوس الأفراد المسلمين ، وفى أرواحهم وعقولهم ، بالاتجاه الى الله ، فى كل عمل من الأعمال التى يقومون بها ، بحيث يراقبون الله ، فى كل حركة وسكنة ، بحيث تصبح حياة المسلم كلها عبادة .

وبهـذا تحقق التربية القرآنية هدفهـا من تكوين الانسان العابد الصالح ، وهى تركز على هذه الطريقة ، لا لمـا فيها من قيمة مطلقة فقط ، بل لمـا فيها من حقائق وأهداف ووظيفة ، تيسر حياة الانسان على الأرض .

٢ - استخدام العقـل :

وهى من الطرق التى احتفى القرآن بها احتفاء بالغا ، حيث استخدم العقل فى توجيه الانسان نحو الحق والخير ، فالقرآن الكريم يحمل على استعمال العقل والمنطق ورؤية الصواب والخطأ والتمييز بين الحق والباطل « بالحجة والمشـاهدة الحسية ، وليس بالقسر أو التقليد الأعمى » (٤) ، وما ذلك الا لأن كل شرائع الاسلام تقوم على الايمان ، و «الايمان الصحيح هو الايمان الذى يقوم على العلم ، واذن فكلما علم الانسان وآمن بمـا

---

(١) العنكبوت : آخرها .

(٢) المـائدة : ٣٥ . وانظر : الانفال : ٧٤ .

(٣) د. محمد فاضل الجمالى (مرجع سابق) ، ص ١١٠ .

(٤) د. محمد فاضل الجمالى : نحو توحيد الفكر التربوى (مرجع سابق) ، ص ١١٦ .

علم ، كلما ازداد ايمانه » (١) . ولذا فان هناك فرقا بين الايمان المجمل والايمان المفصل ، « فرق كبير بين من يؤمن على وجه الاجمال ، بأن كل ما أمر الله به فهو خير ، وكل ما نهى عنه فهو شر ، وبين من يعرف بالأدلة العقلية أو التجربة الحسية ـ الخير الكامن فى أمور معينة نهى الله عنها » (٢) . ولذا نجد آيات كثيرة فى القرآن تقوم على استخدام العقل بجميع قدراته الفكرية ، وأساليب تفكيره ، فضلا عن الأسلوب التجريبى .

والقرآن يدعو الى فهم الأوامر والنواهى بالعقل ، ولذا يعلل كل أمر ، وكل حكم ينص عليه ، ويأمر به أو ينهى عنه ـ وعلى سبيل المثال : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ، لعلكم تتقون» (٣) ـ فالصيام اذن ليس مأمورا به ، «لما فيه من المشقة ، ولكن لأن هذه المشقة وسيلة لابد منها ، لنيل التقوى ، التى هى هدف كل مؤمن بالله تعالى » (٤) . ومثل هذا كثير فى آيات القرآن الكريم .

واستخدام القرآن الأساليب المتعددة للتعليل والقياس العقلى ، يوحى للانسان باستخدام نفس الأسلوب ، وهو أسلوب فعال فى التربية ، اذ لابد للمتعلم أن يقتنع بكل معلومة يتعلمها ، أو سلوك يسلكه ، أو أمر يفعله ، أو يتجنبه ، لابد له من أسلوب التعليل ، لا لأن الله قال فقط ، ولا لأن العلم قال هذا فقط ، بل لابد من الاقتناع والحجة ، وليست هذه الحجة بالحجة القسرية أو الاجبارية ، وانما هى الحجة والتعليل والجدال الحسن ، والفكر المستقيم .

والقرآن يدعو الى اتخاذ التجارب العملية « طريقا لاثبات حقيقة

---

(١) د. جعفر شيخ ادريس : « فى منهج العمل الاسلامى ـ كلمة التحرير » ـ **المسلم المعاصر** ـ العدد (١٣) ـ ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .

(٢) المرجع السابق .

(٣) البقرة : ١٨٣ .

(٤) د. جعفر شيخ ادريس : مرجع سابق ، ص ١٦ .

يقررها » (١) ـ وهذا ما نجده واضحا فى سؤال ابراهيم : « واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى ، قال أولو تؤمن ؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبى ، قال فخذ أربعـة من الطير فصرهن اليك ، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ، ثم ادعهن يأتينك سعيا ، واعلم أن الله عزيز حكيم » (٢) .

فهى رغبة ابراهيم التى لا تتعلق بوجود الايمان ، وانما هو شوق منه ، « الى ملابسة السر الالهى ، فى أثناء وقوعه العملى ، ومذاق هذه التجربة فى الكيان البشرى مذاق آخـر غير مذاق الايمـان بالغيب ، ولو كان هو ايمان ابراهيم الخليل ، الذى يقول لربه ويقول له ربه،وليس وراء هذا ايمان ، ولا برهان للايمان ، ولكنه أراد أن يرى القدرة وهى تعمل ، ليحصل على مذاق هذه الملابسة ، فيستروح بها ويتنفس فى جوها ويعيش معها ، وهى أمر آخر ، غير الايمان الذى ليس بعده ايمان » (٣) .

ومن ثم أمره ربه بالقيام بالتجربة ، فأمره الله أن يأخـذ أربعة من الطير ويتعرف عليها جيدا ، ثم يذبحها ، ويمزق أجسادها ، ويفرق أجزاء هذه الطيور على الجبال ثم يدعوها فتتجمع الأجزاء مرة أخرى وترتد اليها الحياة ، وتعود الطيور اليه ساعيات . « وهكذا يقرر القرآن الكريم قيام التجربة العملية ، لا اعتراضا من سيدنا ابراهيم صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم ولكن تأكيدا لمـا يعتقده ، وتثبيتا لمـا يؤمن به ، وطمأنينة لقلب المؤمن » (٤) .

فاذا ما استغلق فـكر الانسان واستعصى عليه الفهم لمسـألة من المسائل ، فان القرآن يوصى بالرجوع الى المراجع المعروفة ، والمتخصصين

---

(١) د. عبد الرزاق نوفل : « وسـائل التعليم فى القـرآن » ـ منار الاسـلام ـ السنة الاولى ـ العـدد الحـادى عشر ـ ذو القعـدة ١٣٩٦ هـ ـ نوفمبر ١٩٧٦ م .

(٢) البقـرة : ٢٦٠ .

(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن ـ مجلد ١ ـ ج ٣ (مرجع سابق) ، ص ٣٠٢ .

(٤) د. عبد الرزاق نوفل : وسائل التعليم (مرجع سابق) ، ص ٨ .

فى الفروع المختلفة من العلم : « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » (١) .

ومن هذا المنطلق فان التربية الاسلامية تلتزم بنفس الطريقة ، فى سبيل تحقيق أهدافها ، وتصبغ كل من يعمل فيها بنفس الصبغة ، فالمعلم واسع الصدر ، يرد على استفسارات وأسئلة المتعلمين ، حتى يكون على اقتناع كامل بما يلقى عليهم ، وهذه الطريقة تتدخل فى حياة المتعلم والمعلم على السواء ، وعن طريقها يمكن تجديد حياة المجتمع وتغييرها باستمرار ، اذ أن نظرته الى الأمور تجريبية ، يقدر عن طريقها أن يتحكم ويضبط ويتنبأ ، ولا يؤمن الا بما هو يقينى فيما يتعلق بأمور الكون والحياة المادية . أما الأمور الغيبية ، والتى لا مجال للعقل فيها ، فان القرآن يوصى بالايمان بها على وجه الاجمال ، وهذه الطريقة تتخلل جميع الطرق المختلفة للتربية الاسلامية ، يقول الله سبحانه : «أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » (٢) — « كتاب أنزلناه اليك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب » (٣) . وفى نفس الوقت ، ينهى عن استخدام الظن ، واتباع الظن المنهى عنه ، ينهى عنه فى التربية أكثر : « ان الظن لا يغنى عن الحق شيئا » (٤) — « ان يتبعون الا الظن ، وان هم الا يخرصون » (٥) . وفى نفس الوقت ينهى عن القول أو التكلم فى شىء ليس للانسان به علم ، فلايجوز للمربى أن يقف هذا الموقف ، بل لابد أن يكون على علم ، وألا يتكلم الا فيما يعلم : « فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم » (٦) — « ولا تقف ما ليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » (٧) .

---

(١) النحل : ٤٣ .
(٢) محمد : ٢٤ .
(٣) ص : ٢٩ .
(٤) يونس : ٣٦ .
(٥) الأنعام : ١١٦ .
(٦) آل عمران : ٦٦ .
(٧) الاسراء : ٣٦ . وانظر : النور : ١٥ ، والحج : ٨ .

١ - القـدوة أو الأسوة الحسنة والصداقة :

اذا كان المنهج الاسلامى واضحا كل الوضـوح ، وحكمته بالغـة الدقة ، فانه « لابد من قلب انسان ، يحمل المنهج ، ويحوله الى حقيقة، لكى يعرف الناس أنه حق ، ثم يتبعوه » (١) . ذلك أن من أهم أعمدة الايمان ، بناؤه على التطبيق السليم ، والتطبيق ان لم يكن يسيرا ، وكان عسيرا ، كان تكليفا بما لا يطاق (٢) .

واذا كان من أهم المؤثرات التى تؤثر فى الانسان وفى تربيته «القدوة التى يقتدى بها الطفل أو الانسان ثم الصداقات التى يكونها ، فهذه قد تبنى المرء ان كانت صالحة خيرة ، وقد تهدمه ان كانت شريرة » (٣) . فالقرآن يركز على هذه الطريقة ويؤكد عليها تأكيدا قويا ، لمـا لهـا من أهمية فى مسلك الايمـان ، وبالتالى تقرير مصـيره ، ولعل هـذا « هو السر ، فى أن الله بعث معلم البشرية بشرا منها ، مثلنا ، يأكل ويشرب وينام ويصحو ، وليس شاذا فى شىء ، هـذا ليقوم بالتطبيق العملى لشريعة الله ، ومن اليسير أن يحاكوه ، لأنه بشر مثلهم وليس من الملائكة ولا من الجن ، وكل ميزته أنه يوحى اليه » (٤) : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » (٥) .

والقرآن اذ يركز على ضرورة الاقتداء بالرسول باعتباره أسوة حسنة فان التربية الاسلامية تتخذ من القدوة طريقا لتحقيـق أهدافها ، فالمعلم ليكون قدوة لابد وأن يتمثل المنهج الذى يعلمـه ويربى به ، حيث يربى على هديه ، وحتى لا يكون هناك تناقض بين قوله وعمله ، وحتى يتخذه المتعلمون قدوة لهم ، ويتأسـوا به فى كل حركاته وسكناته ، فضلا عن

---

(١) محمد قطب : منهج التربية الاسلامية (مرجع سابق) ، ص٢٢٢ .
(٢) محمد علم الدين : التربية الاسلامية (مرجع سابق) ، ص٥١ .
(٣) د. محمد فاضل الجمـالى : نحو توحيد الفكر التربوى (مرجع سابق) ، ص ١١٢ .
(٤) محمد علم الدين : التربية الاسلامية (مرجع سابق) ، ص١١٢ .
(٥) الأحزاب : ٢١ .

أخلاقه ومنهجه ، والا فان التربيـــة تنقلب الى تلقين وحفظ وتسميع دون أى أثر عملى لهــا .

وللصداقة من القوة نفس الأثر ، ويعبر عنها علم النفس الاجتماعى باسم الصحبة ، « التى دلت دراساته على أن لهــا أثرا بالغا ، فى نمو الطفل النفسى ، والاجتماعى ، فهى تؤثر فى قيمه وعاداته واتجاهاته » (١). ولذا نجد القرآن يركز عليهــا تركيزا بالغا كطريقــة من طرق التربية ، ويعطيها قدرها المناسب : « ويوم يعض الظالم على يديه ، يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ، يا ويلتى ، ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا » (٢) . ومثال الصحبة الناصحة المتفانية تلك التى ذكرها القرآن فى سورة التوبة : « ألا تنصروه فقد نصره الله ، اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار ، اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا » (٣) . فالمحبة فى سبيل الله لها أثر بالغ فى اعانة الانسان على أن يكون عبدا لله .

٤ ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والتواصى بالحق والصبر والمرحمة :

توصل البحث ـ فيما سبق ـ الى أن الانسان ذو ارادة حرة (٤) ، وما دام الفرد الانسانى عضوا فى مجتمع ، فلابد أن تكون هناك حدود لحريته ، تحددها مصلحة المجتمع .

وعلى هذا الأساس ، فان القرآن يفرض ضرورة التذكير ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والتواصى بالحق والصبر ، وهو عمل يتأتى من جانبين ، فكل انسان يتواصى مع أخيه الانســـان فى سبيل دفع عجلة الحياة ، الى سبيلها المنشود ، اذ أن « كلنا معلم ، وكلنا يتعلم ، فى كل

---

(١) د. أحمد عبد العزيز سلامة ، د. عبد السلام عبد الغفار : علم النفس الاجتماعى ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة ـ ١٩٧٢ ، ص١٠٧ .

(٢) الفرقان : ٢٧ ، ٢٨ .

(٣) التـــوبة : ٤٠ .

(٤) ارجع الى ص ١٠٥ من الرسالة .

الأوقات ، ولا يستغنى بعضنا عن بعض • صغيرنا يتعلم من كبيرنا ، وكبيرنا يتعلم من صغيرنا » (١) • ولذا كانت هذه الطريقة من أهم الطرق التربوية التى قال بها القرآن ، والتى يتحقق بها الهدف من التربية ، لأنها تقوم بصيانة الحياة من الشر والفساد • وفى هذه الطريقة يتحقق المبدأ الديموقراطى فى التربية ، فلا حرج من سماع آراء التلاميذ أو المتعلمين، والعمل برأيهم ، واذا كان هدف المعلم هو تكوين المتعلم تكوينا سليما ، فانه يلزم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والتذكير بما يهم المعلم والمتعلم على حد سواء • وعلى أساس هذا أيضا ، يكون لأولياء الأمور رأى ودور فى تربية أبنائهم ، ويكون للمجتمع كله سلطة التوجيه للتربية اذا حادت عن الطريق السليم : « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » (٢) — « ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد » (٣) — « فذكر ، انما أنت مذكر » (٤) — « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » (٥) •

— « والعصر • ان الانسان لفى خسر • الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » (٦) •

— « ثم كان من الذين آمنوا ، وتواصوا بالصبر ، وتواصوا بالمرحمة » (٧) •

---

(١) د. محمد فاضل الجمالى : نحو توحيد الفكر التربوى (مرجع سابق) ، ص ١١٠ .
(٢) الذاريات : ٥٥ .
(٣) ق : ٣٧ .
(٤) الغاشية : ٢١ .
(٥) آل عمران : ١١٠ .
(٦) العصر .
(٧) البلد : ١٧ .

٥ - الموعظة والنصح :

والقرآن كله موعظة : « يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم ، وشفاء لما فى الصدور » (١) . وخير موعظة ، هى موعظة القرآن : «ان الله نعما يعظكم به » (٢) .

والموعظة من حيث هى ، كثيرة فى القرآن ، والملاحظ فى العظة القرآنية أنها صدرت من كبار حكماء أو والدين أو أنبياء ورسل ، وقد تأتى الموعظة من الأصغر الى الأكبر ، كما فى موعظة ابراهيم لأبيه ، كما قد تصدر عن الله العباد ، كما فى موعظة الله لنوح ، وان دل هذا على شىء ، فانما يدل على أنها طريقة عظيمة من طرق التربية الاسلامية ، ما دامت نابعة من عقيدة صالحة ، ومؤمنة بالله .

وفى القرآن ألوان من المواعظ ، وهو يأخذ فى الاعتبار الفطرة فى الانسان ، الذى هو على استعداد لأن « يصغى ، ويرغب فى سماع النصيحة من محبيه وناصحيه ، فالنصح والوعظ يصبح فى هذه الحالة ، ذا تأثير بليغ فى نفس المخاطب ، ولا سيما حين يكون صادرا عن محبة ، ومن القلب الى القلب ، فالنصح والوعظ من والد محب أو والدة أو أخ كبير أو صديق أو معلم أو شيخ محترم قد يغير مجرى حياة الانسان ، وما لم يكن النصح والوعظ صادرا من القلب والى القلب ، فتأثيره يكون ضعيفا أو معدوما تقريبا » (٣) .

وفى المواعظ القرآنية نلحظ أسلوبا تربويا رائعا ، يبغى كمال الانسان ، بحيث يجب أن يتمثلها المعلم والمتعلم ، اذ هى صادرة عن حكمة ، وليس عن هوى . والمثال على ذلك ، نأخذ خلاصته من عظة لقمان لابنه ، التى تهدف الى :

---

(١) يونس : ٥٧ .

(٢) النساء : ٥٨ .

(٣) د. محمد فاضل الجمالى (مرجع سابق) ، ص ١١١ .

١ ـ أن يكون الله هو مصدر السلوك ، بمعنى ايمان الانسان به ، واتباع شريعته ، وذلك هو محدد سلوك الانسان ، وهو الهدف والغايه لسلوكه ، بمعنى أن يكون مخلصا لله ، وذلك عن طريق عدم الاشراك بالله ، والشكر له ، والشكر للوالدين ، والشكر لصاحب النعمة .

٢ ـ أن يكون السلوك كما حددته الموعظة ، فى قصد واعتدال فى كل شىء ، فلا مغالاة ولا تفريط ، انما توسط واعتدال ، وهذا يعكس هدف التربية الاسلامية السلوكية : أنها تنشىء انسانا معتدلا فى سلوكه ، وفى عقيدته .

ثم ان المواعظ كثيرة فى القرآن ، ولا يسع المقام لشرح هذه المواعظ ، ومعظم المواعظ القرآنية تدور حول تربية الانسان عقائديا وسلوكيا ، ومن ثم تأتى أهمية هذه الطريقة العظيمة من طرق التربية الاسلامية لتكوين وتنشئة واعداد المسلم العابد الصالح ، بحيث يكون سلوكه صائبا فى معتقده ودينه وعقله وعمله ، وهذا هو هدف الموعظة كما جاءت فى القرآن الكريم ، كما هو هدف القرآن كله .

٦ ـ طريقة القصص :

تستخدم التربيةالقرآنية أسلوب القصة ، فى تحقيق أهدافها التربوية ، لما لها من أثر عظيم فى نفوس المتعلمين ، وخاصة اذا وضعت فى أسلوب عاطفى مؤثر . ولا يقتصر أمر استخدام القصة على التربية فقط ، بل انها تمتد الى ما هو أبعد من هذا ـ الى اطار أهم وأشمل . ونحن نرى فى حياتنا العادية ، مدى ما تحققه القصة فى النفس الانسانية من أثر ، عند ما تكون ذات قيمة ، وبقدر ما يكون لصاحب القصة من أثر وانتشار ، ولكن القصة بهذه الطريقة لا تستطيع أن تتحدث عن مسائل الحياة الحقيقية ، وانما تعرضها فقط (١) .

والقصة القرآنية « ليست عملا فنيا مستقلا ، فى موضوعه وطريقة

---

(١) د. عماد الدين خليل : فى النقد الاسلامى المعاصر (مرجع سابق) ، ص ١٣٣ .

عرضه وادارة حوادثه كما هو الشأن فى القصة الفنية الحرة ، التى ترمى الى أداء غرض فنى طليق ، انما هى وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة الى أغراضه الدينية » (١) • ومن ثم فهى لون من ألوان الفن الاسلامى ، الذى « يرسم صورة للوجود من زاوية التصور الاسلامى لهذا الوجود ، هو التعبير الجميل عن الكون والحياة والانسان ، من خلال تصور الاسلام للكون والحياة والانسان » (٢) • وعلى هذا ، فان القصة تخدم أغراض التربية الاسلامية الى أبعد حد ، وذلك الى جانب أغراضها الأخرى •

فاذا كان الهدف الأول من التربية الاسلامية هو تكوين الانسان العابد ، المؤمن بالله ، فان القصة القرآنية تهدف الى « اثبات وحدة الاله ، ووحدة الدين ، ووحدة الرسل ، ووحدة طرائق الدعوة ، ووحدة المصير ، فالقصة القرآنية ، تدعو الى هذه الدعوة » (٣) • ويستخدم القرآن فيها ، أسلوب التكرار ، لأنه « من أشد العوامل فى تثبيت الفكرة ، فى نفس السامع » (٤) •

ثم ان القصة القرآنية تحقق أهداف التربية تماما ، وتدعو الانسان وتثير عواطفه وعقله الى طلب العلم ، وهذا مما يمكن أن نطلق عليه : قصص توجيهى ، علمى وعملى ، كما فى قصة موسى عليه السلام والعبد الصالح فى سورة الكهف ، وهى « قصة هذه الحياة ، وقصة هذا الكون ، الذى نعيش فيه ، انها قصة تثبت فى صورة عملية ، واضحة رائعة ، ان وراء المعلومات والمكشوفات فى هذا العالم ، وفى هذه الحياة ، مجهولات كثيرة ، وان ما يجهله الانسان — وأعظم انسان فى عصره — أكثر ما يعلمه ، وأنه دائما يبنى حكمه على ما يشاهده ويشعر به ، ولذلك

---

(١) سيد قطب : التصوير الفني فى القرآن — دار الشروق — بيروت — د.ت — ١١٧ •

(٢) د. عماد الدين خليل (مرجع سابق) ، ص ٤٣ •

(٣) أنظر : الأعراف ، والمائدة ، و ق ، والكهف •

(٤) الشيخ نديم الجسر (مرجع سابق) ، ص ١٣٨ •

فهو يخطىء كثيرا ، ويتعثر كثيرا ، لأنه لو انكشفت له حقـائق الحياة ، وبواطن الأمور وعواقبها ، لتغير حكمه كثيرا ، ونقض ما أبرم ، وتثبت من أنه لا ثقـة بأحكامه وأقضيته وميوله والطباعاته ، وأنه لا احاطة له بهذا الكون الواسع » (١) .

القصة القرآنية تعرض أيضا للعمل الصالح وترغب فيه ، لضرورته وأهميته ، سـواء كان ذلك بأسـلوب الايجاب ، أم بأسلوب السلب ، وكذلك تعرض للأخلاق الفاضلة ، وتدعو اليها ، بصـور متنوعة ، فى القصص القرآنى ، فى كثير من السور ، على طول القرآن .

وبالجملة يمكن القول ، ان القصة القرآنيـة من طرق التربيـة ، وهى مهمة « غاية فى الأهميـة فى توضـيح علاقات الانسان الأخلاقية والروحية ، بأخيه الانسان ، وذلك مع بلاغة الأسلوب وبلاغة المعنى » (٢) : « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن » (٣) — « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ، ما كان حديثا يفترى » (٤) .

وفى قصص القرآن ، نجد الأهـداف التربوية واضحة ، ذلك أن شخصيات هـذا القصص واقعية لكل عصر ، بالتالى فان المربى الجيد ، هـو الذى يمكنه أن يستغل هـذه المواقف ، وتلك الشخصيات ، فى تحقيق أهداف التربية الاسلامية . وليس موضوع القصة خاصا بمـادة معينة أو موضوع معين ، بل انها تصلح لكل المواد .

٧ ـ الأمثال والأشباه :

وتستخدم هـذه الطريقـة لتقريب غير المحسـوس ، بمعنى أنهـا تستخدم لتقريب وتمثيل الأشياء ، غير المـادية ، وغير المنظورة ، بحيث

---

(١) ابو الحسن الندوى : تأملات فى سورة الكهف ـ ط ٣ ـ المختار الاسلامى ـ ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م ، ص ٩٠ .

(٢) د. محمد فاضل الجمالى (مرجع سابق) ، ص ١١٢ .

(٣) يوسف : ٣ .

(٤) يوسف : ١١١ .

تصبح فى متناول الانسان ليفهمها ويتدبرها ، وهى تقوم على القياس والتشبيه والمماثلة أو المحاكاة ، وهى طريقة تعتمد على « تقريب معقول من محسوس ، أو محسوس من أكثر منه حسا ووضوحا » (١) . والمثل القرآنى هو « تشبيه شىء بشىء فى حكمه ، وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر ، واعتبار أحدهما بالآخر » (٢) .

والأمثال كثيرة فى القرآن ، وهى تلعب دورا هاما وبالغا ، فى التأثير فى العواطف ، وفى التأثير فى السلوك الانسانى ، فيما لو استعملت بحكمة ، وفى الظروف المناسبة . ولعل هذه الطريقة يمكن أن تنسحب على استخدام التربية للوسائل التعليمية — بكافة أشكالها — حيث تستخدم الخبرة العوضية أو البديلة عن الخبرة الأصلية أو المباشرة ، مع التدرج فى مستويات الخبرة ، ولذلك أبرزها القرآن ، واهتم بضرب الأمثال : « وتلك الأمثال نضربها للناس ، وما يعقلها الا العالمون » (٣) — « وتلك الأمثال نضربها للناس ، لعلهم يتفكرون » (٤) .

واذا كانت « هناك قطاعات فى العلم ، كالرياضة والهندسة والكيمياء والحساب ، لا تقوم الا بضرب المثل وغير ذلك ... يساعد على تثبيتها ، وبيان أركانها ، الأمثال (٥) ، فان القرآن يوجهنا الى استخدامها كطريقة لتحقيق الأهداف التربوية ، وهى لا تقتصر فقط على توضيح المادة العلمية ، بل تتسع لأكبر من هذا ، فنرى فيها :

١ — الأمثال تبرز المعقول فى صورة المحسوس الذى يلمسه الناس ، فيتقبله العقل ، لأن المعانى المعقولة لا تستقر فى الذهن ، الا اذا صيغت فى

(١) محمد علم الدين : التربية الاسلامية (مرجع سابق) ، ص ٦٤ .
(٢) د. عبدالله محمود شحاته : «أمثال القرآن» — الوعى الاسلامى — العدد (١٢٦) — جمادى الآخرة ١٣٩٥ هـ — يونيو ١٩٧٥ م ، ص ٤٠ .
(٣) العنكبوت : ٤٣ .
(٤) الحشر : ٢١ .
(٥) عبد الرزاق نوفل : وسائل التعليم فى القرآن (مرجع سابق) ، ص ٧ .

صورة حسية قريبة الفهم (١) .

٢ — وتكشف الأمثال عن الحقائق وتعرض الغائب فى معرض الحاضر (٢) .

٣ — وتجمع الأمثال المعنى الرائع فى عبارة موجزة (٣) .

٤ — ويضرب المثل للترغيب فى الممثل ، حين يكون مما ترغب فيه النفوس (٤) .

٥ — ويضرب المثل للتنفير حين يكون الممثل به مما تكرهه النفوس (٥) .

٦ — ويضرب المثل لمدح الممثل به (٦) .

٧ — ويضرب المثل حين يكون للممثل به صفة يستقبحها الناس (٧) .

٨ — والأمثال أوقع فى النفس وأبلغ فى الوعظ وأقوى فى الزجر ، وأقوم فى الاقناع ، وقد أكثر الله تعالى من الأمثال فى القرآن للتذكرة والعبرة ، وقد ضربها النبى صلى الله عليه وسلم فى حديثه ، واستعان بها الداعون فى كل عصر لنصرة الحق واقامة الحجة ، ويستعين بها المربون ويتخذونها من وسائل الايضاح والتشويق ، ووسائل التربية فى الترغيب

---

(١) انظر البقرة : ٢٦٤ .

(٢) انظر البقرة : ٢٧٥ .

(٣) انظر يوسف : ٥١ ، ٤١ ، هود : ٨٥ ، الانعام : ٦٧ ، المدثر : ٣٨ ، البقرة : ٢١٦ ، فاطر : ٤٣ ، المؤمنون : ٥٣ ، المائدة : ١٠٠ ، الحشر : ١٤ .

(٤) انظر البقرة : ٢٦١ .

(٥) انظر الحجرات : ١٢ .

(٦) انظر الفتح : ٢٩ .

(٧) انظر الأعراف : ١٧٤ ، ١٧٥ .

أو التنفير ، فى المدح أو الذم (١) .

وهكذا تتضح فعالية الأمثال كطريقة من طرق التربية الاسلامية ، وعن طريقها يمكن تحقيق أهداف التربية التى تسعى اليها ، وهى تعرض فى أسلوب رقيق ، يجذب الانسان جذبا ، لما تمتاز به من موسيقى عذبة، تؤثر فى النفوس ، وتنفذ الى الأعماق ، وبالتالى تحرك فى الانسان عاطفته وميوله ، واتجاهه نحو الخير والحق ، وهذه كلها مؤشرات الى طريقة استخدام الأمثال فى تحقيق الأهداف التربوية .

واستخدام الأمثال ضرورة - ومن هذه الأمثال المعملية والعملية ، وغيرها من الوسائل التى تقرب غير المحسوس الى خبرة المتعلم ، أو حتى المحسوس من المحسوس ، لتحقيق أهداف التربية الاسلامية .

٨ - الترغيب والترهيب والثواب والعقاب :

قرر القرآن مبدأ الثواب والعقاب ، فيثيب المصيب على اصابته ، ويعاقب المنحرف ، على انحرافه .

والقرآن تنزيل من رب العالمين ، « ليكون هدى للمتقين ، فصلت فيه آيات تدعو الى الخير ، وتنهى عن الشر » (٢) .

وقد رأينا أحكام السلوك والمعاملات بين الناس (٣) ، فمنهم من يتبع هذا الطريق ، ومنهم من يخالف هذه الأحكام ، « فاذا أصر المخالفون على اتباع طريق غير طريق المؤمنين الصالحين واستمروا فى عنادهم ، وآثروا الاستماع الى هوى نفوسهم متنكبين السبل التى أمر الله باتباعها ، فلابد من انزال العقاب ، ومحاسبة مثل هؤلاء أشد الحساب ، حتى يثوبوا الى رشدهم ، ويرعووا عن غيهم » (٤) .

---

(١) مناع القطان : مباحث فى علوم القرآن - طبعة ثانية - منشورات العصر الحديث - بيروت - ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م ، ص ٢٤٧ .

(٢) د. أحمد فؤاد الأهوانى : التربية فى الاسلام (مرجع سابق) ، ص ١٤٢ .

(٣) ارجع الى ص ٣٨ من الرسالة .

(٤) د. أحمد فؤاد الأهوانى (مرجع سابق) ، ص ١٤٥ .

فالقرآن يقرر مبدأ العقوبات على قدر الجرائم ، أما ما كان خفيا ، فهذا حسابه على الله ، وأما ما كان ظاهرا « متصلا بالحياة العامة ، وله آثاره السيئة فى حقوق الأفراد والجماعات ، وله من عناوين الاغراق فى الشر أقصاها ، فقد جعلت له عقوبة دنيوية » (١) .

والتربية الاسلامية تقر العقوبة أيضا على الانحراف والاثابة على المثوبة ، الا أن العقوبة هنا مشروعة لتعديل السلوك ، وما عجزت الطرق الأخرى عن تكوينه وتشكيله وتعديله ، فربما تستطيع العقوبة والثواب أن تقوم بهذا التشكيل والتعديل ، ومن الحكمة القرآنية ، أنه يستعمل قبل ايقاع العقاب أو الثواب ، أسلوب الترغيب والترهيب ، لأنه اذا كان الهدف من العقوبة هو اصلاح المذنب فان وسيلته « الرياضة والتأديب ، ويكون هذا الاصلاح بالترغيب والترهيب والرجاء والخوف ، والنصيحة والتهذيب » — وهو يعتبر من « الأساليب الطبيعية ، التى لا يستغنى عنها المربى فى كل زمان ومكان ، ولا يمكن أن تجدى التربية وتحقق أهدافها» ، « ما لم يعرف الطفل والانسان أن هناك نتائج مسرة ، أو مؤلمة ، وراء عمله وسلوكه ، فان عمل خيرا نال السرور والحلاوة وان عمل شرا ذاق الألم والمرارة » (٢) .

والقرآن حين يستخدم أسلوب الترغيب والترهيب فانه يخبر بأن العاقبة وخيمة ، فى الدنيا والآخرة : « من عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد » (٣) . وهو يغرى باتباع الخير وعمله(٤) ،

---

(١) الامام الاكبر ، محمود شلتوت : الاسلام عقيدة وشريعة (مرجع سابق) ، ص ٢٨٠ .

(٢) د. محمد فاضل الجمالى : نحو توحيد الفكر التربوى (مرجع سابق) ، ص ١١٧ .

(٣) فصلت : ٤٦ .

(٤) الواقعة : ١٠ — ٤٠ .

ويصور الشر بصورته المروعة ، وعاقبته الوخيمة (١) ، الا أن السمة الغالية عليه ، هى سمة الرحمة والرفق والعفو : « نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم »(٢) . والتربية القرآنية تستخدم هذا الأسلوب ، فاذا ما أجاد المتعلم ، فانه يثاب اثابة حسية ومعنوية ، قريبة من حياته ، حتى تنتج أثرها فعلا ، أما اذا وقع خطأ ، فانه يسامح ويعفى عنه أولا ، ثم اذا تكرر الخطأ ، فان العقوبة هى الحل ، اذ هناك نص صريح واضح فى شأنها ، نراه فى شأن المرأة الناشز : « وان خفتم نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن ، فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا » (٣) . فالرجل يمارس هذا الحق ، بفضل قوامته على المرأة ، كما يمارسه المعلم على المتعلم ، بفضل قوامة المعلم على المتعلم .

فيجب أن يكون العقاب للمتعلم ، الوعظ أو الكلمة الحسنة ، التى يمكن للمعلم أن يصلح بها حال المتعلم ، فاذا لم يجد هذا الأسلوب ، استخدم الأسلوب الثانى ، وهو الهجر ، أو « الاخافة الأدبية » (٤) ، التى تتمثل فى التهديد والعزل والنصح والتقريع (٥) ، فاذا لم تفلح هذه الوسيلة ، لجأ المعلم الى الوسيلة الأخيرة ، وهى « ليست مصلحة فحسب ، وانما هى عقوبة رادعة زاجرة ، لأنها تترك ألما مباشرا فى نفس المذنب ، فيرتدع عن ارتكاب الذنب ، وهذه العقوبة تكون عادة بدنية » (٦) ، ويجب أن تكون هذه العقوبة « مثلا يضرب للغير ، فما دامت العقوبة ضرورية ، ولا معدى لنا عنها » (٧) ، فلتجمع بين ردع

---

(١) انظر : غافر ٤٥ — ٥٠ .
(٢) الحجر : ٤٩ .
(٣) النساء : ٣٤ .
(٤) د. أحمد فؤاد الأهوانى : التربية فى الاسلام (مرجع سابق) ص ١٥٤ .
(٥) المرجع السابق ، ص ١٥٤ .
(٦) المرجع السابق ، ص ١٥٤ .
(٧) محمد مهدى علام : فلسفة العقوبة (بحث فى التربية الأخلاقية) — طبعة ثانية — المطبعة السلفية ومكتبتها — ١٣٥٥ هـ — ١٩٣٦م ، ص ٦٤ .

المجرم وزجر غيره ، وهــذه العقوبة الأخيرة هى الضرب ، والغرض من توقيعها هو اصـــلاح حال المتعلم ، ولا بد أن يكون فيهــا من الرفق « ما يؤدى الى التأديب ولا يتعــداه الى غير ذلك ، فيتم الزجر المطلوب من العقاب ، وينتهى الأمر بعد ذلك الى الصلاح » (١) .

وهكذا تعتبر هذه الطريقة من أهم الطرق فى التربية الاسلامية ، ويشترط للضرب أن يكون غير مبرح ، ومتفقا مع حالة المتعلم وســنه ، وأن لا يكون على المواضــع الخطرة كالوجه والبطن وما اليهما . وأن يكون بقصد التأديب والتربية ، وأن لا يسرف فيــه ، وأن يكون ممــا يعتبر مثله تأديبا للمتعلم (٢) .

٩ - غرس العادة او ازالتها :

للعادة أثرها البالغ فى حياة الانسان ، وهى تلعب دورا بالغ الخطورة فيها ، وخاصة اذا كان الانسان على وعى بما يتعلمه ، ويفعله ، وبأدائه ، أما اذا أصبحت العادة آليــة لا يصاحبها أى انفعال ، فانها تصبح وبالا على الانسان . وقــد حرص القرآن على استخدام طريقة غرس العــادة أو ازالتها ، كطريقة من طرق التربية ، وباستخدامها ، «يصير الخير كله عادة ، تقوم بها النفس بغير جهد ، وبغير كد ، وبغير مقاومة » ، وهو فى الوقت ذاته ، « يحول دون الآلية الجامدة فى الأداء ، بالتذكير الدائم ، بالهدف المقصود من العادة ، والربط الحى بين القلب البشرى وبين الله ربطا تسرى فيه الاشعاعة المنيرة الى القلب ، فلا ترين عليه الظلمات»(٣).

وفى استخدام القرآن الكريم لهــذه الطريقة ، سلك اليها مسالك متعددة ، فمن العادات ما يحتــاج الى حسم فى ازالتها ، وهى العــادات الاجتماعية الضارة ، ومنها ما يحتاج الى تدرج فى ازالته ، مثل تحــريم الخمر ، حيث أنها « ليست من العادات التى تستطيع كل نفس أن تحسم

(١) د . احمد فؤاد الأهوانى (مرجع سابق) ، ص ٦٢ .
(٢) سعيد حوى (مرجع سابق) ، ص ١٥١ .
(٣) محمد قطب : منهج التربية الاسلامية (مرجع سابق)، ٢٤٦ .

موقفها معها فى كل لحظة ، فلا يعاودها الحنين اليها ، ولا تعود اليها »[1] .

ولذاتدرج القرآن فى تحريمها كما يلى :

(ا) المرحلة الأولى :

— « يسألونك عن الخمر والميسر ، قل فيهما اثم كبير ، ومنافع للناس ، واثمهما أكبر من نفعهما » [2] . ولذا فان القرآن يعد النفوس عن طريق عاطفة تجاه الخمر ، من أن لها اثما أكبر من نفعها ، ولكن الناس ما زالوا يشربون الخمر ، رغم ادراكهم لهذه الحقيقة .

(ب) المرحلة الثانية :

« يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ، حتى تعلموا ما تقولون » [3] . ويتجه القرآن هنا الى السلوك بعد أن كون العاطفة ، فيعظ الناس ألا يقربوا الصلاة وهم سكارى ، وكان الناس يشربون ، حتى يأتى أحدهم الصلاة وهو مفيق » [4] .

(ج) المرحلة الثالثة :

« يا أيها الذين آمنوا ، انما الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجس من عمل الشيطان ، فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنم منتهون » [5] . وكانت هذه هى الخطوة الحاسمة ، التى حرمت فيها الخمر تحريما قاطعا ، اذ نجد فيها تجميعا وحشدا للجانب العاطفى والعملى والعقلى والعقائدى ، لاجتناب تلك العادة المضرة .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٤٨ .
(٢) البقرة : ٢١٩ .
(٣) النساء : ٤٣ .
(٤) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (مرجع سابق) — ج ٣ — ص ١٧٠ .
(٥) المائدة : ٩٠ — ٩٢ .

أما طريقة القرآن فى غرس العادات الصالحة ، فهى طريقة واضحة ، اذ هو يثير الرغبة أولا فى تعلم مهارة ، ثم بعد ذلك يعمل على أن تتحول تلك الرغبة الى عمل واقعى ، « ثم تتحول المهارات المكتسبة المعقدة ، سواء كانت حركية أم لفظية ، الى مهارات بسيطة ثابتة ، لا تتغير مع التكرار والخبرة ، بحيث يتم العمل بشكل آلى ، دون حاجته الى بذل الجهد أو تركيز الانتباه ، ومثل هذه المهارات نسميها عادات » (١) .

وهكذا يفعل القرآن فى غرس عاداته فى نفوس أتباعه ، مثلما يفعل فى الصلاة ، التى يتمل فيها تماما تكوين العادة ، حيث الرغبة فى الاتصال بالله ، أو تقليد الكبار ، ثم تتحول هذه الرغبة الى عمل محدد ، ذى مراسم وحدود معينة ، ثم تنظم فى أوقات معينة . والقرآن يدعو الجماعة اليها ، ويحببهم فيها ويحببها اليهم ، حتى تصبح عادة ، الا أنها عادة متعقلة ، وليست آلية ، تؤدى كيفما اتفق . وهكذا نجد الزكاة والحج وغيرها ، من « عادات الاسلام ، تبدأ باستحياء الرغبة ، ثم تتحول الى عمل حى ، لا يكلف أداؤه شيئا من الجهد ، وهو مع ذلك رغبة واعية ، لا أداء آلى ، مجرد من الشعور » (٢) .

وحيث أن القرآن يقر استخدام هذا الأسلوب ، كطريقة من طرق التربية ، فانها تلزم جميع العاملين فى مجال التربية باستخدام الأسلوب الذى قرره القرآن ، فى غرس أو خلع العادة ، وحيث أن المجتمع هو الوعاء التربوى الأكبر ، فانه يجب أن يلتزم كله بجميع مؤسساته وأفراده ، بنفس الخط العام ، بحيث لا يعمل المربى والتربية على غرس عادة من العادات ، ثم تعمل مؤسسة أخرى على خلعها ، أو ازالة آثارها ، ولذا فلابد من التكامل بين المؤسسات التربوية المختلفة ، والمؤسسات الاجتماعية ، بحيث

---

(١) رياض معوض : علم النفس التربوى — ط ٢ — الانجلو المصرية — القاهرة — ١٩٥٤ ، ص ١٣٣ .

(٢) محمد قطب : منهج التربية الاسلامية (مرجع سابق) ، ص ٢٥١ .

تحقق هـذه الأهداف ما تريد التربية الاسـلامية ، كما حددها القرآن الكريم ، تحقيقه ، وهو الانسان العابد الصالح .

١٠ — افراغ الطاقـة :

من طرق التربية القرآنية ، افراغ الطاقة التى تتجمع فى النفس ، عن طريق الجسم ، اذ أن « الانسان بوصفه كائنا عضويا ، جهـاز معقد من الطاقة ، يستمد طاقتـه من الغـذاء الذى يتناوله ، لينفقها بعد ذلك فى أغراض عدة ، مثل الدورة الدموية ، والتنفس ، والهضم ، والتوصـيل العصبى ، والنشـاط العضلى ، والادراك والتذكر ، والتفكير » (١) . وهذه الطاقة اذن يمكن أن يستفاد بها ، لعمل الخير ، أو توجه لغيره . أو بمعنى آخر ، تصلح للبناء وتصلح للهدم ، اذ « من الممكن أن يستخدم الانسان هـذه الطاقة ، فى انمـاء العملية النفسية ، بالادراك الحسى ، والانتباه والتعلم ، والتذكر والحكم ، والتمييز والاستدلال والتخيـل ، ثم ان خط هـذه العمليات من الاتسـاع والتعقيـد والكفـاءة ، يزداد ويزداد » (٢) .

وقد حرص القرآن على توجيه هـذه الطـاقة النفسية فيما ينفـع الانسان ، لا فيما يضره ، ولذا نجده يقول : « ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها . قـد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » (٣) . ومعنى هذا أن الله خلق النفس « سوية مستقيمة ، على الفطرة القويمة ، فألهمها فجورها وتقواها ، أى فأرشدها الى فجورها وتقواها ، أى بين لهـا ذلك ، وهداها الى ما قدر لها » (٤) ، وهى التى توجه الطـاقة

---

(١) كالفن .س . هول : علم النفس عند فرويد (ترجمـة د. أحمد عبد العزيز سلامة ، د. سيد أحمـد عثمان) — مكتبة الأنجلو المصرية — ١٩٦٧ ، ص ٣٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٣) الشمس : ٧ — ١٠ .

(٤) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم — جـ ٨ ، ص ٤٣٤ .

النفسية الى هذا أو ذاك ، فليس هناك تخزين لها ، بمعنى أن القرآن فى توجيهاته ، لم يكن يهدف الى مجرد افراغ هذه الطاقة النفسية ، وانما الى افراغها فى الخير ، حتى لا تخزن أكثر من اللازم ، أو تكبت ، فتسبب القلاقل النفسية والعقد .

وهناك مسالك وطرق لافراغ الطاقة النفسية ، تحرص التربية القرآنية على توجيه النفس لها ، بحيث تصب فى موضوعات لها شرعيتها ، وتؤدى الى الخير والى استقرار النفس البشرية ، بحيث تكون محققة لأهداف التربية ، والاسلام بما فيه من مناشط للعمل ، لا يسمح للفراغ أن يتخلل حياة المسلم ، فهو لا يتركه « للأحداث والاتجاهات المختلفة ، بحيث لا يحتاج الى عناء ومشقة ، ولا جهاد وكفاح ، ولا ارادة أو ايمان ، ولا أى جهد بشرى ايجابى ، سوى أن يسير حسبما تهوى نفسه ، أو حسبما يهوى له غيره ، وحظه فى الحياة حظ التابع الأسير ، يحيا ليعيش كيفما كانت عيشته » (١) ، وانما حرر القرآن الانسان من هذا كله . بأن شغله كل لحظة من اليوم ، لأن حياة الانسان المسلم لها هدف واضح ، فيمكن للمسلم أن يستغل فراغه ، بالاستمرار فى التعلم ، والتزود بالمعارف ، العامة والفنية ، فيتردد على المكتبات العامة ، أو على الندوات وقاعات المحاضرات (٢) ، وذلك انطلاقا من الأمر الالهى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » (٣) .

ويمكنه الى جانب هذا ، استغلال هذا الوقت فى ذكر الله بقلبه ولسانه ، والتدبر فى خلق الله ، وقراءة القرآن أو سماع تلاوته ، ويمكنه أن يمارس الرياضة البدنية والروحية ، بالاشتراك فى النوادى أو فى

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن : مجلد ٦ — ج ٣٠ ، ص ٣٩١٨ .
(٢) د. محمد البهى : الاسلام فى حياة المسلم (مرجع سابق) ، ص ١٨٦ ، ١٨٧ .
(٣) العلق : ١ .

الرجلات ، ويمكنه أن يشترك فى الخدمات العامة التى تهدف الى ترقيـة المجتمع المسلم ، ومحو أمية أبنائه ، واصلاح ذات البين بين المسلمين •

ويصـل اهتمام القـرآن بهـذه الأعمـال الى حـد اعتبارها من العبادات •

ويمكنه أيضا أن يستمتع باللهو والسـمر البـدنى ، مع الأهـل والصحاب ، مما لا يتنافى مع العقل والشرع ، ويمكنه أن يشغل نفسه فى هذا الوقت ، بالتزاور وصلة القربى ، وهذه أيضا تصل الى درجة العبادة•

وبهذا لا يجد الانسان المسلم من وقته ما يسوقه الى الشر ، أو يجرفه اليـه ، لأنه انسان ذو هدف ، ومسعاه ذو هدف ، وبهـذا تفرغ الطـاقة الكامنة للنفس الانسانية ، حيث يمكنه الاشتراك فى الأعمال النافعـة ، وتلك طريق من أنجح الطرق فى تربية الانسان العـابد الصالح ، حيث يكون الانسان دائما فى اتصال بالله ، وينعكس هذا على صلته بالناس وبالمجتمع ، فيخلى نفسه من العادات والطاقات الموجهـة نحو الشر ، ويحلى نفسه بالاتجاه الصحيح ، والعادات الموجهة نحو الخير •

١١ ـ الأحداث الجـارية :

وأصل هذه الطريقة ، نجـده فى طريقـة نزول القرآن ، حيث نزل « منجما ، حسب الظروف والحوادث ، لأنه كتاب بنـاء وتربية ، لا كتاب ثقافة ومتاع ، جاء بمنهاج كامل للحياة والتربية ، لصياغة نفوس وبنـاء أمة ، واقامة مجتمع » (١) ، اذ هو « يسوق مع كل هزيمـة خبرة ، ومع كل نصر درسا ، ولكل موقف تحليلا ، كما كان بنـاؤه مظهـرا رائعـا للخلود ، مما جعله صالحا للسير مع كل نفس ، موجها لكل جيل ، بانيـا لكل أمة ، لتماثل النفوس ، وتشابه الأحداث » (٢) •

---

(١) محمد شديد : منهج القرآن فى التربية ـ مؤسسة الرسـالة ـ بيروت ـ د . ت ، ص ٣٣٤ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٤٣٥ .

ويعد استخدام الأحداث الجارية ، أداة فعالة لربط المادة التعليمية بحياة المتعلمين الواقعية ، حيث تثير الحادثة نفس المتعلم .

ولقد قام القرآن — وهو يربى الأمة الاسلامية ، فى منشئها ، « باستغلال الأحداث فى تربية النفوس ، استغلالا عجيبا ، عميق الأثر » (١) . « ومن هذا تتبين الهدف من نزول القرآن منجما ، حسب الظروف والحوادث » (٢) .

ومن أمثلة ذلك :

— عن عائشة (٣) — رضى الله تعالى عنها — أنها قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره ، حتى اذا كنا بالبيداء ، أو بذات الجيش ، انعقد عقد لى ، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه ، وأقام الناس معه ، وليسوا على ماء ، وليس معهم ماء ، فأتى الناس الى أبى بكر فقالوا : ألا ترى ما صنعت عائشة ، أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس معه ، وليس معهم ماء ، فجاء أبو بكر ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذى ونام ، فقال : أجلست رسول الله والناس معه ، ليس معهم ماء ، فراح يعاتبنى أبو بكر ، وقال ما شاء الله أن يقول ، فجعل يطعن بيده فى خاصرتى ، فلا يمنعنى من التحرك الا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على فخذى ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أصبح على غير ماء ، فأنزل الله تعالى آية التيمم « فتيمموا » ، وهذا هو سبب نزول آية : « فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا ، فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ، ان الله كان غفورا رحيما » (٤) .

---

(١) محمد قطب :منهج التربية الاسلامية (مرجع سابق) ،ص٢٥١ .

(٢) انظر : أسباب النزول ، للواحدى ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن كثير .

(٣) انظر الاسناد فى أسباب النزول للواحدى ، طبع مطبعة هندية فى غيط النوبى بمصر — ١٣١٥ هـ ، ص ١١٣ .

(٤) النساء : ٤٣ .

والقرآن بهـذا « يربى المؤمنين على الاحساس بمعية الله ، فهـو يسمع عبده ، ويجيب دعاءه ، دون حاجة الى وسيط أو شفيع ، والنفس لا تقنع بالمعرفة وحدها ، بل تتشوق الى المشاهدة والتجربة »[1] .

وهكذا ، ومن خلال الاطلاع على أسباب النزول ، نجد آيات كثيرة تنزل لأسـباب ، ذلك أن الله يربى أمتـه ، فكان أن رباها بالأحـداث الجارية ، والهدف من ذلك ، هو بناء الانسـان العابد الصـالح ، حيث يحس دائما بصحبة الله ومعيته ، وهذا ايماء وايحاء من القرآن باتبـاع هذه الطريقة ، فى تربية الانسان ، بحيث لا تتاح فرصة الا ويستغلها المربى فى تحقيق أهداف التربية عن هـذا الطريق ، بحيث تتدرج من البيئـة المحلية ، الى دائرة أوسع فأوسع ، وهكذا ، بحيث يتحقق النمو المنشود ، فى ربط المتعلمين بأحداث وطنهم الاسلامى ، والعالم كلـه ، ثم ربط هذه الأحداث بقـدرة الله ، فى سبيل تحقيق هدف التربيـة الأعلى ، وبحيث يكون الانسان العابد فى النهاية :

- مدركا للعلاقات المختلفة بين الأركان المختلفة ، والخـلائق المختلفـة .

- قادرا على اختيار المصادر التى يرجع اليها ، لاستقاء المعلومات اللازمة لدراسة الموضوعات المختلفة .

- مميزا بين كتابات المؤلفين ، والكتاب والمحللين ، ودرجة الثقـة فى كل منهم ، ووزن ما يسوق كل منهم من الآراء .

- قادرا على التمييز بين الحقائق الثابتـة والتيـارات المتجـددة واستنباط التعميمات .

- ميالا نحو القراءة والاطـلاع والبحث .

- مكتسبا اتجاهات نحـو التسامح والتعـاطف ، والمشاركة مع الشعوب الأخرى والأمم المختلفة .

---

(١) محمد شديد : منهج القرآن فى التربية (مرجع سابق) ، ص ٣٣٥ .

— قادرا على التفكير الناقد .

— قادرا على الاستفادة من الأحداث الجارية ، وتقدير الجهود الانسانية (١) .

وبعد أن عرضنا لطرق التربية الاسلامية من خلال القرآن ، نخلص بما يلى :

١ — أن سمة هذه الطرق هو التكامل ، فى سبيل الوصول الى الهدف العام للتربية الاسلامية . ويمكن لكل طريقة ، على حدة ، أن توصل الى الهدف ، ولكن هذه الطرق ، يمكن أن تمتزج جميعا فى سبيل الوصول الى الهدف ، بحيث تشكل طريقة متكاملة متناسقة .

٢ — أن هذه الطرق تعتبر أهدافا فى حد ذاتها ، وبالبحث وضح أن هناك تكاملا بين الهدف والطريقة ، وذلك الى جانب أن الطريقة تعتبر فى حد ذاتها هدفا ، فالتعلم عن طريق العمل والخبرة ، يعتبر طريقة وهدفا ، حيث أن سلوك هذه الطريقة وتطبيقها ، يهدف الى التكامل بين النظر والعمل ، وبين العلم والتطبيق ، بحيث يدرك المتعلم ويتيقن ، أنه ليس هناك علم بلا عمل ... وهكذا فى بقية الطرق .

٣ — أن هذه الطرق مجتمعة ليست جامدة ، بل مرنة ، مرونة كافية ، بحيث تستوعب كل تجديد أو اضافة اليها ، اذ أن الأمر ليس قاصرا على هذه الطرق فحسب ، بل يمكن أن يجدد فيها ويطور ، على أساس استخدام وسائل مختلفة ، مما توصل اليه العلم ، كاضافات وتجديد ، من مثل الوسائل التعليمية ، أو التعليم المبرمج ، وغيرها من الوسائل ، التى تعين التربية على بلوغ أهدافها .

---

(١) د. أحمد حسين اللقانى ، برنس أحمد رضوان : تدريس المواد الاجتماعية (مرجع سابق) ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

٤ ـ أنه يمكن استغلال هذه الطرق فى جميع المواد المختلفة ، سواء منها التجريبية أو الفكرية ، ويمكن استغلالها فى تنظيم المناهج ، بحيث تتداخل مع المناهج المختلفة ، وتحقق الهدف الأعلى الذى تنشده التربية الاسلاميـــة .

وبعـــد ....

فاذا كانت الشخصية الانسانية ، هى عبارة عن« تكوين فرضى ، أى مفهوم نفترض وجوده ، من أنه الاطـــار المنظم لمجموعة من العلاقات الوظيفية » ـ واذا كان النمو عبارة « عن ظاهرة كلية شاملة ، فالانسان ينمو جسميا وعقليا واجتماعيا ولغـــويا ... وغير ذلك من مظاهر النمو المختلفـــة ، وكل هـــذه الظواهر يرتبط الواحد منهـــا بالآخر ارتباطا وثيقـــا » (١) ـ واذا كان الاســـلام هو نظـــام الحياة الشـــامل المتميز المتفرد (٢) ـ فان فلسفته التربوية تحرص كل الحرص على انماء الشخصية الانسانية ، نموا متكاملا متوازنا ، طبقا لهذا النظام الشامل ، وما يحتويه من توجيهات للنمو الانسانى ، فى كل جوانبه المختلفة .

ومن الحق أن نقول ان القرآن يتعامل مع الانسان كانسان ، أى ككل متكامل من جميع جوانبه ، عقائديا أو روحيـــا ، وفكريا وعقليا ووجدانيا ، أو نفسيا ، واجتماعيا وأخلاقيا وجماليا ، ولكن لمـــاذا جزأنا نحن الانسان فى الدراسة ، وتناولنا كل جانب من جوانب الانسان على حدة ، رغم أنه كل متكامل فى القرآن ؟ لقد جاء ذلك لاعتبارات مختلفة :

ـ أنه لكى يدرس الانســـان دراســـة وافية ، وتحدد له المطالب المختلفة فى كل مرحلة من مراحل نموه ، كان لابد من هذا التقســـيم ، فالانسان كائن نام ، ولا يتوقف نموه عند حد ، ولذا كان لابد من تحديد

---

(١) د. أحمد زكى صالح : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ، ص ٢١ .

(٢) انظر الفصل الثانى من البحث ، ص ٦٩ وما بعدها .

أطار للنمو ، فى كل ناحية من نواحى هذا النمو . وهذا ما توصلنا اليه من خلال الدراسة .

ـ أن هـذا التقسيم كان لمجرد الدراسة ، ولم يكن حدا فاصلا وضعناه بين كل جانب من جوانبه ، والجوانب الأخرى ، اذ أن كل جانب منها ، يكمل الجوانب الأخرى من الشخصية ، بل ان كل هذه الجوانب تنمو فى وقت واحد ، وفى تكامل متزن ، ودليلنا على ذلك أن كل جانب من هذه الجوانب ، يمكن أن يكون مدخلا لدراسة الشخصية الانسانية المسلمة .

وخلاصة لمـا سبق ، نقول :

ان هدف التربية الاسـلامية ، هو تنمية وتكوين الانسان العابد الصالح ، وهو هدف عام ، تنضوى تحته مجموعة من الأهداف الخاصة ، التى تجعل من الانسان هدفا فى حد ذاته ، وهى علامات على طريق تحقيق الهدف الأعلى من التربية الاسلامية . وهذه الأهداف تتأثر الى حد ما ، بالظروف التى يعيش فيها أى مجتمع من المجتمعات ، مع الالتزام الكامل بالاطار العام لفلسفة الحياة فى القرآن .

ويمكن أن نحدد الشخصية المسلمة التى تهدف التربية القرآنيـة الى خلقها ، فى أنها مؤمنة بالله ، صاحب الذات الرفيعة ، والصفات المتفردة ، وهو خالق الكون ، وخالق الانسـان ، ومن ثم فهى تسـلم له جميع أمورها ، وهى شخصية مؤمنة بالرسل وأنهم صادقون فى التبليغ عن ربهم ، وهى شخصية مؤمنة بالكتب التى نزلت عليهم ، ومؤمنة بالغيب ، من ملائكة وجن ، ويوم آخر . وبهذا يرضى المسلم بقضائه ، ويسلم للمولى ، هذا التسليم الذى به طمأنينة القلب وراحة الضمير . وعلى أسـاس هـذا الايمان ، تتشكل بقية جوانب الشخصية المسلمة ، حيث نجد المسلم :

ـ يستخدم عقله فى سبيل بنـاء عقيدته ، وفى سبيل السيطرة على حياته ، والسيطرة على الطبيعة ، وتسخيرها فى عبادة الله ـ تلك العبادة

التى تشمل كل مناشط الحياة ، سواء فى الدنيا أو فى الآخرة ، فهو يفكر ويعمل قصـــدا لثواب الله ، ومن عمله ، ومن آيات الله فى الكون ، يبنى علمه ، ويجرب ، وينتفع بتجاربه ، فى سبيل الوصـــول الى السنن التى تحكم الأشياء ، وفهمها فى سبيل الوصول الى حياة أفضل •

وجماع استخدام العقل فى ذلك كله ، المعرفة بالله ، والتزام سننه التى يكشفها لمن يتعقل ، وعدم اتباع الهوى ، أو التقليد الأعمى ، فالمسلم يجمع بين التفكير التأملى ، والتفكير العلمى ، والتفكير الناقـــد ، وهى جماع التقدم فى كل عصر من العصور ، وكل حضارة من الحضارات •

ــ ونفس المسلم مرتبطة بالله دائما ، لا تسمح لنقاط الضعف فيهـــا أن تظهر ، فان ظهرت ، ووقع فى خطأ ، فانه يتوب الى الله ، ويسلم له ، وبالتالى فهو لا يعانى من القلق ، ولا من الخوف ، الا من الله عز وجل ، ونفسه قوية الارادة ، لا يغضب بسرعة ، ولا يتبع هواه ، لأن ارتباطه بالله يحميه من التناقض والأمراض النفسية •

ــ وهو صحيح الجسد ، لأنه يهتم به ، فـــلا يهمل أكله وشربه ، ولكن فى غير اسراف ، ويمـــارس الرياضة ، ويمـــارس العادات الصحية السليمة ، فى كل أوقاته ، وهو يمارس الجنس ، ولا يكبت طاقته ، ولكن فى حدود ما شرع الله ، مجـــاهدا لشهواته ونزواته ، ومستعدا للقتال فى سبيل الحق •

ــ وهو انسان أخلاقى ، يرتبط بعلاقات مع اخوانه ، وبالمجتمع ، وبالله ، وبنفســـه ، عن طريق أخلاق تنبع من قوة نفســـه ، وهو يوفى التزاماته ومسئولياته التى يجب أن يؤديها ، ولا غرو أن نقول ، ان بنـــاء الانسان على الأخلاق ، هو الأساس الأول فى فلسفة التربية القرآنية •

ـ وهو انسان فنان ، يستمتع بالجمال فى كل ما تقع عليه عينه ، وليس هـذا على سبيل التسلية أو قتل وقت الفراغ ، مما يضفى على حياته ، نوعا من الحرية والمذاق الخاص ، فكل لمسـة من حياته فيهـا جمـال ، فالمسلم صـاحب ذوق رفيع ، فى كل أمر من أمور حيـاته ، فى مواعيده ، وفى ملبسه ، وفى مسكنه •

ـ وهو انسان اجتماعى ، سعيد عائليا ، يملك لغة قومه ، وينتمى لمجتمع مسلم ، ويشارك فى الانتاج الاقتصادى ، وينفق فى غير اسراف ولا تقتير ، ويشارك فى السياسة العـامة للمجتمع ، وفى اتخاذ القرارات السياسية ، ويدافع عن وطنه ، اذا اعتدى عليه أحد ، وهو انسان عالمى ، منفتح على العالم أجمع ، وليس منغلقا على ذاته •

ـ وهـذه الشخصية الاسلامية ، بهذا الشكل ، شكلتها التربية القرآنية ، مستخدمة طرقا تتكامل مع الأهداف ، ومع الميادين التى تعمل على تنميتها •

فالشخصية المسـلمة تنمـو فى اتزان دقيق ، لا يطغى جانب من جوانبها على جانب آخر ، اذ « تتكامل الشخصية الاسلامية فى الاسلام ، حيث تجد كل قوة من قواها الفطرية ، مجـالا يتسق مع مجالات قواها الأخرى ، ومن ثم لا تهدر قوة من هذه القوى ، ولا تتعاظم على غيرها » ، وان دل ذلك على شيء ، فانما يدل على وحدة المصدر ووحدة المربى ، فالله « هو باذىء الشخصية الانسانية ، وخالق نزعاتها المختلفة ، ومن هنا كانت لغة الدين ، أن الدين عند الله الاسـلام ـ مفهومة لدى مختلف جوانب الشخصية ، وكانت تعاليمه متسقة معهـا جميعا ـ ان الاسـلام يخاطب الانسان من حيث هو كذلك ، فلا يخاطب طبقة معينة من البشر ، يرتفع بها المستوى أو ينخفض •• فيقع فى التناقض مع المستويات الأخرى ، ولا يخاطب فى الانسـان قوة من قواه ، دون القوى الأخرى ، فيقع فى

التناقض مع القوة التى يحملها » (١) . ومن ثم يمكن القول ان الجمع بين هـذه الجوانب المختلفـة ، فى تكاملها وتوازنهـا ، هو ميزة شخصية المسلم » (٢) . وهـذه الميزة ، راجعة الى أن أسلوب التربية القرآنية ، أسلوب متوازن دقيق ، يراعى طبيعة النفس ، فى كل أحوالها ، مع شمول وتكامل .

---

(١) د . يحيى هاشم حسن فرغل (مرجع سابق) ، ص٥١ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٥٣ .

الفصل الرابع

إيجابية فلسفة التربية الإسلامية كما وردت في القرآن الكريم

(دراسة مقارنة)

تمهيـــد .
- الفلسفة الوجودية .
- الفلسفة الواقعية .
- الفلسفة البراجماسية .
- الفلسفة المثالية .
- الفلسفة الاشتراكية .

ونعرض لهذه الفلسفات من حيث :
- المبادىء الفلسفية .
- الانعكاسات التربوية .
- مقارنة مع فلسفة التربية القرآنية .

- مميزات فلسفة التربية القرآنية .
- خلاصـــة .

تمهيـــد :

دارت الفصـــول الثلاثة السابقة حول فلســـفة التربية ، وفلســـفة المجتمع ، حيث وجدنا فى القرآن فلسفة كاملة للحياة ، وعليهـــا تعتمد فلسفة تربوية متكاملة متوازنة شاملة . وأرى أن الفائدة لاتتحقق ، الا اذا عرضنا الفلسفات التربوية ، التى لها تأثيرات فى التربية السـائدة اليوم فى العالم ، لنستوضح مدى قدرة فلسفة التربية القرآنية على الاستجابة لمتطلبات الحياة الانسانية المعاصرة .

ومن أجل هـــذا عقدنا هذا الفصل ، الذى يدور البحث فيه حول بعض هذه الفلسفات ، حيث نعرض أولا للاطار العام ، أو المبادىء العامة لهـــذه الفلسفة ، ثم نبين انعكاساتها على التربية ، وأوجه التقائهـــا مع الاسلام ، أو تناقضها معه ، ومن ثم يمكن عرض أهم المميزات التى تمتاز بها فلسفة التربية الاســـلامية ، عن غيرها من الفلسفات المختلفة ، بحيث نستطيع أن نوضح أن فلسفة التربية القرآنية تهدف الى بنـــاء شخصية انسانية ، لا تقـــل شأنا عن أية شخصية من الشخصيات ، التى تحـــاول الفلسفات التربوية المختلفة ، أن تنميها وتبنيها ، ان لم تزد ، وتكن أكثر امتيازا وتفوقا .

وبمعنى آخر ، ان هـــذا الفصـــل يوضـــح مدى صلاحية التربية الاسلامية ، لبناء وتكوين شخصية مسلمة معاصرة ، حتى تتضح ايجابية فلسفة التربية القرآنية ومميزاتها .

ولقد اختلف مؤرخو فلسفة التربيـــة فى تصنيف الفلسفات المختلفة ومذاهبها التربوية ، نظرا لكثرتهـــا واختلاف مشاربهـــا [1] ، وسنقتصر

---

(1) Max, Otto : Science and Moral Life., N. Y., The New American Library of Literature, Inc., 1949.

وانظر : د. حسين سليمان قورة : الأصول التربوية فى بناء المناهج — طبعة خامسة — دار المعارف بمصر — ١٩٧٧ .

— حنا غالب : التربية المتجددة وأركانها — طبعة ثانية — دار الكتاب اللبنانى — بيروت — ١٩٧٠ .

فى دراستنا فى هذا الفصل ، على بعض نماذج لفلسفات التربية ، كنماذج ممثلة لبقية الفلسفات التربوية الأخرى .

اولا : الفلسفة الوجودية Existentialism

هذه الفلسفة ليست وليدة العصور المتأخرة ، بل انها تمتد جذورها الى الماضى البعيد ، وان كان أول من استخدم كلمة (وجود) ، فى مضمون فلسفى ، هو كيركجارد (١) .

والوجودية نظرية استبطانية ، ترى أن وجود الفرد يسبق جوهره ، وتجعل الفرد ، هو المسئول الوحيد عن بناء كيانه وتكيفه (٢) ، فهى تركز على الانسان الفرد ، بما يحمله من معانى المسئولية والاختيار والحرية ، وما يتصف به من حالات الموت والخطيئة والمخاطرة والقلق ، وكل ما يحمله معنى وجود الانسان .

المبادىء التى تقوم عليها الوجودية :

١ ــ لا تحاول هذه الفلسفة اعطاء اجابات قاطعة بخصوص المشاكل الفلسفية الكبرى ، بل تحاول أن توقظ فى الانسان ميله واهتمامه بهذه المشاكل ، ولا تزوده بالاجابات عليها ، اذ أنها تعتبر أن الانسان غريب فى هذه الحياة ، ولابد له من البحث عن اجابات هذه الأسئلة ، عن طريق المعرفة الذاتية ، والبداية هي تعرف الانسان على وجوده الفردى ، المتميز فى هذا العالم ، المليء بالمفارقات والتناقضات .

٢ ــ وهى لا تهتم اطلاقا بما وراء الطبيعة ، حيث أن العالم من وجهة نظرها متطور متغير ، والحياة الجديرة بالاعتبار ، هى تلك الحياة التى يقوم فيها باتخاذ القرارات المتصلة بها ، كما أن « العالم الوجودى ليس

(١) انظر د. هانى عبد الرحمن صالح : فلسفة التربية (مرجع سابق) ، ص ١٣٧ ، وانظر د. حسين سليمان قورة (المرجع السابق) ، ص ٢٢١ ، وانظر د. زكريا ابراهيم : مشكلة الفلسفة .

(٢) د. هانى عبد الرحمن صالح (مرجع سابق) ، ص ١٤١ .

مؤلفـا من موضوعات مادية ، مستقلة عن المعرفة ، ولكن المعرفة نفسها هي التي تمنح العـالم الوجودي واقعيته ، وليس وراء العـالم سبب أو مبرر » (١) • ووجود الله ، يقره كيركجارد ، أما جان بول سـارتر ، فلا يعتقد بوجود اله (٢) •

٣ ـ وروح هذه الفلسفة هو الاهتمام بالانسان وتطوير واقعيته وفرديته ، على أساس أن الانسان سوف يموت ، ولابد من اعداده لهذا الموت ، ولكنها لا تضع الملامح في هذا الاعداد ، بل انها فقط ـ تظهر خيبة أملها فيما فعـل الانسان بنفسه ، ولذلك تنادى بضرورة اقـلاع الانسان عن الاتجاه الذى يسير فيه ، والذى يتميز بالرغبة فى الحصول على القبول الاجتمـاعى ، وألا يصبح الانسان « مجرد حيوان مسير ، حسب قوى خارجة عن نفسـه » (٣) • فالانسـان حسب هذه الفلسفة « ليس هو ماضيه ، ولا حاضره ، وانما الانسان بالحرى ، هو ما يمكن أن يحققه من بين ما لم يحققـه • اننى انسان ، ولست شيئا من أشياء الطبيعة • انى موجود من أجل ذاتى ، ولست موجودا فى ذاتى ، فالانسان موجود من أجل ذاته ، موجود متطور متغير ، ووجوده زمانى ، قوامه النزوع المستمر نحو المستقبل (الاتجاه الى) ، فى تنصـل دائب من المـاضى ، وتخط ومجاوزة متواصلة للحاضر » (٤) •

والانسـان فى الوجـودية ، غير قابل للتعريف والتحـديد ، لأن « اللاتحديد يفيد الحرية والتطور ، سعيا الى هذا التحديد » (٥) ، ولأن الواقع الانسانى « ليس شيئا معطى ، انه فى حالة سؤال ، والانسـان عبارة عن امكانية ، ولديه القـدرة على أن يكون ، فوجوده كامن فى

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٤٤ •
(٢) د• حسين سليمان قورة (مرجع سابق) ، ص ٢٢٣ •
(٣) د• هانى عبد الرحمن صالح (مرجع سابق) ، ص ١٤٥ •
(٤) د• صلاح مخيمر : نحو نظرية فردية فى التربية ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٦٨ ، ص ٣٤ •
(٥) المرجع السابق ، ص ٣٥ •

اختيازه من بين الامكانيات المعروضة أمامه ، وحيث أن اختياره لا يمكن أن يكون نهائيا للأبد ، فوجود غير محدد » (١) • وعلى الانسان ازاء تلك الحرية المطلقة ، أن يتحمل المسئولية والالتزام ، بمعنى أن يتحمل مسئولية نجاحه أو فشله ، فى أى عمل من الأعمال •

٤ ـ واذا كان الانسان غير خاضع ، ولا يقبل الخضوع لأية أشياء خارجة عن ذاته ، فان القيم أيضا طبقا لهذه الفلسفة ـ ورغم اهتمامها بها ـ لا تنبع الا من داخل الانسان ، وهى تحيا وتعيش فى داخله ، « فالخير أو الشر ، يتوقف على اعتقاد الفرد فى رغبته فى شىء من الأشياء » (٢) حيث « يتعرف الانسان على قيمة ما ، من خلال تعرفه عليها ، أثناء ممارسته لحريتـه • حريتى هى أسـاس القيم ••• لا شىء آخر ، لا شىء على على الاطلاق ، يدفعنى الى اعتناقى لأية قيم » (٣) •

الانعكاسات التربوية للوجودية :

١ ـ تهتم هـذه الفلسفة بالفرد ، مما يقتضى قيام النظام التربوى ـ فى ظلهـا ـ على التنوع والاختلاف ، فى طرق التدريس ، وفى تنظيم الخبرات ، « وعلى انكار التساوى بين جميع النـاس ، فى استجاباتهم للمواقف التربوية » (٤) • وهذه الفلسفة « تعتبر الفرد فى حالة توتر ، طوال حياته ، وهو فى هذا ، يعرف أنه فقط ، من خلال تفاعله الذاتى مع الحياة ، يستطيع أن يخلص نفسه من الدمار » (٥) •

٢ ـ وهذه الفلسفة تؤمن بالعلم وتشجعه ، حيث أن كل شىء خاضع

(1) H. J. Blackham : Six Existentialist Thinkers; N. Y. ,Harper and Row, 1959 ,P. 88.

(٢) د• هانى عبد الرحمن صالح : فلسفة التربية (مرجع سابق) ، ص ١٤٧ •

(٣) المرجع السابق ، ص ١٤٧ •

(٤) د• حسين سليمان قورة : الأصول التربوية (مرجع سابق) ، ص ٢٢٤ •

(٥) د• هانى عبد الرحمن صالح (مرجع سابق) ، ص ١٤٨ •

للمناقشة والتحليل ، ومن أجل هذا ، فان على التلاميذ « أن يقوموا باجراء التجارب ، والقيام بالاختبارات والأبحاث ، التى من شأنهـا أن تجعل الفرد يشترك اشتراكا فعليا ، فى كل موقف يقـابله ، أو مشـكلة يريد حلها » (١) ، ولذا فهى لا تقيد التلاميذ بكتب مقررة محددة فقط ، لأن فى ذلك حدا لقدراتهم على التعرف على وجهات النظر المتعددة والمتباينة .

٣ ــ وتهتم الوجودية بأقسام الدراسة التى تجعـل من الفرد طاقة كبرى ، كالموسيقى والرسـم والنحت ، والشـعر والكتابة والخطابة ، والدراما والقصة والفلسفة ، وهى تدرسها وتهتم بهـا ، على أساس أن تكون جزءا من ذات المتعلم .

٤ ــ وهى تميل الى استخدام الطريقـة السقراطية فى التدريس ، لأنها تحتوى على الاستقراء ، وعلى فهم الانسان لنفسه ، ووظيفة العلم هنا ، اثارة ميول المتعلم وذكائه ، فى سبيل تنمية ذاته الفردية .

٥ ــ أما هدف التربية ، فهو تعويد التلميذ على عادات عقلية ، وهناك ثلاث عادات عقلية ، « يجب أن يضعها المدرس نصب عينيه : النظام ، والقدرة على النقد ، والقدرة على الانتاج والخصوبة ، وهذا يعنى أن عملية التقويم لتقدم التلميذ ، تتم من خلال شعوره بالنظام ، وقدرته على تنظيم الأفكار » (٢) .

هـذه هى أهم ملامح الفلسفة الوجودية ، وانعكاساتها التربوية ، وقـد ظهرت كنداء للحرية الفردية ، مقـابلة لمـا تنادى به الفلسفات الأخرى ، التى تهتم بالمجتمع ، وتتغاضى عن الفردية .

وبينما نجد الوجودية كذلك ، فاننا نجد فلسفة القرآن التربوية ،

---

(1) Karl Jaspers : The Rarenial Scope of Philosophy; N. Y, Philosophical Library, Inc., 1958, p. 68.

(٢) د. هانى عبد الرحمن صالح (مرجع سابق) ، ص ١٥٤ .

قد حلت هذه المشكلة حلا جذريا ، حيث وقفت بين الفردية والاجتماعية بطريقة متفردة ، بحيث لا تطغى الفردية ، ولا تنزوى تحت طغيان المجتمع .

واذا كانت الوجودية قد شغلت نفسها وانشغلت بقضية الموت ، وقضية التناقض الداخلى ، فانها لم تحل القضية ، ولم تصل الى علاج ناجع للمشكلتين ، وقد أثر هذا بدوره فى التربية الوجودية تأثيرا بالغا ، اذ هى ما زالت تتأرجح بين القبول والرفض ، من الفلاسفة والمفكرين الوجوديين .

أما الاسلام ، فقد « جاء كنصر ساحق للانسان على آلامه ، وكثورة نفسية عظمى ، حققت له توحده الذاتى ، وشيدت أمامه أروع أمل ، فى الخلود المطلق فى النعيم » ، ولذا فان الموت فى حياة الانسان المسلم ، له هدفه وغايته ووظيفته ، وعليه فان موقف القرآن « يتسم دائما بالمعالجه المتوازنة فكريا ونفسيا ، دونما طغيان لقيمة على قيمة ، أو تراجع لقيمة أمام أخرى . ذلك أنه جاء للانسان ، والانسان فطرته الأصلية (متوازنة) » (١) . ولهذا نجد الانسان المسلم ، « هذا الفرد الفانى ، يملك فى لحظة ، أن يتصل بقوة الأزل والأبد ، أن يمتد طولا وعرضا فى ذلك الكون الهائل ، يملك أن يصنع أشياء كثيرة ، وأن ينشىء أحداثا ضخمة ، وأن يؤثر فى كل شىء ، ويتأثر ، يملك أن يحس الوجود فى الماضى ، والاستقرار فى الحاضر ، والامتداد فى الآتى ... وانه لقادر اذن ، على مواجهة الحياة والأحداث والأشياء ، بمثل قوتها وأقوى »(٢) . وهو لا يستعين بنفسه فقط ، بل بقوة أعلى ، هى قوة الله ، التى تعينه أبدا .

وهذا معناه أن فلسفة التربية الاسلامية القرآنية ، تسعى الى ما يريد الاسلام تحقيقه ، فى الفرد المسلم ، وهى تهتم بالفرد المسلم ، الذى يؤمن بالعلم ويشجعه ، الا أنه قبل كل شىء ، انسان عابد صالح .

---

(١) د. عماد الدين خليل : النقد الاسلامى المعاصر (مرجع سابق) ، ص ١٦٩ .

(٢) سيد قطب : السلام العالمى فى الإسلام — دار الشروق — بيروت : ص ٥ .

ومن ثم تختلف فلسفة التربية القرآنية مع الوجودية ، فى الهدف ، اذ هى تتفق معها فى أهميـــة الفرد الانســـان ، وضرورة تحقيق ذاته ، وتتفق معها فى أهمية العلم وضرورته لتنمية المجتمع ، فلا شىء لا يخضع للنظرة العلمية ، فيمـــا هو فى مقدور حس الانسان أن يدركه ، ولكن الاختلاف يكمن فى النظرة للانسان ، اذ تنظر فلسفة التربية القرآنية الى الانسان من منظور كلى ، بخلاف الوجودية ، التى تنظر اليه نظرة جزئية ، ومن ثم اختلفت الأهداف التى تسعى كل من التربية القرآنية ، والتربية الوجودية ، الى تحقيقها .

فاذا كان الانسان فى القرآن انسانا ذا رسالة ، أو بمعنى آخر كائنا مكلفا ، فانه فى الوجودية ، لا تعريف له ، ولاشكل ـ وانما هو عبارة عن مجموعة امكانيات ، يجب أن تستغل ، وقـــد أدى هـــذا الى اخفاق الوجودية فى الواقع ، نظرا لنظرتها الجزئيـــة والمتطرفة للأمور ، وبنفس القدر فشل النظام التعليمى لها ، لأنه خرج انسانا ، لا يحس الا بالضياع والقلق والألم (١) .

ثانيا : الفلسفة الواقعية Realism

تنبع الفلسفة الواقعية ، من نظرة تقوم على أســـاس أن الحقـــائق مصـــدرها الواقع ، أى هـــذا العالم الذى نعيش فيه ، من خلال تفاعل الأفراد مع هذا العالم ، فى الخبرات اليومية . ورغم اختلاف المدارس والاتجاهات داخل هذه الفلسفة (٢) ، الا أنه سوف يتم عرض المبادىء التى تؤمن بها هذه الفلسفة ، على وجه العموم .

وتعتمد الواقعية ، على مبدأ الايمان « بالحقـــائق الخالدة الثابتة ،

---

(١) انظر اقبال شلبى : فلســـفة الايمـــان ـ دار النشر العربى ـ القاهرة ـ ١٩٦٩ ، ص ٤٦ وما بعدها . وأنظر : عماد الدين خليل (مرجع سابق) ، ص ١٧٥ .

(٢) انظر : د. حسين سليمان قورة : الأصـــول التربوية (مرجع سابق) ، ص ١٧٨ .

التى لا تقبل التغيير أو التبديل ، مهما اختلفت الظروف » (١) ، حيث أن هـذه الحقـائق موجودة فى العـالم ، ولا تختلف باختلاف الزمان أو المكان ، ويمكن أن يتوصل اليها الأفراد ، باتباع الطرق العلمية ، وعلى أساس « أن العالم فعلا يظهر لنا ، وأن الأشياء هى فعلا كما نراها » (٢) . ومن خلال التجربة ، يمكن أن « نتعرف على بعض هذه القوانين التى تحكم سير العالم ، وهـذه القوانين ثابتة ونهائية » (٣) ، وهى ذات الحقائق التى ينبغى للواقعى الوصول اليها ، ومن خلال هذه الحقيقة تنظر الواقعية الى بقية الجوانب .

المبادىء التى تقوم عليها الواقعية :

١ ـ تختلف اتجاهات الواقعية فى النظر الى الانسان ، الا أنها تكاد تتفق فى أنها صبغت العقل ، بنفس الثبات والنهائية ، التى وصفت بهـا العالم الواقعى (٤) . والانسان يمكنه أن يصل الى الحقائق النهائية ، المطلقة ، ويمكنه أن يعلم الآخرين هـذه الحقـائق ، وترتكز الفلسفة الواقعية فى هـذا ، على أن جوهر الطبيعة الانسانية ، يتمثل فى خاصتى النطق والتفكير ، ومن ثم فان الانسـان يمكنه استخدام تفكيره ، فى الوصول الى الحقائق ، وفى معرفة العالم الذى يعيش فيه ، حيث يشتمل الكون على العنـاصر الجوهرية ، التى لا تختلف باختلاف الأشخاص أو المكان أو الزمان ، ويشتمل الكون على العنـاصر العرضية المتغيرة ، التى تختلف باختلاف الناس ، وعن طريق التفكير ، يمكن أن يفهم ويعرف هذا العالم (٥) .

---

(١) منير المرسى سرحان : فى اجتماعيات التربية (مرجع سابق) ، ص ٤٥ .

(2) J. Donald Buttern : Four Philosophies and Their Practice in Education and Religion, N. Y. ,Harper and Brorhers, 1957, p. 316.

(٣) د. هانى عبد الرحمن صالح (مرجع سابق) ، ص ٥١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٥٢ .

(٥) د. حسين سليمان قورة (مرجع سابق) ، ص ١٨٣ .

٢ ـ وتنظر الى المجتمع على أساس ثلاثة مبادىء رئيسية هى :

(ا) وجود عالم واقعى موجود ثابت ، لا دور للانسان فى بنائه أو صنعه •

(ب) أن وجود هذا العالم، يمكن للانسان أن يعرفه بواسطة العقل•

(جـ) وتلك المعرفة هى مرشد لسلوكه سواء فى ذلك سلوكه الفردى، وسلوكه الاجتماعى (١) •

فالمجتمع اذن يسير على قوانين ثابتة ، وفى مقدور الانسان أن يكتشف هذه القوانين ، ويكيف سلوكه معها ، وبالتالى يتكيف الأفراد مع المجتمع الذى يعيشون فيه ، حتى لا تصبح الحياة الاجتماعية صعبة للغاية •

٣ ـ ايمان الواقعية بأزلية الحقائق وثباتها ، فليس على الانسان الا أن يكتشف القيم الموجودة ، بمعنى « أن الانسان يمكن أن يكون موضوعيا ، فى تصوره وسلوكه » (٢) ، لأن القيم « تنشأ وتتولد فى العادات والتقاليد ، اما بالضغط الاجتماعى ، أو بالدفع الذاتى ، بناء على قوة نتائجها الطبيعية » (٣) •

ومعنى هذا أن الانسان يجب أن يتبع الأخلاق الموروثة ، التى انحدرت اليه ، عن طريق التراث الاجتماعى ، « وليس الضمير الا صدى للعادات والتقاليد والقيم الاجتماعية ، لا للأوامر الالهية » (٤) ـ وان كان البعض يقول بأنه صدى للأوامر الالهية •

الانعكاسات التربوية للواقعية :

١ ـ هدف التربية الواقعية ، هو التكيف حسب البيئة ، ليتقبل

---

(1) John Wild : Introduction to Realistic Philosophy, N. Y., Harper and Brothers, 1948, p. 6.

(٢) د. هانى عبد الرحمن صالح (مرجع سابق) ، ص ٥٥ .

(٣) د. حسين سليمان قورة (مرجع سابق) ، ص ١٨١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٨١ .

الانسان « حظه المكتوب فى هذه الحياة ، فما التربية الا مساعدة الانسان، ليتكيف مع بيئته » (١) . ولكى يتم هذا ، لابد من التكيف مع الواقع الذى يعيش فيه ، ودور التربية ، هو تسهيل هذا التكيف .

٢ ـ وطرق التدريس فى التربيـة الواقعية ، تخضـع لمبدأ المثير والاستجابة ، حيث يحـدد الواقعى أهدافه التربوية بالمثيرات ، ويعتبر الواقع أهم مادة للدراسة ، وتعتمد الطريقة على التكرار والتدعيم ، وذلك لأن المنهج يتكون من تلك الحقائق ، التى اكتشف العلماء أنها حقائق ، من هذا العالم الذى يعيش فيه الانسان ، وليس لها علاقة بعالم آخر ، وأن مكونات المنهج متى وضعت واكتشفت ، فانهـا ثابتـة ، وتغيرها بطىء (٢) .

٣ ـ تهتم التربية الواقعية بالتربية العقلية ، على أساس أنهـا غاية فى حـد ذاتهـا ، ووسيلة لادراك كل شىء وتعليله ، عن طريق التدريب الصحيح على التفكير ، ولذلك كان الاهتمام بالدراسات الأساسية ، ذات الصلة بالنواحى العقلية والمنطقية الانسانية ، وتتسم المـادة الدراسـية فى جوهرها ، بأنهـا وصفية ومنطقية التنظيم ، وذلك لكى تكون مطابقة للتنظيم الجوهرى للمادة الكونية ، وعلى المدرسين أن يبدعوا فى تدريسهم بالواقع المحسوس ، وينتقلوا منه الى المـادة المجردة (٣) .

٤ ـ والتربية غير النظامية مكانها محدود فى هذه الفلسفة ، وهى خاضعة لمـا تخضع له التربية النظامية ، من تخطيط لهـا ، من الجهات العليا فى المدرسة ، وبالتالى ، فانها وان اهتمت بالفروق الفردية ، الا أن اهتمامها الأساسى، ينصب حول المعرفة ، فكل اهتمام التربية الواقعية، هو « ملء عقول الطلاب ، بالقوانين والحقائق ، المكتشفة فى هذا العالم » (٤).

---

(١) د. هانى عبد الرحمن صالح (مرجع سابق) ، ص ٥٦ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٦٣ .
(٣) منير المرسى سرحان (مرجع سابق) ، ص ٤٨ ، ٤٩ .
(٤) د. هانى عبد الرحمن صالح (مرجع سابق) ، ص ٦٥

٥ ـ والمدرس الواقعي لابد وأن يكون ضليعـا فى مادته ، التى يقوم بتدريسها ، حيث أن وظيفته تتركز فى أن ينقل الى المتعلمين، « باصرار وجبر ، ما يراه صحيحا ، وتعترف الأغلبية بأنه حقائق حياتية » (١) •

٦ ـ وايمان المدرسة الواقعية بالتغيير محدود ، وهو يسير فى اتجاه واحد ، فالتغيير يتم على أساس اكتشاف حقائق وقوانين جديدة ، مكملة للحقائق والقوانين السابقة ، وغير مخالفة لها (٢) •

بين الواقعية وفلسفة التربية القرآنية :

اذا كانت الواقعية تؤمن بأن الانسان عن طريق فكره ، يصل الى الحقائق ، ويصل الى معرفة العالم الذى يعيش فيه ، فان هـذا فيه من الخطورة ما فيه ، اذ هناك من الحقائق ، ما لا يمكن للعقل أن يصـل اليها ، عن طريق أدواته المعروفة ، وهذا ماتلافته فلسفة القرآن التربوية ، حيث نجد فيها ايمانا بعقل الانسان ، فيما يستطيع أن يحسه ، أما ما عدا ذلك ، فالأمر فيه لشىء آخر هو الوحى ، الذى يهدى عقل الانسان الى الحقائق ، التى تستعصى عليه (٣) •

وتؤمن الواقعية بمبدأ المثير والاستجابة الحسيين ، على أساس أنهما طريق التعلم ، وتؤمن الفلسفة القرآنية التربوية بهذا ، الا أنها لا تقتصر على المثير والاستجابة المـاديين فقط ، بل انها تؤمن بهما ، على أساس أنهما مادة ومعنى (٤) •

وهدف الأهداف فى الواقعية ، هـو التكيف مع البيئة المـادية ، والواقعية الاجتماعية ، وهـذا يعتبر من أهم المثالب التى تؤخـذ على الواقعية ، ذلك أن التربية القرآنية انما تقيم الواقع ، وتدرسـه دراسة

---

(١) د. حسين سليمان قورة (مرجع سابق) ، ص ١٩١ .
(٢) د . هانى عبد الرحمن صالح (مرجع سابق) ، ص ٦٥ ، ٦٦ .
(٣) ارجع الى ص ٨٥ من الرسالة .
(٤) ارجع الى ص ١٩٦ ، ١٩٧ من الرسالة .

واقعية ، فى سبيل تعديله وتطويره ، لا أن يتكيف المتعلمون تكيفا ، مع أن واقع اجتماعى قائم .

واذا كانت التربية غير النظامية ، مكانها محدود فى الواقعية ، فان التربية غير النظامية لها مكانها البرز المسئول ، فى فلسفة القرآن التربوية ، اذ أن لهذه دورها ومكانها فى تربية الانسان المسلم ، فالأسرة ومؤسسات المجتمع ، والأفراد ، ذوو أدوار تربوية ، بالقدوة ونشر العلم .

ونظرة الواقعية الى المعلم ، تتخلص فى أنه الخبير ، والضليع فى مادته ، التى يقوم بدراستها وتدريسها ، حيث تتلخص وظيفته فى نقل المتعلمين (باصرار وجبر) ، الى ما يراه هو صحيحا ، أما فى الفلسفة القرآنية ، فان المعلم قدوة سلوكية أولا ، يترجم العلم الى عمل ، وهذا هو سر الأثر الذى أحدثه محمد صلى الله عليه وسلم ، فى نفوس أصحابه .

وهكذا يمكن القول ، بأن الفلسفة التربوية القرآنية ، تحتوى على واقعية ، ولكنها رائعة ، متزنة ، وتتفوق عليها فى أمور ، تتفق تماما مع الاسلام وفلسفته ، التى تهدف الى تكوين انسان عابد ، ومن هذا الهدف ، تنطلق جميع الاجراءات التربوية ، التى تشكل هذا الانسان .

ثالثا : الفلسفة البراجماسية Pragmatism

ظهرت الفلسفة البراجماسية (النفعية) فى القرن العشرين ، وان امتدت أصولها الى العصور الأولى من الفلسفة ، وقد نسبت الى الولايات المتحدة الأمريكية ، لأنها تحمل سمة الحياة الأمريكية ، وتمثل روح الأمريكيين ، أصدق تمثيل (١) . « ويمكن وضع تعريف للاتجاه البراجماسى ، على أنه « تحويل النظر ، بعيدا عن الأشياء الأولية ، والمبادىء والقوانين والحتميات المسلم بها ، وتوجيه النظر نحو الأشياء

---

(١) د. حسين قورة : الأصول التربوية (مرجع سابق) ، ص ١٩٤ ، ١٩٥ .

الأخيرة : الثمرات ، النتائج ، الآثار » (١) .

وينادى المذهب البراجماسى ، « بأن قيمة أى مبدأ أو عقيدة فلسفية ، يجب أن تعتمد على الأثر العملى لها ، وعلى هذا الأساس ، يجعل النفعيون النشاط العملى فى المرتبة الأولى ، والنشاط الفكرى فى المرتبة الثانية » (٢) . ويرى جون ديوى ، « أن الفلسفة يجب أن تسمى باسم المشاكل التى تبحث فيها . ان تلك المشاكل نشأت فى صعوبة الحياة الاجتماعية ، فهناك مشاكل العقل والمادة والجسم والروح ، والانسان والطبيعة الفيزيائية ، والفروق الاجتماعية والفطرية ، أو المعرفة والتطبيق ، أو العمل » (٣) .

ويؤمن الفيلسوف النفعى بمجموعة من المبادىء ، هى أساس هذه الفلسفة ، ويمكن تلخيصها فيما يلى :

١ - أن مقياس الحق ، هو التجربة النافعة ، لأكبر عدد ممكن من الناس : فليس هناك فى هذه الفلسفة حق أزلى ثابت ، وانما الحق هو ما يثبت نفعه للناس ، وهى لا تؤمن بوجود مثل عليا ، أو قيم روحية ثابتة ، قبل وجود الانسان ، وترى أن مقياس الحق هو التجربة النافعة لأكبر عدد ممكن من الناس ، ولأطول فترة زمنية ، ولذلك يتساوى عند النفعيين ، أن الشىء نافع لأنه حق ، أو أنه حق ، لأنه نافع ، وذلك صحيح من وجهة نظرهم ، لأن هناك فكرة تحققت وأمكن اثباتها ، فالحق ليس له وجود قبل اثبات فكرته ، فى تجربة تعطى نتيجة نافعة ، والحق على هذا النحو متغير ، بتغير الحياة وتطورها (٤) .

---

(١) وليم جيمس : البراجماتية (ترجمة محمد علي العريان) - مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر - القاهرة - ١٩٦٥ ، ص ٢٠ .

(٢) منير المرسى سرحان (مرجع سابق) ، ص ٥٣ .

(3) John Dewy : Democracy and Education; N. Y., Macmillan Co., 1957, p. 378.

(4) Thomas Brigs : Pragmatism and Pedagogy ,N. Y., Macmillan Co. ,1940, pp. 5-60.

٢ ـ استخدام التجربة للوصول الى الحقيقة : بمعنى أن الانسان، « هو الذى يصنع مثله بنفسه ، ويبنى الحقيقة لنفســه ، لأنه هو الذى يجرب ، ويبحث ، ومن ثنـايا التجـريب والبحث ، تبرز المثـل والقيم والحقائق ، التى تنفعه فى حياته » (١) . ولذلك فهى تستخدم « المنهج العلمى ، للخروج من الفكر المجرد ، الى دنيا العمل ، أو الوصــول الى الحقيقة ، عن طريق الاستنباط والاستقراء » . و « المعرفة تستمد صفتها من العمل ، وفى العمل ، وهى قبل ذلك ، تكون مجرد معلومات ، ولا تصبح معرفة ، الا بعد الحكم عليها ، فى ضوء الخبرة المتصلة بطبيعة المشكلة » (٢) .

٣ ـ أن كل شىء فى تغير مستمر : اذ من المستحيل على الانسان ، أن يصل الى حقيقة ثابتة ، لا تتغير فى حدود العالم ، الذى يعيش فيه . هذا بالاضافة الى عدم وجود أى دليل على وجود مثل هــذه الحقائق الثابتة ، فكل شىء فى هــذا العالم ، فى حالة تغير مستمر . لا شىء يبقى ثابتا ، والعـالم فى حالة توسع واتساع ، ومن الظاهر أنه فى حالة خلق مستمرة (٣) ، « اذ أن أى تغير وجودى ، هو يعتبر من ماض الى حاضر ، يمتد فيشكل مستقبلا ، بالنسبة لمـاضيه » (٤) .

٤ ـ النمو عن طريق الخبرة : النمــو « هــو الخصيصة المميزة للحياة ـ فالتربية والنمو صنوان ، وليس للنمو غاية تتجاوزه ، أو تعلو عليه ، فغاية النمو ، هو النمو ذاته » (٥) ، وبالتالى ، فان رغبات التلاميذ واهتمـاماتهم وميولهم ، هى محـور الاهتمـام ، فى التربيـة النفعية (البراجماسية) ، ولذلك فان هــذه الفلسفة ، تهتم بالطريقة ، أكثر من

---

(١) د . حسين سلمان قورة (مرجع سابق) ، ص ٢٠٠ .
(٢) منير المرسى سرحان (مرجع سابق) ، ص ٥٤ .
(٣) د . هانى عبد الرحمن صالح (مرجع سابق) ، ص ٧٥ .
(٤) رالف ب . وين : قاموس جون ديوى للتـربية « مختارات من مؤلفاته » ـ (ترجمة وتقديم د. محمد على العريان ، تصـدير د. عبد العزيز سلامة) ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٦٤ ، ص ٦٧ .
(٥) المرجع السابق ، ص ٢٢٠ .

اهتمامها بالهدف ، فالهدف أو القيمة فى النمو ، تكون فى الخبرة المكتسبة من الموقف التعليمى ، حيث تساعد الخبرة على نمو التلاميذ ، والنمو هنا يعتبر هو الهدف الأعلى من التربية .

٥ ــ الديموقراطية واكتساب الخبرة : تعنى الديموقراطية « تحرير الذكاء تلقاء الفعالية والاستقلالية ، وتحرير العقــل كمركز مفرد ، لكى يؤدى وظيفته ... وهى تحمل فى طياتها احتراما متزايدا للفرد كفرد ، وفرصة أعظم للحرية والاستقلال ، والأخذ بزمام المبادأة ، فى تسيير دفة التفكير . ويزامل ذلك على طول الخط ، اقتضــاء الاعتبار الأخوى ، وتحمل المسئوليات الطوعية ، بالانبعاث الذاتى »[1] .

فكما أن النفعية (البرجماسية) تؤمن بالخبرة ، فانهــا « تؤمن بالمشاركة فى الخبرة ، حيث تتبلور الديموقراطية ، التى تعنى قبــل كل شىء ، نظاما وأســلوبا من الحيــاة المشتركة ، ومن الخبرة المشتركة ، بالاتحــاد والاشتراك والتفــاهم المشــترك »[2] . ذلك أنه فى الجــو الديموقراطى ، « يتبادل الأفراد بخبراتهم ، المتصلة بالحياة ، ومن مواقفها، وبمشاكلهــا ، على نحــو يستفيدون فيــه من احتكاك الأفكار والآراء والتجارب ، وهكذا تأخذ هذه المواقف شكلا أو وضعا تربويا وتعليميا ، يمكنهم من النمو ، الذى هو غاية التربية »[3] .

وفى ضوء هذه الأسس ، نرى **تصور البراجماسية للحياة** كما يلى :

١ ــ تنظر البراجماسية الى العالم ، على أنه « عالم غير ثابت ، بل فى حالة تغير وخلق مستمر ، وهــو فى ذلك خاضــع للتجــربة والبحث العلمى »[4] . وتقول هذه الفلسفة : هناك « عالم طبيعى ، فى حالة وجود

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٥ .
(٣) منير المرسى سرحان (مرجع سابق) ، ص ٥٦ .
(٤) د. هانى عبد الرحمن صالح (مرجع سابق) ، ص ٧٦ .

مستقل عن الكائن الحى ، بيد أن هذا العالم الطبيعى ، لا يشكل بيئة ، الا عندما يدخل بصفة مباشرة ، وغير مباشرة ، فى وظائف الحياة »[1] . وعلى هذا « فلا فائدة من السعى خلف واقع نهائى ثابت : وأن الخبرات العملية لبنى الانسان ، هى الواقعية الوحيدة ، الممكن معرفتهـا »[2] ، ومن ثم لا يجد نفعى « ضرورة للبحث ، عن مبدأ واحد ، يكون أساسا لتفسير الأشياء ، بل يؤمن بوجود مبادىء عديدة »[3] .

٢ ـ تنظر الفلسفة البراجماسية للانسـان ، على أسـاس أنه كل متكامل ، « وان كل فرد له طبيعته وشخصيته ، الخاصـة به ، فكل له خصائصه الفردية ، وقدراته الخاصة به ، وله وجـوده الخاص ، ضمن العنصر الانسانى العام ، وهـذه النظرة الى الانسان ، على أنه فرد من نوع ، يجعل من الفرد شيئا سليما ، يستحق العناية والنمو »[4] .

وعلى هـذا فان كل شىء يتميز بالخصيصة الانسانيـة ، يكتسب بالتعلم ، وهو ليس نظريا ، على الرغم من أنه لا يمكن اكتسابه وتعلمه ، بدون التركيبات الفطرية ، التى تميز الانسان عن غيره من الحيوانات[5] . والتفاعل الذى يتم بين الانسان وبين الكون ، يتم عن طريق الاختبار ، حيث « يستطيع الانسـان أن يتفاعل مع قوى المحيط ، ويتعامل معها ، أو يغير مجراها ، أى أن الانسان بذكائه العملى ، يستطيع أن يزيد من قوة نفسه ، ويقلل من مواطن الضعف فيها ، ويوجه حياته بعض التوجيه ، لأهداف يختارها هو ، أى أن الانسان يحقق لنفسه دورا مهمـا كاملا ، متواضعا ، فى تقدير مصيره فى الكون ، كما يحقق لنفسه شيئا من الحرية ،

---

(١) رالف ب. وين (مرجع سابق) ، ص ١٤٥ .

(2) Kenneth H. Hansen: Philosophy for American Education (Englewood Cliffs, Prentice-Hall, Inc.), 1960, p. 11.

(٣) صالح عبد العزيز : تطور النظرية التربوية (مرجع سابق) ، ص ٣٥٩ .

(٤) د. هانى عبد الرحمن صالح (مرجع سابق) ، ص ٧٧ .

(٥) رالف ب. وين (مرجع سابق) ، ص ١٣٨ .

فيتخلص من الحرية المطلقة لقـوى الطبيعـة ، ليصبح سيد نفسه الى حـد ما »(١) .

٣ ــ الحقائق المطلقة لا وجود لها ، وعلى هذا فان الحقيقة فى نظر البراجماسية ، غير مطلقة ، اذ أن الحقيقة « لفظ اشارى دال ، فهى كلمة تستعمل للدلالة ، عينا على كل شيء يموت »(٢) . وعليه فالحقائق ليست خيرا ، الا أنها أفضل « ما فى حوزتنا من المعارف المجردة المختبرة ، وأننا سنستعملها فى حل المشاكل ، التى تتطلب تطبيقها ، وأنها نتاج خبراتنا ، وتجاربنا الناجحة ، عن تفاعل الانســان الكامل ، مع بيئته ، أثناء قيامه بنشاطاته الواسعة الشاملة »(٣) .

٤ ــ المجتمع ــ من وجهة نظر البراجماسية ــ هو الذى « يحفظ التراث الانسانى وينميه ، فبدون التأثير الاجتماعى ، يكون نمو القدرات الذكائية للانسان محدودا ، فتطور اللغة ، ينبع من تفاعل الفرد مع المجتمع الذى يعيش فيــه ، ومن خلال هــذا التفاعل ، يشتق الانسان قيمــه ومثله »(٤) .

والمجتمع مجتمع ديناميكى مفتوح ، وهى « تتخذ من الحاجة الماسة والضرورة القصوى ، لاعداد الشباب لفهم الثقافة التى يولدون فيها ، نقطة لبداية أبحاثهــا ، وهى ترى أنه لا حاجة مطلقا لأن نلجأ للمجردات والمعنويات ، أو لمصادر المعرفة غير التجريبية ... وتذهب أيضا الى أنه فى امكاننا أن نواجــه التغيير المستمر فى التقاليد وفى الثقافة ، دون أن نحاول الخروج عن طبيعتنا ، للبحث عن معايير جديدة »(٥) . وهى فى هذا تضع ثقتها فى القــدرة الانسانية « على المساهمة الفعالة ، فى بنــاء

---

(١) محمد فاضل الجمالى : تربية الانسان الجديد ــ الشركة التونسية للتوزيع ــ ١٩٦٧ ، ص ٢٠٤ .

(٢) رالف ب. وين (مرجع سابق) ، ص ٩٣ .

(٣) د. هانى صالح (مرجع سابق) ، ص ٧٨ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٧٩ .

(٥) د. صالح عبد العزيز (مرجع سابق) ، ص ٣٦٤ .

وتطوير المجتمع ، وحل المشاكل الاجتماعية ، كما أن هناك تفاعلا اجتماعيا حرا ، وتبادلا كاملا للأفكار ، بحيث لا تخمد الآراء الجديدة ، ويسمح لها بالتنافس مع الآراء السائدة في المجتمع »[١] .

٥ ــ لا تؤمن البراجماسية بوجود قوانين أخلاقية مطلقة ، فلا « توجد قيمة ، الا اذا كان هناك اشباع وحظوة ، ولكن لابد من الوفاء بشروط معينة ، لتحويل الاشباع أو الحظوة الى قيمة »[٢] . فالعملى لا يتبع الأشياء لذاتها ، ولكنه يتبعها ، لأنها نافعة ، تسد حاجاته ، فهو لا يعنى بالعلم لذاته ، ولا بالجمال لذاته ، ولا بالأخلاق لذاتها ، بل يعنى بها جميعا لمنفعتها ، وهو لا يعتقد في الله لذات الله ، ولكنه يؤمن به ، لأن هذا أجلب للراحة والنفع له »[٣] .

فالشيء القيم هو ما له قيمة وهدف ، وبدون ذلك ، لا يكون له معنى .

الانعكاسات التربوية للبراجماسية :

١ ــ ترى البراجماسية أن الفلسفة ، « هى صياغة الأفكار التى قامت عليها تجربة تربوية ناجحة »[٤] . ذلك أن التربية ، هى « سبيل حياة ، وليست اعدادا لحياة مقبلة » ، وهى « السبيل الأساسى للتقدم الاجتماعى ، وركيزة الاصلاح »[٥] . ومن ثم يمكن تعريف التربية بأنها « عملية مستمرة ، من اعادة بناء الخبرة ، بقصد توسيع وتعميق محتواها الاجتماعى ، في حين أنه في نفس الوقت ، يكتسب الفرد ضبطا وتحكما ، في الطرائق المتضمنة في العملية [٦] .

---

(١) د. هانى عبد الرحمن صالح (مرجع سابق) ، ص ٧٩ .
(٢) رالف ب. وين (مرجع سابق) ، ص ١٧٦ .
(٣) جيمس س روس : الأسس العامة لنظريات التربية ــ ترجمه صالح عبد العزيز ، ومحمد السيد غلاب ــ راجعه محمد على مصطفى ــ مكتبة النهضة المصرية ــ القاهرة ــ بدون تاريخ ــ ص ١١٧ .
(٤) المرجع السابق ، ص ١١٧ .
(٥) رالف ب. وين : قاموس جون ديوى (مرجع سابق) ، ص٥٦ .
(٦) المرجع السابق ، ص ٥٧ .

٢ ـ لا تضع البراجماسية أهدافا ثابتة أو محددة للتربية ، وذلك لأن « المستقبل غيب ، لا يمكن التكهن به »(١) . وعلى هذا ، فان وضع أهداف تربوية تحكم المستقبل ، أو وضع مناهج تربوية لتشكيل الأجيال المقبلة ، يعد كل هـذا « ضربا من الرجم بالغيب ، وتقريرا للشيء الذى لا دليل عليه ، ولا يقدر هـذا العمل أن ينير الطريق ، ويضع أسـاس التجريب ، لاقرار ما يصلح هدفا ومنهجا تربويا فى المستقبل »(٢) .

٣ ـ تنظر البراجماسية للانسان ككل ، وهى تؤمن بأهمية اعـداد الشباب للحياة ، وبتلك الثقافة التى يعيش فيها ، وبالتالى تتعدد مجالات التربية ، من جمـالية ، ودينية وعقلية ، وخلقية ، والأمر هنا أن هـذه الجوانب « لا تطلب لذاتها ، بل لأن وراءها نفعا ، ولذا يجب أن يحصل الشباب على معانى الأشياء بدرجة ما ، حتى ولو لم يذهبوا الى المدارس مطلقا ، ونحن ننشىء المدارس لهذا الهـدف ، فى ظروف مثالية »(٣) . فالمدرسـة « مكان يذهب اليه الأطفال ، ليكتسبوا نمطا معينا للحياة ، وعلى هذا يجب أن تختلف المناهج باختلاف المكان والزمان »(٤) ـ الى جانب مجموعة من الأهداف الأخرى ، مثل كشف قدرات التلاميذ وقيمتها، واتاحة الفرص لهم ، لتدريبهم على مواجهة الحياة .

والهدف من وراء ذلك أن يصـل التعليم الشكلى ، « الى المرحلة التى يرى فيها كل شخص أن من حقه أن يختار الفلسفة ، التى يحكم بها على التقاليد »(٥) ، حيث تعتبر البراجماسية أن الطفل خالق للمثـل فى

---

(١) د. حسن سليمان قورة : الأصول التربوية (مرجع سابق) ، ص ٢٠١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠١ .

(٣) د. صالح عبد العزيز : تطور النظرية التربوية (مرجع سابق) ، ص ٣٦٤ .

(4) Thomas H. Brigs : Pragmatism and Pèdagogy Op. Cit, p. 41.

(٥) د. صالح عبد العزيز (مرجع سابق) ، ص ٣٦٥ .

بيئته ، فمبدأ التربية ، هو الطفل ، وبيئته الطبيعية والاجتماعية والتفاعل بينهما ، هو الذي ينتج خبرته •

٤ — تهتم البراجماسية وتؤكد على ضرورة تنوع الوسائل المتاحة لتحقيق الأهداف ، حيث أن « السبيل التربوى ، هو سبيل موصول من النمو ، هادف فى كل مرحلة ، الى مزيد من القدرة المضافة الى النمو »(١)، وبالتالى فهى لا تفصل بين مادة التدريس وطريقته ، وتعتمد الطريقة على الديموقراطية ، اذ على المدرس « ألا يسلب الطفل فاعليته ، وألا يقصر نشاطه على تقبل آرائه هو ، ومتابعة أفكاره هو ، بل ينبغى أن يشركه بطريقة ديموقراطية ، فى التفكير والبحث والتمحيص ، ليصل الى الحقائق بنفسه »(٢) • ولذا فهى تشجع وتحث ، على استخدام طريقة حل المشكلة ، والأساليب العلمية ، فى التعليم •

٥ — تؤكد البراجماسية على العناية بالفروق الفردية ، واستغلال ذكاء المتعلمين ، وضرورة توفير الحرية الفردية لكل فرد ، يعمل فى مجال التربية ، ولذا فهى لا تلجأ الى استعمال العقاب البدنى ، ولا تستعمله كوسيلة فعالة فى خفض السلوك ، على أساس أن « النظام يجب أن ينبع من التلميذ نفسه ، ومن شعوره بالمسئولية الملقاة عليه ، وذلك عن طريق مشاركة التلاميذ ككل ، وتوعيتهم بأهمية النظام فى المدرسة ، ودورهم فى ذلك »(٣) • واذا نشأت بعض المشاكل ، فان المدرس عليه أن يقوم بحل هذه المشاكل ، دون الالتجاء الى الادارة ، وفى حالة المشاكل التى تستوجب العقاب ، فلابد أن يكون العقاب بناء •

٦ — والمناهج الدراسية وحدات ديناميكية هادفة ، « ومن ثم يهاجم هذا المذهب التقسيم التقليدى للمناهج ، الى علوم ومواد مختلفة ، بل

(١) رالف ب. وين (مرجع سابق) ، ص ٧٥ .
(٢) حسين سليمان قورة (مرجع سابق) ، ص ٢٠٢ .
(٣) د. هانى عبد الرحمن صالح (مرجع سابق) ، ص ١١٠ .

انه لا يرى فارقا كبيرا بين مادة وأخرى ، لأنها جميعا نواح من نشـاط انسانى ، يقصد بها حل مشاكل البيئة التى لا تنقسم ، وبدلا من أن يطالب الطفل بدراسة المواد وموضوعاتها ، منفصلا بعضها عن بعض ، يجب أن نجعل المعرفة وحدة نشاط حية ، كما هى فى الطبيعة ، وأن تكون دراستها على مشاكل حيوية ، يسعى الطفل الى حلها ، وينظر اليها من وجهة النظر النفعية »(١) •

فالمنهج الدراسى ، هو « أداة التربيـة ، التى تعـين التلميذ على مواجهة المواقف ، وحل المشكلات اليومية ، بطريقة وظيفية فعالة »(٢) • فهى لا تهدف من ورائه ، الى ملء عقول الطلاب والتلاميذ والأطفـال ، بالحقائق الثابتة المطلقة ، بل ان هدفها الرئيسى ، هو التدريب على اعادة ترتيب وتنظيم الخبرات السابقـة ، فى سبيل « تنمية العقلية الابتكارية المنتجة ، أى تنمية القدرة على التفكير الابتكارى الخلاق »(٣) •

هـذه هى أهم الانعكاسات التربوية للفلسفة البراجماسية ، وهى تشكل فكرا تربويا ، أثر فى النظم التربوية الحديثـة ، فى مختلف بلاد العالم ، بل يمكن القـول : ان نظم التربية الحديثة ، تعتمد على هـذه الفلسفة الى حـد كبير •

البراجماسية وفلسفة التربية القرآنية :

ومع هـذا فان هذه الفلسفة بما فيها من دعوة الى الديموقراطية ، وغرسها عن طريق التعليم والخبرة ، لا تكفى لتكوين وتنشئة الانسان الصالح لهـذه الحياة ، وذلك لأنه اذا كنا نريد للعالم اليوم خروجا من متناقضاته التى يعيش فيها ، فانه لابد من أساس أخلاقى متين ، «والأسس

---

(١) جيمس روس : الأسس العامة للنظريات التربوية (مرجع سابق) ، ص ١٢٠ •

(٢) د. سيد ابراهيم الجيار : دراسات فى تاريخ الفكر التربوى ــ مكتبة غريب ــ القاهرة ــ ١٩٧٧ ، ص ٢٠٧ •

(٣) منير المرسى سرحان (مرجع سابق) ، ص ٥٨ •

الأخلاقية المتينة ، لا تستقر ، ما لم تسق بماء الايمان بالله ــ الايمان الذى يجب أن يغذى الوجود كله »(١) . والخطر فى البراجماسية ، انها لاتؤمن بالله ، الا لأنه ينفع ، وكأن أمر صلة الانسان بالله ، هى صلة نفعية .

وتجعل البراجماسية كسب المعــرفة « أمرا عرضيا ، ولا تنجح فى تقديم التطبيق العملى الكافى لكسب المهــارة ، بحيث لا يصبح العمل آليا ، وعلى ذلك فهذه الطريقة لا تساعد على تنظيم المعرفة تنظيما منطقيا ، يصل بها الى شكلها النهائى المركز »(٢) . كما أنها « تعتبر قيمة كل جزء من المعرفة ، فيما يكون له من نتائج عملية ، ومع أنه قد تكون هناك نتائج كذلك ، الا أن الطريقة النفعية تتجاهلها ، ولهذا يعتبرون الفكر لا يصل الى الكمال ، الا حيث يفرغ فى قالب من العمل »(٣) .

ويجعــل المذهب النفعى (البراجماسى) ، « من الحــق والخــير والجمال ، وسائل تنتفع من ورائها ، وهــذا أمر فى منتهى الخطورة . أليس لهذه الأشياء من الميزات ، ما يجعلها مستقلة قائمة بذاتها ؟ »(٤) . وبمعنى آخر ، فهذه الأشياء ليست مطلقة ولا ثابتة فى نظر البراجماسية ، فى حين أن هناك قيما ثابتة لا تتغير ، كالعقائد الدينية الثابتة ، التى لاتقبل من الناس جدالا ، بل يضحى الناس من أجلها كثيرا ، وليس ذلك لمــا تأتى به من نفع للانســان ، بل لأنها معتقد لا يقبل الشــك ، حيث أن « التفسير الدينى للحياة ، قد أقام الحياة الانسانية على أساس متين من تنظيم الحقائق ، بحيث جعل الانسانية خالدة ، وارتفع بها عن الحيــاة المــادية الخارجية ، وخلق فيها حياة التأمل الداخلى النفسى »(٥) .

---

(١) د. محمد فاضل الجمالى : تربية الانســان الجــديد (مرجع سابق) ، ص ٢٤٦ .

(٢) صالح عبد العزيز : تطــور النظرية التربوية (مرجع سابق) ، ص ٣٧٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٧٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٧٤ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٣٧٥ .

ولعل من الواضح ، أن فلسفة التربية القرآنية لا تهمل هذه الأمور ، بل انها تجعل هذه الأشياء أهدافا فى حد ذاتها ، وأهدافا لما توصل اليه الانسان من خير ، وذلك لأن رسالتها فى لبها ، رسالة أخلاقية (١) .

وتركز البراجماسية على الحاضر ، وهى فى هذا لا تهمل المستقبل فقط ، بل انها لا تعطيه مركزه وأهميته ، بسبب تركيزها بشدة ، على صعوبة تطبيق هذا المذهب فى واقع الحياة ، حيث لا يصلح للتطبيق الا فى « عصر يسوده التحرر المطلق Laissez-faire ، وهى ليست جديرة بالتطبيق فى مثل الآونة الحاضرة ، التى تحكمها ظروف بركانية ثورية ، أنتجتها الحروب العالمية ... »(٢) . وعلى الأقل فان طريقة المشروعات ، التى تنادى بها التربية البراجماسية ، لا يمكن تطبيقها تطبيقا واسعا .

ولكن التربية القرآنية ، تركز على الانسان فى واقعيته ، وفى جميع أبعاده : الماضية والحاضرة والمستقبلة ، ويمكن تطبيق هذه الفلسفة فى أى وقت ، لأن فيها من عناصر البقاء والحركة ، ما يمكن لها أن تطبق تطبيقا فعالا ، لأنها تتعامل مع الانسان فى كل حالاته ، بفطرته الأصيلة ، وفى توازن عميق .

والبراجماسية لا تفترض أهدافا مبدئية أو مسبقة ، بل تنبع الأهداف فيها من العمل ذاته ، طبقا لرغبات المتعلم ، وتبعا لظروف المجتمع ، وعلى هذا الأساس ، لا تتقيد التربية بأهداف معينة ، معدة مسبقا .

يقول جون ديوى فيلسوف البراجماسية التربوى : ان المحاولة التى ترمى الى تقرير هدف واحد للتربية ، انما هى محاولة عقيمة ، ونحن

---

(١) انظر الفصل الاول من الرسالة ، والفصل الثانى (التربية الاخلاقية) .

(٢) د. حسين سليمان قورة (مرجع سابق) ، ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

تستطيع اصطناع عدة أهداف عامة ، يتفق بعضها مع بعض » اذ هى ليست الا وجودا مستقبليا فرضيا ، يقوم على الاحاطة بالظروف الراهنة ، وتقدير احتمالاتها »(١)•ومعنى هذا ، أن البراجماسية لا تؤمن باهداف مطلقة ، ولا تقر أى هدف يفرض على التربية من الخارج ، وكل هذا بخلاف التربية القرآنية ، التى تنص على أهداف مطلقة ونهائية ، دونها أهداف كثيرة ، وكلها أهداف فى طريق تنمية وبناء الانسان العابد الصالح ، وبالتالى فان عملية النمو تبعا لفلسفة التربية القرآنية ، محددة بأهداف ، يلتزم بهـا كل من يعمل فى مجال التربية ، الى جانب مراعاة رغبات الأطفال وحاجاتهم وميولهم ، وهى بهذا تحمى مستقبل الانسان من الضياع ، والغربة التى يعانى منها انسان العصر الحديث •

رابعا : الفلسفة المثالية Idealism

تدور الفلسفة المثالية حول وجود «حقائق وأفكار ثابتة،لاتتغير»(٢)، بمعنى أنها أفكار نهـائية وكونيـة(٣) • وعلى ذلك فان للحقيقة وجودا مستقلا عن وجود الانســان ، وأن الانسان قد وهب عقـلا قادرا على الاستدلال واستخراج المعانى من الكون(٤) •

وتضرب المثالية فى أعماق التاريخ ، وترجع الى أفلاطون (٤٢٧ ـ ٣٤٧ ق•م) ، الذى قـدم صورة كاملة للعـالم ، فرضت نفسـها على جميع المفكرين ، أكثر من ألفى عام (٥) • وقـد تأثرت بها المسـيحية ،

---

(١) جون ديوى : الديموقراطية والتربية (مرجع سابق) ، ص ١٦٦ •

(٢) د• هانى عبد الرحمن صالح : فلسفة التربية (مرجع سابق) ، ص ٢٣ •

(٣) د• حسين سليمان قورة : الأصول التربوية (مرجع سابق) ، ص ١٧٠ •

(٤) حنا غالب : التربية المتجددة (مرجع سابق) ، ص ٧٠ •

(٥) ألبير ريفو : الفلسفة اليونانية ، أصولهـا ونظرياتهـا (ترجمة د• عبد الحليم محمود ، وأبو بكر زكرى) ـ مكتبة دار العروبة بالقاهرة ـ ١٣٧٨ هـ ـ ١٩٥٨ م ، ص ١١٩ •

وتأثر بها وأثر فيهـا ، كل من كانت وهيجـل وغيرهما ، وسـاعدا على استمرارها . وقد تمثلت أخيرا فى ... الاشتراكية .

وتقوم هذه الفلسفة على مبدأين جوهريين متكاملين[١] هما :

١ ـ ازلية الافكار ودور العقل الانسانى :

اذ تؤمن هذه الفلسفة بوجود أفكار عامة ثابتة مطلقـة ، وهـذه وجـدت بطريقة ما ، من قبل عقل عام ، أو روح عامة ، أو قوة خارقة ، تسبق خبراتنا اليومية ، وهذه الأفكار تشـمل كل ما هو حقيقى [٢] . ووظيفة العقل ، البحث عن المعرفة والحقيقة المطلقة ، التى ينطوى عليها الكون ، حيث يمكن التعرف عليها ، عن طريق ادراك الأشياء عن طريق الحواس الانسـانية ، على اعتبار أن العقل هو الأداة القادرة ، على الحكم على مدى مطابقة الأشياء ، لأصولها الأزلية الأولى[٣] .

ولذا فالواقع ، « بما يشتمل عليه من ماديات ، يجب أن يكـون فكرا واحـدا » ، والدليل على ذلك ، أن لب « الواقع ، هو التفكير أو السبب فى وجوده ، والسبب المطلق ، فهو اذا واحد غير متعدد . ولكن على الرغم من وحدويته ، فانه يتضمن كل شىء ، متداخلا بعضه فى بعض ، متآلفا بعضه مع بعض ، وان بدت بعض العناصر الناتجة عنه ، متناقضة ومتنافرة ، وذلك لأن العالم فى جملته منسجم ، ومتسم بالنظام الدقيق ، والحكمة البالغة ، حتى فى تضارب بعض عناصره المؤلفة له »[٤] . وعلى هذا يمكن القول ، بأن الكون عملية تفكيرية عظيمة أو سببية مطلقـة ، يعجز العقل عن ادراكها ادراكا كليا .

---

(١) منير المرسى سرحان (مرجع سابق) ، ص ٤١ .

(٢) د. هانى عبد الرحمن صالح (مرجع سابق) ، ص ٢٦ .

(3) Robert Ulich : History of Educational Thought; American Book Co., 1950, p. 29.

(٤) د. حسين سليمان قورة (مرجع سابق) ، ص ١٧١ .

٢ ـ عالم الروح وعالم المادة :

ترى المثالية أن العالم الذى نعيشه ، عالم أشباح ، لا يستحق الاهتمام ، وأن الجدير بالاهتمام ، هو عالم القيم الروحية والمثل العليا ، ولذا تميز المثالية بين عالمين ، عالم الروح ، وعالم المادة،وترى أن أهم شىء فى الانسان ، هو عقله أو روحه ، التى وظيفتها المعرفة ، وأرقى أنواع المعارف ، هو المعرفة النظرية ، التى يمكن أن يصل اليها الانسان ، عن طريق التأمل والفكر ، أما النشاط العلمى ، فمرتبته أقل من مرتبة التفكير النظرى ، لأن الغايات التى يستهدفها ، غايات مادية ، ولذا يجب اخضاع النشاط الجسمى للعقل أو الروح ، وعلى العقل أو الروح أن يحاول باستمرار ، أن يقضى على رغبات الجسم ، لأن الروح تتعدى حدود هذا العالم ، وهى التى تستطيع أن تصل الى المعنى الحقيقى ، للخير والحق والجمال(١) .

وعلى أساس هذين المبدأين ، تتشكل النظرة المثالية لطبيعة العالم والانسان ، والحقيقة ، والمجتمع ، والقيم والتربية ، كما يلى :

١ ـ تفترض المثالية أن الانسان يتكون من عقل أو روح ، وجسم أو مادة ، « ولكل منهما خصائصه ووظائفه ، فالعقل قادر على الاتصال بالأفكار الثابتة الأزلية ، الموجودة فى عالم الروح ، وهو بهذا يسمو على الجسم ، ويسيطر عليه ، ويوجهه ويحد من شهواته ونزواته ، أما الجسم فهو مادة متغيرة ، ويشغل حدودا مكانية »(٢) . وترى « أن الانسان خير بطبيعته ، وأن الشر لا يدخل فى تركيبه ، وانما هو يدفع اليه ، من خلال المجتمع وتنظيماته »(٣) .

٢ ـ وتقسم المثالية المجتمع الى طبقة عاملة ، وطبقة المفكرين ،

---

(١) د. هانى عبد الرحمن صالح (مرجع سابق) ، ص ٢٧ .
(٢) منير المرسى سرحان (مرجع سابق) ، ص ٩٠ .
(٣) د. عبد الغنى النورى ، د. عبد الغنى عبود (مرجع سابق) ، ص ١٠٩ .

وتتضح هذه النظرة عند أفلاطون،حيث قسم المجتمع الى ثلاث طبقات : « الحكام ، والجنـود ، والعمال »(١) • ويتوقف نجاح المجتمـع ، على استشعار كل فرد السـعادة فى عمله ، ويهـدف من ذلك الى ايجاد مثال لمجتمع طيب - يتمثل فى المدينة الدولة ، وتتحقق فيه جميع وظائف الدولة، من اقتصاد وحكم ، وغير ذلك من الوظائف التى تحقق هدف الدولة ••

والطبقة العليا ، « الحاكمة والمفكرة ، هى المسئولة عن التوصـل الى الحقائق الثابتة ، ونشرها بين جميع الطبقات الأخرى ، لتوجيه حياتهم ونشاطاتهم ، ولا يستطيع أفراد الطبقات الأخرى ، أن يشاركوا فى تطوير المجتمع ، أو فى التعبير عن آرائهم فى مشكلاته ، لأنهم غير معدين لأن يشاركوا فى عمل القرارات »(٢) ، ولأنهم يعملون فقط ، « على خـدمة الاحتياجات الاقتصادية للمجتمع » ، أو لحماية « المدينـة الدولة ، من الداخل والخارج »(٣) •

٣ - الحقيقة النهائية موجودة فى عالم آخر ، « وهى مطلقة وعامة وشاملة »(٤) ، وهى خالدة ، لا تتغـير ، ويمكن ادراكها ، عن طـريق التفكير(٥) ، اذ أن « خلف كل مدرك فى العالم ، قطاعا من الأفكار : يفسر ما فى هذا العالم ، وما ندركه بحواسنا فى هـذا العالم ، صـور لتلك (الأفكار) أو (المثل) • والمثل كائنة وموجودة ، حتى ولو فنى هـذا العالم »(٦) • وهكذا فان فى امكان العقل أن يعرف هـذه المبـادىء

---

(١) د. سعد مرسى ، د. سعيد اسماعيل : تاريخ التربية والتعليم - عالم الكتب - ١٩٧٢ ، ص ١١٠ •

(٢) المر د. وايلدز ، كينث ث. لوتس : أصول التربية الحديثة - ج١ - ط ١ - (ترجمة د. محمد سميرحسانين) - مؤسسة سعد للطباعة - طنطا - ١٩٧٧ ، ص ١٢٥ •

(٣) د. هانى عبد الرحمن صالح (مرجع سابق) ، ص ٣١ •

(٤) د. سعد مرسى ، سعيد اسماعيل (مرجع سابق) ، ص ١١١ •

(٥) د. هانى عبد الرحمن صالح (مرجع سابق) ، ص ٢٩ •

(٦) د. سعد مرسى ، سعيد اسماعيل (مرجع سابق) ، ص ١١٢ •

والحقائق ، عن « طريق الالهام أو العقل المطلق ، دون حاجة الى التجربة »[1] .

٤ - القيم الحقة هى القيم المثالية ، ويمكن أن يتعرف عليها الانسان داخليا ، وهى التى أتت عبر العصور ، والتى توصل اليها المفكرون العظماء ، الذين « أنتجوا طائفة من المبادىء الموضوعية ، والقيم الكلية المطلقة ، للوجود الخارجى »[2] . وباستطاعة الانسان ، أن يبنى نظاما من القيم ، على أساس هذا التراث ، وبواسطة العقل ، يمكن أن يكتشف مبادىء أولية دائمة مطلقة ، للصلاح والحق والجمال ، وأخيرا تصبح هذه المبادىء ، هى التى تبنى عليها التربية .

الانعكاسات التربوية للمثالية :

١ - تركز التربية المثالية على الاهتمام بالعقل ، على أساس أنه هو الواقع الانسانى ، وهى تتفق مع النظرة الازدواجية للفلسفة المثالية ، فالباقى هو العقل أو الروح ، ولذا فالانسان « يجب أن يكون معقولا ، ولا يصدر فى أحكامه الا عن حكمة وتعقل »[3] . وعلى هذا ، فغرض التربية المثالية وهدفها هو الارتفاع المتدرج ، نحو الوصول الى اثبات المطلق ، ومحاولة الوصول بالانسان ، الى أقصى درجات الكمال الروحى ، ليكون أهلا للوصول الى الكمال المطلق ، والهدف الأعلى ، وهو السعادة للفرد ، والخير للدولة .

والغرض الاجتماعى مهم ، اذ تعمل التربية المثالية على أن « يصل الفرد الى كمال ذاته ، وذلك بأن تشتمل على قيم ومثل ، يشترك فيها الناس جميعا »[4] .

---

(١) د. هانى عبد الرحمن صالح (مرجع سابق) ، ص ٢٩ .
(٢) حنا غالب (مرجع سابق) ، ص ٦٤ .
(٣) د. حسين سليمان قورة (مرجع سابق) ، ص ١٧٦ .
(٤) المرجع السابق ، ص ١٧٧ .

٢ ــ والهدف ثابت على وجه الاطلاق ، ولذا فالمنهج ثابت ، غير قابل للتطور ، اعتمادا على أن المعرفة توصـل اليها الحكماء ، وبالتـالى يمكن نقلها من جيـل الى جيـل ، لأنها ثابتة لا تتغـير ، ولذا فان علم النفس والأخلاق والمنطق والدين والعلوم الانسانية ، تعتبر أهم مواد المنهج .

٣ ــ وطرق التدريس تتأثر بنفس النظرة ، فهناك طريقـة تدريس مثلى ، هى التى انحدرت من الحكماء ، وتناقلتها الأجيال ، وهى تقوم على أساس تدريب الملكات العقلية وترويضها ، حيث « يحصل العقل على مثل هـذه المعرفة ، من حياة سابقة له » (١) .

٤ ــ ولا تحتل التربية غير النظامية أى مركز ، لأنها لا تسـهم فى تدريب عقول التلاميذ ، أو ملئها بالحقائق ، واعتمادا على أن المتعلم يجب أن يحيط بكل ما هو خير وسام ، ولا يتاح هذا فى التربية غير النظامية . وعليه فالمدرس يتلخص دوره فى « ملء عقول التلاميذ بالحقائق والمعلومات الثابتة ، حيث يقوم بتهيئة الجو المناسب ليعلمهم ، ويجهز لهم البيئة المثلى للعيش والحياة ، ثم يأخذ بيدهم ، ويرشدهم بنظـرياته ودروسه ، الى أقصى درجات الكمال الذاتى ، فيحقق بذلك هدف التربية » (٢) .

٥ ــ وبناء على ما سبق ، فانه « يمكن قيام نظام تربوى موحد . لا يتأثر باختلاف النظم الاقتصادية والاجتماعية فى العالم » (٣) . وهى بهـذا « تفصل الفرد عن بيئته ، وترده الى ذاته ، ليتجه الى العالم الآخر ، كما تصبح مفاهيم الفرد ومبادئه الخلقيـة ، ومعايير أحكامه ، فى ميادين الحق والخير والجمال ، كلها منبثقة من داخله ، وبذلك تنفصل الذات عن البيئة الثقافية التى تعيش فيها ، وتصبح عنصرا خارجا عنها ، منذ ظهورها

---

(1) T. Brubacher : A History of the Problems of Education, N. Y., Mc Graw Hill Co. ,1947. p. 210.

(٢) د. حسين سليمان قورة (مرجع سابق) ، ص ١٧٧ .

(٣) د. محمد الهـادى عفيفى : التربيـة والتغير الثقافى (مرجع سابق) ، ص ٨٩ .

على مسرح الحياة ، وحتى اختفائه منهـا . ان عزلة الانسان عن واقع حيـاته ، يحـرم عليه الاسـتفادة من بصـيرته العقلية ، التى يمتلكها بالفعل »[1] .

المثالية وفلسفة التربية القرآنية :

تنطلق المثالية أساسا من الصدارة المطلقة للروح على المـادة ، وهى حين تطبق ، « تفضى الى تصرف تأملى ، يهمل المشكلات الزمنية ، وطبيعة الانسان الأرضية ، ويعنى أساسا بكمال الروح ونجـاتها . ولكن الزهد والعزوبة والعزلة الارادية ، لا يمكن الا أن تكون صفة لبعض الناس ، الذين لا يستطيعون حتى فى أقصى حـدود روحانيتهم ، أن ينخلعوا عن الطبيعة المـادية ، ولو فيما يتصل بالمـاء الذى يشربونه ، والهواء الذى يستنشقونه »[2] .

أما التربية القرآنية ، فهى لا تهتم بالروح فقط ، بل تنظر الى الانسان ، من وجهة نظر كلية ، ووظيفته الأساسية العبـادة ، وهى فى ذلك تربطـه بالخالق الأعظم ، حيث حددت له اطار الألوهية ، ووفرت له جسـده ، ليفكر به فى الخير ، وفى استغلال الامكانيات المتوفرة له ، فطبيعة الانسان ليست طبيعة مفكرة فقط . ان الانسان له امكانيات ذكائية بشرية عظيمة ، وعلى الانسان أن ينسى هذا الذكاء ، ولذا ربطت الفلسفه القرآنية بين الفكر والطبيعة الانسانيـة وبين الكون ، ولهـا علاقات مختلفة بعناصر الحياة ، لا تقتصر على التفكير فقط .

أما الارادة البشرية ، فلها مكانة عظمى فى حياة الانسان ، لم تهملها فلسفة القـرآن التربوية ، اذ أن محـورها هو الانسان ، وهدفها هو الانسان ــ (الانسان) بكله وتكامله ، وهى تحاول بكافة الطرق ، أن

---

(١) جون ديوى : البحث عن اليقين (ترجمة : احمد فؤاد الاهوانى) ــ عيسى البابى الحلبى وشركاه ــ القاهرة ــ ١٩٦٠ ، ص ٢٨٢ .

(٢) د. أحمد عروة (مرجع سابق) ، ص ٤٩ .

تنميه ، بحيث يصبح عبدا لله ، وسيدا لهذا الكون(١) .

ويمكن القول بأن الروح والجسد « حقيقتان واقعتان فى حياة الانسان ، أراد أم لم يرد ، وهو (بالروح) يتصل بالعقل الكونى الأعظم، و (بالجسد) يتصل بالواقع الأرضى الذى يعيشه ، ويظل (كيان) الانسان كله ، متأرجحا بين القطبين ، وقد يميل الى جانب أحدهما ، فتغلب عليه نزعة صوفية ، أو يغرق فى أعماق المادة ، أو يعيش — كما أراد الاسلام — فى حياته الدنيا ، انسانا ، الا أنه لا (يغرق) فيها ، وانما تبدد ظلمات حياته .. تلك النزعة الروحية الاشراقية ، التى تأتيه من عند الله وحده ، ولا تستقيم حياته بدونها » (٢) .

والحق أنه بينما تقوم نظرة المثالية الى التربية ، على أساس الازدواجية ، وتهدف الى جعل الانسان عاقلا معقولا ، وتسخر الأشياء فى تحقيق هدفها ، فانه يمكن القول ، بأن فلسفة القرآن التربوية ، فى نظرتها الى اعداد الانسان ، تختلف عن المثالية ، حيث أن منطلق القرآن فى النظرة الى الانسان ، هو النظرة الموحدة للانسان ، لا النظرة الازدواجية اليه .

خامسا : الفلسفة الاشتراكية Socialism

وتوجد هذه الفلسفة ، فى أجزاء كثيرة من بلاد العالم المعاصر ، رغم اختلاف تسمياتها ، فتارة يطلق عليها الاشتراكية الماركسية نسبة الى كارل ماركس ، أو الماركسية اللينينية ، « نسبة الى ماركس المصمم، ولينين المنفذ ، أو (الشيوعية) ، بوصفها تضم كل الأفكار الشيوعية السابقة ، وتبلورها ، أو الاشتراكية العلمية » (٣) .

---

(١) للمزيد من التفصيل ، ارجع الى الفصل السابق من الرسالة.

(٢) د. عبد الغنى عبود : اليوم الآخر والحياة المعاصرة (مرجع سابق) ، ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٣) د. عبد الغنى عبود : الأيديولوجيا والتربية — طبعة ثانية — دار الفكر العربى — القاهرة — ١٩٧٨ ، ص ٣٣٨ .

المبادىء التى تقوم عليها الاشتراكية :

تقوم الاشتراكية على الأسس التـالية :

١ ـ الايمان المطلق بالنظرة المـادية للأشياء ، سواء فى نظرتها الى العالم ككل ، أو نظرتها الى الانسان ، أو المجتمع .

٢ ـ الايمـان بأن الديالكتيك هو أساس التطـور ، حيث أنهـا لا تعتبر الطبيعة حالة سكون وجمـود ، بل تعتبرها حالة حركة وتغـير دائمـين ، لا ينقطعان ، ففيها دائما شىء يولد ويتطـور ، وشىء ينحـل ويضمحل ، « وبالتالى فان الديالكتيك ، ينظر الى الحوادث والأشياء ، على أساس حركتها » ، « من حيث تغيرها وتطورها ، ومن حيث ظهورها واختفـاؤها »(١) .

٣ ـ الايمان بأن العلم من ألزم ضرورات الحياة ، وخاصة تلك التى تحكمها الماديات ، حيث تعتقد الاشتراكية ، « ان كل شىء خاضع لسلطان البيئة المـادية ، وطيع لتأثيراتها ، بحيث لا يصعب قيـاده ، أو يستحيل تغيير طبيعته » (٢) .

وعلى هذا الأساس ، تتشكل نظرة الفلسفة الاشتراكية الى العالم ، اذ تنظر اليه على أساس ماديته ، وعلى أساس أن حوادث العالم المتعددة ، هى مظاهر مختلفة ، للمادة المتحركة .. وأن العالم يتطور ، طبقا لقوانين الحركة المـادية ، وهو ليس فى حاجة الى عقـل كلى(٣) . وعلى هـذا الأساس ، يمكن معرفة الأشياء بواقعية ويقين ، وطرح الشـك بعيدا ، وبالتالى فهى تنكر وجود منطق عقلى مستقل ، بعيدا عن التجربة ، وهى فى هذا حدت الطاقة البشرية ، بالميدان التجريبى .

وهى تنكر وجود الله ، وبالتالى تنكر الأديان ، أيا كان نوعها ، حيث تعتبر « المثالية باطلة ، ولكنها ليست عديمة المعنى ، لأن وجـود كائنات ، لا تنتمى الى المكان ، وغير زمنية ، كان أسطورة ، اخترعهـا

---

(١) السيد محمد باقر الصدر : فلسفتنا (مرجع سابق) ، ص٢٠٩ .
(٢) د. حسين سليمان قورة (مرجع سابق) ، ص ٢٢٧ .
(٣) السيد محمد باقر الصدر (مرجع سابق) ، ص ٢٠٢ .

رجال الدين ، للتغرير بالجماهير — أفيون الشعوب بعبـارة موجزة ، ونجحت على مر العصور »(١) .

وتنظر الاشتراكية الى الانسان ، من نفس المنطلق ، فهدف الأهداف فى الاشتراكية هو الدولة ، والأفراد يجب أن يكونوا فى خدمة الدولة ، وبالتالى يجب أن يطيعوا مبادىء الحزب الشيوعى ، وعلى من يعارض الحزب ، أن يتلقى جـزاءه ، فهى ترفع الحـزب الشيوعى الى مستوى القداسة ، وتدعو الى طاعته طاعة مطلقة ، وكل من يعارض الحزب ، فانه ينكل به فى معسكرات الاعتقال ، والمجتمع تحكمه نفس القوانين : الصراع بين الطبقات ، فى سبيل القيمة العليا ، وهى الدولة .

ولعله من الملاحظ ، الصلة الوثيقة بين المثاليـة والاشتراكية ، رغم تنصل الاشتراكية من المثالية . ولا عجب ، فأول من كتب فى الاشتراكية، أفلاطون ، الذى أثر فى هيجل — أستاذ ماركس .

الانعكاسات التربوية للاشتراكية :

١ — تحتل التربية مركزا أساسيا فى الفلسفة الاشـتراكية ، فاذا كانت الاشتراكية تقوم على أسـاس سـيطرة الدولة على كل أدوات الانتاج ، لتحقيق التنمية ، فان ذلك لا يتم مطلقا بدون تربية ، تغير من طبيعة الانسان ، ليقبل هذا الوضع ، ولا يقل الاهتمام بالتربية عنـد الاشـتراكيين ، عن الاهتمام « بعتـاد قواتهم المسـلحة ، أو بنظامهم الاقتصادى ، لأنهم يرون أن التربية (سلاح بتار) ، فى قضية الشيوعية، ولولا ما أنشأه البلاشفة من هيئات تعليمية ، واسعة النطاق ، لمـا كان لهم من القـوة فى العالم ، ما يستمتعون به اليـوم . ولولاه لمـا فكروا أبدا ، فى تغيـير أساليبهم وحركاتهم ، ذلك التغيير ، الذى يثير أعصاب العـالم بأسره »(٢) .

---

(١) جورج سباين : تطـور الفكر السـياسى — الكتاب الخامس — (ترجمـة د. راشـد البراوى — تقديم د. محمـد عبد المعـز نصر) — دار المعارف بمصر — ١٩٧١ ، ص ١٠٧١ .

(٢) جورج كاونتس : التعليم فى الاتحاد السوفيتى (ترجمة محمـد بدران) — مكتبة الأنجلو المصرية — القاهرة — ١٩٥٧ ، ص ٤٣٨ ، ٤٣٩ .

ويعبر لينين عن ذلك بقوله : « ان القول بوجــود المدرسة ، خارج دائرة الحياة ، وخارج دائرة السياسة ، هو عين الكذب والرياء »(١) .

٢ ـ يجب أن يوجه التعليم والتربية لأبناء الطبقة العاملة قبل غيرها ، اذ تهدف الاشتراكية الى تكوين أنماط معينة من الناس ، ولا يتم هــذا الا بفضل « أسلوب صارم شامل من التغــذية والتعليم ، والسيطرة على العقل »(٢) . أما الهدف من التربية ، فيحدده جورج كاوتتس،حين يقول: ان « الواجب الأول ، الذى يقوم به نظام التربية ، لخلق الرجل السوفييتى الجديد ، هو أن يستأصل من عقل الشعب وادراكه ، جميع آثار العقليــة الرأسمالية الحيادية ، المعادية للبلشفية ، وأكثر ما ينطبق عليه هذا القول ، هو موقف البلاشفة من العمال والملكية والدين ، والنزعة الانفــرادية ، والطبقات الاجتماعية ، والحزب . أما من الناحية الايجابية ، فان نظــام التربية يجب أن يوجه بأكمله الى تكوين العقلية الشــيوعية فى هــذه الميادين ، ومعنى هــذا تلقين الشعب تعاليم ماركس وانجلز ، ولينين ، بقضها وقضيضها ، عن طبيعة الكون وقوانين التطور الاجتماعى » .. « ان المدرسة السوفييتية لا تقتصر على اخراج اناس متعلمين ، ذلك أنها تعتمد على نتائج العلوم ، التى تتقدم على الدوام ، ولهذا فانها لابد أن تغرس فى الجيل الناشىء ، المبادىء الشيوعية ، وتشكل التلاميذ حسب النظــرة العالميــــة المــاركسية اللينينية ، وتغـــذيهم بروح الوطنيـــة السوفييتية ، والمثل العليا البلشفية »(٣) .

٣ ـ تهتم التربيــة الاشــتراكية بالتربيــة العملية ، ونشر التعليم البوليتكنيكى ، حيث يدخل الطالب فى مختلف فروع الصــناعة نظريا وعمليا ، فلقد « أخذ البلاشفة على أنفسهم ، اقامة دولة صــناعية ، من الطراز الحديث ، فى روسيا القديمة المتأخرة ، من الناحية الثقافية »(٤) .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٢٣ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٦٨ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٦٨ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٦٩ .

وعليه، فان على كل طالب، أن يقضى فترة من الدراسة، فى تعلم الصناعات، نظريا وعمليا، ذلك الى جانب الدروس الأخرى، كما أن هناك خدمة عمل أمدها سنتان، يقوم بهـا الطالب، الذى يريد دخول الجامعة[١] . ومعنى هذا أنه لا مجال هنا للفصل بين المناهج الثقافيـة العـامة، وبين المنـاهج المهنية[٢] .

٤ ــ توحيد التعليم، بمعنى أن هناك تعليما موحدا، يقدم لجميـع أبناء الشعب، على أساس انكار الطبقية، وازالة الفوارق بين الطبقات، والمساواة بين الرجـل والمـرأة فى فرص التعليم، وكذلك المساواة بين القوميات والأجناس، وعدم الاعتراف بالدين، ومحو آثاره من المناهج الدراسـية[٣] .

٥ ــ تنمية الروح الجماعية، وتشجيع الخدمة الاجتماعية فى الطلاب، واخضاع مصالح الفرد لمصلحة الجماعة، فالفرد لا يحق له أن يخرج عن الانضباط المقرر للجماعة، وبالتالى خضوع التربية تماما للسلطة المركزية، سواء فى مرافقها، أو مناهجها، حيث يتم الربط بين التربية، والتخطيط الاجتمـاعى[٤] .

٦ ــ الاهتمـام بالتربيـة الخلقية، التى تنبع من صميم الفلسفة الاشتراكية، بقدر ما تحتم هذه التربية نشر الالحاد، ومكافحة العقائد الدينية، فالتدين الجديد هو انكار الخالق، وتقديس ماركس ولينين، والاخلاص للحزب الشيوعى، ومساعدة الرفقاء، والتضـحية فى سبيل المجمـوع[٥] .

---

(١) محمد فاضل الجمالى : تربية الانسان الجديد (مرجع سابق)، ص ٢٦٦ .

(٢) د. حسين سليمان قورة (مرجع سابق)، ص ٢٢٩ .

(٣) د. وهيب سمعان وآخـرون : دراسات فى المناهج ــ الأنجلو المصرية ــ ١٩٥٩، ص ٣٢٦ .

(٤، ٥) انظر :

د. محمد فاضـل الجمالى : تربيـة الانسان الجـديد، ص ٢٦٦ وما بعـدها .

وانظـر أيضا : الأيديولوجيا والتربيـة، والتعليم فى الاتحـاد السوفيتى، ونحو فلسفة عربية للتربية .

الاشتراكية وفلسفة التربيــة القرآنية :

تقرر الاشتراكية « الصدارة المطلقة للمادة على الروح ، ولا ترى فى الروح الا فيضا من تطور الطبيعة ، وبالتالى فهى تهمل وتغفل ، العامل الروحى،فى كيان الفرد ، وبالتالى تحول الانسان (الانساذ)،الى انسان مادى آلى ، أشبه بالقزم المشــوه ، فموقفهــا من مشكلة التناقضــات الداخلية فى الذات الانسانية موقف سلبى ، لأنها بدلا من أن تقضى على هذه التناقضات ، بتوحيد عنصرى المــادة والروح ، فانها أنكرت القيم الروحية ، وبهذا شوهت الانسان ، وكان لابد لهذا التشويه من ثمن ، هو رد الفعل الذى جابهته وتجابهه ، من طبقة المفكرين الداعين ، الذين التزموا بها حينا من الدهر ، فلم يجدوا فيها سوى تجربة مرة ، لا تخلص الانسان من تناقضه ، بقدر ما تزيده تمزقا وضياعا »(١) .

وتتسم الاشتراكية فى أساسها الفلسفى ، بالسلبية المطلقة « للفرد ، وحتمية التطــور الاجتماعى والاقتصادى » ، وتضع فى اعتبارها « أن الانسان انما هو مجرد حيوان اقتصــادى ، لا يعنيه الا اشباع حاجاته المــادية ، ولذلك فهى لم تقم الا بتوفير الحاجات المــادية للأفراد،بصرف النظر عن حرياتهم الشخصية ، أو مواهبهم الفردية »(٢) .

ويمكن أن نتبين الفروق بين التربية القرآنية والتربية الاشتراكية ، رغم التقائهما فى كثير من وجهات النظر ، فى أن منطلق القرآن هو منطلق التوحيد لله ، والنظرة الموحدة للانسان ، أما الاشتراكية ، فتلغى الدين ، وتلغى جانبا هاما من جوانب الانسان ، وهو الجانب الروحى .

وتهتم الاشتراكية بالتربية ، وتضعها فى المقام الأول ، والقرآن يؤمن بها ، ويضعها فى المقــام الأول ، الا أن الأولى لخدمة الدولة والحزب ، أما التربية القرآنيــة ، فتعتنى أولا باسعاد الفــرد ، واسعاد المجتمع ، والتعرف على الله ، عن طريق الخير وعمله .

---

(١) د. عماد الدين خليــل : فى النقد الاســلامى المعاصر (مرجع سابق) ، ص ١٦٧ .

(٢) اقبال شلبى : فلسفة الايمان (مرجع سابق) ، ص ٢٧ .

وبينما تهتم التربية الاشتراكية بأبناء الطبقة العاملة (لخدمة الحزب أيضا) ، فان القرآن لا يحجر التعليم على طبقة دون طبقة ، بل العلم للجميع ، حيث تغلب روح المساواة والأخوة .

واذا كانت التربية الاشتراكية تهتم بالتعليم العملى (البوليتكنيكى) ، فان القرآن لا يذكر الايمان الا ومعه العمل ، دلالة على الاهتمام بالتطبيق العملى ، لما توصل اليه الفكر أو النظر .

وفرق واسع أيضا بين هذه الفلسفة وتلك ، وهو فرق بين فلسفة تعتبر الالحاد دينها ، وماركس نبيها ، وهو بشر يخطىء ويصيب ، وبين فلسفة تعتمد على الايمان المطلق بالله ، خالقا للكون ، وواهبا للحياة ، ورسالتها هى القرآن ، الذى بلغ على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو لا ينطق عن الهوى .

سادسا : فلسفة التربية القرآنية

عرضنا لفلسفة التربية القرآنية فى الفصل الثالث ، ثم عرضنا — فى هذا الفصل — لملامح الفلسفات التربوية المختلفة الشائعة فى العالم اليوم ، والتى تؤثر فى التربية تأثيرا بالغا ، ولا شك بعد هذه الدراسة ، أن فلسفة التربية القرآنية ، تنفرد بمميزات ، تجعلها أصلح المناهج والفلسفات ، لبناء الانسان على وجه العموم ، ويمكن أن نحدد أهم **المميزات التى تمتاز بها فلسفة التربية القرآنية** على غيرها من الفلسفات ، فيما يلى :

١ — الربانيـة :

وهذه الميزة تنفرد بها التربية القرآنية ، عما عداها ، ومعنى هذا أن فلسفة التربية القرآنية ربانية المصدر ، وأنها تعد أيضا لمصير ربانى .

ومعنى أنها ربانية المصدر ، أنها من وضع الله ، خالق كل شىء ، ومالك كل شىء ، وهو أعلم بما يصلح عباده ، وما يبنيهم وما يهدمهم ، حيث يقول سبحانه : « يا أيها الناس ، قد جاءكم برهان من ربكم ،

وأنزلنا اليكم نورا مبينا »(١) - « قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم • دينا قيما ، ملة ابراهيم حنيفا »(٢) •

وقد خاطب القرآن الكريم الانسان ، بطبيعته الفطرية ، التى حددها تحديدا دقيقا ، ورسم حياته ، ولذا اهتمت التربية القرآنية به اهتماما : « فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم »(٣) • ومعنى هذا أن الله سبحانه ، هو المصدر لهذه الفلسفة ، فلقد نزل القرآن للانسان ، وهو كتاب الانسان ، ومن ثم فان الانسان يعلم من جهة الله : « الرحمن علم القرآن • خلق الانسان ، علمه البيان »(٤) - « اقرأ باسم ربك الذى خلق • خلق الانسان من علق • اقرأ وربك الأكرم • الذى علم بالقلم • علم الانسان ما لم يعلم »(٥) •

فالتلقى فى الفكر التربوى من الله ، سواء فى ذلك المعايير أو القيم ، بمعنى أن الاطار العام للفلسفة التربوية ، يجب أن يستمد من كلام الله - القرآن - وتلك الفلسفة القرآنية للتربية تراعى الانسان ، كما هو الانسان ، ولا تنخفض به الى الحيوانية ، كما لا ترتفع به الى مستوى الملائكة •

أما كون هذه الفلسفة ربانية المصير ، فمعناه أن التربية القرآنية تجعل غايتها الأخيرة ، وهدفها البعيد ، هو حسن الصلة بالله - تبارك وتعالى - والحصول على مرضاته ، فهذه هى غاية القرآن ، وهى غاية الانسان المسلم ، وهى بالتالى غاية التربية القرآنية ، وهى منتهى سعادة الانسان فى حياته : « يا أيها الانسان ، انك كادح الى ربك كدحا ،

---

(١) النساء : ١٧٤ •
(٢) الأنعام : ١٦١ •
(٣) الروم : ٣٠ •
(٤) الرحمن : ١ - ٤ •
(٥) العلق : ١ - ٥ •

خملاقيه »(١) ـ « وأن الى ربك المنتهى »(٢) . وبالتالى فانه « اذا كانت الربانية هى غاية المجتمع المسلم ، كما هى غاية الفرد المسلم : فان مضمون هذه الغاية ، هو سعادة الفرد المسلم ، وفوزه بالنعيم المقيم ، فى جوار رب العالمين »(٣) .

وهذه الميزة التى تمتاز بها التربية القرآنية ، تقى الانسان من الصراع والتناقص ، وهى توفر للانسان قيمته ، فتحرره من العبودية لغير الله .

٢ ـ الاتساع والشمول والتكامل :

تتسع فلسفة التربية القرآنية ، لتشمل كل جوانب حياة الانسان ، حيث تستوعب حياة الانسان ، وتستوعب الزمن كله ، والحياة كلها ، اذ هى تمتد امتدادا كبيرا ، حيث تهدف الى تدريب الانسان على التعرف على الله ، بحيث تجعل المسلم مع الله ، فى كل لحظة ، وأكثر من هذا ، أنها تحتوى على كل العلاقات الممكنة ، بين الانسان وغيره من الأشياء ، من أدقها الى أضخمها ، ثم هى تتسع لتشمل الانسان ، فى كل لحظة من لحظات حياته .

وهى شمولية ، تتناول الانسان ، من جميع جوانبه ، تأخذ الانسان ككل ، وتربيه من جميع النواحى ، جسميا وفكريا وعقائديا واجتماعيا .. وتعده فى هذه الحياة الدنيا ، باعتبارها طريقا لحياة أخرى ، ينتقل اليها الانسان بعد موته ، فهى تعده للحياة ، مثلما تعده للموت ، وذلك لأن القرآن يوحد بين « المادة والروح ، والعلم والدين ، والعلم والعمل ، وبين الدين والدولة ، وبين الانسان والطبيعة ، وبين الطبيعة بما فيها الانسان ، وخالق الطبيعة »(٤) .

---

(١) الانشقاق : ٦ .

(٢) النجم : ٤٢ .

(٣) د. يوسف القرضاوى : الخصائص العامة للاسلام (مرجع سابق) ، ص ٥٥ .

(٤) د. أحمد عروة (مرجع سابق) ، ص ٥٢ .

فهى لا تتنـــاول مجمـــوعة عناصر منعزلة عن بعضها البعض ، أو منفصلة ، بل تتناولها فى شمولية دقيقة ، لتربط بين الانســـان ومحيطه المـــادى والمعنوى ، « وهذا الترابط ينتج عنه تكامل وتفاعل ، بين عناصر الوجود ، وهو من أعظم أسرار الخليقة »(١) . وهى فى نفس الوقت تعد الانسان فردا فى جماعة ، والجماعة باعتبارها مجموعة أفراد .

أما التكامل ، فمعناه أنها لا تتناول أحد الجوانب دون الآخر ، فهى تتناول الانسان متكاملا ، من جميع جوانبـــه ، بحيث لا يستغنى بجانب عن جانب ، وهى تتناول الانسان كلا متكاملا مع المجتمع ، الذى يعيش فيه ، بل يمكن القول ان التكامل من أبرز سمات التربية الاسلامية ــ كما حددها القرآن ــ اذ نجـــد هناك تكاملا بين الوسائل والأهداف ، وبين النظرية والتطبيق ، وبين العلم والعمـــل ، وهناك تكامل بين مؤسسات التربية النظامية وغير النظامية ، اذ هى لا تقتصر على مكان دون مكان ، فهى تتم فى أى مكان ، فى الشـــارع ، وفى النادى ، وفى العمـــل ، وفى المسجد ، وفى المدرسة ، فهى تعطى التربية غير النظامية ، نفس الأهمية ، التى تعطيها للتربية النظامية .

والى جانب هذا نجد تكاملا بين الفرد المسلم ، الذى هو مسئول عن تعليم نفسه ، والمجتمع المسلم ، المسئول عن تعليم الصغار ، « فالكل فى الاسلام مسئول عن الكل ، والتربية فى الاسلام عطاء ، ومن ثم فكل قادر على العطاء ، معلم » (٢) .

وهى فى كل هذا تراعى فطرة الانسان ، التى جبله الله عليها ، لأنها تواجهها بمثل طبيعته الموحدة ، ولا ترهقها ، بل تأخذها فى يسر ، وهى

---

(١) د. محمد فاضل الجمالى : نحو تربية مؤمنة (مرجع سابق) ، ص ٢٥ .

(٢) د. عبد الغنى عبـــود : « الأيديولوجيا والتربية فى الاســـلام » **الكتاب السنوى فى التربية وعلم النفس** ــ بأقلام نخبة من أساتذة التربية وعلم النفس ــ دار الثقافة للطبـــاعة والنشر ــ القـــاهرة ــ ١٩٧٦ ، ص ٤٠ .

فى الوقت نفسه تحاول كما يحاول الاســلام ، تحرير الانسان من كل عبودية وسيطرة ، الا عبودية الله وسيطرته ، وفى حدود شريعة الله ، تكون سيطرة الانسان على الانسان ، ثم انها فى اطار الاتساع ، تعطى المتعلم حرية كاملة ، فى الاقتناع بما يتلقى أو رفضه : « ادع الى سبيل ربك ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو أعلم بالمهتدين »(١) .

٣ ــ التــــوازن :

تتعامل التربية الاســلامية مع الواقع ، « وليس مع التصــورات العقلية ، ولا مع المثاليات التى لا مقابل لها فى عالم الواقع »(٢) ، سواء فى العقــيدة أو الكون أو مع الانســان ، وتحــدد علاقات الانسان بها واقعيا ، ويمكن وصفها بالوسطية ، فى كل أمر من أمورها ، اذ أن ميزتها فى المعالجة ، أنه لا افراط ولا تفريط ، فالانسان ليس مفردا ، بل هو فى جمــاعة ، وهــو ليس فى أصله خيرا مطلقا ، أو شرا مطلقــا ، بل خلق سويا موحدا ، وجبلت نفسه على بعض نواحى الضعف ، التى تظهر بين الحين والحين ، ومعنى ذلك قابليته للشر .. وهكذا يمكن القول بأنهــا فلسفة متوازنة ومعتدلة ، تعادل بين الأطراف المتضادة ، لتساير الفطرة ، بحيث لا ينفرد أحدها بالتأثير ، ويطرد الطرف المقابل ، ومعنى هذا أنها تعطى كل شىء حجمــه المناسب ، فهى توازن بين الروحيــة والمــادية ، والفردية والجماعة ، والواقعية والمثالية ، والثبات والتغير .

وبهذه الخصيصة ، تقف التربية القرآنية موقف الاعتدال والتوازن ، اذ فيها مثالية ، حيث تهتم بالعقل ، وتحاول الوصول الى المطلق ، وفيها واقعية ، اذ تتعامل مع واقع ، كما أنها تحتوى على عناصر براجماسية ، وتحتوى على أصول من الوجودية ، ولكنها الوجودية المؤمنة الموحــدة بالله ، وهكذا نجد فيها توسطا بين الفلسفات التربوية ، لا تتمتع به أية

---

(١) النحل : ١٢٥ .

(٢) سيد قطب : خصائص التصور الاسلامى (مرجع سابق) ، ص ١٩٠ .

فلسفة من الفلسفات الأخرى ، وأية فلسفة من هذه الفلسفات وبرامجها ، لا تحظى بما يحظى « به برنامج التربية الاسلامية ، من التكامل الجامع ، والاستعلاء على أهواء البشرية » (١) •

ويتمثل هذا التوازن فيما يلى :

١ — الجمع بين خصائص وجوانب الانسان كلها ، والتوسط فيها •

٢ — التوسط فى تناول الفرد والمجتمع ، فلا تطغى الفردية ، ولا يطغى المجتمع •

٣ — التوسط فى اعداد الانسان ، بين الماضى والحاضر والمستقبل ، فهى لاتهمل أحدها على حساب الآخر ، مثلما تفعل الفلسفات الأخرى ، ولكن هذا الوسط ليس الوسط الذهنى ، الذى نادى به أفلاطون ، وانما هو الوسط النابع من القرآن ، المقام على « قاعدة طويلة عريضة عميقة ، هى الايمان بإله واحد ، يحكم هذا العالم ، بقوانين ثابتة ، لا تتغير ، ويتساوى أمامه الجميع » (٢) •

٤ — الثبات مع المرونة :

ومن أهم خصائص فلسفة التربية القرآنية ، ثباتها مع مرونتها ، ومعنى الثبات ، أن القواعد الأساسية لهذه الفلسفة ، ثابتة فيما يجب أن يخلد ويبقى ، فى اطارها العام ، وهى ثابتة لا تقبل التغيير • ثم ان هناك أمورا متغيرة ، تتغير تبعا لظروف المجتمع ، مما يجعل هناك ضرورة لوجود مرونة كافية ، لمواجهة مثل هذه الأحوال •

ويتمثل الثبات فيما أتى به القرآن من أهداف عامة للتربية ، ومجالاتها العامة ، رغم مرونتها ، حيث يمكن الزيادة عليها ، وكذلك

---

(١) أنور الجندى : من التبعية الى الأصالة فى مجال التعليم والقانون واللغة — دار الاعتصام — ١٩٧٧ ، ص ١٣٩ •

(٢) فتحى رضوان : الاسلام والمذاهب الحديثة ، العدد (٤١٥) من سلسلة (اقرأ) — دار المعارف بمصر — ١٩٧٧ ، ص ٢٢٤ •

محتويات المجالات ، مما نص عليه القرآن ، وأوضحته السنة ، فأمهات الفضائل الاسـلامية فى الأخلاق ، تلتزم بها التربية الأخلاقية ، والقواعد القطعية ، فى تنظيم المجتمع أيضـا ، لا يجـوز التبديل فيها ، أو تعليم غيرها ، أما الحركة والمرونة ، فتتمثل فى المصادر الاجتهادية ، وهى مايتغير بحسب اقتضاء المصلحة له ، زمانا ومكانا وحالا •

وبهذه الميزة ، يمكن للتربية الاسلامية أن تعيش وترقى ، ثابتة على أصول وقيم وغايات ، متطـورة فى معارفها وأساليبها وأدوات بحثها فى سبيل انتاج أرقى وأسرع ، مرتبطة بالتخطيط الاجتماعى والاقتصادى • وبخاصية الثبات ، تسهم فى تطوير المجتمع ، طبقا لتغير الزمن ، واختلاف أوضاع الحياة ، دون أن تفقد مميزاتها ومقوماتها وشكلها ، وشخصيتها القومية ، ولكن هذا كله مقنن ومحدد ، لأن الانفتاح بغير حدود ، يؤدى الى مسخ الشخصية الاسلامية •

واذا كان القرآن قـد رسم تعاليمه ، على « هيئة دوائر مشتركة المركز،كل واحدة منها قابلة لأن تتسع وتنكمش ، فى توافق مع المجموع، بل قـد تتداخل هـذه الدوائر بالتبادل ، دون أن تطغى احـداها على الأخرى »[1] ــ فان سمة التربية القرآنية ، هى هى نفس سمة القرآن ، وبالتالى فان التطور والنمو ، الذى تمتاز به فلسفة التربيـة القرآنية ، يخضعان دوما للقيم الانسانية الثابتة فى القرآن ، ومعنى هذا أن الانفتاح على ثقافات العالم ، ونظمه التربوية ، وحضارات العـالم ، وأخذ الجيد منها ، مما يمكن أن ينفع فى النظام التربوى الاسلامى ، بحيث لا يتعارض مع الثوابت ــ لمن الواجبات ، التى يجب أن تأخذ بهـا فلسفة التربيـة القرآنيـة •

ومن ثم فانه اذا كانت كل فلسـفة من فلسفات التربيـة ، تتناول الموضوع من زاوية معينة ، فان فلسفة التربية القرآنية تنظر الى الانسان ،

---

(١) د. محمد عبد الله دراز (مرجع سابق) ، ص ١٠ .

من وجهة نظر متكاملة ، وتهدف الى أهداف متكاملة ، وتقصد الحكمة القرآنية ، التى تعنى « توجيه كل طاقات الانسان ، وفق منهج شامل متكامل ، يسعى الى تحريك طاقات الانسان جميعا ، بنوع من التناغم والترابط ، ويدفعها الى أن تعبر عن نفسها جميعا ، الى الحد الأقصى ، المتاح ، من درجات التعبير ... وبهذا يؤدى الى هدفين أساسين :

أولهما : توحيد الانسان ، وتوجيه نشاطه بما يخدم تلك الوحدة النفسية ، وثانيهما : تنويع الحضارة البشرية ، وتعميق معطياتها،وجعلها أكثر انسجاما مع تكوين الانسان ، وحاجاته النفسية والمعايشة ، ودوره فى الأرض .. وتلك هى قمة التربية ، التى عجزت المذاهب العلمانية ، عن استشراقها وتنفيذها »(١) .

وهكذا نجد أن فلسفة التربية القرآنية هى الأساس لنظام تربوى كامل متكامل ، لأنها جمعت أسس الفكر التربوى فى داخلها ، بشكل منقطع النظير ، حيث :

ــ شملت الانسان ككل ، فى جميع حالاته ، وبجميع جوانبه ، سواء فى عمله ، أو فى علاقاته بالعناصر الحياتية ، أو فى حياته الخاصة ، أو فى حياة ما بعد الموت ، وذلك لأنها نظرت الى الانسان من منظور شامل ، وليس من زاوية واحدة معينة ، من زواياه .

ــ تناولت الأهداف والوسائل ، بطريقة تكاملية ، حيث يمكن القول ان الهدف والوسيلة ، متكاملان فيها ، وعلى نفس القدر من الأهمية .

ــ وبناء على ما سبق دراسته ، يمكن أن نجد فلسفة التربية القرآنية تجمع كل ما تمتاز به فلسفات التربية الأخرى ، وتضع فى اعتبارها « أن العقل وحده ، لا يمنح الانسان القدرة على فهم تكوينه المعقد ، والسيطرة عليه ، والتعامل الايجابى الفعال مع نسيجه الفذ،ومن ثم فلابد من أسلوب أكثر شمولا ، يضع الى جانب العقل طاقات الانسان الأخرى ، ولئن كان بامكان العقل أن يسعى للكشف عن غوامض الطبيعة وأسرارها ، ومن ثم السيطرة على عالمه الخارجى ، فلأن الله خلقه هكذا . أما الكشف عن

---

(١) د. عماد الدين خليل (مرجع سابق) ، ص ١٥٣ .

أسرار الانسان نفسه ، وغوامضه الروحية المعقدة المتشابكة ، الانسان الذى هو أداة التغير الحضارى ، فلن يكون العقل وحده ، وهو جزء فحسب من الانسان،بقادر على فهم الحقيقة ، ولابد من قوة علوية،تشرف على الانسان من فوق ، وتمنحه الأسلوب المتوازن الشامل ، الذى يتعامل به مع جهازه الانسانى الصعب » (١) .

فاذا كانت مناهج التربية المختلفة ، تهدف الى اعداد (المواطن الصالح) ، وهو مصطلح (يصعب تحديده) ، فان التربية القرآنية لا تحصر نفسها فى تلك الحدود الضيقة ، وانما تتعداها الى اعداد (الانسان العابد الصالح) ، « وذلك معنى أدق وأشمل ولا شك ، من كل مفهوم للتربية ، عند غير المسلمين » (٢) . ومن خلال هذا المنهج ، تتحقق انسانية الانسان الحر العابد لله ، وبهذا فان هدف التربية القرآنية، هو « اعداد المرء لعملى الدنيا والآخرة » (٣) ، وبالتالى جعله انسانا تتمثل فيه معالى الانسانية ، ويسعى فى طريق الرقى نحو الانسانيه الكاملة ، « وهى بهذا » ، « تشكل الانسان تشكيلا شاملا متكاملا ، حتى يصبح ربا لأسرة ، وعضوا فى مجتمع ، ومحاربا فى كتيبة ، وايجابيا فى قضايا الحياة والمجتمع ، وايجابيا فى قضايا الآخرة ، ومعلما ومتعلما ، وعضوا فى جماعة منتجة ، ومستهلكا رشيدا ، وحاكما ومحكوما » (٤) .

خاتمة :

وخلاصة القول : أن هناك فلسفات مختلفة للتربية ، تسود العالم أو سادته ، وأثرت فى الفكر التربوى ، ومن هذه الفلسفات عرضنا لنماذج ، كالوجودية ، والواقعية ، والبراجماسية ، والمثالية ، والاشتراكية. وكل فلسفة من هذه الفلسفات تناقض الأخرى ، وخاصة فى نظرتها

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٤٥ .
(٢) د. هانى عبد الرحمن صالح (مرجع سابق) ، ص ١٦١ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٦٢ .
(٤) د. محمود السيد سلطان ، د. صادق جعفر اسماعيل (مرجع سابق) ، ٦١ .

للانسان،حيث نجد اختلافا كبيرا فيما بينها فىهذا المجال،فبعضها قد اكتفى بمظهر الانسان ، وخصائصه المادية ، التى لا تختلف كثيرا عن خصائص الحيوان ، وبعضها يؤمن بهذا الانســان ، على أساس أنه روح مطلق ، وهكذا نجد التناقض واضحا بين هذه الفلسفات المختلفة ، ولكنها اتفقت جميعا على شىء واحد ، هو اعداد وتنمية الانسان (الحيوان) ، الذى يعانى من الأزمات الوجدانيــة ، والتناقضات الداخلية ،وينطلق وراء شهواته لاشباعها ، تحت شعار الحرية ، وغيره من الشعارات ، التى تنادى بها فلسفات التربية المختلفة ــ بينما تهدف فلسفة التربية القرآنية ، الى اعداد الانسان (الانسان) ، المستريح نفسيا ، والذى يخلو من العقــد الباطنية والظاهرية . والمحك الأساسى لنجاح هذه الفلسفة ، هو التجريب الواقعى ، والتطبيق العملى له .

وقــد رأينا كيف أن الفلسفات الوضعية لم تخلص الانســان من آلامه ، بينما استطاعت فلسفة التربية القرآنية ــ فى الواقع ــ مرة فى التاريخ ــ ومرات كل يوم ، لمن ينهج نهج القرآن فى حياتنا المعاصرة ــ أن تجعل من هــذا الانسان ، انسانا حضاريا ، وهى اليوم تستطيع أن تخلص الانســان من آلامه ، ومن تناقضــاته الداخلية ، بأسلوب يمتاز بالشمول والاتساع والتكامل والتوازن ، الا أنه يحتاج فقط ، الى ترجمة واقعية ، فى المناهج ، وفى النظام التعليمى .

الفصل الخامس

فلسفة التربية فى البلاد الإسلامية اليوم

« دراسة مقارنة »

- تمهيـــد .
- امدخل تاريخى .
- اغراض التربيـــة .
- الخلفية الفلسفية للنظام التعليمى .
- الأصالة والاقتباس فى التربية .
- مقارنة بين فلسفة التربيــة فى بلاد العــالم الاســلامى اليــوم وفلسفة التربيــة فى القرآن .
- خاتمـــة .

تمهيـــد :

توصل البحث خلال الفصول السابقة ، الى فلسفة تربوية متكاملة فى القرآن الكريم ، معتمدة على فلسفة عامة متكاملة ، وأوضح الباحث ايجابية فلسفة التربية فى القرآن ، عن غيرها من الفلسفات الأخـرى ، وفى هذا الفصل سنقوم بدراسة فلســفة التربية فى البلاد الاســلامية اليوم ، ومدى قربها أو بعدها ، عن فلسفة القرآن التربوية .

ونحن فى حاجة الى هذه الدراســة ، لأن العالم المعاصر ، يضـم أعدادا غفيرة ، تحصى بمئات الملايين من المسلمين ، ينتمـون فى جملتهم الى دول ، تعتبر من دول العالم الثالث ، أو النامى « أى العالم الذى أخذ ينهض حديثا ، ويتلمس طريق النمو والرقى » (١) ، والذى حصلت دوله على استقلالها السياسى حديثا ، وبالتالى فانها « تجابه أخطر مشكلة فى تاريخها الحديث بعد الاستقلال ، ألا وهى مشكلة تقرير نوع التربية، الذى تختاره ، لتنشئة أبنائها » (٢) ، وذلك لأنها « فى محاولة التصدى لأنواع التحديات المختلفة التى تواجهها فى سيرها نحو العصرية ، ونحو تحقيق الآمال العريضة لشعوبها ، ونحو تحقيق التنميــة الاقتصــادية والاجتماعية لمجتمعاتها ، انما تتخذ من التربية وسيلة ، لتحقيق هــذه الأهداف » (٣) .

والتربية ، « لكى تكون فعالة ، يجب أن تضع المجتمع ، بجميــع عوامله وامكاناته فى اعتبارها ، فستجيب وتشارك فى صــوغ المجتمع ،

---

(١) د. محمد فاضل الجمالى : نحو توحيد الفكر التربوى فى العالم الاسلامى (مرجع سابق) ، ص ٦ .

(٢) د. محمد فاضل الجمالى : آفاق التربية الحديثة فى البـــلاد النامية (مرجع سابق) ، ص ٦ .

(٣) جون و. هانسون ، كول س. برمبك : التربية والتقدم الاجتماعى للدول النامية (ترجمة وتقديم د. محمد لبيب النجيحى) ـ دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ ١٩٧٦ ، ص ١ .

وتشكيله ، مستخدمة امكاناتها كافة ، لاعادة البناء الاجتماعى ، وتحقيق العصرية »(١) • ولكن هذه الدول النامية ، ومنها المجتمعات الاسلامية ، لاتزال تبحث لها عن (شخصية قومية) ، وبمعنى آخر ، تبحث لها عن أيديولوجيا تسير عليها حياتها ، وبالتالى تتشكل فلسفة التربية على أساسها ، « وزاد من مشكلة هذه البلاد ، أن القيادات الوطنية التى تولت حكم هذه البلاد بعد الاستقلال ، أخذت (تتعجل) النهضة ، محاولة (القفز) الى مستوى البلاد المتقدمة ، مما دفعها الى (التخبط) فى كثير من الأحيان ، وبهذا التخبط بددت مواردها المحدودة ، دون أن تحقق ما تريد من تقدم ، لأنها بددتها فى مجرد (تقليد) مؤسسات البلاد المتقدمة ، ناسية أنها تنقل هذه المؤسسات ، الى (تربة) مغايرة لها تماما »(٢) •

ومن أجل هذا ، سوف نقوم بدراسة واقع البلاد الاسلامية ، فى المجال التربوى ، وفى المجال الثقافى،وذلك ــ أولا ــ بالتمهيد التارخى، ثم دراسة سمات التعليم فى البلاد الاسلامية بعد ذلك،لنخلص الى دراسة واقع التربية فى البلاد الاسلامية اليوم •

مدخل تاريخى :

ظهر الاسلام فى مكة ، حين بعث الله رجلا من رجالها ، وكلفه أن يقيم الحياة الانسانية على أساس التوحيد ــ توحيد الله ، والايمان بالآخرة ، واتباع التعاليم الالهية •

انتشر الاسلام انتشارا هائلا فى الشرق والغرب ، وتغيرت معه معالم الحياة ، ومعالم المجتمعات ، حيث تشكلت وفقا لما جاء به القرآن الكريم ، وترجمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ فى سلوكه ، بحيث اتضحت وضوحا كاملا ، وبرزت معطياتها ، « فاذا كانت الفلسفة

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢ •

(٢) د• عبد الغنى عبود : دراسة مقارنة لتاريخ التربية ــ طبعة أولى ــ دار الفكر العربى ــ القاهرة ــ ١٩٧٨ ، ص ٤١١ •

قبل القرآن وبعده ، تعنى بدرس بدايات الأمور ونهاياتها ، وتدرس العلاقات والارتباطات بين الانسان وأخيه الانسان ، وبين الانسان والكون ، وبين الانسان وخالق الكون ، ففلسفة القرآن قد شملت كل ذلك » (١) .

وكانت الحكمة النهائية فى القرآن هى المعرفة بالله ، ومن هنا تشكلت تنظيمات المجتمع الاسلامى على هذا الأساس ، لأنها بنيت على التوحيد ، وكانت التربية هى الوسيلة التى عن طريقها أمكن أن تنتشر الدعوة ، وكان المجتمع المدنى صورة واضحة ، وتطبيقا عمليا ، لهذه المبادىء ، وتلك الفلسفة ، فقد أقيم « المجتمع الاسلامى على مبادىء القرآن ، وحقق أهدافه فى الحياة ، فأصبحت حقيقة فى واقع الناس » (٢) .

وكان الايمان الذى أتى به القرآن ، هو المدرسة الخلقية التى أصبحت محور حياة الناس ، ومحور الحياة فى المجتمع الاسلامى ، ودارت التربية حول هذا المعنى ، وانتقل الرسول الى جوار ربه ، وقد ترك خلفه جيلا ، بل أجيالا كاملة ، رباها على عينه ، وعلى القرآن ، الذى كان له أثره الواضح فى سلوك الأجيال هذه ، فقد جعلهم يكافحون ويضحون بكل نفس ونفيس ، فى سبيل هذه الدعوة ، فلقد استطاع القرآن بمدرسته الايمانية ، أن يفجر فيهم عاطفة قوية ، جعلت العقيدة فى مقدمة الأشياء ، ومن ثم حاولوا أن تسود هذه العقيدة الدنيا كلها ، وكان قدوتهم ومثلهم الأعلى ، هو محمد ، صلى الله عليه وسلم .

ومع استمرار نفس الاتجاه قويا فى عهد الصحابة ، والأثر القرآنى مازال قويا ، استطاع المسلمون أن يستمروا فى نفس الاتجاه ، وأستطاعوا « أن يبعثوا فى نفوس أبناء الصحراء الأحرار ، وفى نفوس

---

(١) د. محمد فاضل الجمالى : نحو توحيد الفكر التربوى فى العالم الاسلامى (مرجع سابق) ، ص ٦٩ .

(٢) محمد شديد : منهج القرآن فى التربية (مرجع سابق) ، ص ٣٠١ .

من هم أكثر منهم تحضرا ، من أهل البــلاد الواقعة فى الأطراف ، روح الاتحاد فى العمل ، والى هذا البعث يرجع الفضل الأول فى المكانة التى يتبوؤها الاسلام ، كدين عالمى.ولقد صدق الله المسلمين وعده بالنصر ، وكأنما كان تأييده لهم ، اجابة لندائهم عند لقاء الأعداء. الله أكبر . ثم فتح العرب ، بلاد الفرس كلها ، وانتزعــوا من الامبراطورية الرومانية الشرقية ، أحسن ولايتين فيها ، وهما الشام ومصر »(١) .

وكان كتاب التربية الأول والأوحــد ، هو القــرآن ، ولم تكن التربية « مدرسية بالمفهوم الضيق للتربية ، وانما كانت تربية شــاملة ، مدرسية ولا مدرسية ، فى المسجد ، وفى الشارع وفى المنزل ، وفى ميدان القتال ، وفى الصلاة ، وفى الزكاة والحج ، وفى كل لحظة من لحظــات النهار والليل ، وأكبر من ذلك أن البرنامج التربوى الاسلامى ، يبدأ ، قبل ميلاد الانسان بسنوات »(٢) .

ثم جاء العصر الأموى ، وتحول نظام الحكم من الشــورى الى الملكية ، وكان أول خروج على النظام الاسلامى الذى أتى به القرآن . وانشقت القيادة الاسلامية الى شقين،« ففيما يتعلق بالشئون السياسية، استأثر به الحكام ، وفيما يرجع الى النواحى الخلقية والفكرية والروحية، انتقلت أزمته الى رجال العلم والفقه والتصوف : أصبح فقهاء المسلمين وعلماؤهم ، روادهم فى الشئون الروحية والخلقية والدينية ، وأصبح الملوك والأمراء ، قادتهم فى الشئون السياسية »(٣) .

وأصبحت العلوم تدور « حول العلوم النقلية ، وهى التى تتصــل بالقرآن الكريم ، وهى التفسير والقراءات والحديث وأصــول الفقه ،

---

(١) دى بور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام (ترجمة د. محمد عبدالهادى أبو ريده) ــ لجنة التأليف والترجمة والنشر ــ القاهرة ــ ١٩٣٨ ، ص ٥ .

(٢) د. عبد الغنى عبــود : دراســة مقارنة لتاريخ التربية (مرجع سابق) ، ص ١٩٩ .

(٣) أبو الأعلى المودودى : الاسلام اليوم ــ دار التراث العربى للطباعة والنشر ــ القاهرة ــ ١٩٧٥ ، ص ٢٥ .

كما اهتموا بالعلوم الانسانية ، كعلم اللغة ، وعلم النحو ، وعلم البيان ، والأدب »(١) . وظهر الى جانب هـذا « حركة فى التـاريخ والقصص والسير ونحوها ، وحركة فلسفية،فى منطق وكيمياء وطب وما اليها »(٢).

ودار البحث فى بعض الأمور التى ظهرت آثارها بعد ذلك ، فى الحضارة الاسلامية ، ولازالت حتى اليوم .

وفى العصر العباسى ، الذى اتسم فى أوله بتغيرات سياسية عنيفة ، أدت فى النهاية الى استقرار الدولة العباسية ، تميز هذا العصر بطابع كان قد افتقد فى العصر الأموى ، وهو المسـاواة بين جميـع مواطنى الدولة ، وتشجيع الخلفاء للعلم والعلمـاء ، حتى صار هذا التشـجيع سياسة دولة ، لا جهد فرد أو أفراد(٣) ، فقـد تمتع العباسيون بسعة فى الدخل وترف ، « أعطى الفرصة للجودة والكثرة ، فبعد أن كفى القوم أنفسهم من الضروريات ، ومازال لديهم فائض من الرزق ، اتجهوا الى التجديد والتحسين فى صناعاتهم ، والى الاغـداق على محبى العـلم والعلماء »(٤) .

ونشأ الى جانب العـلوم النقلية التقليدية ، مجموعة من العـلوم الأخرى ، حيث حدث اللقاء الفكرى بين الفكر الاسلامى الأصـيل ، والفكر اليونانى والفارسى ، والهندى ، الوافد ، ومنذ تم اللقاء ، بدأت مدارس فكرية متعددة ، تعكس فى البلاد الاسلامية هذا اللقاء ، منحازة

---

(١) د. سعد مرسى أحمد ، د. سعيد اسماعيل على : تاريخ التربية والتعليم (مرجع سابق) ، ص ١٦٨ .

(٢) د. أحمد أمين : فجر الاسلام ــ الجزء الأول ــ الطبعة الثالثة ــ لجنة التأليف والترجمة والنشر ــ ١٩٣٥ م ، ص ١٧٨ .

(٣) د. عبد الغنى عبود : دراسة مقارنة لتـاريخ التربيـة (مرجع سابق) ، ص ٢١٨ .

(٤) د. سـعد مرسى أحمـد ، د. سعيد اسـماعيل على (مرجع سابق) ، ص ١٦٨ .

الى هذا الفكر أو ذاك ، أو عاكسة لونا من التزاوج بينهما(١) .

واتسع نطاق البحث ، وزادت حرية العلماء ، فى الحركة والتنقل والبحث ، بعد أن توفرت المكتبات وغيرها من وسائل البحث العلمى ، وبلغت الترجمة الى العربية أوجها ، وظهرت المؤسسات التربوية المتخصصة ، الى جانب الكتاب : القصور والمساجد ، ثم ظهرت المدرسة بالمعنى التقليدى ، المعروف اليوم ،وأصبح للتربية النظامية ، نظام وفكر ، عربى اسلامى أصيل ، يعتمد فى أساسه على الكتاب والسنة ، ثم بعد ذلك على الاجتهاد والقياس والاستنتاج . وأصبح للمعلم مركزه فى العملية التربوية .

وبعد هذا العصر الذهبى للحضارة الاسلامية ، والتقدم العلمى الاسلامى ، حدث فى الشرق الاسلامى حوادث ، أدت الى نتائج خطيرة ، حيث نجد العالم الاسلامى ، يرتد على عقبيه ، فبعد أن كان يعيش فى تقدم ، أذهل الجميع ، ابتلى بأمراض الانقسام والتشقق والعصبيات والقوميات ، والاستعمار ، وغير ذلك مما أدى الى ضعف المسلمين ، فقد أقفل باب الاجتهاد نتيجة الفهم الخاطىء للاسلام ، وانحدرت البلاد الاسلامية ، وتخلفت عسكريا واقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وفكريا ، مما أدى الى تخلف التربية كنظام وفلسفة ، حيث أخذت تنحسروتتقوقع ، وأغلق النظام التربوى ، بعد أن كان مفتوحا ، وصار كتاب الله الخالد ، محفوظا على لسان بعض حافظيه ، بعد أن كان يعيش حياته فى سلوك المسلمين . ويكفينا أن نرى بوضوح اليوم ، أن العلماء والمفكرين المسلمين ، « لم يعتنوا بالعلوم التجريبية،وبالعلوم العملية المثمرة المفيدة، اعتناءهم بعلوم ما بعد الطبيعة ، والفلسفة الالهية ، التى تلقوها من اليونان »(٢) .

---

(١) حسن ابراهيم عبد العال (مرجع سابق) ، ص ٤٠ .
(٢) ابو الحسن الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين — ط ١٠ — دار الأنصار — القاهرة — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م ، ص ١٤٩ .

وبعد موت صلاح الدين الأيوبى فى القرن السادس الهجرى ، « ظلت خلية الاسلام تعمل فى ادوار الانحطاط أيضا » •

« ولم تزل تضعف هذه القوة وتهن ، بدون أن يشعر بذلك الأجانب ، حتى اذا اخضرت شوكة المسلمين فى القرن السابع ، لما فرق التتار حكومة خوارزمشاه (الامبراطورية الاسلامية الأخيرة) ، وسقطت بغداد فى أيديهم ، زال ذلك الشبح المخيف ، وسقط الجدار ، فكانت الطيور والوحش فى الحقل ، تجاسر الناس على المسلمين »(١) • وغاصت الدول الاسلامية فى بحار التخلف ، الذى انعكس على التربية والتعليم عندهم ، فقد عاش العالم الاسلامى ، من شرقه الى غربه ، مصابا بالجدب العلمى ، وشبه شلل فكرى ، فقد أخذه الاعياء والفتور ، واستولى عليه النعاس »(٢) •

وجاء العصر العثمانى بظله وظلمه ، يعكس النعاس الفعلى والعميق، للسلطة ، وللشعوب الاسلامية •

وكان من نتيجة ذلك أننا نرى بلاد العالم الاسلامى تندرج اليوم تحت فئة البلاد المتخلفة أو النامية ، لما ران عليها من تخلف ، بالرغم من أن « مصادر الثروة الطبيعية متوفرة فى معظم هذه البلاد ، أى أن امكانياتها المادية كثيرة ، وقد كانت هذه المصادر المادية ، هى التى أغرت دول الغرب باستعمارها ، فى عصر توسعها الاستعمارى الكبير ، فى القرن التاسع عشر ، فنهبت خيراتها ، وعطلت امكانياتها ، وشلت فاعليتها ، لتتركها حطاما ، تحاول أن تتغلب على عوامل الضعف التى خلفها الاستعمار فيها ، فى ظروف بالغة الصعوبة والتعقيد »(٣) •

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٥٧ •
(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٨ •
(٣) د• عبد الغنى عبود : الأيديولوجيا والتربية (مرجع سابق) ، ص ٤٢٤ •

فلقد جاء هذا الاستعمار ، « بما هيىء له من أسباب الغزو والقهر والسلطان ، ليفرض نظمه (البرجوازية) ، فى شئون السياسة والاقتصاد والاجتماع ، بدعوى التطوير والاصلاح ، وهى فى الحقيقة عدته الى السيطرة واستلاب الأموال ، ثم هى وسائله المشروعة فى نهب الشعوب، وتلك هى قرصنة العصر الحديث، لاتختلف عن قرصنة العصور الوسطى، الا فى العدة أو الأداة ، فالقراصنة عدتهم السيف ، والاستعمار أداته المبادىء والتنظيمات » (١) .

ورغم قسوة الظروف ، فقد « جعل الله من معجزات دينه ، بعد القرآن .. هذه الأمة ، فلقد حولها القرآن بحق ، خير أمة أخرجت للناس ، حتى صح ما قيل ، من أن العصمة فى الاسلام، للأمة ، لا للامام ، أخذا من قول الرسول صلى الله عليه وسلم .. (لا تجتمع أمتى على ضلالة)، ثم استمدادا من أحداث التاريخ التى ظلت معها الأمة الاسلامية صامدة شامخة » (٢) .

ملامح الحياة فى العالم الاسلامى المعاصر :

فقد العالم الاسلامى مكانته الدولية ـ كما رأينا . والأسباب فى ذلك ، كما يعددها خير الدين باشا التونسى ، هى :

« أ ـ الاستبداد بالحكم . ب ـ الانقسامات الداخلية ، وما يرافقها من صراع داخلى ومؤامرات . ج ـ التعصب الأعمى ، والقضاء على حرية الفكر . أمراض اجتماعية ثلاثة ، كل واحد منها قتال ، وماحق للمجتمع الانسانى الكريم ، ولكن هذه الأمراض لم تكن لتستفحل ، لو لم

---

(١) د. حلمى على مرزوق : جوانب من قضايا الأمة العربية .. جـ ١ « الاستعمار والاستشراق والصهيونية » ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٧١ ، ص ٦ .

(٢) د. على محمد جريشة ، محمد شريف الزيبق : أساليب الغزو الفكرى للعالم الاسلامى ـ ط ١ ـ دار الاعتصام ـ القاهرة ـ ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م ، ص ١٧ .

يتسرب ضعف عام فى جسم الأمة ، هو الضعف الروحى والأخلاقى ؛ فضعف الايمان بالله ، والتراخى الأخلاقى ، وما يرافقه من أطماع واشباع شهوات ، كلها أدت الى اضمحلال القواعد الأساسية ، التى قام عليها المجتمع العربى الاسلامى ، بحيث أصبح فريسة هينة ، للغزو الأجنبى ، وللاستعمار »(١) .

ومن أهم السمات التى تمتاز بها هذه الدول فى العصر الحديث :

١ ـ انخفاض مستوى الدخل القومى :

لأن هذه الدول عاشت « فترة طويلة تحت السيطرة الاستعمارية ، وجاهدت جهادا عنيفا ، حتى تخلصت منها ، بعد أن بددت فى سبيل تحررها الكثير من جهودها وطاقاتها ومواردها ، فخرجت من الاستعمار منهكة محطمة ، لتجد ركب الحضارة العالمية ، وقد سبقها كثيرا ، ولتحاول اللحاق بهذا الركب »(٢) . وهى تتعجل هذا ، فتحاول القفز بالتقليد ، فتتخبط فى كثير من الأحيان ، مما يؤدى الى ضياع مواردها وامكانياتها ، دون اللحاق بالركب ، بل انه يؤدى فى كثير من الأحيان ، الى التخلف أكثر ، ويرجع هذا بالدرجة الأولى ، الى تخلف التعليم والثقافة ، وهو ما سوف نتناوله فيما بعد ..

٢ ـ عدم وضوح الايديولوجيا :

نتيجة لعدم الاستقرار ، « وتعجل الحوادث ، وتقليد الحياة الغربية ، وتقليد المؤسسات المتقدمة الموجودة فى تلك البلاد ، مما يهدد الكثير منها بمسخ شخصيتها ، وتعطيل نهضتها »(٣) ـ اذ نجد التذمر والفوضى ، و « الدعايات الظاهرة والمستترة بين الناس ، أصبحت من الأمور المألوفة ، وفى هذه الحالة ، يصعب العمل الايجابى البناء ، ومع ذلك

---

(١) د. محمد فاضل الجمالى : نحو توحيد الفكر التربوى (مرجع سابق) ، ص ١٥ ، ١٦ .

(٢) د. عبد الغنى عبود : الأيديولوجيا والتربية (مرجع سابق) ، ص ١٤٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٤٦ .

فالنــاس مستعجلون ، يريدون اقتطـاف الثمرة لاستقلالهم السياسى ، ويريدونها فى الغالب بدون تعب ، وبدون سهر وبدون تضحيات ، يريدونها بعصا سحرية »(١) • ولذا فهى تعيش ممزقة بين الحـديث والقـديم ، وتعيش فى صراع وفراغ ، بسبب الافتقـار الى أيديولوجية أصيلة من ثقافتها ، وبسبب الصراع بين الأيديولوجيات المختلفة ، التى تتصـارع فى العالم اليوم ، نتيجة لذلك،على أرضها ــ فتارة شرق،وتارة غرب،دون أن تلتفت الى ذاتها مرة •

٣ ـ وجود ثروات اقتصادية عظيمة ولكنها تحتاج الى تنمية :

حيث تمتلك هذه الدول ثروات ضخمة من المواد الخام ، ورغم هذا فهى تعـانى من التخلف فى ميادين الصناعة والزراعة ، وغيرها ، ويرجع ذلك الى « عدم استغلال هذه الثروات استغلالا كاملا ، تتحقق معه تنمية اقتصادية حقيقية »(٢) ــ هذا ، بالرغم من توافر رأس المـال ، ولكن قد يرجع ذلك بالدرجة الأولى الى ظاهرة التكتلات فى العالم الاسلامى ، فهناك تكتل فى رأس المـال ، وهناك تكتل فى الخبرة البشرية الفنية التى توجد فى بعض الدول ، وتفيض عن حاجتها ، مع فقر تعـانى منه دولة أخرى ، تتمتع بثروة عظيمة ، تصدرها للخارج ، دون أن تستفيد منها ، أو يفيد منها شعبها •

٤ ـ وجود ثروة بشرية هائلة تحتاج الى تنمية :

اذ يبلغ عدد سكان العالم الاسلامى أكثر من ٧٠٠ مليون نسمة ، ولكن تغلب عليهم الأمية ، وهذه الجماهير فى غالبيتها ، « فقيرة مريضة جاهلة » ، ومعنى هـذا بلغة الاقتصاد أن هناك « فاقدا كبيرا فى الثروة البشرية » ، وهذا يثير مشكلات تربوية واقتصادية ، على جانب عظيم من

---

(١) د. محمد فاضـل الجمـالى : آفاق التربية الحديثة فى البلاد النامية (مرجع سابق) ، ص ٣٧ .

(٢) د. وهيب سمعان ، د. محمد منير مرسى : المدخل فى التربية المقارنة ــ ح ١ ــ الانجلو المصرية ــ القاهرة ــ ١٩٧٣ ، ص ٢٣٢ .

الخطورة ، حيث نجد نسبة كبيرة من الدخل القومى ، تضيع «هباء، نتيجة للأمراض المتوطنة ، التى تنخر فى عظام هذه الثروة ، لتحيلها الى صور باهتة حائرة ، منهوكة القوى ، وجزء آخر يضيع ، نتيجه الأمية »(١) .

وبالجملة ، فان هـذه البلاد تقع اليوم ، « ضحية التخلف ، وهو تخلف لا يعود الى عوامل وراثية أو بيئية ، والا ما كان لها من حضارة قديمة ، وانما هو يعود الى ذلك (التخبط) الذى فرض عليها ، أو لجأت اليه فى خططها وسياساتها ... بين الشرق والغرب ... وبين القديم والحديث »(٢) . وقد انعكس هذا بدوره على أمور الثقافة والتربية ، بل على كل مجال من مجالات الحياة ، التى تتأثر تأثرا واضحا بالثقافة والتربية ، اذ أنهما روح أى شعب من الشعوب ، وأية أمة من الأمم .

سمات الثقافة والتربية فى بلاد العالم الاسلامى :

واذا كان العالم اليوم يسوده صراع مذهبى أو أيديولوجى، فى سائر شئون الحياة ، حيث الشرق باشتراكيته أو شيوعيته ، والغرب بمنزعه التحررى أو الليبرالى ، فان العالم الاسلامى لم ينج من هذا الصراع ، فقد حكمت حياته ، وسيطرت عليها ، فى عصور الضعف ، فلسفة تهدى « الى قتل الشهوات ، والانصراف عن الحياة الدنيا وملذاتها ، وعدم الثقة فيما يتمخض عنه العقل من نتائج ، ووضع الثقة كلها فى كلام السلف ، فيما لا يتفق منه مع قيم العصر ومتطلباته ، لا فى كل ما قاله السلف »(٣) — وبين هذه الفلسفة ، وبين فلسفة عصر القوة ، التى رأيناها من قبل ، بون شاسع ، بطبيعة الحال .

واذا كانت الحكومات الاسلامية قد حصلت على استقلالها بعد

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٣٣ .

(٢) د. عبد الغنى عبود : دراسة مقارنة لتاريخ التربية .. (مرجع سابق) ، ص ٤٧ .

(٣) د. عبد الغنى الشورى ، د. عبد الغنى عبود (مرجع سابق) ، ص ٢٩٠ .

جهاد عنيف ، وهى منهكة القوى ، ممزقة ، ودخلت كل منها عصر الاستقلال بآمال وتطلعات أكبر مما تطيق امكانياتها ومواردها البشرية ، شأنها شأن غيرها من بلاد وحكومات العالم الثالث(١) ، فان الأمر لا يقف عند هذا الحد ، بل ان هذه الدول والبلدان ، قد خرجت من عصر الاستعمار ، وقد حدث لها غزو فكرى ، حيث وقعت فى أحضان « التربية الغربية ، ونظمها التعليمية ، ومناهجها الفكرية ، وقيمها ومثلها العليا ، وتصورها للحياة الانسانية والانسان ، ونظرتها للعلوم والآداب ... على علاتها التى نشأت واختمرت ، فى بيئة تؤمن بعقائد وأسس ومبادىء وقيم ومفاهيم ومثل ، تختلف كل الاختلاف عن العقائد والأسس والمبادىء والقيم والمفاهيم والمثل ، التى يؤمن بها ويعيش لها ، ويجاهد فى سبيلها ، بل تقوم على هدمها ونفيها أحيانا ، والتهكم بها ، والاستهانة بقيمها أحيانا أخرى »(٢) . ولعل هذا هو الذى جعل « القضية الأساسية ، التى تواجهها شعوب العالم الثالث اليوم ، هى استكمال متطلبات عملية التحرر الوطنى ، بتدعيم الثورة السياسية ، التى أزالت وجود الاستعمار العسكرى والسياسى ، والى حد ما الاقتصادى ، بثورة حضارية ثقافية ، تزيل وجود الاستعمار المعنوى والفكرى ، الذى يسعى الى استعادة كل الأرض المفقودة منه ، دون حاجة الى جيوش ، أو نفوذ سياسى مباشر »(٣) . وأمام هذا ، نجد المسلمين اليوم ينقسمون الى فرق :

١ — فريق منهم رفض العصر ، وقنع بما ورثه عن السلف الصالح ، وهؤلاء هم (المحافظون) — وهم يختلفون فيما بينهم اختلافا واضحا ، باختلاف العصور والمفكرين ، الذين أخذوا عنهم اسلامهم ، فمنهم :

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .

(٢) أبو الحسن الندوى : نحو التربية الاسلامية الحرة فى الحكومات والبلاد الاسلامية — المختار الاسلامى — القاهرة — ١٩٧٦ ، ص ١٠ .

(٣) د. عون الشريف قاسم : « الثقافة والتراث والحضارة ونمو ثورة حضارية » — الدوحة — السنة الثانية (العدد ١٥) — ربيع أول ١٣٩٧ هـ — مارس ١٩٧٧ م .

ـ فريق أخذوا اسلامهم عن عصور التخلف والجمود ، لأنهم كانوا يواجهون تفوقا حضـاريا ، يهدد وجودهم بالفناء ، وعجزوا عن منافسة هذا التفوق،فلاذوا بعصور الضعف ، وهؤلاء يشكلون مكان الضعف ، الذى سوغ الطعن فى الثقافة الاسلامية ، والضيق بها من قبل المثقفين ، وأنصاف المثقفين المسلمين .

ـ فريق أخذوا اسلامهم عن عصـور الازدهار والقوة ، يأخذ من علمائها ، ويرجع الى مجتهديها ، وأمثال هؤلاء لا خلاف على جدواهم ، فى اتصال حبل الاسلام فى هذا العصر . ومن أمثال هؤلاء : محمد عبده ، ومحمد بن عبد الوهاب ، والسنوسية ، والمهدية ، والاخوان المسلمون .

٢ ـ وفريق آخر يقف فى قبالة الفريق الأول ، وهؤلاء يمكن أن نطلق عليهم « المتحررون » ، وهم المثقفون الذين تخرجوا من الجامعات ، ومن فى حكمهم ، ممن نشأوا فى أحضان التربية الغربية ، التى حاولت أن تنشىء أجيالا تتنكر لشخصيتها الاسلامية ، وتبغض دينها ، وتجهل تقاليدها ، وبالتالى يتأقلمون مع الحضارة الغربية ، وينطبعون بطباعها ، فى التظم ، وطرائق التفكير الأوربية،وهؤء قبلوا ثقافة العصر بحذافيرها، « فاذا ما تعـارضت مع أحوال التراث العربى ، رفضوا التراث »(١) ـ وهؤلاء ينتمون :

ـ اما الى الغرب ، بفكره وثقافته يمجدونها ويسجدون فى محرابها .

ـ واما الى الشرق ، يعبدون فلسفة الشرق الشيوعية ، وفكرته ، ويمجدون أنماطها الاجتماعية والثقافية .

٣ ـ وفريق ثالث ، زود نفسـه بكلا الزادين : الثقافة الأصيلة ، وثقافة العصر ، وأخرج منها مزيجا ، هو الذى يمكن أن نطلق عليه بحق « الثقافة العربية الحديثة »(٢) .

(٢،١) د. زكى نجيب محمود : ثقافتنا فى مواجهة العصر (مرجع سابق) ، ص ٢١ .

وكان من وراء الثقافة الاسلامية ، بحيث تشكلت بهذا الشكل ، مجموعة من العوامل ، أدت الى انقسام المسلمين هذا الانقسام الخطير ، الذى أدى — أيضا — الى تشعب الثقافة ، وبالتالى انقسام المجتمع الاسلامى انقساما خطيرا ، يضيع — ولا شك — فائدة الدعوة ، لما فيه من تناقضات واضحة ، ويمكن تلخيص هذه العوامل ، فيما يلى :

١ — الحروب الصليبية والاستعمار :

وقد تناولنا الاستعمار فيما سبق ، وتناولنا بعض آثاره ، ويهمنا أن نقول ان الاستعمار بدأ مع الحروب الصليبية ، وحين أيقن أنه قد راحت أيامه ، وولى مجده ، « وأيقن الغرب المسيحى ، أنه مهما ضعفت دولة الاسلام ، فلن يستطيع النيل منها ومن أمتها ، حتى ينال أولا عقيدتها ... وفكرها » (١) ، لأن الاسلام كان هو « المحرك الأكبر لهم (أى للمسلمين)، ليناضلوا المستعمرين ، وليجالدوا الصليبيين الأوربيين » (٢) ، فانه غير من استراتيجيته لتحقق هدفه الصليبى القديم . ولذلك فقد انتهى عصر الاستعمار ، ولكنه لم ينته الا وقد وضع ذريعة استعمارية ، فى قلب العالم الاسلامى ، هى اسرائيل ، وهذا الأمر سوف نتناوله من زاويته فى حينه . وفى نفس الوقت اخترع مجموعة من الأساليب لهدم الاسلام ، ومن هذه الأساليب :

٢ — الاستشراق :

« المستشرقون » هم حملة الصليب فى « الكنائس » أولا ، انتقلوا بعدها الى « الجامعات » ، « ليكونوا علماء ، وليباشروا البحث العلمى ، فى التراث الروحى والثقافى والحضارى ، لشعوب الشرق ، وبالأخص لمنطقة الشرق الأدنى ، لحساب السياسة الاستعمارية ، فى وزارات الخارجية الغربية ... وبالتالى لحساب المؤسسات والشركات الصناعية

---

(١) د. على جريشة ، محمد شريف الزيبق (مرجع سابق) ، ص١٨ .

(٢) د. محمد عبد المنعم خفاجى : الاسلام والحضارة الانسانية ، ط ١ — دار الكتاب اللبنانى — بيروت — ١٣٩٣هـ — ١٩٧٣م ، ص١٨٦ .

والتجـارية الأوربية »[1] . ولقد « كان فشـل الصليبيين فى حملاتهم المتوالية على الشرق الاسـلامى ، دافعا للمزيد من الاهتمـام بالثقافة الاسـلامية »[2] . وقـد تيقن الأوربيون أنه لا سبيل الى النصر على المسلمين عن طريق القوة الحربية ، لأن دينهم الاسـلامى ، يوجب عليهم جهاد الأعداء ، وبذل النفس فى سبيل حماية بلاد المسلمين ، فوجدوا أنه لا سبيل للقضـاء على الاسلام ، الا بتحويل « التفكير الاسـلامى ، وترويض المسـلمين ، عن طريق الغزو الفكرى ، بأن يقـوم العلمـاء الأوربيون ، بدراسة الحضارة الاسلامية ، ليأخذوا منها السلاح ، الذى يغزون به (الفكر) الاسـلامى ، وهكذا تحولت المعركة من ميـدان السلاح ، الى معركة فى ميدان العقيدة والفكر ، بهـدف تزييف عقيدة المسـلمين الراسـخة ، التى تقوم على الجهـاد ، وتدفع المؤمنين الى الاستشهاد »[3] .

يقول لورانس براون : « اذا اتحد المسلمون فى امبراطورية عربية ، أصبحوا خطرا على العالم ، أما اذا ظلوا متفرقين ، فانهم يظلون حينئذ بلا قوة ، وبلا تأثير ، ولا يتحرج لورنس وهو رجل الدين ، من الانتصار بالاستعمار ، فى سبيل هذه الغاية ، بما يستثيره فى نفوسهم من الخوف والضغينة ، فالخطر الحقيقى عنده ، كان فى نظام الاسـلام ، فى قوته ، وقدرته على التوسع والاخضاع ، وفى حيويته ، فهو الجدار الوحيد ، فى وجه الاستعمار الأوربى »[4] .

والاستشراق «معادلة» تساوى «الانتقاص» من التعاليم الاسلامية ، وتقليل اعتبارها وخلق « الفرق الاسلامية ، بالاضافة الى ما سبق منها ، على أساس من تأويلات مستحدثة ، واحياء لهجات كانت مدروسة ، وشد

(١) د. محمد البهى : الفكر الاسـلامى والمجتمع المعاصر (مرجع سابق) ، ص ١٤ .
(٢) د. على جريشة ، محمد شريف الزيبق (مرجع سابق) ، ص١٩ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٩ .
(٤) د. حلمى على مرزوق (مرجع سابق) ، ص ٢ ، ٣ .

البصر الى ما يسمى بحضـارات اقليميـة شعوبية ، لعصبيات قبليـة مزمنة »[1] . وقد « اندفع فريق من المستشرقين الى الكتابة عن الاسلام والحضارة الاسلامية من هذا المنطلق ، وعمدوا الى تشويه الاسلام من عـدة نواح :

ـ فرددوا أن القرآن من وضع محمد عليه الصلاة والسلام ، وأن سذاجة الصحابة وايمانهم ، دفعهم الى نقله ، على أنه من عند الله .

ـ وخلطوا فى مصادر الأحكام الاسـلامية ، بين المصادر الالهية (القرآن والسنة) ، وبين الاجتهاد ، ونظروا الى الجميع على أنه من صنع البشر ، فسووا بينه فى المنزلة .

ـ ودعوا الى التصوف الاسـلامى ، لمـا يؤدى اليه فى كثير من الأحيان ، من صرف أصحابه عن الجهـاد ، وهو أكثر ما يثير الصليبيين ويفزعهم »[2] .

وقد نجحوا بعض النجاح فى مسعاهم ، فزيفوا العقيدة ، عن طريق فصل العقيدة عن الشريعة ، واعطاء الاسلام صورة الدين المسيحى ، فى صرف الهمة فى العبادة ، واستطاعوا فعلا أن يفصلوا الدين عن الدولة . وفقد المسلمون ذلك السر الخطير ، الكامن فى أصالة عقيدتهم ، وجوهر دينهم »[3] . ثم أخـذ « المستشرقون باسـم العلم والفكر ، يدسون أفكارهم الصليبية فى بحوثهم وكتبهم ، ويشوهون الاسـلام وتاريخه ، فى نظر العالم المتحضر ، وكان من ذلك البلاء كل البلاء ، فان الأساتذة فى الجامعات العربية أخذوا يدعون لهذه الآراء ويذيعونها ، بحجة أنهـا

---

(١) د. محمد البهى (مرجع سابق) ، ص ١٤ .

(٢) د. على جريشة ، محمد شريف الزيبق (مرجع سابق) ، ص١٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٠ .

وانظر ايضا :

ـ انور الجنـدى : من التبعية الى الأصالة ـ الاسلام فى وجـه التغريب .

ـ د. محمد البهى : الفكر الاسـلامى الحـديث وصلتـه بالاستعمار الغـربى .

آراء علمية خالصة ، وفاتهم أن الغرب لا يفرق بين العلم وبين مصلحته ، في القضاء على الاسلام ، وأن أوربا تقدم الفكرة اليوم ، لتخدم بها غدا أو بعد غد ، غرضا سياسيا أو استعماريا ، أو تخدم بها مصالحها الاقتصادية »(١) .

وهكذا استطاع المستشرقون أن يكسبوا تلاميذ لهم ، استخدموهم في ترديد المفتريات على الاسلام ، « وافتعال عقائده وآدابه ، واختلاق أحكام ، لتعميق المفاهيم التى يريدون فرضها ، وترسيخها فى الأذهان ، وتوسيع دائرة الانتفاع بها » (٢) . واعتبرت كتب المستشرقين وبحوثهم ، هى المراجع الأساسية ، التى يجب الرجوع اليها ، سواء فى التاريخ أو فى اللغة أو فى السيرة ، أو فى غير ذلك ، من العلوم الاسلامية .

٣ - التبشير :

بعد أن أيقن الصليبيون ، أنه لا سبيل الى النيل من الاسلام ، وعقيدته حية فى القلوب ، استخدموا أسلوب التبشير ، لازالة هذه العقيدة وزعزعتها فى نفوس المسلمين ، يقول أحد أقطابه : « متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب ، يمكننا حينئذ أن نرى العربى يتدرج فى سبيل الحضارة ، التى لم يبعده عنها ، الا محمد وكتابه » (٣) .

وقد اتخذ التبشير عدة **وسائل** ، منها :

(١) فتح المدارس والارساليات الاجنبية فى بلاد العالم الاسلامى :

ولقد انتشرت هذه انتشارا هائلا فى مختلف بلاد العالم الاسلامى ، ويشير الأستاذ الامام محمد عبده ، « الى أن الضعف الدينى الذى كان يعانى منه المسلمون ، هو الذى أتاح لشياطين الأجانب ، سبل الدخول الى قلوب كثيرين من المسلمين ، عن طريق التعليم ، فلا نرى بقعة من

(١) د. محمد عبد المنعم خفاجى (مرجع سابق) ، ص ١٨٧ .
(٢) د. على جريشة ، ومحمد شريف الزيبق (مرجع سابق) ، ص ٢٣ .
(٣) قالها وليم جيفورد ، فى مؤتمر القاهرة للتبشير ، المنعقد سنة ١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦ م - نقلا عن المرجع السابق .

البقاع ، الا فيها مدرسة للأمريكانيين أو اليسوعيين أو العزرية أو الفرير ، أو لجمعية أخرى من الجمعيات الدينية الأوربية ، والمسلمون لايستنكفون من ارسـال أولادهم الى تلك المدارس ، طمعا فى تعليمهم بعض العلوم المظنون نفعهـا فى معيشتهم ، أو تحصيلهم بعض اللغات الأوربية ، التى يحسبونها ضرورية لسعادتهم ، فى مستقبل حياتهم ، ولم يختص هـذا التساهل المحزن بالعامة ، والجهال ، بل تعداهم الى المعروفين بالتعصب فى دينهم ، بل لبعض ذوى المناصب الدينية الاسلامية »(١)•وباشرت هذه المؤسسات عملها مع الأطفـال والصبية ، من أبنـاء المسلمين ، وبهـذه المؤسسات ، استطاع التبشير أن يغرب التعليم ، ويجعله علمانيا ، وقـد قامت بذلك « فى سبيل المحافظة على ضعف المسـلمين ، وعلى بقـائهم موضـوعا للاستغلال البشرى والاقتصـادى ، وفى دائرة التبعية للفكر الغربى وتوجيهه » (٢) •

وأصبح هـذا التعليم الأجنبى « ينافس الأزهر ، حتى يتـاح له الانتشار والنجاح ، وعندئذ فسوف يجد الأزهر نفسه أمام أحد أمرين ، فاما أن يتطور ••• واما أن يموت » (٣) •

(ب) الابتعاث (ارسال البعثات) :

وهو سبيل آخر من سبل تشـويه الثقافة الاسـلامية ، وتغريب التعليم ، حيث يخرج المتعلمون الى بلاد غير اسلامية ، يدرسوا العلوم الغربية ، على أيد غير مسلمة ، وسواء كان لهذا ، أو لغير هـذا ، فان المبعوث « يزيد جهـالة بدينه وقيمـه ومثله ، ويزيد تعلقه بقيم الغرب

---

(١) د• سعيد اسماعيل على : قضايا التعليم فى عهد الاحتلال ـ عالم الكتب ـ القاهرة ـ ١٩٧٤ ، ص ٣٢٤ ـ ٣٢٥ ـ نقلا عن : تاريخ الاستاذ الامام ـ جـ ٢ ، ص ٥٠٧ •

(٢) د• محمد البهى (مرجع سابق) ، ص ١٤ •

(٣) د• على جريشـة ، ومحمـد شريف الزيبق (مرجع سابق) ، ص ١٣ ـ نقلا عن : تقرير اللورد كرومر ، لسنة ١٩٠٦ م ـ الفقرة ٣ ، ص ٥ •

أو الشرق ومثله ، وهو من ناحية أخرى ، يبدأ بتطبيعه بطباع غير اسلامية ، ثم يصير التطبع مع الزمن طبعا ، وينسلخ الطالب من حيث لا يشعر ، حتى من تقاليده ... فى الملبس والمأكل والمشرب ، وطريقة التعامل ، ويغدو غربيا .. أو شرقيا ، ربما أكثر من الغربى أو الشرقى » (١) .

« ومما يدل على انحراف الابتعاث وارتباطه بغايات هدامة ، أن معظم الابتعاث ، انما كان فى العلوم النظرية والآداب واللغات ، وما الى ذلك ، ولم يكن هناك عدد كاف من المبتعثين لدراسة العلوم التجريبية ، ويذكر الدكتور محمد محمد حسين أمر الابتعاث فيقول : (وأصبح أكثرها يوجه توجيها أدبيا أو فلسفيا تربويا ، بعد أن صارت المجالات الصناعية والخبرات الفنية وقفا على المستعمرين الأوربيين ، الذين حولوا المستعمرات وأهلها ، الى مزارع ومناجم وعمال ، لانتاج المواد الأولية) » (٢) ، بالرغم من أن هذه الدول الاسلامية ، فى حاجة الى التخصصات الفنية ، ومن ثم فان التخصص فى الدراسات العربية والاسلامية على يد المستشرقين ، ودراستها عن طريقهم ، أدى الى الازدواج الثقافى ، داخل البلاد الاسلامية ، اذ أنه مع الارساليات الأجنبية وأثرها ، يحدث ازدواج تعليمى ، يزكيه ويؤيده ، المبتعثون الى الخارج . وقد أدى هذا الازدواج ، الى اهمال اللغة العربية ، حيث دعا البعض الى اصطناع الحروف اللاتينية ، حروفا لكتابة اللغة العربية ، ودعا البعض الى استخدام اللغة العامية ، بدلا من اللغة الفصحى — لغة القرآن ، وأدى هذا الى اهمال القرآن .

---

(١) د. على جريشة ، د. محمد شريف الزيبق (مرجع سابق) ، ص ٦٤ ، ٦٥ .

(٢) محمد بن لطفى الصباغ : « الابتعاث مخاطره » — **أضواء على الشريعة الاسلامية** — تصدرها كلية الشريعة بالرياض — العدد الثامن — جمادى الآخرة ١٣٩٧ هـ ، ص ٥١٧ .

٤ ــ تمزيق وحدة المجتمع الاسلامى ، نتيجة الازدواج الثقافى •

٥ ــ ابعاد المتعلمين عن الاســلام ، حيث أوجد التعليم طبقة « من الشباب العربى ، الذين راعتهم حضارة الغرب المادية ، فتنكروا لماضيهم وعروبتهم ودينهم ، وسارت هــذه الطبقــة ، عاملة على تغيير التفكير الاسلامى ، وربطه بالتفكير الأوربى »(١) •

٦ ــ جعل الأمر فى أيدى هؤلاء العلمانيين ، سواء فى مراكز الحكم أو فى الادارة أو فى الاعلام أو فى التربية •

٧ ــ الاقلال من شــأن الدين ، والازدراء لطلابه ومعلميه (٢) ، والتهجم على الاسلام والقرآن واللغة العربية •

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد ، بل ان الثقافة الاسلامية ، والتربية الاسلامية ، تواجه فى العصر الحديث ، ضربتين ، لا ضربة واحدة ، هما : الصهيونية ، والمــاركسية ، اللتان ما زالتا تحاولان خلع الاســلام من جذوره ، باحتوائه ، على نحو يدمر مقوماته ، ويفسد كل مقدراته (٣) •

وقد انعكس هذا بوضوح على الحياة ، فى البلاد الاسلامية اليوم ، فأصبحت هى الأخرى انعكاسا لمــا يحدث فى المجــال الثقافى ، فقــد تمخض ذلك عن انعزال بين الأمم الاسلامية والحكومات الاسلامية ، التى تأثرت بالنظرة العلمانية ــ فالحكومات « تأبى أن تتبع النهج الذى تريده الأمة الاســلامية ، والأمة ترفض الوجهة التى تتجه اليها الحكومات ، فهناك صراع مستمر عنيف بين الشعوب والحكومات ، فى جميع البلدان الاسلامية ، وهــذه الحالة تمثل « الاســلام المعاصر » ، والحكومات

---

(١) د. محمد عبد المنعم خفاجى (مرجع سابق) ، ص ١٨٧ .

(٢) د. على جريشة ، ومحمــد شريف الزيبق (مرجــع سابق) ، ص ٧٠ .

(٣) أنور الجندى : الاسلام والعالم المعاصر (بحث تاريخى حضارى) ــ ط ١ ــ رقم (١) من الموسوعة الاسلامية العربية ــ دار الكتاب اللبنانى ــ بيروت ــ ١٣٩٣ هـ ــ ١٩٧٣ م ، ص ٣٨٧ .

الاستعمارية تبـذل الجهود الجبارة ، وتستنفذ آخـر ما فى الجعبة من السهام ، لجعـل المسلمين غير مسلمين ، وتجند لذلك جميع الوسـائل والامكانيات ، وتستخدم لذلك مجال التعليم والتربية بصفة خاصـة ، فتوضع مناهج ، من شأنها أن تقضى على جميع ما يوجد فى المسلمين من القيم الاسلامية ، وتفسد أخلاقهم وأذواقهم ، وتبعدهم عما توارثوه من التقاليد ، كما تشجع فيهم ثقافة ، تدمر كل شىء من البقايا الخلقية،وتروج فيهم العلوم الغربية ، لتثير فيهم الشبهات حول الاسلام ، ولا ينتهى هذا الأمر ، الا أن يطرأ الضعف والوهن والخـور والانحلال ، على سلوك المسلمين ، ويصبحوا قوما فاقدى الشخصية »[1] .

وقد أدى هذا الوضع الثقافى المتخلف ، الى تخلف المجال التربوى ، ولعـل المشكلات التعليمية التى تواجه البلاد الاسلامية ، هى من أخطر المشكلات التى تواجهها ، والتى تتطلب حلولا عاجلة ، تكمن تقريبا كلها فى النظام التربوى ، ولعل هذا يدعونا الى تحليل النظام التربوى القائم فى البلاد الاسلامية اليوم ، لندرس أهم الملامح والسمات ، التى تمتاز بها التربية فى هـذه البلاد ، ثم نحلل فلسفة التربية فى البلاد الاسـلامية ، ونقارنها بفلسفة التربيـة القرآنية ، التى تعتبر محددا هاما ، للشخصية الاسلامية ، فى حين أن فلسفة التربية الحالية فى البلاد الاسـلامية ، هى انعكاس مطابق تماما لمـا حدث فى المجـال الثقافى من تغريب ، فلا هى بالاسلامية ، ولا هى بالغربية . وينتج عن ذلك مجموعة **السـمات ، التى تميز التربية فى البلاد الاسلامية اليوم ،** نستطيع الوصول اليهـا ، من دراسة حال التربية فى البلاد العربية ، كنموذج للبلاد الاسلامية ، حيث تعتبر لسان الاسلام ، وبها يعيش الاسلام — ونلخص هذه السمات عن

---

(١) أبو الأعلى المودودى : الاسـلام اليـوم (مرجـع سابق) ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

الدكتور عبد الغنى عبود (١) ، فيما يلى :

١ — عدم وجود فلسفة تربوية واضحة :

وهـذه نتيجة للتمزق الذى عاشته هذه البلاد ، منـذ احتكاكها بالحضارة الغربية ، ومنذ حصلت البلاد على الاستقلال ، وهـذا التمزق الأيديولوجى يزداد ، لسياسة التعليم غير الثابتة،ومأساة التعليم هنا ، أنه يرتبط بالسياسة المتغيرة ، ولا يتصل بالوطن أو المواطن ، الذى يهـدف الى تشكيله ، واتصال التعليم بالسياسة يضعه فى زحامهـا وتغيراتها ، ويجعل التغيير لمجرد التغيير ، هو فلسفة التعليم فى كل بلد عربى ، والتغيير لا يمكن أن يتم من فراغ ، فهو تغيير فى اتجاه ما يحدث فى الشرق أو فى الغرب ، بغض النظر عن مدى ملاءمته (للتربة) العربية او الاسلامية . وعندما يفقد العاملون فى المجال التربوى ، الهـدف الذى يسعون الى تحقيقه ، فان المسألة تكاد لا تكون أكثر من اجتهـادات فردية ، تؤدى الى التفرقة ، ولا تعمل على تحقيق الوحدة والتماسك ، «فالتعليم فى البلاد العربية هو فى الأصـل مستورد ، وعلى الرغم مما بذل ويبذل فيه من جهود ، من أجل تكييفه وتطويعه ، ليكون أنسب الى الحياة العربية ، فانه ما زال بتنظيمه وفلسفته ومحتواه ، على درجـة من الغرابة والعزلة عن واقع الحياة »(٢) .

ولذا نجد فى الوطن العربى والعالم الاسلامى ، انعكاسا لمـا يحدث فى الاتجاهات الثقافية — نجد نمطين من التربية :

« تربية تقليدية ، تسرف فى المحافظة على القديم ، الذى كنا عليه ، تؤكده ، ولا تتطلب غيره ، خوفا على كياننا الروحى من التصدع ، وتربية حديثـة ، تسرف فى تقليد المناهج الغربية ، فتعلم العلوم والآداب على النمط الأوربى ، دون أن توفق بينها وبين العوامل النفسية والاجتماعية ،

---

(١) د. عبد الغنى عبود : الأيديولوجيا والتربية (مرجع سابق) ، ص ٤٦١ وما بعدها (بتصرف) .

(٢) د. محمد الهـادى عفيفى ، د. سعد مرسى أحمد : قراءات فى التربية المعاصرة — عالم الكتب — القاهرة ، ص ٣٢ .

الخاصة بالعقل العربى ، وهى بالرغم مما تناولناها بالاصلاحات الثقافية ، لا تزال حتى الآن ، نظرية صـورية ، بعيدة عن الحيـاة ، تعلم كثيرا ، ولا تربى الا قليلا ، ليس بينها وبين حاجاتنا الاقتصادية اتصال ، ولا بينها وبين اهدافنا الاجتماعية والسياسية انسجام تام » . وقد يظن البعض أن هذا الاصلاح فى صالح التربية العربية الاسلامية ، الا أنه « مما لا شك فيه ، أن من اسوأ العلامات فى نهضتنا الحديثة ، أن نقلد التربية الاوربية تقليدا أعمى ، وأن نسرف فى التقليد ، حتى نأنف من الاقرار لثقـافتنا القومية ، بحق مجاراة الثقافة العالمية ، فى الابتكار والأصالة » (١) .

وكان هـذا نتيجة غياب فلسفة التربية الأصلية ، التى يمكن أن يحدث على أساسها التطوير . رغم أن البلاد العربية والاسلامية ، تعرف هذا يقينا ، الا أنها لم تحاول ، ولم يحاول الباحثون فى التربية ، أن يضعوا أيديهم عليها ، أن يبلوروا فلسفة اسلامية للتربية الا قليلا ، وذلك نظرا لغياب الاسلام والقرآن ، عن حياة المجتمع الاسلامى ، وعن العقل بصورته النقية ــ وغلبة التعليم النظرى على فلسفة التربية ــ ان كانت هناك فلسفة ــ مع التقليل من شأن المجالات العلمية التجريبية ، وكانت نتيجة ذلك ، « وجـود طبقة مضطربة فى العقـائد والأفكار والسـيرة والأخلاق ، أحسن أحوالهـا ، أن تكون مذبذبة بين الفكرة الغربية ، والفكرة الاسلامية ، والا فهى فى أكثر الأحيان ، تنسلخ من كل ما يدين به مجتمعها وأمتها وبلادها » (٢) .

وكان من نتيجة ذلك أيضا ، عدم وجـود فلسفة تربوية واضحة ، وبناء على ذلك نجد مجموعة من السمات التى تباعد بين التربية ، وبين العصرية ــ ومن هذه **السمات :**

---

(١) د. جميل صليبا : « التربيـة العربية بين الأصالة والاقتباس » (مرجع سابق) ، ص ٨٥٧ .

وأنظر له أيضا : « مستقبل التربية فى العالم العربى » ــ ط ١ ــ منشورات عويدات ــ بيروت ــ ١٩٦٧ م .

(٢) أبو الحسن الحسنى الندوى : نحو التربية الاسلامية الحرة فى البلاد والحكومات الاسلامية (مرجع سابق) ، ص ١٠ .

٢ ــ مسئولية الدولة عن التعليم :

اذ نجد الدولة تشرف على التعليم ، من خلال وزارة مركزيه تنفذ سياسة الدولة ، مع التضارب فى الاختصاصات والاشراف ، فقد تشرف بعض الوزارات على أنواع من التعليم ، كاشراف وزارة الشئون الاجتماعية على دور الحضانة ورياض الأطفال ، ووزارة الحربية على التعليم العسكرى ، فى كل البلاد العربية ، ووزارة الصحة على معاهد الصحة ، ويؤدى هذا الى التضارب ، وعدم التنسيق ، بين الوزارات المختلفة ، وبين وسائل التعليم غير المباشر .

وتؤدى مسئولية الدولة عن التعليم ، الى خضوع السياسة التعليمية فى كل بلد عربى ، لاعتبارات غير تربوية ، وغير علمية ، فاضطراب السياسة فى البلاد العربية ، والقلاقل التى تفرض نفسها على بعض الدول العربية ، تنعكس فى أسوأ صورة،على سياسات التعليم ونظمه ــ الى جانب المدلول الخطير ، وهو أن مسئولية المدرس عن كل شىء فى الأمور التربوية ، يورث النظرة الدكتاتورية ، ويغرس الفلسفة الدكتاتورية ، ويؤدى هذا الى سلب التعليم،ما تنص عليه اللوائح والقوانين،من استقلال، وما تدعى الدولة فى كل بلد عربى ، أنها توفره للعاملين فى التربية ، وفى المجال العلمى ، من حرية أكاديمية .

٣ ــ انتشار الأمية وعجز النظم التعليمية عن مواجهتها :

فالأمية تنتشر انتشارا هائلا فى العالم العربى والاسلامى . وهى تصل الى ٧٣٪ من مجموع سكان الوطن العربى ، بينما هى لا تزيد عن ٣ر٥٪ فى البلاد المتقدمة ، ولا تزيد عن ٢ر٥٠٪ فى مجموع البلاد النامية ، حسب احصائية ١٩٧٠ (١) .

---

(١) د. عبد الغنى عبود : « التربيــة ومحو الأمية الايديولوجية » ــ المقــولة الأولى من كتاب : **فى التربيــة المعاصرة** .. (مرجع سابق) ، ص ٣٥ ــ نقلا عن :

ــ د. محمد احمد الغنام : « مستقبل التربية فى البلدان العربية ــ الجزء الأول ــ النظرية والواقع » ــ **التربية الجديدة** ــ مجلة فصلية تعالج شئون التخطيط والتجديد فى التربية ــ السنة الأولى ــ العدد الثانى ــ نيسان (ابريل) ١٩٧٤ م ، ص ٢١ ، نقلا عن :

— Unesco Statistical Yearbook, 1972.

وصحيح أن نسبة الأمية ستهبط ـ حسب التوقعات ، من ٧٣٪ سنة ١٩٧٠ الى ٥١٫٥٪ سنة ١٩٩٠ ، ولكن اعداد الأميين فى الوقت ذاته ، سترتفع من ٥٠ مليون سنة ١٩٧٠ ، الى « ٦٧٫٧ مليون نسمة » . « ومعنى هذا استمرار حدة المشكلة ونتائجها »(١) . ويتصل بهذا تعليم البنت ، التى يهمل تعليمها فى كثير من بلاد العالم الاسلامى ، تحت اسم الاسلام ، وهو ليس من الاسلام فى شىء .

٤ ـ عدم التوازن بين انواع التعليم ومراحله :

لقد انصب التأكيد الأعظم فى الدول العربية والاسلامية،على التنمية التربوية ، على أساس انهـا أداة التحول الاجتماعى ، وقد انتقل هـذا الايمـان ، الى الجمـاهير ، من الحكومات والدول ، « التى نصت فى دساتيرها الجديدة ، وفى قراراتها القانونية والتشريعية ، على أهمية التربية فى هذه المرحلة الجديدة ، ووقعت هذه الحكومات تحت ضغط الجماهير، فأكثرت من كم التعليم ، معتقدة أن نشر التعليم بين المواطنين ، هو الحل لمشكلات التنمية »(٢) . ولكن النظام التعليمى لا يستوعب فى المرحلة الابتدائية أكثر من ٦٠٪ ممن هم فى سن الالزام ، أما الـ ٤٠٪ الباقون ، فانهم ينضمون الى جيش الأمية . ويتعدى الأمر ذلك ، الى عدم التوازن، بين التعليم العام والفنى ، والتعليم الأدبى والعلمى ، وهذا نتيجة مباشرة لعدم ارتباط التعليم بالخطة الاقتصادية والاجتماعية فى البلاد العربيـة والاسلامية ، وعدم وجود فلسفة تربوية واضحة .

وقد اتجه النظام التعليمى الى التوسـع الكمى ، دون أن يوجه لمقابلة الاحتياجات النوعية ، التى تتطلبها التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ولم ينظر الى المراحل التعليمية نظرة متكاملة ، فكانت كل مرحلة تدرس.

(١) د. محمد أحمد الغنام : « استراتيجية التربيـة فى العـالم العربى » ـ **التربيـة من اجل التنميـة** ـ المؤتمر التربوى لتطوير التعليم ما قبل الجامعى ـ دمشـق فى ٣/٨ آب ١٩٧٤ ـ الجمهـورية العربيـة. ص ٢٣٤ .

(٢) جون و. هانسون ، كول س. برمبك (مرجع سابق) ، ص١ .

وتعالج مشاكلها ، فى حدودها الخاصــة ، دون ارتباط بالمراحل السابقة أو اللاحقة ، الأمر الذى أدى الى انعدام التوازن والتناسق ، بين شتى المراحل ، وبالتالى غلبة الطابع النظرى على الطابع العملى ، خاصة وأن الاستثمارات تتجه الى التعليم النظرى دون العملى ، مما أدى الى زيادة عدم التوازن »(١) •

٥ ــ غلبة الطابع النظرى على التعليم :

حيث الاهتمام بالحفظ والتلقين ، وعدم الالتفات الى التطبيق العملى الفنى ، فالنسبة الكبيرة من خريجى المدرسة الاعدادية ، تتجه الى الثانوى العام (حوالى ٤٣٪) ، فى حين تتجه النســبة الأقل الى التعليم المهنى والفنى (٣٤٪) ، على الرغم من أن التعليم الفنى والمهنى ، يعد الأساس الضرورى لقيام الاقتصاد القومى ، ولايمكن أن يكون تخريج الاخصائيين مجديا ، ما لم تتوافر الأعداد المناســبة ، من الفنيين والعمــال المهــرة والمتوسطى المهارة (٢) •

هــذا الى جانب قصور مراكز التدريب القصير ، عن اســتيعاب الأعداد المطلوبة ، وقلة الأماكن المخصصة لاعداد العمال المهرة ، ومساعدى الفنيين ، بمراكز التدريب ، وبالمدارس الثانوية ، وانصراف التلاميذ عن هذا النوع ، الى التعليم الثانوى العام ، وعدم وجود مدارس لتــأهيل الفنيين التطبيقيين (٣) •

ولذلك نجد زيادة،فى نسبة الحاصلين على الليسانس والبكالوريوس، فى مختلف فروع التخصص ، وكذلك فى نسبة الحاصلين على الماجستير والدكتوراه ، خاصة فى البلاد العربية التى بدأت نهضتها التعليمية الحديثة، منذ فترة طويلة ، مثل مصر •

---

(١) د. ابراهيم عصمت مطاوع : التخطيط للتعليم العالى ــ ط ١ ــ مكتبة النهضة المصرية ــ ١٩٧٣ ، ص ٤١٨ •

(٢) المرجع السابق ، ص ٤١٩ •

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٢٠ ، ٤٢١ •

ونتيجة لذلك ، نجد هــذه القوى البشرية الاســتراتيجية ، التى لا تستطيع المؤسسات القومية استيعابها ، والاستفادة بمواهبها ، تضطر للهجرة الى الخارج ، بعد أن أنفقت بلادها عليهــا ، الكثير من مواردها المحدودة ، مما يمثل فاقدا كبيرا فى النظام التعليمى (١) .

٦ ـ الازدواج التعليمى :

وهو صورة واضحة للازدواج فى التفكير والسلوك ، ويتمثل فى وجود تعليم قديم ، وتعليم حديث ، جنبا الى جنب ، فى معظم البــلاد العربية والاسلامية . ويرجع ذلك أيضا الى أن هــذه الدول ، ما زالت تبحث لها عن (شخصية قومية) ، تستمد منها فلســفة التربية شــكلها وأهدافها ، وتنعكس على النظام التعليمى ، بشكل واضح .

٧ ـ قصور التخطيط التعليمى :

وهذا راجع ـ بالدرجة الأولى ـ الى غياب الفلســفة الاجتماعية الواضحة ، والمحددة ، والى غياب الفلســفة التربوية المحددة المعالم ، مما يؤدى الى التخبط فى التخطيط ، الى جانب الصراعات المختلفة التى تواجه البلاد العربية والاسلامية (٢) .

وبعد ذكر هذه الســمات التى تميز النظام التعليمى ، فانه يلزم أن

---

(١) للتفصيل ، ارجع الى :
ـ د. عبد الغنى عبود : « التربيــة ومحو الأميــة الأيديولوجية » (مرجع سابق) :
ـ دراسة مقارنة لتاريخ التربية .
ـ د. احمد حسن عبيد : فلسفة النظام التعليمى وبنيــة السياسة التربوية .
ـ د. محمد ربيــع : هجرة الكفايات العلمية ـ جامعــة الكويت ـ ١٩٧٣ ، ص ٩٣ ، وما بعدها .

(٢) للتفصيل ، ارجع الى :
ـ د. عبد الغنى عبــود : « التربيــة ومحو الأميــة الأيديولوجية » (مرجع سابق) ، ص ٣٥ ، ٣٦ .
ـ د. عبد الغنى عبود : الايديولوجيا والتربية (مرجع سابق) .

تحلل فلسفة التربية القائمة ، وذلك عن طريق تحليل أغراض التربيــة ، والخلفية الفلسفية التى يســتند اليها النظام التعليمى ، حيث يمكن أن نستوضح : الى أى مدى : **تتخلف التربيــة فى البــلاد الاسلامية** ، عن فلسفة القرآن التربوية .

اولا : اغراض التربية :

ذكرنا أن التربية فى البلاد الاسلامية قد ارتمت فى أحضان التربية الغربية ، وبالتالى صاغت أهدافها ، طبقا لها ، فقد هدفت الى تربية عقل الانسان ، وتثقيف لسانه ، طبقا لثقافة البلاد الغربية ، ولم تعن « بتغذية قلبه ، واشعال عاطفته ، وتقويم أخلاقه ، وتهذيب نفسه ، فنشأ — كما يقول محمد اقبال — جيل غير متوازن القوى ، غير متناسب النشأة، قد تضخم ، وكبر بعض نواحى انســانيته وحياته ، على حســاب بعض ، وأصبحت المسافة بين ظاهره وباطنه ، وقلبه وعقله وعقيدته ، مسافة شاسعة ، بل أصبح التفاوت بين عقله وجسمه كبيرا، فالأول ضخم كبير ، والثانى ضعيف ناعم » (١) .

واذا كان « التعليم القومى ، عبارة عن نمط فكرى ، تتجلى فيــه غاية أبنائه المشــتركة ، ومساعيهم الموحدة ، ويمثل هــذا النمط العاطفة القومية ، ويكون مزيجا من خصــائص لابد منها لتحقيق هــذا المجتمع وأهدافه » (٢) ، فان هذا المعيار الذى نستطيع أن نحكم به على أهداف التربية ، كما هى موجودة فى بلاد العالم الاسلامى، والتى نجدها « مسرحا للتناقض العجيب ، بين الطبقات الحاكمة أو الزعيمة ، وبين الجماهير فى جانب ، وبين الطبقــات المتحررة التقدمية ، فى جانب آخر ، وذلك كله نتيجة نظام التربية الغربى وخطوطه ، فهى تنشىء جيلا ، لا يسيغ العقائد، والحقائق التى يقوم عليها المجتمع الاسلامى ، أو الأمة الاسلامية ، لأن

---

(١) انور الجنــدى : من التبعيــة الى الأصالة (مرجــع سابق) ، ص ٩٠ .

(2) Vernon Mallinson : An introducation to the study of comparative education (London, 1957) ,p. 4.

بما يعطيه هذا النظام ويغرسه فى النفوس والعقول ، يتناقض تناقضا واضحا مع العقائد ، والحقائق التى يؤمن بها ، أو يجب أن يؤمن بها ، هذا المجتمع أو الأمة ، واذا أساغها ، فانما يسيغها بمعجزة ، أو تأثير خارجى ، يضعف سلطان هذا النظام ، وذلك شاذ لا يقاس عليه »(١) .

ومن ثم يمكن القول ، بأن التربية الموجودة فى العالم الاسلامى المعاصر ، ترتبط فى أهدافها ، بفلسفة غريبة عن هذا العالم ، وتخرج أجيالا على نفس الهدف المرسوم لها ، فهى تخرج أفرادا ضعيفى النفوس والشخصية والارادة ، أصيبوا بمركب النقص ، وبكره شديد للعقائد ، والأهداف التى يؤمن بها الشعب المسلم ، أو الأمة الاسلامية »(٢) .

ثانيا : الخلفية الفلسفية للنظام التعليمى :

ومن نفس المنطق ، فان فلسفة التربية التى تعتبر الأهداف التربوية جزءا منها ، حيث تشتق من فلسفة اجتماعية ، والفلسفة التربوية التى تعتمد عليها التربية فى البلاد الاسلامية ، هى كلها ــ تقريبا ــ غريبة عن البلاد الاسلامية وثقافتها ، وهذه الفلسفات ، اما أن «تهتم بالفرد وتدور حوله ، وتتفاوت فيما بينها فى الاهتمام بالفرد ، وتلتفت هذه الفلسفات التربوية الغربية بعض التفات ، الى الجماعة ، ولكنها تتفاوت فيما بينها أيضا فى هذا الالتفات الى الجماعة » ، « واما أن تهتم بالجماعة ، وتدور حولها ، وتعتبر الفرد مجرد حيوان اجتماعى »(٣) .

وهذه الفلسفات قد تصلح للمجتمعات التى نشأت فيها ، وتشكلت بثقافاتها ، وبالتالى فهى لا تصلح للمجتمع الاسلامى ، وخاصة أن للمجتمع الاسلامى فلسفة ، تتعارض تماما مع هذه الفلسفات ، مع أن هذه

---

(١) أبو الحسن الندوى : نحو التربية الاسلامية الحرة (مرجع سابق) ، ص ١٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٥ .

(٣) د. عبد الغنى النورى ، د. عبد الغنى عبود (مرجع سابق) ، ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

وارجع كذلك الى الفصل السابق من الرسالة .

الفلسفات تهمل التراث الثقافى لهذه المجتمعات ، وكان أن ذابت الشخصية الاسلامية فى هذه الفلسفات ، كما رأينا فى موضع سابق ، وكان من وراء ذلك الاستعمار ، والاستشراق والتبشير،وكان كل هذا يهدف،الى اضعاف المسلمين ، ويعمل « على ابقائهم موضوعا للاستغلال البشرى ، والاقتصادى ، وفىدائرة التبعية للفكر الغربى وتوجيهه » ، وكانت الوسيلة الى ذلك ، هى « توطين الفكر العلمانى ، فى المجتمعات الاسلامية »(١) ، كما سبق القول ، على أساس « أن حضارة الاسلام ، التى هى حضارتنا القومية ، حضارة دينية صرف ، وأنها فىذلك شبيهة بما كانت عليه الحضارة الغربية فى القرون الوسطى ، حيث سيطر رجال الدين على حياة النـاس وأفكارهم ، وبالتالى فان سبيل تطوير المجتمع المسلم ، هو سبيل تطوير المجتمع الغربى ، الذى أبعد الدين عن الحياة العـامة ، باسم العلمانية ، بحيث يصبح ما لله لله ، وما لقيصر لقيصر ، وتفرعت عن ذلك شـعارات كثيرة ، تتردد على الألسن ، منهـا الشعار المكرر (الدين لله ، والوطن للجميع) ، وكل ذلك يستقيم وتجربة المجتمع الغربى ، الذى ينفصل فيه الدين حقا عن الدولة ، وتطبيق العلمـانية عليه رد للدين المسـيحى الى مكانته الطبيعية ، فى حياة المجتمع »(٢) .

ومهما يكن من أمر ، فقد كان من نتائج ذلك ، ومن نتـائج صبغ التربية فى البلاد الاسلامية بالصبغة العلمانية الغربية ، ظهور عدة مشاكل، نلخصها عن الدكتور محمد فاضل الجمالى (٣) فيما يلى :

١ - أن اقتباس التربية الغربيـة بدون ربط كاف لهذه التربيـة بالقواعد القومية التربوية ... قد أوجد انشـطارا وثنائية ، فى الكيان الاجتماعى والفكرى ، للشعب الاسلامى .

---

(٢) د. محمد البهى : الفكر الاسلامى والمجتمع المعـاصر (مرجع سابق) ، ص ١٤ .

(٣) د. عون الشريف قاسم (مرجع سابق) .

(٤) د. محمد فاضـل الجمالى : آفاق التربية الحديثة فى البلاد النامية (مرجع سابق) ، ص ٤٢ وما بعدها .

٢ — أن التربيـة الغربيـة ولا سـيما تلك التى تقـدمها المدارس الأجنبية ، أو المدارس الوطنية التى تقلد الغرب ، قد تهمل اللغة القومية ، أو تقدمها بصورة ضعيفة سقفرة .

٣ — فى اقتباس التربية ، تتجه العناية الى القالب والمظهر ، أكثر من الحقيقة والجوهر ، فالطالب المسلم اليوم قد يعيى ويقلق،من أجل الشهادة واللقب العلمى ، أكثر من اهتمامه بالتحصيل العلمى والعمل الشـاق ، المطلوبين فى البحث وراء الحقيقة ، فى المكتبات ، وفى المختبرات ، وفى الحقول .

٤ — فى اقتباس التربية الغربية ، يتم التأكيد على عملية الحفظ،أكثر من التفكير والفعالية والبحث .

٥ — وحين ينال البعض قشرة من الثقافة الغربية ، يصيبهم الغرور، والادعاء ، والبعض الآخر يعوزهم التكيف ، ويصدق هذا بصورة خاصة، حينما يتأخر انتشار الثقافة العامة بين أبناء الشعب ، وحينما يكون عدد الذين ينالون الثقافة الجامعية صغيرا .

٦ — ان التأكيد الى الآن،كان على النوع الأدبى الأكاديمى من التربية الغربية ، وذلك على حساب التربية العلمية والتقنية ، وقد نجم عن ذلك وجود وفرة من الشبان ، ذوى الياقات البيضاء ، الذين لم يجدوا عملا مناسبا لهم ، والذين قد يصبحون من المشاغبين .

٧ — ان الكثيرين ممن ينالون الثقافة الغربية ، لا يعرفون شيئا عن دينهم ، ولا عن حضارة أمتهم ، وجذورهم الروحية ، ومن ثم فقد اقتلعوا من تربة بلادهم ، وفوق ذلك فالكثير منهم يعتاد على تناول المشروبات الكحولية ، وينغمس فى التمتع بالشهوات ، ويمنى بالتحلل الخلقى . مثل هذه الحالة الملعونة ، هى نتيجة سـوء فهم ، وسـوء تطبيق ، للتربيـة الغربية .

واذا كانت هـذه بعض المشـاكل فى الانسان ، فان المشـكلات الاجتماعية أكبر ، ومن كل هذا يتضح أن الخلفية الفلسفية للنظام التعليمى فى البلاد الاسلامية ، تعتمد على الفلسفات المستوردة من الخارج ، وليس على الفلسفة النابعة من تراث هذه البلاد ، بل انه يتعمـد اغفال هـذه الفلسفة ، فى كثير من البلاد الاسلامية ، وكانت النتيجة أن تأثرت التربية، وأنتجب تتـاجا على نفس النمط الغربى ، فكان الانعزال بين النظـام التربوى ، وثقافة المجتمع الاسلامى ، الذى يعيش فيه هذا النظام .

وليس من العيب أن تتطلع البـلاد الاسـلامية الى الغرب المتفتح المتقدم، « فقد تطلعت اليه من قبل اليابان ، والاتحاد السوفيتى والصين ، وعلى أساس تطلعها اليه ، نهضت كل منها ، ولكن غير الطبيعى ، هو أن تظل تتطلع اليه الى الأبد ، رغم النكسات والانتكاسات ، التى نتجت عن هذا التطلع ، ولو أن البلاد الاسلامية ، فعلت ما فعلته هذه البلاد التى تقدمت ، وسارت على ضوء تراثها العربى والاسلامى ، لكان لها فى عالم اليوم شـأن آخر ، ولكنها اختـارت طريق التقليد الأعمى ، فبـددت مواردها ، وضيعت من عمرها وعمر شعوبها ، سنوات غالية طويلة »(١).

ثالثا : الأصـالة والاقتباس :

من الدراسة السابقة ، نلاحظ ملاحظة هامة ، هى أن الأصـالة فى النظام التربوى بسيطة للغاية ، وأنها لاتوجد الا فى مناهج التربية الدينية، رغم ضحالتها ، وكأن هذه الحصص التى تدرس فيها هذه المـادة ، هى خلاصة الاسـلام ، وهى خلاصة الدين . أما الاقتباس فهو كل حيـاة المجتمعات الاسلامية ، فضلا عن النظم التربوية وفلسفتها ، وهذه هى سمة الحياة فى المجتمع الاسلامى المعاصر .

وربما يظن اننا بهذا ضد الاقتباس ، ونقول اننا باليقين ، ضد التقليد

---

(١) د. عبد الغنى النورى ، د. عبد الغنى عبود (مرجع سابق) ، ص ٣٣٦ ، ٣٣٧ .

الأعمى الذى تمارسه البلاد الاسلامية ، فالاقتباس له حدود من الأصالة ، وهو يقف عند حدود الاستعارة ، فقد « تستعير الأمم من الخارج ، ولكنها لا تعيش على (الاستعارة) ، « وقد تأخذ فى فترات ، ولكنها لا تكون تابعة أبدا ، ومن حقها أن ترفض ما يضيرها ، ويحول بينها وبين الحفاظ على شخصيتها وذاتيتها ووجودها وكيانها . ذلك هو التأصيل : الذى يجب أن يتجه اليه الفكر الاسلامى ، انتقالا من التبعية ، بعد معركة طويلة »(١) . ووصولا الى الأصالة ومقوماتها ، التى تعنى « الخصائص الجوهرية ، والبذور الحقيقية ، التى ينبثق منها الطابع المميز الثابت ، لهذه الثقافة ، تلك الخصائص الجوهرية ، التى تمثل فى الوقت ذاته ، نقاط انطلاق ، لأية حركة تجديدية ، فى هذه الثقافة »(٢) .

ثم ان الاقتباس فى التربية كيف يكون ؟ لقد عرضنا سابقا لفلسفات التربية ، ووجدنا فيها ما يلى :

١ — الثنائية فى النظرة الى الانسان والمجتمع والكون والحياة .

٢ — أنها تفقد الانسجام والتوفيق بين نواحى الوجود ، فهى لا تستطيع تقديم تفسير منسجم للحياة ، فضلا عن الانسان موضوع التربية .

٣ — أنها لا تميز بين الغاية والوسيلة .

وقد رأينا أن هذه الفلسفات « قد أخفقت فى أن تهب لأهلها ثقة الاستقرار والطمأنينة »(٣) ، فضلا عن أنها عاجزة عن أن تستوعب

---

(١) أنور الجندى : من التبعية الى الأصالة (مرجع سابق) ، ص ١٠ .

(٢) د. محمد كمال جعفر : « ثقافة المسلم المعاصر بين الأصالة والتجديد » — المسلم المعاصر — العدد الخامس — محرم ١٣٩٦ هـ — يناير ١٩٧٦ م ، ص ١٤ .

(٣) البهى الخولى : الاشتراكية فى المجتمع الاسلامى ، بين النظرية والتطبيق — مكتبة وهبة — بدون تاريخ — ص ١٨ .

المجتمع الاسلامى »(١) ، أو يستوعبها ذلك المجتمع •

واذا كان « المعيار المشترك لجودة التعليم ، هو مدى ملاءمة هذا التعليم ، الذى يحصل عليه الأفراد ، للحاجات والقيم السائدة حاليا ومستقبلا ، لمجتمع معين ، فان من السيىء جدا ، أن تستعير دولة لنفسها مناهج التعليم ، والمعايير التعليمية ، من دولة أخرى ، مع أنها قد أصبحت هناك غير ملائمة ، بل والأكثر من هذا سوءا ، أنها غير ملائمة لظروف الدولة المستعارة لها »(٢) • وتتساءل مع كومبز : « وما هى النتيجة القاسية ، التى تترتب على تشكيل دولة معينة لمناهج التعليم فى مدارسها الابتدائية والثانوية ، أو غيرها من المناهج ، على نسق المناهج المقابلة لها فى دولة أخرى ، سواء كا نذلك باسم التقدم وتطوير المناهج ، أو لضمان أن جزءا معينا من تلاميذها ، يستطيعون الالتحاق بجامعات الدول التى استعيرت مناهجها •

ان النتيجة القاسية الخطيرة ، هى انفصال التعليم فى الدولة المقلدة لنظم غيرها من الدول،عن الحاجات والظروف والآمال الحقيقية للمجتمع، ومعنى هذا أيضا ، أن النظام التعليمى يتبع شيئا مجردا عن واقعه ، ويبعده عن الأخذ باستراتيجية تعليمية ، تساعد المجتمع على تحقيق أهدافه فى التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، وفضلا عن ذلك ، فان مثل هذا النظام ، يتسبب عنه فاقد كبير للموارد ، التى توفر بصعوبة ، لكى تستثمر فى التعليم ، ويصبح النظام التعليمى على هذه الصورة ، تخريبا مستترا ، أو غير منظور ، للتنمية القومية »(٣) •

ومعنى ذلك ، ، أن فلسفة التربية السائدة فى البلاد والمجتمعات

---

(١) أنور الجندى (مرجع سابق) ، ص ١١ •

(٢) ف • كومبز : ازمة التعليم فى عالمنا المعاصر — (ترجمة الدكتور أحمد خيرى كاظم ، والدكتور جابر عبد الحميد جابر) — دار النهضة العربية — القاهرة — ١٩٧١ ، ص ١٧٧ •

(٣) المرجع السابق ، ص ١٧٧ •

الاسلامية ، فلسفة متخلفة ، بالقياس الى فلسفة القرآن التربوية ، وخاصة بعد الدراسة السابقة (١) • والأمر لا يحتاج الى أن نذكر بما توصلنا اليه فى الفصلين الثانى والثالث (٢) ، لاثبات أن التربية فى البلاد الاسلامية، كما هى عليه الآن ، متخلفة بالنسبة لفلسفة التربية القرآنية •

هذا الى جانب تخلف فلسفة التربية فى هذه البلاد فى ذاتها ، فهى ليست بالغربية ولا بالشرقية ، بل هى (مسخ مشوه) من هذا وذاك ، الى جانب غربتها عن المجتمعات الاسلامية •

وبعد هذا الايضاح ، ماذا تفعل المجتمعات الاسلامية ، وقدرها أنها مجتمعات متخلفة ، ولكن لديها من التراث والعقول ، ما يمكن أن ينقذها من هذا التخلف ، الى جانب تمتعها بثروات اقتصادية طبيعية هائلة ، ولكنها رغم ذلك متخلفة ؟ وأستطيع القول بأن التخلف الذى تعانى منه هذه الدول ، تخلف فكرى وثقافى وتربوى ، قبل أن يكون أى شىء آخر •

والعالم اليوم تسوده الرأسمالية والشيوعية ، وقد قيدتا الانسان « بأغلال المادة ، والكنيسة المتحجرة بتأثير من القطيعة الرجعية ، تتشبث فى مشقة بتيار التاريخ ، وضمير المسيحيين يفلت منها يوما بعد يوم ، على رؤوس الأشهاد ، فالرأسمالية قد أنهكها رخاؤها ، فانتهت الى فلسفات وجودية مهجنة من الارتيابية ، ومن اللذات الزائفة • والشيوعية تذرعا بالحجة المشروعة ، وهى تحرير الانسان ، قد سلبته الحرية الحقيقية، حرية الفكر ، وانتهت الى علمية عدمية، والى فلسفة قوامها الكراهية ، والتكيف مع البيئة »(٣) ، ومن الدول النامية دول ، مازال لديها اقتناع كامل ، بأن أمثل النظم والفلسفات، هو النظام الغربى، والفلسفة الغربية، ومن ثم فهى تربى أبناءها على أساسها ، وعلى منوالها وأهدافها ، وبالرغم من أن هذه

---

(١) أنظر الرسالة ، ص ١٤٥ وما بعدها .
(٢) أنظر الرسالة ، ص ٦٩ ، ١٤٣ .
(٣) د. أحمد عروة (مرجع سابق) ، ص ١٩١ .

الفلسفات وهذه النظم « مترهلة ... قد بلغت ذروة مداها ، وآن أوان انحسارها .. فالعالم يمر بفترة حرجة ، فترة ظلام فكرى ، فأين الخلاص اذن ... ؟ وكلما ساد الظلام الفكرى ، يلتمع الاسلام دائما ، باعجازه ، ليحدد للانسان معالم الطريق ، ذلك أن الاسلام نزل وتكامل ، ليكون العقيدة الأخيرة للبشرية ، دون ما تناقض مع طبيعتها الأصلية من جهة ، ودون ما تجاهل لعناصر مأساتها ، من جهة أخرى »(١) .

وعلى هذا الأساس ، فانه يجب الرجوع الى الاسلام ، لأن فى كتابه منهجا كاملا ، يمثل « أكثر الصور تطورا ، وأوفرها فتوة ، وهو يسجل مرحلة هامة ، بالقياس الى المعتقدات السابقة ، سواء بتوكيد فكرة دينية رفيعة ، أو باقامة أخلاق اجتماعية تقدمية »(٢) - ولما يمتاز به من :

١ - التوفيق والتوازن بين الحاجات المادية، وبين المطامح الروحية، فى واقعية وانسجام ، لا مثيل لهما فى أية فلسفة من الفلسفات ، أو دين من الأديان ، أو أيديولوجية من الأيديولوجيات .

٢ - اتاحته الفرصة لمبدأ الاجتهاد ، فى سبيل السعى الدائم الى اثراء المجالات الروحية والعقلية والعلمية ، وفى تكييف البيئات الدنيوية ، مع أوضاع الأمة التاريخية والاجتماعية على حد سواء ، وبالتالى فان الاسلام يقبل التجديد ، ولا يرفضه ، ويراعى التكيف مع روح العصر ، ولكنه لا يجدد فيما هو أبدى ، من معنى الايمان ، بل التجديد فى الواقع التاريخى والانسانى .

٣ - أن رسالة الاسلام والقرآن شمولية ، سمت فوق الأجناس والقوميات ، اذ جعلت لكلمة الاخاء ، أسمى ما لها من معان السامية .

---

(١) د. عماد الدين خليل : فى النقد الاسلامى المعاصر (مرجع سابق) ، ص ١٦٩ .

(٢) د. أحمد عروة (مرجع سابق) ، ص ١٨٦ .

٤ ــ ان أخلاق الاسلام الاجتماعية ، ، صورتها العامة ، ترعى الفرد ، بقدر ما تقوى تماسك الهيئة الاجتماعية ، معتمدة على شعور التضامن الذى يؤلف بين الناس[١] •

وهذا يعنى أن التربية الاسلامية النابعة من القرآن ، مفروضة فرضا ، يجب على المجتمعات والحكومات الاسلامية أن تلتزم بها ، وتقوم عليها ، وعن طريق هذه التربية ، وعن طريق توجيهها توجيها مستمرا ، يمكن أن يرفع من « مستوى الجماهير الأخلاقى والعقلى والروحى ، ليسير جنبا الى جنب ، مع مستوى حياته ، ومع ما تحقق من تقدم ، فى جميع مجالات الاقتصاد والتقنية والعلم »[٢] •

وعن طريق الالتزام بفلسفة التربية القرآنية ، يمكن تكوين الانسان المسلم العابد ، الصالح ، الذى يصفه اقبال ، بأنه « مصدر الانقلاب الصالح فى التاريخ ، ومطلع فجر السعادة فى العالم • انه رسول الحياة ، ومؤذن الفجر ، فى الليل البهيم ، ليشرق العالم ، ويستيقظ الكون • وقوة المؤمن الخارقة للعادة ، المعجزة للبشر ، مستمدة من رسالته وايمانه • وباندماجه فى ارادة الله ، يتحول قوة خارقة قاهرة ، لا تصدها الجبال ، ولا تقف فى سبيلها البحار • واذا كان جسم المسلم من تراب ، فان فطرته من نور ، وهو يتخلق بأخلاق مولاه ، بأخلاق القرآن ، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خلقه القرآن »[٣] •

وحينئذ تستريح البلاد العربية والاسلامية ، ومجتمعاتها ، من قضية الازدواج الفكرى وأضراره ، وسوف تتجنب الكثير من الأضرار والأمراض الحضارية ، وسوف يصبح أساس المجتمع الاسلامى هو الانسان (الانسان) ، وليس الانسان (الآلة) ، أو الانسان (الحيوان) • وهكذا

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٨٦ وما بعدها .

(٢) د. أحمد عزوة (مرجع سابق) ، ص ١٨٩ .

(٣) د. محمد عبد المنعم خفاجى : الاسلام والحضارة الانسانية (مرجع سابق) ، ص ١٩١ .

يمكن أن أقول بصـــدق ، انه اذا كان الاسلام هو الحل الأمثل لقضايا البشرية ولمـآسيها ، فان أداة الاســلام هى التربية ، ممثلة وملخصة فى (فلسفة التربية كما جاءت فى القرآن) ، وعن طريق هذه التربية ، سواء على المستوى الرسمى وعلى غيره ، يمكن تخريج أجيـال من المسلمين ، أقصى ما يمكن أن يقال عنهم أنهم (مسلمون) •

والخلاصــة التى نخرج بها من هذا الفصل ، هى :

١ ــ أن دول العالم الاسلامى تنتمى أساسا الى بلاد العالم الثالث المتخلف ، وهى فى حاجة الى التربية ، لأنها هى الأداة التى يمكن عن طريقها أن تتقدم هذه الدول •

٢ ــ أن لدول العالم الاسلامى تاريخا حافلا ، منذ أن خرج الاسلام من شبه الجزيرة ، وانتشر شرقا وغربا ، وانساح فى بلاد العالم ، بحكمته وفلسفته ، التى هدت البشرية جمعاء • وكانت فلسفة التربية الاسلامية انعكاسا لفلســفة الاســلام ، ولروحــه وتراثه ، وكان ما كان من أمر الحضارة الاسلامية الزاهرة ، فى العصــور الوسطى • ذلك أن هــذه الحضارة حضارة عقلية ، تعتمــد على الايمــان بالله ، فلم يكن خريجو النظام التربوى مدمرين ، ولا عنصريين ، ولا متزمتين • والى هذه العصور تعود نشأة المدرسة الاسلامية ، وفى نهاية القرن السادس الهجرى أقفل باب الاجتهاد ، وأخذت الدول الاسلامية فى الانحلال والضعف والنوم ــ أما الاسلام متمثلا فى مبادئه ، فقد ظل فى الأمة الاسلامية . يفعل المعجزة، ويكتب لها البقاء والصمود •

٣ ــ وجاء العصر بظلاله ، وتغيراته ، وأصبح العالم الاسلامى جزءا من العالم النامى،الذى يتميز بميزات خاصة ، من حيث انخفاض مستوى الدخل القومى ، وعدم وضوح الرؤية الأيديولوجية فى هذه المجتمعات ، ووجود ثروات بشرية واقتصـادية ، تحتـاج الى تنمية • وبالجملة فان هذه البلاد تقع اليوم ضحية التخلف ، بالمقارنة بالدول المتقدمة •

٤ ـ والثقافة والتربية انعكاس للتخلف الذى تعيش فيـه البلاد الاسلامية ، لأنها قامت عليه عوامل مختلفة ، كالاستشراق والتبشير والابتعاث ، وغيرها من أدوات الغزو الفكرى ، الذى أدى الى تشعب التناول الثقافى ، لثقافة المجتمعات الاسلامية ، وبالتالى الى انقسام المثقفين على أنفسهم •

٥ ـ ولذا فان التربية اتسمت بسمات ، هى نفس سمات الثقافة والوضع الثقافى ، وهى تعكس الوضع المتردى للتربية ، ممثلا فى عدم وجود فلسفة تربوية واضحة ، ولذا نجد نظم التربية فى البلاد الاسلامية تلتزم بفلسفة تربوية وافدة ، ونلحظ ذلك واضحا فى:الأهداف التربوية، حيث نجد خريجى النظم التربوية فى البلاد الاسلامية غير منسجمين ، بل لا يعرفون شيئا عن ثقافة بلادهم ، وذلك نتيجة لارتباط التربيـة فى البلاد الاسلامية ، بأهداف غير اسلامية ، بعيدة كل البعد عن القرآن ، وأهداف القرآن •

أما الفلسفة التربوية ، فهى ترتبط بمثل ما ترتبط به الأهـداف ، حيث أن الأهداف ، هى انعكاس لفلسفة المجتمع ، وهى أيضا غريبة عن الواقع الاجتماعى للبلاد الاسلامية ، وعن التراث الثقافى لهـا ، وعن فلسفة التربية القرآنية ، النابعـة من الاطار العـام للحياة الاسـلامية الصحيحة ، كما حددها القرآن •

٦ ـ ان الوضع العالمى اليوم ، فكريا واجتماعيا وثقافيا وتربويا ، وضـع غير مرض ، الانسان فيـه ممزق ، تقتله التناقضات الداخليـة والخوف ، واذا كان هناك حل لمشكلات البلاد الاسلامية ، فانه يكمن فى الاسلام ، وأداته التربية الاسلامية ، كما تتمثل فلسفتها فى القرآن، الذى يهتم بالحياة ككل ، وبالانسان ككل ، فى شمول واتزان ، ومن ثم فان فلسفة التربية القرآنية متكاملة وشاملة ومتوازنة ، ومن ثم يجب على البلاد الاسلامية أن تعود الى هذه الفلسفة ، وذلك المنهاج ، اذ بـه يتم تشكيل (الشخصية القومية) ، للبلاد الاسلامية •

الفصل السادس

النتائج والتوصيات

(١)

رأينا فى دراستنا السابقة ، كيف أن فلسفة التربية الاسلامية ، قد استمدت مقوماتها من القرآن الكريم ، ورأينا كيف أن هذه التربية قد استطاعت أن تتطور ، مستجيبة لظروف الزمان والمكان ، وكيف أن المنهج التربوى القرآنى ، يستطيع أن يحمى الانسان من التناقضات والأزمات العنيفة ، التى تمر به فى حياته .

ورأينا كيف أن بلاد العالم الاسلامى تقع ضحية التخلف ، وتعانى من أزمات خانقة ، فى كل مجالات الحياة ، والأزمة الخانقة فى الحقيقة ، هى أزمة الفكر والأيديولوجيا ، والتربية ، فهى كلها لا هى غربية و لاهى شرقية ، ولا هى محلية قومية ، نابعة من التراث ، وانما هى أمشاج ، لا يكاد الانسان يلمح فيها فكرا ، ولا تربية متأصلة ، بل مجموعة من أفكار غريبة ، لا تمت الى واقعها بصلة ، والشىء الغالب عليها ، هو التقليد الأعمى (١) ، ولا شىء سواه ، كما توجد أنماط مختلفة من التربية ، رغم التنافر الملحوظ فيما بينها ، الا أنها موجودة بجانب بعضها البعض ، فهناك التربية التقليدية ، التى ما زالت تدرس العلوم والآداب عن عصور التخلف العربى ، وتمنع دخول الأفكار الحديثة داخل جدرانها ، هذا الى جانب التربية الحديثة ، التى تلهث سعيا وراء كل جديد ، دون أى تأصيل ، أو مراعاة للتربية القومية ، وكأن كل أمرها ، هو التقليد فحسب .

وكان أمر هذا التقليد الأعمى ، أن هذه الدول ، وان تحررت عسكريا وسياسيا ، فهى لا تزال فى دائرة التبعية الثقافية ، والتربوية والاقتصادية ، والفكرية ، فكأن الاستعمار موجود فيها ، بلا وجود فعلى ، لأنه غرس فى الفكر والتربية ، ما يساعد على بقائه واستمرار وجوده ، فلقد غرس الفكر العلمانى فى المجتمعات الاسلامية ، حيث قلل من أمر الدين ، ومن أمر القرآن ، بحيث أصبح خريج التربية الحديثة ، لا يعرف شيئا عن دينه ولا عن تراثه ، ولا عن القرآن ، بل ان من يعرف

(١) ارجع الى ص ٣٧ من الرسالة .

من القرآن شيئا ، يفسره ويؤوله ، حسب مزاجه الشخصى ، وليس حسبما يقصد اليه القرآن .

والغريب أن هــذه الدول والمجتمعات الاسلامية ، تعانى عجزا فى الخبرات الفنية ، وتعانى تخلفا واضحا فى مجال التكنولوجيا ، الا أنهــا رغم هــذا ، تسعى سعيا حثيثا الى التقليد ، والى الاقتباس ، وتبــدد الأموال نتيجة لهذا ، مما يسبب فاقدا كبيرا فى ميزانياتها الضئيلة ، الى جانب أنها بالتقليد فى مجال التربية ، تنتج طبقة من المتعلمين ، لا تنسجم مع المجتمع ، ولا مع ثقافته ، بل تحاول أن تقلل من شأنها ، وهذا يسبب تصــدعا فى البنيان الاجتماعى ، كمــا رسم له المستشرقون والمبشرون ، فى المدارس والارساليات الأجنبية ، وغيرها من أدوات الغزو الفكرى(١).

ولذا نجد البلاد الإسلامية ، مسرحا للتناقض العجيب ، بين طبقات المثقفين والمتعلمين ، وبين طبقات الأميين ، ومن جهــة أخرى بين طبقــة المحافظين من المثقفين والطبقة المتحررة ، وبين هذه جميعا ، وبين طبقــة المجــددين (٢) .

ويرجع ذلك الى غياب الأيديولوجيا الاسلامية ، أو التصور الاسلامى للحياة ، عن واقع المجتمعات الاسلامية ، وكان ذلك نتيجة بعــد هــذه المجتمعات عن القرآن ، أو ابعادها عنه ، بتعبير أصح ، وهذا ما هدف اليه الاستعمار ، الذى سعى الى « محو الثقافة المحلية ، أولا بالقضــاء على الدين ، أو تأويله بالأساليب التى تتفق مع رغبة الاستعمار ، وبالقضــاء على الفكر القومى ، المستقل عن كل اعتبار ، خارج عن مصــلحة الوطن ومصلحة الجماعات التى تعيش فيه ، واحلال الثقافة الأجنبية محل ذلك كله ، لجعل الشعب المفتوح ذا صبغة ، تستمد كل روائها وأثرها ، من عناصر الحياة التى يختارها المستعمر ويريدها ، فأشكال الحكم ، ومواد التشريع ، واجراءات القانون ، والتشريعات ، ومظاهر الرسميات والألبسة ،

---

(١) ارجع الى ص ٣٢٠ وما بعدها من الرسالة .
(٢) ارجع الى ص ٣١٨ من الرسالة .

وكل شيء ، يجب أن يكون صورة طبق الأصل ، لمـا هو قائم فى الوطن الوالد كما يقولون » (١) .

القـرآن وفلسفة الحيـاة :

وبالرغم من وجود اطار كامل شامل لفلسفة الحياة فى القرآن ، فانه يمكن القول ان هذه المجتمعات استبعدت عن حياة القرآن ، فهى أقرب الى الفوضى ، منها الى الحياة الجادة ، على الرغم من أن صورة المجتمع ــ كما صورها القرآن ــ ناصعة وقوية ، حيث لا يفصل بين الدين والدنيا فى حياة هذه المجتمعات ، على أساس أن الانسان فرد فى مجتمع ، ولذا فانه يقيم التنظيمات المختلفة لهذا الانسان ، باعتباره فردا فى هذه الجماعة، يضمن له من الحقوق ، ما يكفل له حريته وحياته الكريمة ، ثم هو يقيم من القوانين ، ما يضمن ويكفل حياة المجتمع فى سلام (٢) .

والقرآن بهذا التصور ، انما جاء للانسان (الخليفة) ، الذى كرمه الله ــ للانسان (المخلوق المكلف) ، المسئول مسئولية كاملة أمام الله . عن كل ما تقترفه يداه ، وعن كل ما يكتسب ، وما يفعل ، فان هذا التصور للانسان والمجتمع ، ، هو الذى حكم الحياة الاسلامية على مر العصور ، وظل محفوظا فى القرآن الكريم ، طوال هــذه العصور ، رغم الضعف الذى طرأ على المسلمين ، ورغم التحريف الذى طرأ على حياتهم .

وعماد فلسفة الحياة فى القرآن الكريم ، هو الايمـان بالله وحده ، وتوحيده توحيدا مطلقا.ومن هنا فان القرآن « يجمع فى أخلاق واحدة ، بين التفكير العقلى ، وتعاليم الدين ، دون أن يجعل بينهما تعارضا . ان الايمان والعقـل يستندان على التبادل ، لمعـاونة الانسان ، على فهم ما لوجوده وسلوكه من معنى وغائية » (٣) . ولذا ففى عرضـه لفلسفة

---

(١) علال الفاسى : « الاستعمار الثقافى » ــ **العربى** ــ العدد (٢٢٠)ــ الكويت ــ ربيع أول ١٣٩٧ هـ ــ مارس (آذار) ١٩٧٧ م ، ص ٧٠ .

(٢) ارجع الى ص ١١١ من الرسالة .

(٣) د. أحمد عروة (مرجع سابق) ، ص ٧١ .

الحياة ، عرضها عرضا شاملا كاملا ، متوازنا ، بحيث يعطى المجتمع المسلم — الذى هو عبارة عن مجموع أفراده — صفته وسماته المتميزة والمتفردة .

وقد انعكست هذه الفلسفة على فلسفة التربية القرآنية . وبدون فهم فلسفة الحياة ، كما صورها القرآن الكريم ، « لا يمكن فهم التربية الاسلامية ، فى أى عصر من عصور الاسلام ، فلا تدرس التربية الاسلامية من خلال مؤسسات التعليم ، ومناهج الدراسة ، وطرق التدريس وغيرها ، بمعزل عن الاطار النظرى للتربية الاسلامية ، كما نراه من خلال القرآن الكريم ، والسنة المطهرة »(١) ، اذ أن التربية عبارة عن « جهاز اجتماعى ، يعبر عن روح الفلسفة الاسلامية من جهة ، وهذا الجهاز ، هو الذى يحقق تلك الفلسفة ، من جهة أخرى »(٢) .

فلسفة التربية فى القرآن والمجتمعات الاسلامية :

واذا كانت فلسفات التربية فى المجتمعات الاسلامية ، قد تأثرت كثيرا بفلسفات التربية الغربية ، وهى لا تصلح لها ، فضلا عن فشلها فى تحقيق الأمن لمواطنيها الأصليين (٣) ، فالملاحظ أنه قد زرع فى نفوس المسلمين ، حتى العلماء منهم ، أنه ليست هناك فلسفة تربوية اسلامية ، ولا فلسفة تربية فى القرآن ، بقصد ابعادهم عن الاسلام وعن القرآن ، وعن التراث القومى للأمة الاسلامية .

وقد رأينا الهجوم السافر من المستشرقين والمبشرين على الاسلام والقرآن والتراث ، وقد آتى الهجوم ثماره ، واليوم تستمر حلقات الهجوم وتستكمل ، حيث نجد « مخططا على تراث الأمة العربية الاسلامية ، حتى استطاع المهاجمون أن يجعلوا جمهورا من المتعلمين

---

(١) د. عبد الغنى عبود : فى التربية الاسلامية (مرجع سابق) ، ص ١٤٧ .

(١) د. أحمد فؤاد الاهوانى : التربية فى الاسلام (مرجع سابق) ، ص ٧ .

(٣) ارجع الى ص ٣٣٨ ، ٣٣٩ من الرسالة .

والطلبة ، يعتقدون بأن التراث العربى ، يمثل أحد المشاكل التى تعرقل تقدم الأمة العربية ، وأخذ هذا الهجوم يتسع شيئا فشيئا ، ويمتد من الصحافة الى المحاضرات ، ومن الكتب الى حلقات الدروس فى المدارس الثانوية والكليات ، وأحيانا يتسرب الى الاذاعة والتلفزة ، برفق وهدوء ، ومع مرور الأيام ، يكبر هذا الوهم ، ويصبح تراثنا ، فى نظر مئات الآلاف من تلاميذنا ، فى الثانويات ، وطلبتنا فى المعاهد والكليات ، وشبابنا المتفرنس أو المستغرب المستلب ، ليس فقط مشكلة يجب التخلص منها ، وانما تمتلىء نفوسهم بالحقد والكراهية له ، ومن جهل شيئا عاداه ، بعد أن تجسدت فيه الخطيئة ، ونسب اليه الجمود والتخلف »[1] .

وقد امتدت هذه النظرة الى القرآن ، فالقرآن الآن متهم من المثقفين المسلمين — « القرآن فى القفص ، والمحاكمة السرية جارية فى قاعة مغلقة شأن المحاكمات الهامة فى بلادنا » .. « وهى محاكمة غاية فى الغرابة والطرافة ، فالشهود قضاة ، والقضاة متهمون ، والبرىء الوحيد فى القفص ، والأدوار مغلوطة ، والأقوال انتزعت بالعسف والاكراه ، والتلفيق فى كل دليل .. نحن متخلفون ، والقرآن بيننا ، مهزومون والقرآن بيننا ، مشتتون والقرآن بيننا ، سلبيون متواكلون ، عاجزون ، متنابذون ، متقاتلون ، الى آخر قاموس النقائص والرذائل ! هذا كله يحدث ، والقرآن بيننا »[2] . ولكن .. هل القرآن — فعلا — هو المسئول عن التخلف الذى يعيش فيه المسلمون ؟ وهل هو المسئول عن الوضع المتردى الذى تعيش فيه التربية بالذات ؟ ان المتصفح والدارس لأحوال التربية فى البلاد الاسلامية ، يجد جوانب الضعف كثيرة ، ويجد القرآن بعيدا تماما عن الساحة ، ليس بما فيه من فلسفة فحسب ، بل باعتباره كتاب دين أيضا — اذ نجد :

---

(١) ادريس الكتانى : « لماذا الهجوم على ماضى الأمة العربية وتراثها ؟ » — **العربى** — العدد (٢٣٤) — الكويت — جمادى الأولى ١٣٩٨ هـ — مايو (آيار) ١٩٧٨ م ، ص ٩٠ .

(٢) فهمى هويدى : « القرآن أم السلطان » — **العربى** — العدد (٢٣٣) — الكويت — ربيع الآخر ١٣٩٨هـ — ابريل (نيسان) ١٩٧٨ م ، ص ٣٤ .

(١) ان نظام التعليم فى العالم العربى والاسلامى ، من المدارس الابتدائية حتى الجامعات ، هو النظام الغربى نفسه ، المناهج والحصص نفسها تقريبا ، ولا يمثل عدد طلبة المعاهد الاسلامية التقليدية (جامعة الأزهر بمصر ، وجامعة القرويين بالمغرب ، والجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، ومعهد الزيتونة بتونس) — بالمقارنة مع عدد الطلبة فى العالم العربى ، الا نسبة ضئيلة ، لا تكاد تذكر .

(٢) ان مواد اللغة والثقافة العربية ، فى التعليم الثانوى والعالى العصرى ، اختصرت كما وكيفا ، فلم يعد المحصل (الحاصل) على الثانوية العامة ، وطالب الجامعة ، يستطيع أن يكتب بضعة أسطر ، دون أخطاء املائية أو لغوية أو نحوية ، أما المواد الاسلامية ، فقد جمعت كلها (فى التعليم الابتدائى والثانوى) ، فى حصة واحدة بعنوان (التربية الاسلامية) ، لا تتجاوز ٤٥ دقيقة فى الأسبوع ، وهى مع ذلك مستبعدة ، فى الامتحانات العامة ، ولذلك لم تعد تحظى بأى اهتمام ، من لدن التلاميذ ولا المعلمين .

ومادة الفلسفة جردت تماما ، من أى شىء اسمه الفلسفة الاسلامية ، أو الفلاسفة المسلمين ، وبرنامجها عبارة عن ترجمة للبرنامج الفرنسى مثلا ، مع اعطاء الأهمية الكبرى للفكر الماركسى ، والحاصلون على البكالوريا فى المغرب مثلا ، مثل زملائهم بفرنسا ، لا يعرفون شيئا عن الفارابى وابن سينا ، وابن رشد ، والكندى ، والغزالى ، وابن تيمية ، ولايعرفون بوجود فلسفة اسلامية (١) .

بل إن الأمر يتعدى الطلاب ، الى المعلمين فى الجامعات ، فجيل المعلمين فى الجامعات القائمة فى البلاد العربية الاسلامية اليوم ، « يجتهد لاخراج ثلاثة فرقاء فقط من طلابهم ، فريق للنزوح للعمل فى أى مكان ، يجدون فيه فرصة العمل ، وفريق للبطالة الحقيقية أو المقنعة — وفريق

---

(١) ادريس الكتانى (مرجع سابق) ، ص ٩٠ ، ٩١ .

ثالث للبصم فى أعمال روتينية ، لا تحتاج الى وقت طويل ، كالذى قضوه على قاعدة التعليم ، وينقص هــذه الأطراف الثلاثة ، المحتوى الحقيقى للتعليم العالى ، كما يجب أن يكون فى مجتمعات نامية ، كمجتمعاتنا ، يقع على جامعاتها العبء الأكبر ، فى التطوير الاجتماعى »(١) .

وهكذا كمــا نرى ، فان النظام التربوى يفشل فى اخراج جيل مسلم حقيقى ، بل ان الأمر يتعدى ذلك ، كما ذكرنا — الى المتخصصين فى التربية ، حيث ينكرون وجود تربية اســلامية . ولا عجب ، فهم من خريجى النظام العصرى فى التربية ، أو من الحاصلين على شهاداتهم من خارج البلاد الاســلامية . يقول الدكتور عبد الغنى عبود ، فى تقديمه لسلسلة « الاسلام وتحديات العصر »(٢) :

« وأراد أحد الدارسين تسجيل رسالة عن (التربية الاسلامية) ، يحصل بها على درجة المــاجستير فى التربية ، وهالنى رد أحد الزملاء — الأساتذة — عليه — بأنه لا يوجد — للأسف — تربية اســلامية »(٣) .

ويضيف فى مكان آخر : « وهو رأى شائع بين رجال التربيــة ، تعودنا على سماعه ، وجهلنا بالتربية الاسلامية ، والصعوبات التى تعترض سبيل الاشتغال بها ، هى التى تجعلنا نسكت،عن مثل هذه المغالطة العلمية »(٤) .

والسبب فى ذلك كله ، هو صــبغ التربيــة فى البلاد الاســلامية بالصبغة الغربيــة ، فأصبح هناك فلسفات للتربية ، انجليزية وفرنسية ، وماركسية ، وغيرها ، وأدى هذا الى اهمال القرآن ، اهمالا يكاد يكون

---

(١) د. محمــد الدميمى : « من مشكلات الثقــافة العربيــة » — **العــربى** — العدد (١٢٣٣) — الكويت (مرجع سابق) ، ص ٥٨ .

(٢) د. عبد الغنى عبود : العقيــدة الاســلامية والأيديولوجيــات المعاصرة (مرجع سابق) ، ص ٧ (من تقديم السلسلة) .

(٣) وارجع أيضا الى :

— دكتور عبد الغنى عبود : فى التربية الاسلامية (مرجع سابق) ، ص ١٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٢ .

تاما ، الا أن هذه الفلسفات ، قشلت فى المجتمع الاسلامى ، كما أنها نقلته من سيىء الى أسوأ ، وأدى هذا الى سوء الفهم للقرآن ، وبالتالى اهمال البحث فيه ، وفى التراث الاسلامى ، والثقافة الاسـلامية ، عن فلسفة تربوية أصيلة ، فضلا عن اهمال الفلسفة العامة للحياة الاسلامية ، كما ذكرنا من قبل ـ وأمام هذا كله ، فان الأمور تتبلور كما يلى :

اذا كانت فلسفة التربيـة بالنسبة للنظام التعليمى ، فى أى مجتمع من المجتمعات ، هى عموده الفقرى ، واذا كانت هى النشـاط الفكرى المنظم ، الذى يتخذ من المنهج الفلسفى فى البحث ، وسيلةلتنظيم العملية التربوية وتنسيقها ، وانسجامها ، وتوضيح القيم والأهداف ، التى ترنو وتهدف الى تحقيقها (١) ، فان أهم وظيفة للفلسفة التربوية ، هى وضـع اطار فلسفى عام .

واذا كانت علاقة فلسفة التربية بفلسفة المجتمع واضحة ، حيث تؤثر فيها تأثيرا واضحا ، حيث أن لكل مجتمع فلسفة عامة ، يجب أن تنعكس فى مناهج التربية وأدواتها ، لتحقيق أهداف المجتمع ، المطلوب تحقيقها من التربية ، ففلسفة التربية يجب أن تكون انعكاسا لفلسفة المجتمع الذى تنتمى اليه هـذه التربية .

ومعنى هذا أن فلسفة التربية فى المجتمع الاسلامى ، يجب أن تكون انعكاسا حقيقيا لفلسفة هذا المجتمع،واذا كان الاطار العام لفلسفة المجتمع الاسلامى،نابعا من القرآن،فان هذه الفلسفة التربوية النابعة من القرآن، هى المدخل الوحيد لاصلاح النظام التعليمى ، فى كل البلاذ الاسلامية ، حيث أنه من « الحقائق المعترف بها ، أن التعليم فى الظروف التى يتم فيها التحول الاجتمـاعى الى حد كبير ، لا يستطيع أن ينكر امتداد خدمات التعليم الى سائر الطبقات ، أى دوره البارز فى ايقاظ هذه الطبقات ، لكى تسهم اسهاما فعالا ، فى ادارة شئون بلادها الخاصة ، وتشترك فى توجيه

---

(١) ارجع الى ص ٦٠ من الرسالة .

مصير العالم »[1] .

ومن هنا فان فلسفة التربية فى البلاد الاسـلامية اليوم ، يجب أن يكون منبعها الرئيسى القرآن ، بمعنى أن هـذه الفلسفة التربوية يجب أن تعالج :

- كجزء من الفلسفة العامة وفلسفة الحياة فى المجتمع الاسلامى ، بحيث تكون التربية جزءا من حركة المجتمع ، الذى يتحرك الى الأمام نحو أهداف معينة ، تحددها فلسفة الحياة بالنسبة له .

- بطريقـة شمولية ، فتشمل الانسان ككل ، وتشمل الانسـان باعتباره فردا فى مجتمع ، وتشمل التربية النظامية وغير النظامية .

- تراعى ظروف الانسان والمجتمع،فى حدوده الأرضية ، وما فيها من تحديات ، وآمال وطموح ، وما وراءها ، كما تحددها فلسـفة الحيـاة فى القرآن الكريم .

- من خلال القرآن أولا ، حيث لا يمكن أن يستقيم أمر فلسـفة للتربية فى المجتمع الاسـلامى الا « بمقررات ثابتة من عند الله ، المحيط بكل شىء علما »[2] .

- يضاف الى ذلك ، نتاج العقل البشرى ، وأدواته ، فى تفـاعل الانسان ، « مع الكون المـادى ، نظـرا وتأملا وتجربة ، وتطبيقـا فى الأمور ، التى تركها الله العليم الحكيم ، لاجتهاد هـذا العقل وتجاربه ، بشرط واحد ، هو الالتزام التام فيها بالأصول العامة ، الواردة فى شريعة الله المنزلة ، بحيث لا تحل حراما ، ولا تحرم حلالا ، ولا تؤدى الى الشر

---

(١) د. ابراهيم عصمت مطاوع : التخطيط للتعليم العـالى (مرجع سابق) ، ص ١٩ .

(٢) « المؤتمر العالمى الأول للتعليم الاسلامى » - **المسلم المعاصر** - العدد العاشر - جمادى الثانية ١٣٩٧ هـ - يونيو ١٩٧٧ م ، ص ١٥١ .

والضرر والفساد فى الأرض »(١) •

– بحيث تراعى سمات العصر وخصائصه ، ومعنى هذا أن فلسفة التربية الاسلامية ، يجب أن تصاغ من خلال الأصول الثابتة أولا ، ومن خلال كتب التراث ، مما يصلح منه ثانيا ، بمعنى أنها تحتاج الى « علم اسلامى موسوعى شامل »(٢) ، الى جانب « الفكر التربوى الحديث ، ليتم اللقاح بين الفكر الأصيل والحديث »(٣) ، حيث لا يمكن أن يكتفى هنا بعلوم الدين فقط ، بل ان من الواجب أن يكون هناك « المـام واسع بالفكر التربوى المعاصر ، ومعرفة بمفكريه »(٤) •

– ينبغى على هذا الأساس توجيه دراسة فلسفة التربية فى الجامعات العربية والاسلامية ، الى دراسة فلسفة التربية الاسلامية ، من مصادرها الأصلية ، بحيث يجمع طالب أصـول التربية ، بين الثقافة الاسـلامية ، والثقافة المعاصرة ، حتى يمكن له أن يتمتع بقدر عال من الفكر المتأصل العميق ، الى جانب الانفتاح الفكرى على ثقافة العصر • وهذا يستلزم ضرورة تدريس الثقافة الاسـلامية لطلاب المدارس والجامعات ، اذ أنهم يفتقرون اليها ، خاصة وأنهم يدرسون الفكر الغربى الحديث ، بكافـة مدارسه ، مع اهمال الفكر الاسلامى – كما ذكرنا من قبل •

* * *

(٣)

وتعتمد فلسفة الحياة فى القرآن على أساس واحد ، هو توحيد الله المطلق ، ومن هـذه العقيدة الأساسية ، تنبع كل التصورات الأساسية ، « للعلاقات الكونية ، والحيوية والانسانية – تلك التصورات التى تقوم عليها المناهج الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية ، والتربوية ،

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٥١ ، ١٥٢ •

(٢) د• عبد الغنى النورى ، د• عبد الغنى عبود (مرجع سابق) ، ص ٣٥٨ •

(٣) د• عبد الفتاح جلال : من الأصول التربوية فى الاسلام (مرجع سابق) ، ص ١٠ •

(٤) د• عبد الغنى النورى ، د• عبد الغنى عبـود (مرجع سابق) ، ص ٣٥٩ •

التى تؤثر فى كل مجالات النشاط الانسانى » (١) ، فان أهم ما فى هذا ، هو موضع الانسان فى هذا الكون ، حيث نجد هناك تكاملا بين الانسان ، كقوة من قوى هذا الكون ، وبين الكون المحيط به ، بما فيه المجتمع .

وفلسفة التربية القرآنية ، النابعة من هــذا التصور ، تهــدف الى تنمية وتنشئة وتكوين الانســان العابد الصالح ، كما اتضــح من خلال البحث (٢) ، ولذا فانه لا يتصور أن يكون هناك صراع بين الانسـان وقوى الكون ، واذا كان « التعليم الحديث يسيطر عليه الى درجة كبيرة ، هذا المفهوم الذى يكون غالبا ضمنيا ، وهو أن الطبيعة عدو ، وسرعان ما يتعلم الطفل أنه سيد هذه الأرض ، وأن الطبيعة التى هزمت أجداده ، هى الآن أسيرة له ، وهو لا يتعلم على وجه العموم حبها واحترامها ، وانما يعتبر السيطرة عليهــا ، واجبا حقــا فحسب ، وعندما يطرد نمو هــذا الاعتقاد ، يصبح دعوة الى تدمير الطبيعة ، والثمرة النهائية لذلك ، هى تدمير الانسان وحضارته ، مما لا يمكن وجوده منفصلا عن بيئة طبيعية تقوم عليها ، والتعليم الذى يقوم على الفكرة المعارضة للطبيعة ، يبدو أنه مملوء بأعظم الأخطار ، المهددة لأمن الحياة الانسانية نفسها ، وتقدمها» (٣) .

ونلاحظ فى فلسفة التربية القرآنية ، أنها تراعى أن الكون صديق للانسان ، انطلاقا من قاعدة أن الخلائق جميعــا عباد الله (٤) . وما دام الأمر كذلك ، فان ما بين الطبيعة والانسان ، هو التحدى ، الذى تبرزه الطبيعة للانسان ، لتستثيره ، فيكتشفها ، ويستغلها فى خدمته ، وذلك على عكس فلسفات التربية الأخرى ، التى تغرس فى نفس الانسان ، أن الطبيعة عدو للانسان ، يجب أن يصارعها .

---

(١) حسن ابراهيم عبد العال (مرجع سابق) ، ص ١٩٢ .
(٢) ارجع الى ص ١٥٠ من الرسالة .
(٣) فيليب فينكس (مرجع سابق) ، ص ٢٩٩ .
(٤) ارجع الى ص ٨٢ من الرسالة .

وإذا كان الكون يتمتع بهذا القدر الهائل من الابداع والتناسق والجمال ، فان فلسفة التربية القرآنية تحرص على توجيه النمو الانسانى ، نحو تنظيم شامل متسق للأشياء المتعارضة فى الانسان ، حيث يفترض علم الكون التربوى ، أن التربية يمكن تحديدها وتوجيهها ، بحيث تعمل على التقدم ، وتحقيق الاتجاه العالمى ، نحو التنظيم » (١) .

وفلسفة التربية القرآنية تهتم فى ذلك بالانسان (الانسان) ، بحيث لا تهمل قدراته المختلفة ، فهى تحرص على تنسيق قوى هذا الانسان ، وقدراته وتنظيمها ، بحيث يصبح انسانا متسقا منظما : يرتبط بالله ، وبالكون ، وبالمجتمع الذى يعيش فيه ، فى سلام دائم ، وليس فى صراع أو تناقض ، وبحيث يتعامل بكامل قواه ، مع المواقف التى يعيش فيها ، ويؤثر فيها ، ولا يتعامل مع هذه المواقف ، بقوة من قواه فقط ، فجسم الانسان وعقله وروحه وقلبه ونفسه ، هى محصلة هذا الانسان ، وعن تفاعلها تنتج مجموعة من الخصائص التى يمتاز بها الانسان عن سواه .

وهذا بعض ما تمتاز به فلسفة التربية النابعة من القرآن الكريم،مما يدعونا الى :

ــ وجوب الأخذ بالفلسفة التربوية النابعة من القرآن ، اذ أن من الملاحظ « أن الديموقراطية الغربية بالأمس ، والاشتراكية اليوم ، قد بدتا وكأنهما الدواء الشافى للشعوب الاسلامية ، التى عجزت عن أن تهتدى فى نفسها الى مقومات نهضتها ، ولكن من البديهى أن أيديولوجية مستوردة ، لا يمكن أن تفرض نفسها ، الا على حساب الواقع القومى ، ولا يمكن أن تتحمل أو تفهم ، الا بقدر ما تندمج فى الأصالة الاجتماعية والثقافية ، للبلدان التى تستقبلها ، لا لكى تدمرها ، بل لكى تثريها ، بما تحتويه هذه الاصالة ، من قيم عامة شاملة »(٢) .

---

(١) فيليب فينكس (مرجع سابق) ، ص ٧٩٦ .
(٢) د. أحمد عروة (مرجع سابق) ، ص ٦٣ .

— ضرورة الأخذ بفلسفة الحياة العامة في القرآن ، وتزويد الشباب بها ، عن طريق التربية والقدوة ، « بمعرفة عقلية ، وممارسة ذكية للمثل الاسلامي الأعلى ، بما يتطلبه الاسلام من الانسان ، من الايمان ، لا مظهرا للطاعة والامتثال »(١) ، بحيث يكون هناك اقتران بين العلم والعمل . واذا كانت فلسفات التربية الحديثة ، تركز اهتمامها على العمل ، سواء في ذلك الاشتراكية ، أو غيرها من الفلسفات التربوية ، فاننا نجد القرآن يقرن صفة الايمان بالعمل الصالح ، فلا يقف الأمر عند مجرد العلم اللفظي فقط ، واذا « كان المؤمنون تتضاعف طاقاتهم على العمل ، بحكم ايمانهم ، فانهم ان توانوا أو تواكلوا ، لن يحابيهم الله على حساب غيرهم ، اذا عملوا ولم يكونوا مؤمنين ، لأن نواميس الله ، هي الحق المطلق المجرد ، الذي لا يحابي ولا يتحامل »(٢) :

— « كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك ، وما كان عطاء ربك محظورا »(٣) .

— الاهتمام بتفسير القرآن بما يتناسب وظروف العصر ، ونقترح انشاء هيئة اسلامية ، لدراسة الأيديولوجيا الاسلامية وأبعادها ، وذلك كله بعيدا عن تقلب السياسة في العالم الاسلامي ، وبواسطة مجموعة من المفكرين المخلصين ، الذين لا يهمهم الا احياء الاسلام ، والسير به قدما ، ويشرط ألا تكون على هيئة مؤتمرات تعقد وتنفض ، دون أن يكون لها نتائج ايجابية .

ويجب أن تتسع مهمة هذه الهيئة اتساعا كبيرا ، بحيث تضم — فعلا — في النهاية — رجال الدولة السياسيين المسئولين ، وذلك الى جانب

---

(١) المرجع السابق ، ص ١١٤ .

(٢) محمد فتحي عثمان : « الايمان وحده لا يعصم المجتمع من المشكلات » — **العربي** — العدد (٢٢٧) — الكويت — شوال ١٣٩٧ هـ — اكتوبر (تشرين أول) ١٩٧٧ م .

(٣) الاسراء : ٢٠ .

المتخصصين فى فروع العلم المختلفة ، سواء منهـا النظرية والتطبيقية ، وبمعنى آخر تضم ممثلى الأمة الاسلامية ، كافة .

* * *

(٣)

وفلسفة التربية الاسلامية تنبع من القرآن ، مع اجتهاد العقل ، على أساس اهتمامها بتنمية الانسان ، تنمية متكاملة متوازنة ، لا تركز على جانب دون جانب (١) – فهى تهتم بالحياة الآخرة ، بقدر ما تهتم بالحياة الدنيا ، وتهتم بفردية الانسان ، بقدر ما تهتم بجماعيته ، وتهتم بمادبته ، بقدر ما تهتم بروحانيته ، وهكذا نجد اهتمامها بالانسان ، كلا متكاملا متوازنا .

واذا كان العالم اليوم تجتاحه « ثورة شاملة ، فى كل نواحى الحياة لجميع بنى الانسان » (٢) . والانسانية « تعانى اليوم من انشـطارات جسيمة ، وفجوات واسعة ، فجوات بين رجال الفكر ورجال العمل ، وبين رجال العلم ورجال الدين ، وبين الموسرين والفقراء ، وبين الدول المتقدمة الغنية ، والدول الناهضة الفقيرة،وبين الدول التى تؤمن بالنهوض والنمو عن طريق التثقيف والتنوير ، والحكومات التى تؤمن بالسيطرة والعنف ، واستعمال القوة والبطش – إن هذه الانشطارات ، وهذه الفجوات ، وما ينتج عنها من اضطرابات واندفاعات هياجية ، وديماجوجية ، تجعل الحياة المعاصرة (التى كان يؤمل أن تكون زاهية على الأغلب ، كدرة قلقة » (٣) .

والتربية تتأثر بهذا الوضع تأثرا بالغا ، فقد أصـابها من التفسخ والانحلال ، ما أصاب الحياة العامة فى العالم ، ومن ثم فانه لابد من منهج جديد ، وفلسفة جديدة للتربية ، يحاولان وقاية هذا العالم من القلق ، وهذا يتطلب من الدول الاسلامية،أن تأخذ بفلسفة جديدة للتربية ، شاملة

---

(١) ارجع الى ص ١٤٧ ، ١٤٨ من الرسالة .

(٢) د. محمد فاضل الجمالى : تربيـة الانسان الجـديد (مرجع سابق) ، ص ٢٧٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٨٠ .

وايجابية ــ « فلسفة تربوية جديدة ، تنشىء انسانا جديدا ، متحررا من الترسبات العقلية والخلقية والاجتماعية ، انسانا يستطيع العيش بسلام ، مع أخيه الانسان »(١) .

واذا كان العالم اليوم يتطلب انسانا جديدا ، يتميز بسمات أساسية :

ــ أن يكون موحــدا ومتكاملا فى شخصيته ، ومع المجتمع الذى يعيش فيه ، ومع الوجود كله ، ويأبى الانشطار والانعزال عن الحياة ، والوجود .

ــ متزنا فى تصرفاته معقولا، يستطيع أن يضبط انفعالاته ، ويتجنب التطرف فى الأمور ، ذلك التطرف الذى يسبب دمارا وهلاكا ، للفــرد وللمجتمع أحيانا ، فالانســان الملتزم فى عواطفه ، الرصين فى تصرفاته ، العامل ، يفكر ويعمل باتنظام ، وبرباطه جأش ، وترو .

ــ يتحلى بالروح العلمى ، ويمارس الأسلوب العلمى فى بحثه عن الحقيقة ، مع الالتزام بالقيم الأخــلاقية ، وتوفر النظرة الجمالية ، بحيث ينظر الى الكون والى الطبيعة ، بنفس النظرة المتكاملة ، حيث يعمل عقله فى ادراك النواميس الكونية ، التى تحكم الكون ، ويكتشف أسراره ، بحيث يرتبط بالله ارتباطا وثيقا ، ومعنى هذا أن الانســان ينبغى عليه ، أن يمزج بين العــلم والدين ، ويربط بينهما ربطا حقيقيا ، اذ كل منهما يكمل الآخر .

ــ انه ذو أخلاق سامية ، تربطه بنفسه ، وبأخيه الانسان ، وبالمجتمع والدولة ، اذ أن أهم ما « تعــانى منه الانســانية اليــوم ، هو الأزمة الأخلاقية »(٢) ، اذ بدون الأخلاق ، لا ســلام ولا استقرار ولا تقدم ، ولذا فمن الضرورى تنشئة الانسان على أخلاق ســامية ، بحيث يحترم الجميع ، ويتعاون مع أفراد المجتمع ، فى سبيل الخير العام له .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٨٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٨٢ .

— أن يعنى بصحته الجسدية ، ويمارس الرياضة ، ويراعى قواعد الصحة العامة ، فى أكله وشرابه ونومه ، وغير ذلك .

— أن يحب العمل ، ويخلص فيه ، ويحسن استعمال يده ، كما يحسن استخدام الآلة ، وذلك بموازاة استخدام الفكر[١] .

اذا نظرنا الى هذه السمات ، نجد أننا — بالمقارنة مع ما ورد فى الفصل الثالث[٢] من الرسالة — نجد أن التربية القرآنية تسعى الى خلق هذا الانسان ، بما يتضمنه معنى الانسان الصالح ، وهى هى نفس السمات التى يمتاز بها الانسان العصرى ، وفوق ذلك ، فانها تعد هذا الانسان لحياة أخرى ، سوف ينتقل اليها الانسان بعد موته ، وفيها خلود فى النعيم أو فى العذاب ، وهى بهذا تعتبر أكثر تقدمية ، من أية فلسفة من فلسفات التربية المعاصرة ، وذلك لما يأتى :

١ — ان الفلسفة التربوية القرآنية ، يعتمد عليها منهاج تربوى : يشمل حياة الانسان كلها ، طولا وعرضا ، بمعنى أنه يشمل حياة الانسان من قبل الميلاد الى ما بعد الموت ، ويشمل حياة الانسان طول يومه ، فى علاقاته مع نفسه ومع غيره ، ومنذ أن يستيقظ الانسان من نومه ، الى أن ينام مرة ثانية ، وفى كل دقيقة من دقائق حياته ، بحيث تتوفر له العبودية الحقة لله تعالى .

٢ — وأنها تعتمد فى تحقيق أهدافها على ترجمة العلم الى عمل ، وبدون هذا لا يصبح للعلم معنى ، فالايمان لا يرد فى القرآن الا مقترنا بالعمل ، والايمان هو ذروة اليقين ، ومن ثم يكون المقصود باليقين ، الذى يتوصل اليه المسلم بعلمه ، هو أنه يترجم هذا العلم ، وذلك اليقين ، الى عمل ، يغير من وجه الحياة على الأرض[٣] . فهذا الفصل بين العلم

(١) انظر المرجع السابق — الفصل الأخير .

(٢) ارجع الى ص ٢٥٠ وما بعدها من الرسالة .

(٣) د. عبد الغنى عبود : فى التربية الاسلامية (مرجع سابق) ، ص ٩٨ .

والعمل ، أو بين النظرية والتطبيق ، ليس له مكان فى الاسلام ، ولا فى فلسفة التربية القرآنية ، ولذا نجد طرق التربية القرآنية تمزج تماما بين العلم والعمل (١) ، كما نجد فلسفة التربية القرآنية ، تركز أساسا على العمل ، والعمل الأخلاقى المشروع ، الذى لا يضر بالآخرين ، ولا بالمخلوقات .

٣ — الى جانب هذا ، فالتربية القرآنية تلتزم بمجموعة من الفضائل الأخلاقية ، التى تربط النظام التعليمى ، وتحكم علاقاته ، ومن ثم فهى تربية مبنية على احترام الانسان ، واحترام حريته ، واحترام حقوق الغير ، واعطاء كل ذى حق حقه .

وهذا يعنى أن التربية القرآنية ، تتم فى جو حر ، عن طريق مشاركة المتعلمين ، ومساهمتهم فى تنفيذ أهداف التربية القرآنية ، فى دقة واتقان ، فى جو مملوء بالمحبة والاحترام المتبادل ، لأنه لا سلطان هنا الا لتعاليم الله ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، ومن ثم فان كل فرد مسئول مسئولية كاملة ، عن نجاح النظام التربوى ، ودور القيادات هنا ، هو دور المراقبين والموجهين ، بحيث يصبحون أولا وقبل كل شىء ، قدوة لغيرهم ، ولتلاميذهم وطلابهم ، سواء فى داخل المؤسسة التعليمية ، وفى الحياة العامة .

٤ — أن الحياة كلها تربية ، طبقا لفلسفة التربية القرآنية ، ففى كل مكان نجد تربية وتعليما ، اذ أنه من المفروض على المسلم أن يعلم ماتعلم، لمن يجهله ، بالتفاعل ، وبالتعامل ، وبالقدوة والعبرة — بكافة الطرق ، وفى أى مكان ، بمعنى أن الأمر ليس موقوفا على ما يتعلمه بين جدران الفصل ، بحيث اذا تخرج المتعلم نسى كل شىء ، بل مطلوب منه ، أن يربط بين مايتعلمه ، والواقع الذى يعيش فيه ، فى سبيل الوصول الى واقع أفضل ، وبهذا يخدم المجتمع الذى هو عضو فيه ، والمجتمع المسلم

(١) ارجع الى ص ٢١٨ ، ٢١٩ من الرسالة .

تسوده روح المحبة ، والطمأنينة ، لا روح الكراهية ، والحقد والتسلط .
ولعل هذا ما تفتقده الحياة المعاصرة ، اذ نجد كل مؤسسة من مؤسسات التربية ، تعمل فى اتجاه مخالف للأخرى ، والمثال على ذلك وسائل الاعلام، « التى تقدم البرامج الهادفة ، كما تقدم البرامج الهادمة ، حتى أصبحت هذه البرامج يناقض بعضها بعضا »[١] . ولهذا أثره الخطير على المجتمع المسلم ، حيث يؤدى الى التفسخ والانحلال، والخروج على قيم المجتمع ، وذلك لعدم الربط بين المؤسسات المختلفة ، ولذا فمن الضرورى أن تتناسق هذه المؤسسات فى عملها ، طبقا لفلسفة القرآن التربوية .

٥ ــ والفلسفة التربوية القرآنية تعتمد أساسا على توحيد الله ، وهذا يعطيها قوة ، فهى بهذا يمكن أن تعد وتنشىء انسانا موحدا وموحدا ، بحيث يمكن له أن يحقق ذاتيته ، المرتبطة بعلاقات ، وبقوى أخرى، يضع لها اعتبارا ، وذلك حتى لا يبغى الانسان ، ولا يغتر بأية قوة من قواه ، حيث يوجدمن هو أقوى ، وبالتالى فهى تعصم الانسان من الانهيار والضياع ، وتعطيه حقه ، دون زيادة أو نقصان .

ولذا فانه حين تلتقى فلسفات التربية ، المختلفة تقريبا ، على هدف واحد ، هو اعداد المواطن الصالح ، فان الأمم تختلف « بعد ذلك فى تصور هذا المواطن ، وتحديد صفاته ، فقد يكون هو الجندى الشاكى السلاح ، المتأهب فى كل لحظة ، للوثوب ، سواء للعدوان ، أو رد العدوان ، وقد يكون هو الرجل الطيب المسالم ، الذى لا يحب الاعتداء على أحد ، ولا اعتداء أحد عليه ، وقد يكون هو الناسك المتعبد ، الذى يهجر الحياة الدنيا ، وينصرف عن صراع الأرض الكريه ، وقد يكون هو العاشق لوطنه ، المجنون بعنصريته ، .. وقد يكون .. وقد يكون .. ولكنها تشترك كلها فى شيء واحد : فى اعداد المواطن الصالح »[٢] .

---

(١) حسن ابراهيم عبد العال (مرجع سابق) ، ص ٢٠٧ .
(٢) محمد قطب : منهج التربية الاسلامية (مرجع سابق) ، ص ١٣ ، ١٤ .

أما فلسـفة التربية القرآنية ، فتهدف الى اعداد الانسـان العابد الصالح ، وفى هذا ضمان لتنشئة الانسان تنشئة صالحة ، مجموعة كل قواه على حب الله وتوحيده ، وعلى عمل الخير ، فى سبيل اسـعاد نفسـه ، واسعاد المجتمع الانسانى كله ، يحارب الشر فى كل لون ، وفى أى طريق ، ويدافع فى سبيل الحق ويجاهد .

٦ ـ وقد ترمى الفلسفات التربوية بأنها خيالية ، وقد يكون هـذا صادقا بالنسبة للفلسفات الوضعية التربوية ، لأنها يمكن ألا تتحقق فى عالم الواقع ، لأنها غير قابلة للتحقيق ، الا أن فلسفة التربية القرآنية تشذ عن هذه القاعدة ، لأنها تمتاز بعـدة مميزات ، تجعلها ممكنة التحقق فى عالم الواقع ، لأنها :

ـ واقعية وقعت بالفعل ، ممثلة فى محمـد صلى الله عليه وسلم ، الذى هو الترجمة الواقعية للقرآن ، مما يدفعنـا الى دراسـة فلسـفة التربية فى السنة المطهرة ، لأنها هى الجانب التطبيقى لفلسـفة التربيـة القرآنية .

ـ تخاطب الانسان (الانسان) ، وليس الملاك ولا الشيطان ، وفيها من الجهد ما يمكن لكل إنسان أن يحتل موقعه المناسـب فى الحياة ، ومن ثم يمكن القول ان فلسفة التربيـة القرآنية واضحة ، انسـانية ، واقعية ، متزنة من حيث الأهـداف ، ومن حيث الميادين والطرق ، ومن حيث تعاملها مع الانسان (رسالتها) ، والتى تهدف التربية القرآنية الى تنميته واعداده ، وهذا يوحى لنا بضرورة :

١ ـ دراسة جوانب فلسفة التربية القرآنية ، وتأصيلها ، من فلسفة القرآن العامة ، وتحديد أهداف المناهج على أساسها ، وتحديد العلاقات المختلفة بين النظام التعليمى ، وبين الظواهر الحياتية المختلفة ، مع مراعاة ظروف العصر ، بحيث تقدم فى اطار تنسجم فيه الصور ، مع الوحـدة الأساسية ، والولاء للمصادر الأولى ، مع الانفتاح العقلى .

٢ ـ تكوين فريق بحث فى التربية الاسلامية ، يعتمد فى أبحاثه على القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، ثم على التراث الاسلامى ، وتأتى بعد ذلك متغيرات العصر وعلومه ، على أن تتبنى احدى الجامعات هذا الفريق ، أو تتبناه جامعة الدول العربية ، أو جامعة للدول ـ أو الشعوب ـ الاسلامية .

٣ ـ انشاء أكاديمية للبحث التربوى الاسلامى ، يتم فيها اعداد الباحثين فى التربية ، تضم جميع العلوم ، التى تعتمد عليها التربية ، بحيث تتبنى هذه الأكاديمية ، أبحاث التربية الاسلامية .

٤ ـ العمل على تأليف دائرة معارف للتربية الاسلامية ، تقوم بالتعريف بالاطار العام للتربية الاسلامية ، وتاريخها ، ورجالها ، وأثرها فى الفكر التربوى العالمى ، على أن يتعاون فى اخراج هذه الدائرة ، مجموعة من العلماء ، الذين جمعوا بين القديم والحديث ، وتمولها مجموعة الدول الاسلامية .

٥ ـ ضرورة الاهتمام باعداد مدرسين وأساتذة ، مؤمنين بالله ، وبتراثهم ، وباسلامهم ، وتشكيل المناهج التى تدرس لهؤلاء ، على أساس غرس الايمان بالله ، وبتراثهم ، فى نفوسهم ، بحيث يمكن لهم أن يميزوا بين الخبيث والطيب ، ويجمعوا بين متانة العقيدة ، والاقتناع بالقرآن ، والاسلام ، كدين خالد أبدى ـ وبين الاطلاع الواسع العميق على العلم الحديث ، وبحيث يكون اعداد هؤلاء المعلمين « داخل اطار الجامعة ، أيا كانت المرحلة التى يعدون لها باعتبار ذلك هدفا ، تسعى الدول العربية لتحقيقه فى أسرع وقت ممكن » (١) .

٦ ـ الاهتمام بالمؤسسات التربوية غير النظامية ، بمعنى الاهتمام بجميع المؤسسات الاجتماعية ، بحيث تكون ملتزمة تماما بالأهداف العامة

---

(١) د. محمد منير مرسى : التعليم العام فى البلاد العربية « دراسة مقارنة » عالم الكتب ـ ١٩٧٢ ، ص ٧٤ .

للتربية الاسلامية ، وبحيث لا تتعارض أهدافها ، مع مؤسسات التربية النظامية .

* * *

(٤)

واذا كنا بظروفنا الراهنة فى البلاد الاسلامية ، أمام اختيارات عديدة ، بشأن المستقبل التربوى ، يلخصها الدكتور محمد أحمد الغنام فى :

« – الاختيار الأول :

أن تواصل التربية فى البلدان العربية نموها ، مركزة على التوسع الخطى ، وزيادة الأعداد » ، « مع تعديلات أو تحسينات هامشية » ، « وهذا الاختيار يمكن تسميته استراتيجية التقليد ، أو الاستمرار على القديم » .

– الاختيار الثانى :

أن تواصل التربية نموها فى البلدان العربية ، مع تحول فى الاهتمام من الكم الى الكيف ، « ولكن وفق المفاهيم والمعايير والممارسات والأدوات الدارجة » ، « مع بعض الملاءمات والمراجعات الجزئية ، وهذا الاختيار يمكن تسميته : استراتيجية التجويد التربوى (أو الاصلاح الجزئى من داخل نظم التعليم) » .

« – الاختيار الثالث :

أن تواصل التربية نموها فى البلدان العربية ، مركزة على كفايتها الخارجية التى تحصرها فى الملاءمة بين ناتج النظم التربوية ، واحتياجات البلاد من العمالة الماهرة ، على شتى المستويات (وفق تصورات ضيقة للعمل والعمالة) ، ويمكن تسمية هذا الاختيار : استراتيجية الكفاية الخارجية (الضيقة) للتربية (أو الاصلاح الجزئى من خارج التعليم) » .
الجزئى من خارج التعليم) .

« ٤ — الاختيار الرابع :

أن تخضع التربية — وهى تسير — لمراجعة جذرية شاملة فى البلدان العربية ، بحيث تصبح بالفعل تربية عربية للجميع ، تربية متقدمة ، تربية ديموقراطية ، تربية مستديمة ، وبحيث يتم ادارتهـا على أسس علمية ، ضمن اطار عربى موحد ، وهذا الاختيار يمكن تسـميته : استراتيجية التجديد التربوى الشامل » (١) .

وعلى أساس هذا التجديد الشامل والجذرى ، فانه يلزم :

١ — ضرورة دراسة التراث التربوى الاسـلامى ، حيث نجد فيه فلسـفة تربوية « تتلاءم طبيعتنا وواقعنا ، وعلينا أن ننفتح على الشرق والغرب ، نأخذ منهما ما نشاء ، على ألا نأخذه كما هو ، بل نأخذه على نحو ما يناسبنا ، ويناسب تربتنا الوطنية ، ثم لننطلق وفق ظروفنا وثقافتنا ، الى المستقبل الذى اخترناه » (٢) — اذ أنه بعد كل تجاربنا فى حقل التربية ، وتطلعاتنا المستمرة الى الشرق والغرب ، وفشل هذه التجارب ، ثبت أن « تربيتنا لا تستطيع أن تغض الطرف عن تراثنا العربى الاسلامى ، بل ان من واجبها أن تحرص عليه ، وتفاخر به ، وتعمل على المحافظة على ما فيه ، من قيم مادية وروحية ، باقية على الدهر ، وعليها بعد ذلك أن تعمل النظر فى هذا التراث ، فتحتفظ بالصـالح منه ، وتترك الطالح ، غير آسـفة ولا وجلة » (٣) .

---

(١) محمد أحمد الغنام : « مستقبل التربيـة فى البلدان العربية ، (الجزء الثالث : اختيارات المستقبل التربوى) » — **التربية الجديدة** مجلة فصلية تعالج شئون التخطيط والتجـديد فى التربية — السنة الثانيـة — العـدد الرابع — كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٤ ، ص ١٠ — نقـلا عن : د. عبدالغنى عبود : التربية ومحو الأمية والايديولوجية (مرجع سابق) .

(٢) حسن ابراهيم عبد العال (مرجع سابق) ، ص ٢٠١ .

(٣) د. فاخر عاقل : « نحو اصلاح تربوى جذرى » — **التربيـة من أجل التنمية** — المؤتمر التربوى لتطـوير التعليم ما قبل الجامعى (مرجع سابق) ، ص ١٩١ .

وسوف يجد الدارسون فى هذا التراث ، كثيرا من « المعارف المتصلة بالأصول الفلسفية والاجتماعية والاقتصادية للتربية » ، كما يمكن أن يجدوا « العديد من مبادىء طرق التدريس العامة ، بل وأمثلة عمليه على تطبيقها » (١) .

٢ ـ الاهتمام بدراسة التاريخ التربوى الاسلامى ، فى حلقاته المتكاملة ، على أساس مراحل أو قرون ، حيث نجد الكثير من الأصول التربوية ، التى يمكن الاستفادة بها فى مجال التربية الحديثة ، خاصة وأن العالم الاسلامى يحتاج الى كتابة هذا التاريخ ، للاستفادة من التجارب والأفكار التربوية ، ولذا « فان الدراسات العليا ، مجال خصب لتحقيق ذلك ، بتوجيه أنظار الطلاب ، الى أهمية دراسة التربية الاسلامية وضرورتها » ، ولذا فمن الواجب « حث الباحثين فى علوم التربية ، على ارتياد مجال التربية الاسلامية » (٢) .

٣ ـ يجب الاهتمام بدراسة الأيديولوجيا الاسلامية ، كجزء أساسى من دراسة التربية الاسلامية ، سواء كان ذلك فى دراسة التراث الاسلامى أو التربوى ، أو فى دراسة التاريخ التربوى الاسلامى ورجاله ، ومقارنة هذا الفكر بالأيديولوجيا الاسلامية ، وهذا يستلزم ضرورة الاهتمام بالقرآن ، وتدريسه ، وفهمه ، وحفظه .

٤ ـ الاهتمام بالدراسات العلمية الحديثة فى التربية ، كالتخطيط التربوى ، واقتصاديات التعليم ، ودراسة النظم ، وغير ذلك من الدراسات الحديثة فى التربية ، بحيث تجمع التربية الاسلامية بين الأصالة والتجديد .

* * *

---

(١) د. عبد الفتاح جلال (مرجع سابق) ، ص ١٠ .

(٢) حسن ابراهيم عبد العال (مرجع سابق) ، ص ٢٠٣ .

(٥)

ولا أظن أننى بهذه الرسالة قد أتيت على كل فلسفة التربية القرآنية ، فقد كان كل جهدى ، مركزا على تقديم اطار عام لفلسفة التربية القرآنية ، وهى لا تمثل كل النظام التربوى ، بل تمثل جزءا منه ، وهناك دراسات كثيرة يجب أن تقدم ، وتدرس دراسة جادة ، مثل :

١ ــ دراسة المجالات والميادين التى تعمل فيها التربية القرآنية ، كالتربية الجسيمة والعقائدية وغيرها ، على أن تركز تلك الدراسات ، على الجانب العملى للفلسفة القرآنية التربوية .

٢ ــ دراسة طرق التربية القرآنية ، والتركيز على الجانب العملى لها أيضا ، منظورا اليها من منظور العصرية .

٣ ــ دراسة مقارنة لفلسفات التربية المختلفة ، ومقارنتها بفلسفة التربية القرآنية ، حيث يمكن أن توجد دراسات مقارنة ــ مثلا ــ بين الفلسفة الوجودية ، والفلسفة القرآنية .

٤ ــ تقديم دراسات جادة ، عن دور المؤسسات الاجتماعية المختلفة فى البلاد الاسلامية ، فى تحقيق أهداف التربية القرآنية ، والتركيز خصوصا على وسائل الاعلام .

٥ ــ ثم .. ان الاهتمام بهذه الدراسات ، عن طريق تجنيد كفاءات علمية عالية ، لبذل أقصى الجهود الممكنة للدراسة الجادة ، واعطاء مثل هذه البحوث حقها من الدراسة ، لكفيل بأن يؤصل التربية فى البلاد الاسلامية ، ويجعل من النظام التربوى الاسلامى ، نظاما متفردا ومميزا .

وكل ما أرجوه ، هو أن أكون قد وفقت فى هذه الدراسة ، وفيما قدمته فيها من آراء ، وأن يوفقنى الله فى دراسات المستقبل ، فى أن تكون أكثر عمقا ونضجا ، وأن يوفق كل العاملين فى مجال التربية الاسلامية ، وغيرها من العلوم ، فى جميع المجالات ، التى تهدف الى تقدم العالم الاسلامى ، ورفعة الاسلام ... والله ولى التوفيق .

مراجع الرسالة

اولا : المراجع العربيــة :

١ ـ أ. ك. أوتاواى : التربية والمجتمع (ترجمـة وهيب سمعان وآخرين) ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٧٠ .

٢ ـ ابراهيم البيجورى (شيخ الاسلام) : شرح البيجورى عن الجوهرة، المسمى تحفـة المريد على جـوهرة التوحيـد ـ الأزهر ـ ادارة المعـاهد الأزهرية ـ المطابع الأميرية ـ ١٩٦٨ .

٣ ـ ابراهيم الطحاوى : الاقتصاد الاسلامى مذهبا ونظاما « دراسة مقارنة » ـ مجمع البحوث الاسلامية ـ الأزهر ـ القاهرة ـ ١٩٧٤ .

٤ ـ ابراهيم عصمت مطـاوع : التخطيط للتعليم العالى ـ طبعـة أولى ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٧٣ .

٥ ـ ابراهيم عصمت مطاوع ، عبد الغنى عبود : فى التربية المعاصرة ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ـ ١٩٧٧ .

٦ ـ ابن كثير (الامام الحافظ) : تفسـير القـرآن العظيم ـ دار الشعب ـ د.ت .

٧ ـ أبو اسحاق ابراهيم الشاطبى : الموافقـات فى أصـول الأحكام « أربعة أجزاء » ـ طبعة أولى ـ مكتبة صبيح ـ د.ت .

٨ ـ أبو الأعلى المودودى : الاســلام اليوم ـ دار التراث العـربى للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٧٥ .

٩ ـ أبو الأعلى المودودى : الحكومة الاسلامية ـ طبعة أولى (ترجمة أحمد ادريس) ـ المختار الاسلامى ـ القاهرة ـ ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م .

١٠ ـ أبو الأعلى المودودى : نظرية الاسـلام وهـديه ـ دار الفكر ـ دمشق ـ ١٩٦٩ م .

١١ ـ أبو الحسن الندوى : تأملات فى سورة الكهف ـ طبعة ثالثة ـ المختار الاسلامى ـ القاهرة ـ ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م .

١٢ ـ أبو الحسن الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ـ طبعة عاشرة ـ دار الأنصار ـ القاهرة ـ ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م .

١٣ ـ أبو الحسن الندوى : نحو التربية الاسلامية الحرة فى الحكومات والبلاد الاسلامية ـ المختار الاسلامى ـ القاهرة ـ ١٩٧٦ م .

١٤ ـ أبو الفتوح رضوان : « المعلم قيادة فكرية » ـ **الكتاب السنوى فى التربية وعلم النفس** ـ بأقلام نخبة من أساتذة التربيـة وعلم النفس ـ دار الثقافة للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٧٥ م .

١٥ ـ أبو الفتوح رضوان وآخرون : المدرس فى المدرسة والمجتمع ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٧٠ .

١٦ ـ أبو المعاطى ابو الفتوح : حتمية الحل الاسـلامى (تأملات فى النظام السياسى) ـ القاهرة ـ ١٩٧٧ م .

١٧ ـ أبو عبد الله الحارث بن أسد (المحاسبى) : الرعاية لحقـوق الله ـ (تحقيق عبد القادر أحمد عطا) ـ طبعة ثالثة ـ دار الكتب الحديثة ـ ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م .

١٨ ـ أبو عبد الله محمد الأنصـارى القرطبى : تفسـير القرطبى ـ دار الشعب ـ القاهرة ـ د.ت .

١٩ ـ أحمد أمين : فجر الاسـلام ـ الجزء الأول ـ طبعـة ثالثة ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ ١٩٣٥ م .

٢٠ ـ أحمد حسن الباقورى : « الدين أصل فى الفطرة الانسانية » ـ **منار الاسـلام** ـ السنة الأولى ـ العـدد الأول ـ محـرم ١٣٩٦ هـ ـ يناير ١٩٧٦ م .

٢١ ـ احمد حسن عبيد : فلسفة النظام التعليمى وبنية السياسـة التربوية ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٧٦ م .

٢٢ ـ أحمد حسين اللقانى ، برنس احمد رضوان : تدريس المواد الاجتماعية ـ طبعة أولى ـ عالم الكتب ـ ١٩٧٤ م .

٢٣ ـ أحمد زكى صـالح : علم النفس التربوى ـ ط ١٠ ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ١٩٧٢ م .

٢٤ ـ احمد شلبى : تاريخ التربيـة الاسـلامية ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٦٦ م .

٢٥ ـ احمد عبد العزيز سلامة ، عبد السلام عبد الغفار : علم النفس الاجتماعى ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة ـ ١٩٧٢ م .

٢٦ ـ أحمد عروة : الاسلام فى مفترق الطرق ـ ترجمة عثمان أمين ـ دار الشروق ـ بيروت ـ ١٩٧٥ .

٢٧ ـ أحمد فايق ، محمود عبد القادر : مدخل الى علم النفس ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٧٢ .

٢٨ ـ أحمد فؤاد الأهوانى : التربية فى الاسلام (دراسات فى التربية) ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٨ م .

٢٩ ـ احمد محمد جمال : محاضرات فى الثقافة الاسلامية ـ طبعة ثالثة ـ دار الشعب ـ ١٩٧٥ م .

٣٠ ـ أحمد محمود صبحى : الفلسفة الأخلاقية فى الفكر الاسلامى ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٩ م .

٣١ ـ اسماء فهمى : مبادىء التربية الاسلامية ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٤٧ .

٣٢ ـ اقبال شلبى : فلسفة الايمان ـ دار النشر العربى ـ القاهرة ـ ١٩٦٩ م .

٣٣ ـ البهى الخولى : الاشتراكية فى المجتمع الاسلامى ـ بين النظرية والتطبيق ـ مكتبة وهبة ـ د.ت .

٣٤ ـ ألبير ريفو : الفلسفة اليونانية ، أصولها ونظرياتها (ترجمة عبد الحليم محمود وأبو بكر زكرى) ـ مكتبة دار العروبة ـ القاهرة ـ ١٣٧٨ هـ ـ ١٩٥٨ م .

٣٥ ـ الدمرداش سرحان ، منير كامل : التفكير العلمى ـ طبعة اولى ـ مطبعة لجنة البيان العربى ـ القاهرة ـ ١٩٥٩ م .

٣٦ ـ الغزالى (الامام أبو حامد) : احياء علوم الدين ـ دار الشعب ـ القاهرة ـ د.ت .

٣٧ ـ الغزالى (الامام أبو حامد) : جواهر القرآن ـ القاهرة ـ ١٩٦٤ م .

٣٨ ـ الكسيس كاريل : الانسان ذلك المجهول (تعريب شفيق أسعد فريد) ـ مكتبة المعارف ـ بيروت ـ ١٩٧٤ م .

٣٩ ـ الماوردى : الأحكام السلطانية ـ مطبعة الوطن ـ مصر ـ ١٢٩٨ هـ .

٤٠ — البر هـ . وايلدز ، كينيث ث . لوتس : أصول التربية الحديثة (ترجمة محمد سمير حسانين) — ج ١ — طبعة أولى — مؤسسة سعيد للطباعة والنشر — طنطا — ١٩٧٧ م .

٤١ — « المؤتمر العالمى الأول للتعليم الاسلامى » : المسلم المعاصر — العدد العاشر — جمادى الثانية — ١٣٩٧ هـ — يونية ١٩٧٧ م .

٤٢ — الواحدى : أسباب النزول — طبع مطبعة هندية فى غيط النوبى — مصر — ١٣١٥ هـ .

٤٣ — اميل فهمى حنا شنودة : المذاهب والآراء التربوية — دار العلم للطباعة — ١٩٧٧ م .

٤٤ — أنور الجندى : الاسلام والعالم المعاصر « بحث فى تاريخ الحضارة » — طبعة أولى — رقم (١) من الموسوعة الاسلامية العربية — دار الكتاب اللبنانى — بيروت — ١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣ م .

٤٥ — أنور الجندى : من التبعية الى الأصالة فى مجال التعليم والقانون واللغة — دار الاعتصام — القاهرة — ١٩٧٧ م .

٤٦ — بدر الدين محمد بن عبد الله (الزركشى) : البرهان فى علوم القرآن (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم) — دار احياء الكتب العربية — القاهرة — ١٩٧٢ م .

٤٧ — بدران أبو العينين بدران : الشريعة الاسلامية ، تاريخها وبعض نظرياتها العامة — دار النجاح للطباعة — الاسكندرية — ١٩٧٤ م .

٤٨ — بوجليه وآخرون : من الحكيم القديم الى المواطن الحديث (ترجمة وتعليق محمد مندور) — طبعة أولى — العدد (١٢) من عيون الأدب الغربى — لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٤٤ م .

٤٩ — توفيق الطويل : أسس الفلسفة — مكتبة النهضة المصرية — القاهرة — ١٩٦٢ م .

٥٠ — توفيق محمد سبع : واقعية المنهج القرآنى — العدد (٧٠) من سلسلة البحوث الاسلامية — السنة الخامسة — مجمع البحوث الاسلامية — الأزهر — ١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣ م .

٥١ — جابر عبد الحميد جابر : سيكلوجية التعلم — دار النهضة العربية — القاهرة — ١٩٧٢ م .

٥٢ - جعفر شيخ ادريس : « فى منهج العمل الإسلامى » - **المسلم المعاصر** - العدد (١٣) - ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

٥٣ - جميل صليبا : مستقبل التربية فى العالم العربى - طبعة ثانية - بيروت - ١٩٦٧ م .

٥٤ - جورج اسباين : تطور الفكر السياسى - الكتاب الخامس - (ترجمة راشد البراوى ، تقديم محمد عبد المعز نصر) - دار المعارف بمصر - ١٩٧١ م .

٥٥ - جورج كاونتس : التعليم فى الاتحاد السوفيتى - (ترجمة محمد بدران) - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٥٧ م .

٥٦ - جول لابوم : تفصيل آيات القرآن الحكيم ، ويليه المستدرك لإدوارد مونتيه (ترجمة محمد عبد الباقى) - طبعة ثانية - دار الكتاب العربى - بيروت - ١٩٦٩ .

٥٧ - جون ديوى : البحث عن اليقين (ترجمة أحمد فؤاد الأهوانى) - عيسى البابى الحلبى وشركاه - القاهرة - ١٩٦٠ م .

٥٨ - جون ديوى : الديمقراطية والتربية - (ترجمة متى عقراوى ، زكريا ميخائيل) - طبعة ثانية - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٦٦ .

٥٩ - جون و. هانسن ، كول س. برمبك : التربيةوالتقدم الاجتماعى للدول النامية (ترجمة وتقديم محمد لبيب النجيحى) - دار نهضة مصر للطباعة والنشر - القاهرة - ١٩٧٦ .

٦٠ - جيمس س. روس : الأسس العامة لنظريات التربية (ترجمة صالح عبد العزيز ، محمد السيد غلاب ، راجعه محمد على مصطفى) - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة (د.ت) .

٦١ - حامد عبد العزيز الفقى : دراسات فى سيكلوجية النمو - عالم الكتب - القاهرة - ١٩٧٥/١٩٧٤ م .

٦٢ - حامد عمار : بعض مفاهيم علم الاجتماع - طبعة ثانية - دار المعرفة - القاهرة - ١٩٦٢ .

٦٣ - حامد عمار : فى بناء البشر - مركز تنمية المجتمع ، فى العالم العربى - سرس الليان (مصر) - ١٩٦٤ .

٦٤ — حامد عوض الله : الألوهية وفكر العصر (أهناك اله) — المركز الثقافى الجامعى — (١) من سلسلة الدراسات العلمية — ١٩٧٧ م .

٦٥ — حسن ابراهيم عبد العال : التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى — رسالة ماجستير غير منشورة — مكتبة كلية التربية بطنطا — ١٩٧٧ .

٦٦ — حسن الشرقاوى : نحو علم نفس اسلامى — الهيئة المصرية العامة للكتاب — القاهرة — ١٩٧٦ .

٦٧ — حسين سليمان قورة : الأصول التربوية فى بناء المجتمع — طبعة خامسة — دار المعارف بمصر — ١٩٧٧ .

٦٨ — حلمى على مرزوق : جوانب من قضايا الأمة العربية — الجزء الأول — (فى الاستعمار والاستشراق والصهيونية) — دار المعارف بمصر — ١٩٧١ .

٦٩ — حنا غالب : التربية المتجددة وأركانها — الجزء الثانى — دار الكتاب اللبنانى — بيروت — ١٩٧٠ .

٧٠ — خليل طاهر : الأديان والانسان منذ آدم حتى اليهودية والمسيحية والاسلام (قدم له وراجعه فضيلة الامام الأكبر عبد الحليم محمود) — دار الفكر والفن — ١٩٧٧ .

٧١ — خليل طوطح : التربية عند العرب — المطبعة التجارية بالقدس — ١٩٣٥ .

٧٢ — دى بور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام (ترجمة محمد عبد الهادى ابو ريده) — لجنة التأليف والترجمة والنشر — القاهرة — ١٩٣٨ م .

٧٣ — دى جى اكونور : مقدمة فى فلسفة التربية (ترجمة محمد سيف الدين فهمى) — القاهرة — ١٩٧٢ .

٧٤ — رياض معوض : علم النفس التربوى — طبعة ثانية — مكتبة الأنجلو المصرية — القاهرة — ١٩٥٤ .

٧٥ — زغلول راغب النجار : « أزمة التعليم وحلولها الاسلامية » — **المسلم المعاصر** — العدد الثانى عشر — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .

٧٦ - زكريا ابراهيم : الفنان والانسان - مكتبة غريب بالفجالة - القاهرة - ١٩٧٣ .

٧٧ - زكريا ابراهيم : المشكلة الخلقية - رقم (٦) من مشكلات فلسفية - طبعة أولى - مكتبة مصر - ١٩٦٩ .

٧٨ - زكريا ابراهيم : مشكلة الانسان - رقم (٢) من مشكلات فلسفية - طبعة ثانية - مكتبة مصر - ١٩٦٧ .

٧٩ - زكريا ابراهيم : مشكلة الفلسفة - رقم (٤) من مشكلات فلسفية - مكتبة مصر - ١٩٧٢ .

٨٠ - زكى نجيب محمود : تجديد الفكر العربى - دار الشروق - بيروت - ١٩٧١ .

٨١ - زكى نجيب محمود : ثقافتنا فى مواجهة العصر - طبعة أولى - دار الشروق - ١٩٧٦ .

٨٢ - سعد مرسى أحمد : التربية والتقدم - عالم الكتب - القاهرة - ١٩٧٠ .

٨٣ سعد مرسى أحمد ، سعيد اسماعيل على : تاريخ التربية والتعليم - عالم الكتب - القاهرة - ١٩٧٢ .

٨٤ - سعيد اسماعيل على : أصول التربية الاسلامية - دار الثقافة للطباعة والنشر - القاهرة - ١٩٧٦ م .

٨٥ - سعيد اسماعيل على : ديمقراطية التربية الاسلامية - دار الثقافة للطباعة والنشر - القاهرة - ١٩٧٤ .

٨٦ - سعيد اسماعيل على : قضايا التعليم فى عهد الاحتلال - عالم الكتب - القاهرة - ١٩٧٣ .

٨٧ - سعيد حوى : الاسلام « أربعة أجزاء معا » (مراجعة وهبى سليمان القاوجى) - مكتبة وهبة - ١٩٧٧ م .

٨٨ - سعيد عبد الفتاح عاشور : المدنية الاسلامية وأثرها فى الحضارة الأوربية - الطبعة الأولى - دار النهضة العربية - القاهرة - ١٩٦٣ م .

٨٩ ــ سهام العراقي : دراسة لآراء المدرسين بمحافظة الغربية نحو التربية الأخلاقية في المدارس (دراسة وصفية تحليلية علاجية) ــ رسالة ماجستير غير منشورة ــ كلية التربية بطنطا ــ ١٩٧٧ .

٩٠ ــ سهام عبد اللطيف : القيم التربوية في الحديث النبوي كما جاء في البخاري ــ رسالة ماجستير غير منشورة ــ المكتبة المركزية ــ جامعة عين شمس .

٩١ ــ سيد ابراهيم الجيار : دراسات في تاريخ الفكر التربوي ــ مكتبة غريب ــ القاهرة ــ ١٩٧٧ .

٩٢ ــ سيد أحمد عثمان : التعلم عند برهان الاسلام الزرنوجي (توفي ٥٩١ هـ ــ ١١٩٥ م) ــ مكتبة الأنجلو المصرية ــ القاهرة ــ ١٣٩٧ هـ ــ ١٩٧٧ م .

٩٣ ــ سيد احمد عثمان : « المسئولية الاجتماعية في الاسلام ــ دراسة نفسية » ــ **الكتاب السنوي في التربية وعلم النفس** ــ باقلام نخبة من أساتذة التربية وعلم النفس ــ عالم الكتب ــ ١٩٧٣ .

٩٤ ــ سيد خيرالله : « علم النفس في القرآن » ــ **منار الاسلام** ــ العدد الخامس ــ السنة الأولى ــ ١٣٩٦ هـ ــ ١٩٧٦ م .

٩٥ ــ سيد قطب : التصوير الفني في القرآن ــ دار الشروق ــ بيروت ــ د . ت .

٩٦ ــ سيد قطب : السلام العالمي والاسلام ــ دار الشروق ــ بيروت ــ د . ت .

٩٧ ــ سيد قطب : العدالة الاجتماعية في الاسلام ــ دار الشروق ــ بيروت ــ ١٣٩٤ هـ ــ ١٩٧٤ م .

٩٨ ــ سيد قطب : خصائص التصور الاسلامي ومقوماته ــ دار الشروق ــ بيروت ــ د . ت .

٩٩ ــ سيد قطب : في ظلال القرآن (٣٠ جزءا في ستة مجلدات) ــ طبعة ثانية ــ دار الشروق ــ بيروت ــ ١٣٩٥ هـ ــ ١٩٧٥ م .

١٠٠ ــ سيد قطب : مشاهد القيامة في القرآن ــ دار الشروق ــ بيروت ــ د . ت .

١٠١ ـ سيد قطب : هذا الدين ـ دار الشروق ـ بيروت ـ ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م .

١٠٢ ـ صابر طعيمة : الاسلام والتقدم الاجتماعى (دراسة للتكامل الاقتصادى والاجتماعى فى الاسلام) ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ ١٩٧٣م.

١٠٣ ـ صابر طعيمة : المعرفة فى منهج القرآن الكريم ـ دراسة فى الدعوة والدعاة ـ دار الجيل ـ بيروت ـ د.ت .

١٠٤ ـ صابر طعيمة : تحديات امام العروبة الاسلام ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ١٩٧٦ م .

١٠٥ ـ صادق سمعان : الفلسفة والتربية ـ دار النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٥٢ م .

١٠٦ ـ صالح عبد العزيز : تطور النظرية التربوية ـ طبعة أولى ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٤ .

١٠٧ ـ صفوة حديث البخارى : (جمع وتعليق بعض افاضل الأزهر الشريف) ـ طبعة أولى ـ القاهرة ـ ١٣٥٥ ـ ١٩٣٦ .

١٠٨ ـ صلاح مخيمر : نحو نظرية ثورية فى التربية ـ الأنجلو المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٦٨ .

١٠٩ ـ طه حسين : مستقبل الثقافة فى مصر ـ مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر ـ ١٩٣٨ م .

١١٠ ـ عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) : تراثنا بين الماضى والحاضر ـ دار المعارف بمصر ـ القاهرة ـ ١٩٧٠ .

١١١ ـ عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) : مقال فى الانسان ، دراسة قرآنية ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٩ .

١١٢ ـ عباس محمود العقاد : الانسان فى القرآن ـ المجلد السابع من الأعمال الكاملة لمؤلفاته ـ دار الكتاب اللبنانى ـ بيروت ـ ١٩٧٤ م .

١١٣ ـ عباس محمود العقاد : التفكير فريضة اسلامية ـ دار الهلال ـ القاهرة ـ د.ت .

١١٤ ـ عباس محمود العقاد : الديمقراطية فى الاسلام ـ المجلد الخامس من الأعمال الكاملة ـ دار الكتاب اللبنانى ـ بيروت ـ ١٩٧٤ .

١١٥ – عباس محمود العقاد : الفلسفة القرآنية – دار الاسلام – القاهرة – بدون تاريخ .

١١٦ – عباس محمود العقاد : الفلسفة القرآنية – المجلد السابع من المجموعة الكاملة لمؤلفاته (٣) – دار الكتاب اللبناني – بيروت – ١٩٧٤ .

١١٧ – عباس محمود العقاد : حقائق الاسلام واباطيل خصومه – المجلد السابع من الأعمال الكاملة – دار الكتاب اللبناني – بيروت – ١٩٧٤ .

١١٨ – عبد الحليم محمود : التفكير الفلسفى فى الاسلام – طبعة ثانية – الأنجلو المصرية – ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٨ م .

١١٩ – عبد الحليم محمود : شخصية المسلم – بحوث التوجيه الاسلامى للشباب – مجمع البحوث الاسلامية – القاهرة – ١٩٧١ .

١٢٠ – عبد الحليم محمود : فى رحاب الكون – دار الاسلام – القاهرة – ١٩٧٣ .

١٢١ – عبد الحميد بن باديس (الامام العلامة) : تفسير ابن باديس ، فى مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (جمع وتعليق وترتيب واعداد محمد الصالح رمضان ، توفيق محمد شاهين) – طبعة ثانية – دار الفكر – ١٣٩١ – ١٩٧١ .

١٢٢ – عبد الرحمن بن خلدون : مقدمة ابن خلدون – تحقيق على عبد الواحد وافى – دار الشعب – د.ت .

١٢٣ – عبد الرزاق نوفل : الله والعلم الحديث – الناشرون العرب – دار الشعب – القاهرة – ١٩٧١ .

١٢٤ – عبد الرزاق نوفل : « وسائل التعليم فى القرآن » – منار الاسلام – السنة الأولى – العدد (١١) – ١٣٩٦ هـ – ١٩٧٦ م .

١٢٥ – عبد العزيز خياط : المجتمع المتكامل فى الاسلام – مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٩٧٢ .

١٢٦ – عبد الغنى عبود : الاسلام والكون – الكتاب الثالث من سلسلة الاسلام وتحديات العصر – دار الفكر العربى – ١٩٧٧ .

١٢٧ – عبد الغنى عبود : الانسان فى الاسلام والانسان المعاصر – الكتاب الرابع فى سلسلة الاسلام وتحديات العصر – دار الفكر العربى – القاهرة – ١٩٧٨ .

١٢٨ — عبد الغنى عبود : الأيديولوجيا والتربية — طبعة ثانية — دار الفكر العربى — القاهرة — ١٩٧٨ .

١٢٩ — عبد الغنى عبود : « الأيديولوجيا والتربية فى الاسلام » — الكتاب السنوى ، فى التربية وعلم النفس — بأقلام نخبة من أساتذة التربية وعلم النفس — المجلد الثالث — دار الثقافة للطباعة والنشر — القاهرة — ١٩٧٦ .

١٣٠ — عبدالغنى عبود : العقيدةالاسلامية والأيديولوجيات المعاصرة — طبعة أولى — الكتاب الأول من سلسلة الاسلام وتحديات العصر — دار الفكر العربى — ١٩٧٦ .

١٣١ — عبد الغنى عبود : الله والانسان المعاصر — طبعة أولى — الكتاب الثانى من سلسلة الاسلام وتحديات العصر — دار الفكر العربى — ١٩٧٧ م .

١٣٢ — عبد الغنى عبود : اليوم الآخر والحياة المعاصرة — طبعة أولى — الكتاب الخامس من سلسلة الاسلام وتحديات العصر — دار الفكر العربى بالقاهرة — ١٩٧٨ م .

١٣٣ — عبد الغنى عبود : فى التربية الاسلامية — دار الفكر العربى — القاهرة — ١٩٧٧ .

١٣٤ — عبد الغنى عبود : دراسة مقارنة لتاريخ التربية — دار الفكر العربى — القاهرة — ١٩٧٨ .

١٣٥ — عبد الغنى النورى ، وعبد الغنى عبود : نحو فلسفة عربية للتربية — دار الفكر العربى — القاهرة — ١٩٧٦ .

١٣٦ — عبد الفتاح جلال : من الأصول التربوية فى الاسلام — المركز الدولى للتعليم الوظيفى للكبار فى العالم العربى — سرس الليان — ج.م.ع. — ١٩٧٧ .

١٣٧ — عبد الكريم الخطيب : الله ، ذاتا ، وموضوعا ، قضية الألوهية بين الفلسفة والدين — طبعة ثانية — دار الفكر العربى — ١٩٧١ .

١٣٨ — عبد اللطيف الطيباوى : محاضرات فى تاريخ العرب والاسلام — طبعة أولى — دار الأندلس — بيروت — ١٩٦٣ .

١٣٩ — عبد الله بن احمد النسفى (الامام) : تفسير النسفى — أربعة اجزاء — ط ١ — مطبعة صبيح وأولاده — د.ت .

١٤٠ — عبد الله العربى : «الاقتصاد الاسلامى ، والاقتصاد المعاصر» — من بحوث المؤتمر الثالث — مجمع البحوث الاسلامية — الأزهر — ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦ م .

١٤١ — عبد الله عبد الدايم : تاريخ التربيـة — طبعـة ثالثة — من منشورات كلية التربية بجامعة دمشق — مطبعة جامعة دمشق — ١٩٦٠ .

١٤٢ — عبد الله غوشة : فلسـفة الحريات فى الاسـلام — مجموعة بحوث **الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة** — جمع ومراجعة وتقديم محمد خلف الله أحمد — مكتبة النهضة المصرية — د.ت.

١٤٣ — عبد الله فياض : تاريخ التربية عند الامامية واسلافهم من الشيعة بين مهدى الصادق والطوسى — مطبعة اسعد — بغداد — ١٩٧٢ .

١٤٤ — عبد الله محمود شحاتة : «أمثال القرآن» — **الوعى الاسلامى** — العدد ١٢٦ — ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م .

١٤٥ — عبد المتعال محمد الجبرى : المصطلحات الأربعة بين الامامين ومحمد عبده — دار الاعتصام — القاهرة — ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م .

١٤٦ — عبد المنعم خلاف : المـادية الاسلامية وأبعادها — دار المعارف — مصر — د.ت .

١٤٧ — عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضـارة الاسـلامية فى العصور الوسطى — مكتبة وهبة — القاهرة — ١٩٦٤ .

١٤٨ — عبد الوهاب حموده : القرآن وعلم النفس — رقم (٥٥) من المكتبة الثقافية — دار القلم بالقاهرة — ١٩٦٢ .

١٤٩ — علال الفاسى : «الاستعمار الثقافى» — **العربى** — العدد ٢٢٠ — الكويت — ربيع أول ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .

١٥٠ — على القـاضى : « منهج التربيـة فى الاسـلام » — **صحيفة التربية** — تصدرها رابطة خريجى معاهد وكليات التربية — العدد الثالث — السنة ٢٩ — يونية ١٩٧٧ .

١٥١ — على حسن العمارى : القرآن والطبائع النفسية — المجلس الأعلى للشئون الاسلامية — ١٩٦٦ .

١٥٢ — على عبد الحميد حسن : الحياة المثالية للفرد والأمة كما أوضح الاسلام معالمها ، التوجيه الاجتماعى فى الاسلام — من بحوث مؤتمرات مجمع البحوث الاسلامية — الجزء الرابع — ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م .

١٥٣ — على عبد العظيم : «الشريعة الاسلامية اعلى وادق الشرائع» — منار الاسلام — العدد الثانى — السنة الثانية — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .

١٥٤ — على عبد العظيم : فلسفة المعرفة فى القرآن الكريم — العدد (٦٥) من سلسلة البحوث الاسلامية — مجمع البحوث الاسلامية — الأزهر — القاهرة — ١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣ م .

١٥٥ — على عبد الواحد وافى : المرأة فى الاسلام — مكتبة غريب — القاهرة — ١٩٧١ .

١٥٦ — على محمد جريشة ومحمد شريف الزيبق : أساليب الغزو الفكرى للعالم الاسلامى — طبعة أولى — دار الاعتصام — القاهرة — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .

١٥٧ — عماد الدين خليل : « فى التفسير الاسلامى للتاريخ — المسألة الحضارية » — المسلم المعاصر — العدد الأول والثانى — بيروت — ربيع ثانى ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٦ .

١٥٨ — عماد الدين خليل : فى النقد الاسلامى المعاصر — طبعة أولى — مؤسسة الرسالة — بيروت — ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م .

١٥٩ — عمر عودة الخطيب : لمحات من الثقافة الاسلامية — طبعة ثانية — مؤسسة الرسالة — بيروت — ١٩٧٧ .

١٦٠ — عون الشريف قاسم : « الثقافة والتراث والحضارة ، نحو ثورة حضارية » — الدوحة — السنة الثانية — العدد ١٥ — ربيع أول ١٣٩٧ هـ — مارس ١٩٧٧ م .

١٦١ — غاستون ميالا ريه : مدخل الى التربية — ترجمة نسيم نصر — طبعة اولى — بيروت — لبنان — ١٩٧٤ .

١٦٢ — ف. كومبز : أزمة التعليم فى عالمنا المعاصر (ترجمة أحمد خيرى كاظم ، جابر عبد الحميد) — النهضة العربية — القاهرة — ١٩٧١ م .

١٦٣ — فاخر عاقل : معالم التربية — دراسات فى التربية العامة والتربية العربية — بيروت — ١٩٧٤ .

١٦٤ — فاخر عاقل : « نحو اصلاح تربوى جورى » — **التربية من أجل التنمية** — المؤتمر التربوى لتطوير التعليم ما قبل الجامعى المنعقد بدمشق فى ٣/٨ آب ١٩٧٤ — الجمهورية العربية السورية — وزارة التربية .

١٦٥ — فتحى رضوان : الاسلام والمذاهب الحديثة — العدد ٤١٥ من سلسلة اقرأ — دار المعارف بمصر — ١٩٧٧ .

١٦٦ — فتحى عبد المقصود الديب ، صلاح الدين على مجاور : المنهج المدرسى ، أسسه وتطبيقاته — دار القلم — الكويت — ١٩٧٣ .

١٦٧ — فتحية سليمان : التربيــة عند اليونان والرومان — مكتبة نهضة مصر — القاهرة — د.ت .

١٦٨ — فردريك آلكن ، جيلارد هاندل : الطفــل والمجتمع ، عملية التنشئة الاجتمــاعية — (ترجمة محمد سمير حسين) — مؤسسة سعيد للطباعة — طنطا — ١٩٧٦ .

١٦٩ — فهمى هويدى : « القرآن أم السلطان » — **العربى** — العــدد ٢٣٨ — الكويت — ربيع آخر ١٣٩٨ هـ — أبريل (نيسان) ١٩٧٨ م .

١٧٠ — فؤاد البهى السيد : الأسس النفسية للنمو من الطفولة الى الشيخوخة — طبعة رابعة — دار الفكر العربى — القاهرة — ١٩٧٥ .

١٧١ — فيليب فينكس : فلسفة التربية (ترجمة وتقديم محمد لبيب النجيحى) — دار النهضة العربية — ١٩٦٥ .

١٧٢ — كالفن س. هول : علم النفس عند فرويد — ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة وسيد أحمد عثمان — مكتبة الأنجلو المصرية — ١٩٦٧ .

١٧٣ — محمد أبو زهرة : — العقيدة الاسلامية كما جاء بها القرآن — المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الاسلامية — الأزهر — القاهرة ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م .

١٧٤ — محمد أبو زهرة : المجتمع الانسانى فى ظل الاسلام — المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الاسلامية — الأزهر — القاهرة — ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦ م .

١٧٥ — محمد أبو زهرة : المعجزة الكبرى ، القرآن — دار الفكر العربى — القاهرة — ١٩٧٠ .

١٧٦ — محمد أبو زهرة : محاضرات فى المجتمع الاسلامى — معهد الدراسات الاسلامية — القاهرة — بدون تاريخ .

١٧٧ — محمد أحمد أبو النور : منهج السنة فى الزواج — القاهرة — ١٩٧٢ .

١٧٨ — محمد أحمد العزب : «تأملات فى تكوين الشخصية الاسلامية» — منار الاسلام — العدد الرابع — السنة الأولى — ١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦ م .

١٧٩ — محمد أحمد الغنام : « استراتيجية تنمية التربية فى العالم العربى » — **التربية من أجل التنمية** — المؤتمر التربوى لتطوير التعليم ما قبل الجامعى ، المنعقد بدمشق فى ٣/٨ آب ١٩٧٤ — الجمهورية العربية السورية — وزارة التربية .

١٨٠ — محمد أحمد الغنام : « مستقبل التربية فى البلدان العربية — الجزء الأول ، النظرية والواقع » — **التربية الجديدة** — مجلة فصلية تعالج شئون التخطيط والتجديد فى التربية — السنة الأولى — العدد الثانى — نيسان (أبريل) ١٩٧٤ .

١٨١ — محمد أحمد الغنام : « مستقبل التربية فى البلدان العربية — الجزء الثالث : اختيارات المستقبل التربوى » — **التربية الجديدة** — مجلة فصلية تعالج شئون التخطيط والتجديد فى التربية — العدد الرابع — كانون الأول — ديسمبر ١٩٧٤ .

١٨٢ — محمد أحمد فرج السنهورى : حاجة المجتمع الى الدين — رقم (١٥٥) من (كتب ثقافية) — مختارات الاذاعة والتليفزيون والمؤسسة المصرية العامة للأنباء والنشر والتوزيع والطباعة — د.ت .

١٨٣ — محمد أسعد طلس : التربية والتعليم فى الاسلام — دار العلم الاسلامية — بيروت — ١٩٥٧ .

١٨٤ — محمد أسماعيل ابراهيم : القرآن واعجازه العلمى — دار الفكر العربى — القاهرة — ١٩٧٧ .

١٨٥ — محمد اقبال : التفكير الفلسفى فى الاسلام — ترجمة عباس محمود العقاد — مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر — القاهرة — ١٩٥٥ .

١٨٦ — محمد البهى : الاسلام فى حياة المسلم — طبعة خامسة — مكتبة وهبة بالقاهرة — ١٩٧٧ .

١٨٧ — محمد البهى : — الجانب الالهى من التفكير الاسلامى — دار الكاتب العربى للطباعة والنشر — القاهرة — ١٩٦٧ .

١٨٨ — محمد البهى : الفكر الاسلامى والمجتمع المعاصر « مشكلات الحكم والتوجيه » — طبعة ثانية — دار الكتاب العربى — بيروت — ١٩٧٥ .

١٨٩ — محمد البهى : المجتمع الحضارى ومحتوياته من توجيه القرآن الكريم — طبعة أولى — مكتبة وهبة — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .

١٩٠ — محمد البهى : تهافت الفكر المادى التاريخى بين النظرية والتطبيق — طبعة ثالثة — مكتبة وهبة — ١٣٩٥ هـ — مايو ١٩٧٨ م .

١٩١ — محمد الرميحى : «من مشكلات الثقافة العربية» — **العربى** — الكويت — العدد (٢٣١) — جمادى الأولى ١٣٩٨ هـ — مايو ١٩٧٨ م .

١٩٢ — محمد الطاهر ابن عاشور : أصول النظام الاجتماعى فى الاسلام — الشركة التونسية للتوزيع والنشر — ١٩٧٦ .

١٩٣ — محمد الهادى عفيفى : الأصول الفلسفية للتربية — مكتبة الأنجلو المصرية — القاهرة — ١٩٧٤ .

١٩٤ — محمد الهادى عفيفى : التربية والتغير الثقافى — طبعة ثالثة — مكتبة الأنجلو المصرية — القاهرة — ١٩٧٥ .

١٩٥ — محمد الهادى عفيفى : فى أصول التربية « الأصول الثقافية للتربية » — مكتبة الأنجلو المصرية — القاهرة — ١٩٧٤ .

١٩٦ — محمد الهادى عفيفى ، وسعد مرسى أحمد : قراءات فى التربية المعاصرة — عالم الكتب — القاهرة — ١٩٧٣ .

١٩٧ — محمد أنيس عبادة وآخرون : نظام الأسرة فى الاسلام — مطبعة دار التاليف بالفجالة بمصر — ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م .

١٩٨ — محمد بن لطفى الصباغ : «الابتعاد ومخاطره» — **اضواء على الشريعة الاسلامية** — تصدرها كلية الشريعة بالرياض — العدد الثامن — جمادى الآخرة ١٣٩٧ هـ .

١٩٩ - محمد جمال الدين النورى : الله والكون - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٧٦ .

٢٠٠ محمد جواد رضا : فلسفة التربية وأثرها فى معلمى المستقبل « دراسات تجريبية » - مطبوعات جامعة الكويت - الكويت - ١٩٧٢ .

٢٠١ - محمد حسين هيكل : الحكومة الاسلامية - دار المعارف بمصر - ١٩٧٧ .

٢٠٢ - محمد حسين هيكل : حياة محمد صلى الله عليه وسلم - طبعة ثانية - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٣٥٨ هـ .

٢٠٣ - محمد خليفة بركات : المدرسة والمجتمع - بحوث أسس التربية فى الوطن العربى - المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية - ج.م.ع. - لجنة التربية وعلم النفس - الحلقة الدراسية الأولى - القاهرة - ١٩٦١ .

٢٠٤ - محمد ربيع : هجرة الكفايات العلمية - جامعة الكويت - ١٩٧٢ .

٢٠٥ - محمد شديد : قيم الحياة فى القرآن الكريم - دار الشعب - ١٩٧٣ .

٢٠٦ - محمد شديد : منهج القرآن فى التربية - مؤسسة الرسالة - بيروت - د.ت .

٢٠٧ - محمد عبد الرحمن بيصار : العقيدة والأخلاق ، وأثرهما فى حياة الفرد والمجتمع - ط ٢ - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٧٠ .

٢٠٨ - محمد عبد الله السمان : « الحج من العقيدة والمبدأ والهدى » - منار الاسلام - السنة الأولى - العدد (١٢) - ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .

٢٠٩ - محمد عبد الله العربى : النظارنات الاسلامية ، الاقتصادية والحكومية والدولية - مطبوعات معهد الدراسات الاسلامية - الجزء الثانى - القسم الأول - القاهرة - د.ت .

٢١٠ — محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق فى القرآن « دراسة مقارنة » للأخلاق النظرية فى القرآن » — تعريب وتحقيق وتعليق عبد الصبور شاهين — مراجعة السيد بدوى — ط ١ — مؤسسة الرسالة — بيروت — ١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣ م .

٢١١ — محمد عبد المنعم خفاجة : الاسلام والحضارة الانسانية — ط ١ — دار الكتاب اللبنانى — بيروت — ١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣ م .

٢١٢ — محمد عبده (الامام) : الاسلام دين العلم والمدنية — عرض وتحقيق طاهر الطناحى — دار الهلال — د.ت .

٢١٣ — محمد عبده (الإمام) : تفسير سورة الفاتحة — كتاب التحرير — القاهرة — ١٣٨٠ هـ — ١٩٦٢ م .

٢١٤ — محمد عزة دروزة : الاسلام والاشتراكية — ط ١ — المكتبة العصرية — بيروت — ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٢ م .

٢١٥ — محمد عزيز الحبابى : من الحريات الى التحرر — دار المعارف بمصر — ١٩٧٢ .

٢١٦ — محمد عزيز الحبابى : الشخصانية الاسلامية — دار المعارف بمصر — ١٩٦٩ .

٢١٧ — محمد عطية الابراشى : التربية الاسلامية وفلاسفتها — ط ٢ — مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه — القاهرة — ١٩٦٩ .

٢١٨ — محمد عطية الابراشى : التربية فى الاسلام — رقم (٢) من دراسات فى الاسلام — المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بوزارة الأوقاف — القاهرة — رمضان ١٣٨٠ هـ — ١٩٦٠ م .

٢١٩ — محمد علم الدين : التربية الاسلامية — العدد (١٩٠) من « كتب اسلامية » — المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بوزارة الأوقاف — القاهرة — المحرم ١٣٩٧ هـ — يناير ١٩٧٧ م .

٢٢٠ — محمد علم الدين : التربية الجنسية بين الواقع وعلم النفس والدين — الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر — ١٩٧٠ .

٢٢١ — محمد على أبو ريان : الفلسفة ومباحثها — ط ٣ — دار الجامعات المصرية — ١٩٧٤ .

٢٢٢ ـ محمد على حسن : علاقة الوالدين بالطفل وأثرها فى جناح الأحداث ـ الانجلو المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٧٠ .

٢٢٣ ـ محمد فاضل الجمالى : تربية الانسان الجديد ـ الشركة القومية للتوزيع ـ ١٩٦٧ .

٢٢٤ ـ محمد فاضل الجمالى : « فلسفة تربوية متجددة ، اهميتها للبلدان العربية » ـ **فلسفة تربوية متجددة لعالم عربى يتجدد** ـ دائرة التربية بالجامعة الأميركية ـ مطبعة دار الكشاف ـ بيروت ـ ١٩٥٦ .

٢٢٥ ـ محمد فاضل الجمالى : نحو تربية مؤمنة ، فلسفة تربوية متكاملة ، لتحقيق مجتمع اسلامى ناهض ـ الشركة التونسية للتوزيع ـ ١٩٧٧ .

٢٢٦ ـ محمد فاضل الجمالى : نحو توحيد الفكر التربوى فى العالم الاسلامى ـ الدار التونسية للطباعة والنشر والتوزيع ـ ١٩٧٢ .

٢٢٧ ـ محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ـ دار الشعب ـ د.ت .

٢٢٨ ـ محمد فتحى عثمان : « الايمان وحده لا يعصم المجتمع من المشكلات » ـ **العربى** ـ العدد (٢٢٧) ـ الكويت ـ شوال ١٣٩٧ هـ ـ اكتوبر (تشرين أول) ١٩٧٧ م .

٢٢٩ ـ محمد قطب : دراسات فى النفس الانسانية ـ دار الشروق ـ بيروت ـ ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م .

٢٣٠ ـ محمد قطب : الانسان بين المادية والاسلام ـ دار الشروق ـ بيروت ـ د.ت .

٢٣١ ـ محمد قطب : منهج التربية الاسلامية ـ دار الشروق ـ بيروت ـ د.ت .

٢٣٢ ـ محمد قطب : قبسات من الرسول ـ ط ٢ ـ دار الشروق ـ بيروت ـ د.ت .

٢٣٣ ـ محمد كمال جعفر : « ثقافة المسلم المعاصر بين الأصالة والتجديد » ـ **المسلم المعاصر** ـ العدد (٥) ـ ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م .

٢٣٤ ـ محمد لبيب النجيحى : فى الفكر التربوى ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ ١٩٧٠ .

٢٣٥ — محمد متولى الشعراوى (الشيخ) : القضاء والقدر — معجزات الرسول — اعجاز القرآن — مكانة المرأة فى الاسلام — ط ١ — (اعداد أحمد فراج) — دار الشروق — ١٩٧٥ .

٢٣٦ — محمد محمود حجازى : الوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم — ط ١ — دار الكتاب الجديد — ١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠ م .

٢٣٧ — محمد مصطفى شحاتة الحسينى : العلاقات الدولية فى الفقه الاسلامى — محاضرات — ط ١ — جامعة الأزهر — ١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦ م .

٢٣٨ محمد منير مرسى : التعليم العام فى البلاد العربية « دراسة مقارنة » — عالم الكتب — ١٩٧٢ .

٢٣٩ — محمد مهدى علام : فلسفة العقوبة — ط ٢ — المطبعة السلفية ومكتبتها — ١٣٥٥ هـ — ١٩٣٦ م .

٢٤٠ — محمد يوسف موسى : القرآن والفلسفة — ط ٣ — دار المعارف بمصر — ١٩٧١ .

٢٤١ — محمد يوسف موسى : نظام الحكم فى الاسلام — ط ٢ — دار الكاتب العربى للطباعة والنشر — القاهرة — ١٩٦٣ .

٢٤٢ — محمود السيد سلطان ، صادق جعفر اسماعيل : مسار الفكر التربوى عبر العصور — ط ٢ — جامعة الكويت — ١٩٧٧ .

٢٤٣ — محمود بن عمر الزمخشرى (الامام) : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل — ط ١ — المكتبة التجارية الكبرى — القاهرة — ١٣٥٤ هـ .

٢٤٤ — محمود شلتوت (الامام الاكبر) : الاسلام عقيدة وشريعة — ط ١٠ — دار الشروق — بيروت — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .

٢٤٥ — مصطفى الرافعى : الاسلام نظام انسانى — بيروت — ١٩٥٨ .

٢٤٦ — مصطفى السباعى : اشتراكية الاسلام — الناشرون العرب — دار الشعب — ١٩٧٧ .

٢٤٧ — مصطفى محمود : القرآن « محاولة لفهم عصرى » — دار الشروق — بيروت — ١٩٧٠ .

٢٤٨ - مصطفى محمود : الماركسية والاسلام - دار المعارف بمصر - ١٩٧٥ .

٢٤٩ مقداد يالجن : الاتجاه الاخلاقي في الاسلام « دراسة مقارنة » - طبعة أولى - مكتبة الخانجي بمصر - ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .

٢٥٠ - مناع القطان : مباحث في علوم القرآن - طبعة ثانية - منشورات العهد الحديث - ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .

٢٥١ - منير المرسي سرحان : في اجتماعيات التربية - طبعة ثانية - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة - ١٩٧٣ .

٢٥٢ - موسى محمد على : الاسلام دين السلام - رقم (١٩٥) من (دراسات في الاسلام) - المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، بوزارة الأوقاف - القاهرة - جمادى الآخرة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

٢٥٣ - نديم الجسر : القرآن والتربية الاسلامية - « المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الاسلامية » - مجمع البحوث الاسلامية - الأزهر .

٢٥٤ - وليم كلباتريك : المدنية المتغيرة والتربية - ترجمة عبدالحميد السيد وآخرين - مكتبة مصر - ١٩٥٨ .

٢٥٥ - وهيب سمعان ، محمد منير مرسى : المدخل في التربية المقارنة - طبعة أولى - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة - ١٩٧٣ م .

٢٥٦ - وهيب سمعان وآخرون : دراسات في المناهج - مكتبة الانجلو المصرية - ١٩٥٩ .

٢٥٧ - يحيى كامل قنديل : القرآن تفسير أم تأويل - رسالة الاسلام - الجزء الأول - مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع - القاهرة - ١٩٧٥ م .

٢٥٨ - يحيى هاشم حسن فرغلي : معالم شخصية المسلم « القانون الأساسي » - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - بدون تاريخ .

٢٥٩ - يوسف القرضاوي : الايمان والحياة - طبعة أولى - مكتبة وهبة - ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .

٢٦٠ — يوسف القرضاوى : الحل الاسـلامى فريضـة وضرورة — مكتبة وهبة — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .

٢٦١ — يوسف القرضاوى : الحلال والحرام فى الاسـلام — طبعة عاشرة — مكتبة وهبة — ١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦ م .

٢٦٢ — يوسف القرضاوى : الخصائص العامة للاسـلام — طبعـة أولى — مكتبة وهبة — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .

٢٦٣ — يوسف القرضاوى : العبادات فى الاسلام — مطبعة النهضة — القاهرة — بدون تاريخ .

ثانيا : المراجع الاجنبية :

1 – Ali Khalid Mcdawi: A Theoretical Basis for Islamic Education, Thesis submittd to the University of Walés, in Candi dature for the degree of Philosophiae Doctor, April 1977.

2 – Francis J. Brown : Educational Sociology; 2nd ed., . N Y. Prentice Hall. 1955.

3 – H. J. Blackham : Six Existentialist Thinkers; N. Y. ,Harper and Row, 1959.

4 – Hutchins, R. M. : Morals, Religion and Higher Education, University of Chicago Press, Chicago.

5 – J. Donald Butter : Four philosophies, and their Practice in Education and Religion; N.Y., Harper and Brothers, 1957.

6 – John Dewey : Democray and Education; N. Y., Macmillan Co, 1957.

7 – John Wild : Introduction to Realistic philosophy ; N. Y. Harper and Brothers, 1948.

8 – Karl Jaspers : The Paremial scope of Philosophy; N. Y Philosophical Library, Inc, 1958.

9 – Karl Manhheim : Idedogy and Utopia; London, 1936.

10 – Kenneth H. Hansen : Philosophy for American Education.; (Englewood Cliffs), N. Y. , Prentice-Hall, Inc. 1960.

11 – Max, Otto : Science and Moral Life; N. Y., The New American Library of Literatute, Inc, 1949.

12 – P. Shiller: Sex Education, in the : Encyclopedia of Education, Vol. 7.

13 – Robert Ulich: History of Educational Thought; American Book Co, 1950.

14 – Thomas H. Brigs : Pragmatism and Pedagogy; N. Y., Macmillan and Co., 1940.

15 – T. S. Brubacher : A history of the Problems of Education; N. Y., Macgrain Hill Co., 1947.

16 – Vernon Malinson : An Introducation to the Study of Comparative Education, (Londou, 1957)

فهرس الرسالة

الموضـــوع	رقم الصفحة

رقم الصفحة

الموضـوع

سلسلة (مكتبة التربية الاسلامية)

تصدرها : دار الفكر العربى

ويقدم لها : دكتور عبد الغنى عبود

صـــدر منهـــا :

١ ـ التربية الاســـلامية ، فى القرن الربع الهجرى ـ تاليف حسن عبد العال ـ ١٩٧٨ .

٢ ـ فلسفة التربيــــة الاســـلامية ، فى القرآن الكريم ـ تاليف على خليل أبو العينين ـ ١٩٨٠ .

الكتاب التالي من السلسلة :

نظام التربية في عصر دولة المماليك في مصر ـ تأليف علي سالم النباهين (تحت الطبع) .

رقم الايداع ١٩٨٠/٣٦١٨

مطبعة الاستقلال الكبرى
٨ شارع نجيب الريحانى - القاهرة
تليفون : ٧٤٤٠٧٦ - ٧٤١٦٩٨

فى هـــذا الكتاب

وخلاصة القول ، ان هناك فلسفات مختلفة للتربية ، تسود العالم ، أو سادته ، وأثرت فى الفكر التربوى ، ومن هذه الفلسفات ، عرضنا نماذج ، كالوجودية والواقعية ، والبراجماسية ، والمثالية ، والاشتراكية. وكل فلسفة من هذه الفلسفات ، تناقض الأخرى ، وخاصة فى نظرتها الانسان ، حيث نجد اختلافا كبيرا فيما بينها ، فى هذا المجال ، فبعضها قد اكتفى بمظهر الانسان وخصائصه المادية ، التى لا تختلف كثيرا عن خصائص الحيوان ، وبعضها يؤمن بهـذا الانسان ، على أساس أنه روح مطلق .

وهكذا نجـد التناقض واضـحا ، بين هـذه الفلسفات المختلفة ، ولكنهـا اتفقت جميعا على شيء واحـد ، هو اعداد وتنميـة الانسان (الحيوان) ، الذى يعانى من الأزمات الوجدانية ، والتناقضات الداخلية، وينطلق وراء شـهواته ، لاشباعها ، تحت شعار الحرية ، وغيره من الشعارات ، التى تنادى بهـا فلسفات التربية المختلفة ــ بينما تهـدف فلسفة التربيـة القرآنيـة ، الى اعداد الانسان (الانسان) ، المستريح نفسيا ، والذى يخلو من العقد ، الباطنية والظاهرية . والمحك الاساسى لنجاح هـــذه الفلسفة ، هو التجريب الواقعى ، والتطبيق العملى له .

وقد راينـا كيف أن الفلسـفات الوضـعية لم تخلص الانسان من آلامه ، بينما استطاعت فلسفة التربية القرآنيـة فى الواقع ــ مرة فى التاريخ ــ ومرات كل يوم ، لمن ينهج نهج القـرآن ، فى حياتنا المعاصرة ــ أن تجعل من هـذا الانسان ، انسانا حضاريا ، وهى اليـوم تستطيع أن تخلص الانسان من آلامه ، ومن تناقضاته الداخليـة ، بأسلوب يمتـاز بالشمول والاتساع والتكامل والتوازن ، الا أنه يحتاج فقط ، الى ترجمة واقعية ، فى المناهج ، وفى النظام التعليمى .

الكتاب التالى من كتب المكتبة :

نظـام التربية الاسلامية ، فى عصر دولة المماليـك فى مصر

تأليف : على سالم النباهين

(تحت الطبع)

رقم الايداع ١٩٨٠/٤٥٣١


Bibliotheca Alexandrina
0617112